فاجعة الطف

الطبعة السابعة
مزيدة ومنقحة
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

فاجعة الطف

أبعادها • ثمراتها • توقيتها

بحث تحليلي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

القسم الأول

تأليف
السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم

دار الهلال
طباعة. نشر. توزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله على نعمائه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد فإن من نعم الله تعالى أن نضع بين يدي القارئ الكريم كتاب (**فاجعة الطف**) بطبعته الجديدة التي تمتاز بإضافات كثيرة من قبل مؤلفه (مدّ ظله) ويتمثل ذلك:

١ـ بإضافة حوادث وشواهد تاريخية منتشرة ضمن الفصول المعروضة.

٢ـ بإضافة فصل مستقل في خاتمة الكتاب بعنوان: (**فيما حققه النبي** صلى الله عليه وآله **على الأرض لصالح الإسلام**).

وبذلك أصبح كتاباً موسوعياً كبيراً، يتضمن حوادث ووقائع قلّ ما نجدها في كتاب آخر بعين موضوعه.

ولأجل ذلك عمدنا:

أولاً: إلى جعله قسمين، ليسهل حمله وقراءته.

ثانياً: إلى وضع فهارس فنية مقتصرين فيها على ثلاثة عناوين:

١ـ فهرست أحاديث المعصومين عليهم السلام.

٢ـ فهرست الخطب والمكاتبات والمراسلات والأقوال الخاصة والعامة.

٣ـ فهرست الحوادث والوقائع العامة والخاصة وجملة من المواقف الشخصية.

مضافاً إلى فهارس المواضيع التي يشتمل عليها الكتاب، وقد وضعناها في قسمين:

الأول: الفهرست الإجمالي، الذي يتضمن منهجية البحث بشكل متكامل لتتضح معالمه التفصيلية للقارئ الكريم.

الثاني: الفهرست التفصيلي، الذي يتضمن كل مواضيع الكتاب والحوادث بشكل تفصيلي.

كل ذلك تسهيلاً على القارئ الكريم في الحصول على أي قضية تاريخية أو حدث أو واقعة يتضمنها الكتاب ضمن شواهده الكثيرة.

ومن الله نستمد العون والتسديد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد.. فقد كثر الحديث عن نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) التي انتهت بفاجعة الطف عرضاً وتقييماً، وتفجعاً وافتخاراً، وغير ذلك من شؤون هذه الملحمة الدينية الكبرى.

ولعله لم تحظ واقعة في الإسلام ـ بل في العالم ـ بمثل ما حظيت به هذه الواقعة من الاهتمام والتقييم في أحاديث وكتابات بلغ كثير منها كتباً كاملة، بل مجلدات.

وذلك قد يوحي بأن الحديث عنها بعد ذلك لا يزيد شيئاً، بل هو تكرار لأفكار سابقة، واجترار لمفاهيم مطروحة.

ولكن الذي يبدو لنا أن الأمر ليس كذلك، وأن بعض جوانب هذه النهضة المباركة لم يأخذ حظه المناسب من البحث والتقييم.

بل حيث كانت هذه النهضة المقدسة ـ حسب عقيدتنا كمسلمين شيعة إمامية اثني عشرية نستمد تعاليمنا من أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ بأمر من الله تعالى وعهد معهود منه سبحانه، فقد تكون لها من الأهداف

والثمرات في علم الله عز وجل ما لم يدركه الناس بعد.

وربما يظهر بمرور الزمن وفي الوقت المناسب من فوائدها وثمراتها ما هو مغفول عنه الآن. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء**﴾[1].

وها نحن نضع بين يدي القارئ الكريم كتاب (**فاجعة الطف**) الذي بحثنا فيه جوانب مهمة من نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) لم تطرق من قبل، أو لم تأخذ حظها المناسب من البحث والتقييم.

وقد اخترنا للكتاب هذا العنوان من أجل أن أهمية هذه النهضة المباركة، وموقعها المتميز من بين الأحداث، في خلودها، وترتب الثمرات الجليلة عليها، وما أحدثته من هزّة في المجتمع الإسلامي، وتحول في نظرته للسلطة، كل ذلك إنما كان بلحاظ وجهها الدامي، وجانبها المفجع، وظلامتها الصارخة. ولذا أكّد أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) على هذا الجانب بوجه ملفت للنظر.

عرض موجز لمحتويات الكتاب

نعم العنوان المذكور قد يوحي في بدو النظر بأن الكتاب يتضمن أحداث الفاجعة، وسرد مفرداتها، على غرار المقاتل الكثيرة التي ألفت في هذا المجال، مع أن الكتاب أبعد ما يكون عن ذلك. ومن هنا ألحقنا بالعنوان المذكور المفردات التالية:

أبعادها. ثمراتها. توقيتها.

لنشير بذلك إلى الجوانب المهمة التي عني بها الكتاب. وقد خصصنا كلاً منها بمقصد يستوفي الكلام فيه.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

وبعـــد أن انتهى الكتاب بهذا الحجم غير المتوقـــع، وبالمادة الغزيرة التي تضمنهـــا، فالظاهر أن الإشـــارة لمضمونه بهذا الاختـــزال لا تكفي في إعطاء صورة إجمالية للقارئ عن محتواه. لذا كان من المناسب عرض محتوى المقاصد الثلاثة بإيجاز.

فالمقصد الأول الذي هو في أبعاد الفاجعة يتضمن بيان المفردات المأساوية والمثيرة التي تجمعت في الفاجعة، وجعلتها في قمة المآسي الدينية والإنســـانية، وبالحجم المناسب لخلودها، ولما ترتب عليها من آثار جليلة.

وتأكيد ذلك بما ظهر من ردود الفعل السريعة لها مع التعرض لهولها..

أولاً: في المجتمع الإســـلامي، حيث أججت عواطفـــه بنحو أظهرت غضبه على السلطة وبغضه لها.

وثانياً: في الســـلطة التي قارفت الجريمة نفســـها، حيث شعرت بالخيبة والخسران، واضطـــرت للتراجع عن عنفوانها فيما يخص الحدث والتنصل من الجريمة في محاولة يائسة.

والمقصد الثاني الذي هو في ثمرات الفاجعة ومكاسبها، قد ذكرنا فيه أن المكاسب المذكورة على قسمين:

القسم الأول: المكاســـب الدينية. ولها الموقع الأهم في الحدث، والأوفى بحثاً وتقييماً في هذا الكتاب. وهي ذات جانبين:

١ـ مكاسب الإسلام بكيانه العام.

وحيث كانت نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) في ضمن سلسلة جهود أهل البيت عليهم السلام في رعاية الإسلام والحفاظ على الدين وإيضاح معالمه،

فقد ألزمنا ذلك التعرض..

أولاً: لخطر التحريف الذي تعرض له دين الإسلام نتيجة انحراف السلطة، وخروجها عن أهل البيت (صلوات الله عليهم). وقد أفضنا في خطوات السلطة المتلاحقة، ومشروعها في التعتيم على الحقائق والتحكم في الدين، وفي حجم الخطر لو ترك الأمر لها، ولم يكبح جماحها.

وثانياً: لجهود أهل البيت (صلوات الله عليهم) في كبح جماح الانحراف والتحريف.

ولبيان المراحل التي قطعها أهل البيت عليهم السلام في سبيل ذلك استعرضنا جهود أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) والخاصة من أصحابه (رضوان الله عليهم) في كشف الحقائق، والتركيز عليها، والإنكار على الانحراف في السلطة، وعلى تحكمها في الدين وتحريفه وما جرى مجرى ذلك.

ثم تأكيده هو عليه السلام حينما استولى على السلطة، وتأكيدهم معه، على حقه وحق أهل البيت، واهتمامهم بإحياء دعوة التشيع التي غرسها النبي صلى الله عليه وآله.

وكانت نتيجة ذلك أن تبنى هذه الدعوة الحقة جماعة من ذوي المقام الرفيع في الدين، والأثر المحمود في الإسلام، ومن ذوي التصميم والإصرار، واقتنعوا بها كعقيدة محددة المعالم، مدعومة بالأدلة، مناسبة للفطرة، وبالدعوة لها، ومحاولة التبليغ بها وتعميمها في المجتمع الإسلامي، وبالإنكار على انحراف السلطة وتحريفها للدين، وتعرية الظالمين.

ثم استعرضنا جهود السلطة بعد أمير المؤمنين عليه السلام في الوقوف بوجه هذه الدعوة، والقضاء على حملتها، والمضي في الانحراف والتحريف، وإسكات

أصـــوات الإنكار عليه وعلى الســـلطة بالترغيب والترهيـــب، وإماتة الوازع الديني والضمير الإنساني في الأمة.

كل ذلك من أجل انفراد الســـلطة في الســـاحة، وتنفيـــذ مشروعها في استغلال قدرات الإسلام المادية والمعنوية، والتحكم بالدين لصالحها وخدمة أهدافها.

ونبّهنـــا إلى تفاقـــم الأمر ببيعة معاويـــة بولاية العهد مـــن بعده ليزيد، وتحويل الدولة الإسلامية إلى دولة قيصرية أموية سفيانية ذات أهداف جاهلية. وإلى أن جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) السابقة أصبحت بسبب ذلك في خطر حقيقي.

وهنا جاء دور الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ليقف في وجه السلطة، وليعلن الإنكار عليها، وعدم شرعيتها. ويفجر الموقف بفاجعة الطف الدامية التي هزّت ضمير المســـلمين، وبغّضت الســـلطة للناس وأسقطت شرعيتها عندهم.

وكان المكســـب المهم للدين في ذلك فصله عن السلطة غير المعصومة، وتحرره من أن تتحكم فيه، ورجوع المسلمين لواقعهم في الاعتراف بانحصار المرجع في الدين بالكتاب المجيد وسنة النبي صلى الله عليه وآله، واتفاقهم على جملة من معالم الدين التي تحفظ وحدتهم وتذكرهم بمشتركاتهم.

٢ـ مكاسب التشيع بخصوصيته..

تارة: من حيثية الاستدلال والبرهان، وقوة الحجة بسبب الفاجعة.

وأُخـــرى: في الجانب العاطفي، حيث فاز التشـــيع بشرف التضحية في

أعظم ملحمة دينية تأجج العواطف وتثير المشاعر.

وثالثة: في الإعلام، وبيان حقيقة التشيع والدعوة له، ونشر ثقافته الأصيلة المناسبة للفطرة في مختلف جهات المعرفة.

القسم الثاني: في العبر التي تستخلص من الفاجعة من أجل أن ينتفع بها ذوو الرشد. وقد اقتصرنا منها على أمرين:

أولهما: سلامة آلية التحرك والعمل، والحفاظ فيها على المبادئ الدينية والإنسانية السامية.

ثانيهما: ظهور واقع الناس، ومدى استجابتهم لدعوة الحق، والثبات عليها، والوقوف عند تعاليمها، مما يكشف عن تعذر الإصلاح التام وإقامة حكم إسلامي بنحو كامل. وأنه يتعين الاكتفاء بالإصلاح النسبي حسب المقدور، من دون أن ينافي ذلك شمولية الإسلام في نفسه، وكمال تشريعه الرفيع.

أما المقصد الثالث فقد تحدثنا فيه عن توقيت النهضة المباركة التي انتهت بالفاجعة، والظروف المناسبة التي هيأت للإمام الحسين (صلوات الله عليه) القيام بها دون بقية الأئمة ممن سبقه ولحقه، مع أن وظيفتهم (صلوات الله عليهم) بأجمعهم هي رعاية الدين والجهاد في سبيل صلاحه وحمايته.

وقد أوضحنا في المقصد المذكور عدم سنوح الفرصة المناسبة لتفجير الموقف إلا في عهد الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وفي ذلك المنعطف التاريخي من مسيرة الإسلام خاصة، دون ما قبله وما بعده.

وقد استعرضنا من أجل ذلك..

أولاً: موقف أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) وظرفه الحرج الذي ألزمه بالمسالمة والسكوت.

وثانياً: موقف الإمام الحسن (صلوات الله عليه) الذي اضطر فيه لمهادنة معاوية، وثمرات ذلك لصالح الإسلام عموماً، ودعوة التشيع خاصة.

وثالثاً: موقف الأئمة من ذرية الحسين (صلوات الله عليهم). حيث كفتهم فاجعة الطف مؤنة السعي لإسقاط شرعية السلطة، وتحرير الدين منها، واستغنوا بالفاجعة المذكورة عن مواجهة السلطة والاحتكاك بها.

وكيف أنهم عليهم السلام استثمروا جهود الأئمة الأولين (صلوات الله عليهم) ـ وفي قمتها تلك الفاجعة ـ لصالح الدين، وتفرغوا لبناء الكيان الشيعي بمميزاته الحالية ـ في العقيدة والبنية والممارسات ـ بالنحو الذي ضمن له الاستمرار والبقاء، والتوسع والانتشار، وفرض احترامه على الآخرين.

كما قدمنا هذا الكتاب بمقدمة أوضحنا فيها أن التخطيط لفاجعة الطف كان إلهياً، وقد علم به الإمام الحسين (صلوات الله عليه) مسبقاً، وأقدم على التضحية في سبيل الله تعالى عالماً بالنتائج. وأنه بذلك تتجلى رفعة مقامه، وعظمة موقفه، وفناؤه في ذات الله عز وجل.

أما الخاتمة التي ختمنا بها هذا الكتاب فهي تتضمن:

أولاً: بيان أن لجهود أهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ وفي قمتها فاجعة الطف ـ في كبح جماح الانحراف وإيضاح معالم الدين الفضل على جميع الأديان السماوية في التنبيه على رفعتها وسلامتها مما نسبته لها يد التحريف. بل لها الفضل في استقامة مسار الفكر الإنساني، وإيضاح المعالم العامة لمنهج

التفكير السليم.

وثانياً: بيان كثير مما يتعلق بإحياء فاجعة الطف ومناسبات أهل البيت (صلوات الله عليهم) في أفراحهم وأحزانهم وجميع المناسبات الدينية الشريفة.

ونأمل أن تتم للقارئ بهذا العرض الموجز صورة إجمالية عما تضمنه هذا الكتاب.

ونسأل الله عز وجل أن يجعله مورد نفع لطالبي الحقيقة والباحثين عنها. ومنه سبحانه نستمد التوفيق والتسديد.

إنه ولي الأمور. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المقدمة

يشـــيع بين أهل الحديث من الفريقين والمؤرخـــين عامة عرض حادثة الطف الفجيعة والحديث عنها.

ولهم في ذلك اتجاهان:

نظرية أن التخطيط لواقعة الطف بَشريّ

أولهـــما: أن التخطيط لها كان بشرياً، وأن الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) قد خطط للنهضة وفق قناعاته وحساباته المادية، من أجل الاستيلاء على السلطة. وكان لمزاجيته في التعامل مع الأحداث، وموقفه الحدّي الانفعالي من خصومه عامّة، ومن يزيد خاصّة، أعظم الأثر في ذلك.

بل قد يظهر من بعضهم أن ذلك قـــد أفقده النظرة الموضوعية في تقييم الظـــروف المحيطة به، والموازنة بين القوى التي لـــه والتي عليه. وأنه قد اغتر بمواعيـــد من كتب له مـــن أهل الكوفـــة، أو انخدع بنصيحة ابـــن الزبير له بالخروج[1]، ليخلو له الحجاز.

---

(١) تاريخ دمشـــق ج:١٤ ص:٢٣٩ في ترجمة الحســـين بن عـــلي بن أبي طالب. تهذيـــب الكمال ج:٦ ص:٤٤٠ في ترجمة الحســـين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحســـين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٦ ح:٢٩٩.

وعلى كل حال فهو عليه السلام عند أهل هذا الاتجاه قد حاول بخروجه تنفيذ مخططه في الاستيلاء على السلطة، إلا أنه لم يتسن له ما أراد، لخطئه في تقييم الأوضاع التي عاشها، ولحزم خصومه وصرامتهم، وخيانة من دعاه وتعهد بنصره من أهل الكوفة، حتى انتهى الأمر إلى قتله وقتل من معه، والإجهاز على مشروعه. كما توقع ذلك كثير من أهل الرأي والمعرفة. وقد نصحه كثير منهم ـ من أجل ذلك ـ بعدم الخروج.

وهذا هو الذي يظهر من كثير ممن تعرض لنهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) من الجمهور.

نظرية أن التخطيط للواقعة إلهي

ثانيهما: أن التخطيط لها إلهي، وأن الله سبحانه وتعالى قد عهد للإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وأمره ـ عن طريق النبي صلى الله عليه وآله ـ بتنفيذ مشروع ينتهي باستشهاده واستشهاد من معه، وجميع ما حدث من مآس وفجائع.

وكان له عليه السلام ـ بما يمتلك من مؤهلات ذاتية وشخصية ـ الدور المتميز في تنفيذ المشروع المذكور وفاعليته، وتحقيق أهدافه السامية.

كل ذلك لمصالح عظمى تناسب حجم التضحية وأهميتها، قد علم الله عزّ وجلّ بها. وربما ظهر لنا بعضها.

وقد نجح (صلوات الله عليه) في مشروعه، وحقق ما أراد، وتكلل سعيه بالنجاح والفلاح، وكان عاقبته الفتح المبين.

وأن من أشار عليه بعدم الخروج قد خفي عليهم وجه الحكمة، كما خفي على المسلمين وجه الحكمة في صلح الحديبية، فاستنكروه على النبي صلى الله عليه وآله، وكما

خفي على كثير من أصحاب الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وغيرهم وجه الحكمة في صلحه لمعاوية، فأنكروا عليه... إلى غير ذلك من الأمور الغيبية التي قد يخفى وجهها. والناس أعداء ما جهلوا. بل قد يكونون معذورين لجهلهم.

ونحن الشيعة ـ حيث كنّا نؤمن بعصمة الإمام الحسين وسائر الأئمة (صلوات الله عليهم) ـ لابد من أن نتبنى التفسير الثاني للنهضة المباركة، ولجميع ما صدر من الأئمة (صلوات الله عليهم) في التعامل مع الأحداث.

تأكيد النصوص على أن التخطيط لفاجعة الطف إلهي

ومع ذلك فنصوصنا مستفيضة عن النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) بما يؤكد التفسير المذكور. نكتفي منها بصحيح ضريس الكناسي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «قال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر علي والحسن والحسين عليهم السلام، وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ وجلّ، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إن الله تبارك وتعالى [قد] كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه، ثم أجراه. فبتقدم علم ذلك إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام. وبعلم صمت من صمت منّا»[1].

وحديث العمري عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قال: «إن الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله كتاباً قبل وفاته، فقال: يا محمّد هذه وصيتك إلى النُجَبَة من أهلك... فدفعه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه، ففكّ أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً، وعمل بما فيه. ثم

(١) الكافي ج:١ ص:٢٦٢.

دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام، ففكّ خاتماً منه، وعمل بما فيه. ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً، فوجد فيه: أن اخرج بقوم إلى الشـــهادة، فلا شهادة لهم إلا معك، واشتر نفسك لله عزّ وجلّ. ففعل. ثم دفعه إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام...»[1].

الشواهد المؤكدة لكون التخطيط للفاجعة إلهياً

بل نحن نرى أن التفسير الأول ظلم لسيد الشهداء (صلوات الله عليه)، واســـتهوان بنهضته المقدســـة. وهو يبتني على تجاهل كثير من الحقائق الثابتة تاريخياً، كما يظهر مما يأتي إن شاء الله.

إخبار النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بالفاجعة قبل وقوعها

وليس ذلك من أجل اعتقادنا بعصمة الإمام الحسين عليه السلام، ولا من أجل الأحاديث التي أشرنا إليها. بل لأنه قد استفاض الحديث، بل تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وأمـــير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأهل البيت عليهم السلام بمقتل الإمام الحســـين (صلوات الله عليه). كما استفاض الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام نفسه بذلك.

ويتضح ذلك بالرجوع لمصادر الحديث والتاريخ الكثيرة، ويأتي منّا ذكر كثير من ذلك.

توقع الناس للفاجعة قبل وقوعها

بل يبدو أن ذلك قد شاع وعرف بين الناس قبل حصوله. فقد روي أن رســـول الله صلى الله عليه وآله خطب في المسلمين، وأخبرهم بقتل الحسين عليه السلام فضجّ الناس

---

(١) الكافي ج:١ ص:٢٨٠.

بالبكاء، فقال صلى الله عليه وآله: «أتبكون ولا تنصرونه؟!...»[١].

وروى الطبراني بسنده عن عائشة حديثاً طويلاً يتضمن إخبار النبي صلى الله عليه وآله لها بقتل الإمام الحسين عليه السلام بالطف، وفيه: «ثم خرج إلى أصحابه ـ فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر رضي الله عنهم ـ وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أن فيها مضجعه»[٢].

وعن أنس بن مالك تعقيباً على حديث التربة أنه قال: «فكنا نسمع أنه يقتل بكربلاء»[٣].

وعن ابن عباس أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وآله في ذلك، وقال: «ثم نزل عن المنبر، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول»[٤].

كما أسند غير واحد عن ابن عباس أنه قال: «ما كنّا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف»[٥].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٦٤ الفصل الثامن، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٢٨ ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن علي وولده. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٨.

(٢) المعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٧ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته ح:٢٨١٤. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٨٨ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. كنز العمال ج:١٢ ص:١٢٣ ح:٣٤٢٩٩. فيض القدير ج:١ ص:٢٦٦. وغيرها من المصادر.

(٣) مسند أحمد ج:٣ ص:٢٦٥، مسند أنس بن مالك وغيره من المصادر بنفس اللفظ أو بما يقاربه.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٦٤ـ ١٦٥ الفصل الثامن، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٢٨ـ٣٣٠ ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن علي وولده.

(٥) المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٧٩ كتاب معرفة الصحابة: أول فضائل أبي عبد الله الحسين

وقال البلاذري: «حدثني عمر بن شبة حدثنا موسى بن إسماعيل. وحدثني يوسف بن موسى القطان، قالا: حدثني حكام بن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قال: قال علي عليه السلام وهو بالكوفة: كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيكم يحمل قويهم ضعيفهم؟ قالوا: نفعل ونفعل. فحرك رأسه، ثم قال: تواردون ثم تعرّدون[١]، ثم تطلبون البراءة ولا براءة لكم. وحدثني صديق لي عن يوسف بن موسى أن في حديثه: وتعينون عليه شر أهل زمانه في نسبه وسيرته»[٢].

وقال الشيخ المفيد: «وروى عبد الله بن شريك قال: كنت أسمع أصحاب علي عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليه السلام. وذلك قبل قتله بزمان»[٣].

وروي أن عمر بن سعد قال للإمام الحسين (صلوات الله عليه): «إن قوماً من السفهاء يزعمون أني أقتلك». فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «ليسوا بسفهاء، ولكنهم حلماء. ثم قال: والله إنه ليقر بعيني أنك لا تأكل برّ العراق بعدي إلا قليلاً»[٤].

بن علي الشهيد رضي الله عنهما. السلسلة الصحيحة ج:٣ ص:٢٤٥ حديث:١١٧١. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٦٠ الفصل الثامن. إمتاع الأسماع للمقريزي ج:١٢ ص:٣٢٨، ج:١٤ ص:١٤٥. وغيرها من المصادر.

(١) عرّد الرجل عن قرنه إذا أحجم ونكل. لسان العرب.

(٢) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٤٠٧ في ترجمة عبيد الله بن زياد، ج:٣ ص:٣٦٣ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٣) الإرشاد ج:٢ ص:١٣١ـ١٣٢. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٦٣. ومثله في كشف الغمة ج:٢ ص:٢١٨ ولكن فيه (أصحاب محمد) بدل (أصحاب علي).

(٤) تاريخ دمشق ج:٤٥ ص:٤٨ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٢١

وقـــال ابن الأثير: «قال عبد الله بن شريـــك: أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس الســـود من أصحاب السواري إذا مرّ بهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين. وذلك قبل أن يقتله»[١].

وروي أن أمـــير المؤمنين عليه السلام قال لعمر بن ســـعد: «كيف أنت إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار، فتختار النار؟!»[٢].

وقال العريان بن الهيثم: «كان أبي يتبدى، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين. فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك، فقال له: إني أراك ملازماً هذا المكان. قال: بلغني أن حسيناً يقتل ههنا. فأنا أخرج، لعلي أصادفه، فأقتل معه. فلما قتل الحسين قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدي فيمن قتل؟ وأتينا المعركة، فطوفنا فإذا الأسدي مقتول»[٣].

بل يظهر من بعض النصوص أن ذلك أمر نوه به بعض الأنبياء في الأمم

ص:٣٥٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تهذيب التهذيب ج:٧ ص:٣٦٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تاريخ الإسلام للذهبي ج:٥ ص:١٩٥ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. وغيرها من المصادر.

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٤٢ ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين من أحداث سنة ٦٦هـ، واللفظ له. ومثله في تاريخ دمشق ج:٤٥ ص:٤٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص، وتهذيب الكمال ج:٢١ ص:٣٥٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص.

(٢) تاريخ دمشق ج:٤٥ ص:٤٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تهذيب الكمال ج:٢١ ص:٣٥٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تاريخ الإسلام للذهبي ج:٥ ص:١٩٥ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٤٢ ذكر مقتل عمر بن ســـعد وغيره ممن شـــهد قتل الحسين من أحداث سنة ٦٦هـ. كنز العمال ج:١٣ ص:٦٧٤ ح:٣٧٧٢٣.

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٦ـ٢١٧ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٠ ح:٢٨١. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٦ ص:٢٦١٩.

السابقة. فعن رأس الجالوت: «قال: كنا نسمع أنه يقتل بكربلاء ابن نبي. فكنت إذا دخلتها ركضت فرسي حتى أجوز عنها. فلما قتل الحسين جعلت أسير بعد ذلك على هيأتي»[١].

كما استفاض الحديث عن النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) وخواص أصحابهم ـ تبعاً لهم ـ عن انتقام الله عزّ وجلّ من قتلته من بعده.

فعن ابن عباس أنه قال: «أوحى الله إلى نبيكم صلى الله عليه وآله أني قتلت بيحيى سبعين ألفاً. وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[٢]. ويأتي من الإمام الحسين (صلوات الله عليه) التأكيد على ذلك.

الإخبار بنهضة المختار

وقال ميثم التمّار (رضوان الله عليه) ـ وهو من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحملة سرّه ـ للمختار بن أبي عبيدة الثقفي، وهما في حبس ابن

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج:٣ ص:١١١. مسند الحسين بن علي ذكر مولده وصفاته. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٩١ في ترجمة الحسين. وغيرها من المصادر.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج:٢ ص:٢٩٠ كتاب التفسير: تفسير سورة آل عمران، واللفظ له، ص:٥٩٢ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين: ذكر يحيى بن زكريا نبي الله عليهما السلام، ج:٣ ص:١٧٨ كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم: فضائل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقال الحاكم بعد ذكر الحديث: «هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجاه». سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٣٤٢ في ترجمة سعيد بن جبير، قال الذهبي بعد ذكر الحديث: «هذا حديث نظيف الإسناد منكر اللفظ». تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٥ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، ج:٦٤ ص:٢١٦ في ترجمة يحيى بن سليمان بن نشوي. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي. تاريخ بغداد ج:١ ص:١٥٢ في ذكر سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام. فيض القدير ج:١ ص:٢٦٥. تفسير القرطبي ج:١٠ ص:٢١٩. الدر المنثور ج:٤ ص:٢٦٤. كنز العمال ج:١٢ ص:١٢٧ ح:٣٤٣٢٠. وغيرها من المصادر الكثيرة.

زياد، قبل قتل الإمام الحسين عليه السلام: «إنك تفلت، وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخديه»[١].

وقال ابن الكلبي وغيره: «حلف ابن زياد ليقتلن المختار بن أبي عبيد، فسمع ذلك أسماء بن خارجة وعروة بن المغيرة فدخلا عليه [يعني: في السجن] فأخبراه بذلك، وقالا: أوصنا في مالك، واحفظ لسانك. فقال: كذب والله ابن مرجانة الزانية. والله لأقتلنه ولأضعن رجلي على خده. فقال أسماء: يا أبا إسحاق قد كانت تبلغنا عنك أشياء، فأما إذ سمعنا منك هذا القول فما فيك مستمتع، ثم نهضا متعجبين من قوله مستحمقين له. وبكرا إلى ابن زياد فإذا زائدة بن قدامة الثقفي قد دخل عليه بكتاب من يزيد بن معاوية يعلمه فيه أن عبد الله بن عمر كتب إليه فيه، ويعزم عليه أن يخلي سبيله... وقال للمختار: يا كذاب قد أجلتك ثلاثاً فلا تساكني ففكت قيوده بالعذيب»[٢].

بل يبدو أن المختار قد أخذ من ميثم التمار أو من غيره من أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أموراً وتفاصيل أكثر من ذلك. فقد قال ابن العرق مولى ثقيف:

«أقبلت من الحجاز، حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة، استقبلت المختار بن أبي عبيدة خارجاً يريد الحجاز، حين خلى سبيله ابن زياد. فلما استقبلته رحبت به وعطفت إليه. فلما رأيت شَترَ عينه استرجعت له، وقلت له ـ بعدما توجعت له ـ: ما بال عينك صرف الله عنك السوء؟ قال: خَبَط عيني

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٩٣، واللفظ له. الإرشاد ج:١ ص:٣٢٤. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٣٥٣. وقريب منه في الإصابة ج:٦ ص:٢٥٠ في ترجمة ميثم التمار الأسدي.

(٢) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٤١٣ في ترجمة عبيد الله بن زياد.

ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى. فقلت له: ما له شلّت أنامله؟ فقال المختار: قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله[١] وأعضاءه إرباً إرباً».

قال: «فعجبت لمقالته، فقلت له: ما علمك بذلك رحمك الله؟ فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه... يا ابن العرق إن الفتنة قد أرعدت وأبرقت. وكأن قد انبعثت، فوطئت في خطامها. فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه، فقيل: إن المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي. فوربك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام».

قال: «فقلت له: سبحان الله، وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى. فقال: هو ما أقول لك. فاحفظه عني حتى ترى مصداقه. ثم حرك راحلته فمضى...» قال ابن العرق: «فوالله ما متّ حتى رأيت كل ما قاله»[٢]... إلى غير ذلك مما ورد عن المختار[٣].

---

(١) الأباجل جمع الأبجل. وهو عرق غليظ في الرجل أو في اليد.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٤٤٢ـ٤٤٣ أحداث سنة خمس وستين من الهجرة: مقدم المختار بن أبي عبيدة الكوفة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٦٩ـ١٧٠ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر قدوم المختار الكوفة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٦٧ـ١٦٨ ذكر هرب المختار من ابن زياد وما كان من بيعته لعبد الله بن الزبير. وذكره مختصراً باختلاف يسير في بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٣٥٣ـ٣٥٤. واقتصر على الفقرة الأولى من كلامه في أنساب الأشراف ج:٦ ص:٣٧٦ أمر المختار بن عبيد وقصصه. ونظير ذلك ما نقله الخوارزمي عن محمد بن إسحق صاحب السيرة من حديث المختار مع صقعب بن زهير في واقصة. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١٧٨ـ١٨٠ الفصل الخامس عشر في بيان انتقام المختار من قاتلي الحسين عليه السلام.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٤٤٤، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١ أحداث سنة خمس وستين من الهجرة: ذكر قدوم المختار الكوفة. وص:٤٧١ ما كان من أمر التوابين وشخوصهم للطلب بدم الحسين بن

ولم يقتصر النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام على الإخبار بأصل الحدث، بل زادوا على ذلك بأمرين:

بعض التفاصيل المناسبة لانتهاء النهضة بالفاجعة

الأول: بعض التفاصيل المناسبة لحصوله في هذه النهضة الشريفة، كتحديد مكان قتله عليه السلام[1]، وزمانه[2]،

علي إلى عبيد الله بن زياد. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥٨ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٧٠، ١٧١، ١٧٣ ذكر قدوم المختار الكوفة، وص:١٨٦ ذكر مسير التوابين وقتلهم. أنساب الأشراف ج:٦ ص:٣٨١ أمر المختار بن عبيد وقصصه.

(١) وقد روي ذلك مسنداً عن النبي صلى الله عليه وآله في كل من مسند أحمد ج:١ ص:٨٥ في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومجمع الزوائد ج:٩ ص:١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي رضي الله عنهما، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٢٧٦ كتاب الأمراء: ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم، ج:٨ ص:٦٣٢ كتاب الفتن: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها، ومسند أبي يعلى ج:١ ص:٢٩٨ مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، وتاريخ دمشق ج:١٤ ص:١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٠٢، ١٠٣ في ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه، وسير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٨٩ في ترجمة الحسين الشهيد، والبداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٧ في أحداث سنة إحدى وستين: فصل بلا عنوان بعد ذكر صفة مقتله، والوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وإمتاع الأسماع ج:٨ ص:١٢٩، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) **مثل ما روي مسنداً عن أم سلمة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقتل حسين على رأس ستين من مهاجري»**. المعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٥ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، واللفظ له. تاريخ بغداد ج:١ ص:١٥٢ في ذكر من ورد بغداد من جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسين بن علي. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:١٩٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٠ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. الفردوس بمأثور الخطاب ج:٥ ص:٥٣٩. وغيرها من المصادر.

وأن قاتله يزيد[١]، مع ذكر بعض من يشارك في ذلك[٢]، وما يؤول إليه أمرهم

وكذا ما روي مسنداً عنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقتل الحسين عليه السلام حين يعلوه القتير». المعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٥ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٠ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. كنز العمال ج:١٢ ص:١٢٩ ح:٣٤٣٢٦. الفردوس بمأثور الخطاب ج:٥ ص:٥٣٩.

(١) الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٢٨ ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن علي وولده ... مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٦٣. المعجم الكبير ج:٣ ص:١٢٠ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، ج:٢٠ ص:٣٨ في ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن معاذ. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٠ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. كنز العمال ج:١١ ص:١٦٦ ح:٣١٠٦١، ج:١٢ ص:١٢٨ ح:٣٤٣٢٤. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٣١٤. وغيرها من المصادر.

(٢) بصائر الدرجات ص:٣١٨. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٣٤٥ الركن الثاني: في ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: الباب الثالث الآيات والدلالات المؤيدة لإمامته. الإصابة ج:٢ ص:٢٠٩ في ترجمة خالد بن عرفطة. شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٨٧. وغيرها من المصادر.

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن أبي الحديد قال: «روى ابن هلال الثقفي في كتاب الغارات عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن علي قال: لما قال علي عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألونني عن فئة تضل مائة وتهدى مائة إلا أنبأتكم بناعقتها وسائقتها. قام إليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر. فقال له علي عليه السلام: والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وإن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وإن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذٍ طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النخعي». شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٨٦.

وقال أيضاً: «ومن ذلك أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخطب على المنبر ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة، أو تهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها. ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه. فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: أما والله إني لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به، ولقد أخبرتك [كذا في المصدر] بقيامك ومقالك. وقيل لي: إن على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستفزك، وآية ذلك أن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول

ـ كما تقدم بعضه ـ وغير ذلك مما قد يتضح في تتمة حديثنا هذا.

توقع الإمام الحسين عليه السلام أن عاقبة نهضته القتل

بل صرح الإمام الحسين عليه السلام نفسه ولوّح بأنه يقتل في هذه النهضة المقدسة، كما يأتي في خطبته عليه السلام في مكة حينما أراد الخروج إلى العراق.

وعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: «خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله. وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»(١). ونحوه حديث الإمام الحسين عليه السلام مع عبد الله بن عمر(٢).

وفي حديث له مع بعض من لقيه في الطريق قال فيه: «هذه كتب أهل الكوفة إلي. ولا أراهم إلا قاتلي...»(٣). وفي حديث له مع أبي هرة الأزدي:

الله صلى الله عليه وآله ويحض على قتله.

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام، كان ابنه حصين ـ بالصاد المهملة ـ يومئذٍ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثم عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعده على لسانه إن أرجأ ذلك، فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته». شرح نهج البلاغة ج:١٠ ص: ١٤ـ١٥.

(١) الإرشاد ج:٢ ص:١٣٢. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٢٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٣٧. بحار الأنوار ج:١٤ ص:١٧٥، وج:٤٥ ص:٩٠، ٢٩٨.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٢٨ وصية الحسين رضي الله عنه لأخيه محمد رضي الله عنه. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٩٢ الفصل العاشر.

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٦ في ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٢ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨٣ أحداث سنة ستين من الهجرة:

«يــا أبا هرة لتقتلني الفئة الباغية. وليلبســنهم الله تعالى ذلاً شــاملاً وســيفاً قاطعاً...»[١].

وقد سبق منه عليه السلام تأكيده لعمر بن سعد صدق ما يتحدث به الناس من أنه سيقتله، وأنه من بعده عليه السلام لا يأكل من برّ العراق إلا قليلاً. وكرر عليه السلام التنبؤ له بقلة بقائه بعده قبل المعركة بأيام[٢].

وقال له يوم عاشوراء قبيل المعركة: «أما والله يا عمر ليكونن لما ترى يوماً يسوؤك»[٣]. وقال له أيضاً: «يا عمر أنت تقتلني، وتزعم أن يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان. والله لا تتهنأ بذلك أبداً. عهد معهود. فاصنع ما أنت صانع. فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة. وكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان، ويتخذونه غرضاً بينهم»[٤].

صفة مخرج الحســين إلى العراق. ترجمة الإمام الحســين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٦٤ ح:٢٩٠. نظم درر السمطين ص:٢١٤. وغيرها من المصادر.

(١) مقتل الحســين للخوارزمــي ج:١ ص:٢٢٦ الفصل الحادي عشر في خروج الحســين من مكة إلى العراق، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٧٩ ذكر مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٣ـ٤٤ خروج الحسين من مكة إلى العراق. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ دمشق ج:٤٥ ص:٤٨ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تهذيب الكمال ج:٢١ ص:٣٥٩ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تهذيب التهذيب ج:٧ ص:٣٩٦ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. تاريخ الإســلام ج:٥ ص:١٩٥ في ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٠٣ ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن علي رضي الله عنه. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٤٥ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق. وغيرها من المصادر.

(٣) ترجمة الإمام الحســين عليه السلام من طبقات ابن ســعد ص:٧٢ ح:٢٩٢، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٢ في ترجمة الحسين الشهيد.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٨، واللفظ له. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٠.

كما خطب (صلوات الله عليه) عسكر ابن سعد لما رأى منهم التصميم على قتاله، فقال في آخر خطبته: «ثم أيم الله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، ثم تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور. عهد عهده إليّ أبي عن جدي. ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً...﴾»[1].

وقال عليه السلام في دعائه عليهم: «اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف. وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة...[2] ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم»[3]... إلى غير ذلك.

الحثّ على نصر الإمام الحسين عليه السلام والتأنيب على خذلانه

الثاني: الحث على نصر الإمام الحسين عليه السلام، والتأنيب على خذلانه. مثل ما تقدم في خطبة النبي صلى الله عليه وآله، وما عن أنس بن الحرث قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن ابني هذا ـ يعني: الحسين ـ يقتل بأرض يقال لها كربلاء. فمن شهد ذلك منكم فلينصره»[4].

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٥٩، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧. كفاية الطالب ص:٤٢٩.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٨، واللفظ له. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٦٠.

(٣) بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٠، واللفظ له. العوالم ص:٢٥٣.

(٤) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. الإصابة ج:١ ص:٢٧١ في ترجمة أنس بن الحارث بن نبيه. أسد الغابة ج:١ ص:١٢٣ في ترجمة أنس بن الحارث. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٧ في أحداث سنة إحدى وستين: فصل بلا عنوان بعد ذكر صفة مقتله. إمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢٤٠، ج:١٤ ص:١٤٨ إنذاره صلى الله عليه وآله بقتل الحسين بن علي بن أبي

وعن زهير بن القين، قال: «غزونا بلنجر ففتح علينا، وأصبنا غنائم ففرحنا، وكان معنا سلمان الفارسي، فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد [الجنة] فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم»[١].

وفي حديث معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله بعد أن أخبر بقتل الحسين عليه السلام قال: «والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعاً...»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام للبراء بن عازب: «يا براء أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره؟!». فقال البراء: «لا كان ذلك يا أمير المؤمنين». فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك، ويقول: «أعظم بها حسرة إذ لم أشهده، وأقتل دونه»[٣].

طالب رضي الله عنهما. ذخائر العقبى ص:١٤٦. ينابيع المودة ج:٣ ص:٥٢،٨. كنز العمال ج:١٢ ص:١٢٦ ح:٣٤٣١٤. بحار الأنوار ج:١٨ ص:١٤١، وج:٤٤ ص:٢٤٧. وغيرها من المصادر.

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. معجم ما استعجم ج:١ ص:٢٧٦ في مادة (بلنجر). مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٢٥ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق.

(٢) المعجم الكبير ج:٣ ص:١٢٠ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، ج:٢٠ ص:٣٩ في ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن معاذ، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٠ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. كنز العمال ج:١١ ص:١٦٦ ح:٣١٠٦١. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٦١ الفصل الثامن في إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسين وأحواله. وغيرها من المصادر.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:١٠ ص:١٥، واللفظ له. الإرشاد ج:١ ص:٣٣١. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٣٤٥. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٢ ص:١٠٦. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٦٢. وغيرها من المصادر.

الإمام الحسين عليه السلام مأمور بنهضته عالم بمصيره

وذلك بمجموعه يكشف عن أنه (صلوات الله عليه) قد أقدم على تلك النهضة عالماً بمصيره. وأنه عليه السلام كان مأموراً بنهضته من قِبَل الله تعالى. وإلا فلو لم يكن ذلك مرضياً لله تعالى لكان على النبي وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما) تحذيره من مغبة نهضته ومنعه منها، لا حثّ الناس على نصره وتأنيبهم على خذلانه. ولو كانا قد حذراه ومنعاه لكان حرياً بالاستجابة لهما، فإنه (صلوات الله عليه) أتقى لله تعالى من أن يتعمد خلافهما.

بل ورد عنهما (صلوات الله عليهما وآلهما) أنهما حثّاه ورغّباه. فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال للإمام الحسين عليه السلام: «إن لك في الجنة درجة لا تنالها إلا بالشهادة»[١].

كما ورد أنه صلى الله عليه وآله أخبره بذلك في الرؤيا لما قرب الموعد[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه لما حاذى نينوى في طريقه إلى صفين نادى: «صبراً أبا عبد الله. صبراً أبا عبد الله». ثم ذكر مقتله بشط الفرات[٣]... إلى غير

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٧٠ الفصل الثامن في إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسين وأحواله.

(٢) راجع الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٢٠ ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٨٧ الفصل التاسع في بيان ما جرى بينه وبين الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم بالمدينة في حياة معاوية وبعد وفاته. ينابيع المودة ج:٣ ص:٥٤. الأمالي للصدوق ص:٢١٧. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣١٣، ٣٢٨، وج:٥٨ ص:١٨٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦٣٢ كتاب الفتن: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها. المعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٥ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته. الآحاد والمثاني ج:١ ص:٣٠٨. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:١٨٧ـ١٨٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٠٧ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٣٠٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٠٢ في ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه. إمتاع الأسماع

ذلك مما رواه الفريقان خصوصاً شيعة أهل البيت عليهم السلام.

كما أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) صرّح برضا الله تعالى بنهضته، وأن الله تعالى قد اختارها له، في خطبته العظيمة في مكة المكرمة، حين عزم على الخروج منها متوجهاً إلى العراق. حيث قال فيها في جملة ما قال:

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخِيرَ لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا... لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت. نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين... من كان فينا باذلاً مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[1].

كما يأتي عنه عليه السلام أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فأمره بأمر هو ماض فيه، كان له أو عليه. بل أنه صلى الله عليه وآله أخبره في الرؤيا بأنه سوف يقتل.

ويؤيد ذلك أمران:

الشواهد على أنه عليه السلام لم يتحرّ مظان السلامة

الأول: أنه يوجد في بعض زوايا التاريخ ما يشهد بأنه (صلوات الله عليه) لم يكن في مقام تحري مظان السلامة، بل كان مصراً على السير في طريقه

ج:١٢ ص:٢٣٦ إنذاره صلى الله عليه وآله بقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. ترجمة الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٤٨ ح:٢٧٤. ذخائر العقبى ص:١٤٨ ذكر إخبار الملك رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين وإيرائه تربة الأرض التي يقتل بها. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٣٨، واللفظ له. مثير الأحزان ص:٢٠. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٥ـ٦. وقد روى الخطبة بسنده عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

إلى مصرعه الذي يعرفه، وحيث انتهى وقتل.

فهو عليه السلام وإن كان يؤكد على الحذر من أن يقتل في مكة المكرمة، لئلا يكون هو الذي تنتهك به حرمتها، إلا أنه لم يعرج على ما أشار به غير واحد ـ كما يأتي ـ من الذهاب إلى اليمن، ولم يناقش وجهة نظرهم، بل توجه للعراق.

وفي أول الطريق لقيه الفرزدق، فسأله عليه السلام عن خبر الناس، فقال: «الخبير سألت. قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء».

فقال (صلوات الله عليه): «صدقت. لله الأمر يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن. إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر. وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتدِ من كان الحق نيته، والتقوى سريرته»[1].

ولم يحمله ذلك على أن يعيد النظر في أمره، ويراجع حساباته، ويتلبث حتى تنجلي الأمور، ويتضح موقف الناس، وموقف شيعته ـ الذين كاتبوه ـ بعد ولاية ابن زياد على الكوفة، واستلامه السلطة فيها.

وحتى بعد أن بلغه ـ قبل التقائه بالحر وأصحابه ـ خذلان الناس له، ومقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر رضي الله عنهما، وإحكام

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٨٠ ذكر مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق. الإرشاد ج:٢ ص:٦٧. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٢٣ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق. وغيرها من المصادر.

ابن زياد سيطرته على الكوفة لم يثنه ذلك عن المضي في طريقه.

كما ورد أنه لما بلغه مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة استرجع، وترحم عليهما مراراً، وبكى[١]، وبكى معه الهاشميون، وكثر صراخ النساء حتى ارتج الموضع لقتل مسلم، وسالت الدموع كل مسيل[٢]. وقال (صلوات الله عليه): «رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيته وغفرانه ورضوانه. أما إنه قد قضى ما عليه، وبقي ما علينا»[٣].

بل لما وصلته عليه السلام رسالة ابن الأشعث يخبره عن لسان مسلم بن عقيل بما آل إليه أمره، ويطلب منه الرجوع، لم يزد على أن قال: «كل ما حمّ نازل. وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا»[٤]، واستمر في سيره.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة... .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٥.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٢٣ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٨٠ ذكر مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق. الفصول المهمة ج:٢ ص:٧٧٣ الفصل الثالث في ذكر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: فصل في ذكر شيء من محاسن كلامه وبديع نظامه عليه السلام. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ص:٣٩٠ الفصل الثامن في كلامه عليه السلام. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٥ خروج الحسين من مكة إلى العراق. وغيرها من المصادر.

(٤) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمسير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٣ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير إليهم وقتل مسلم بن عقيل. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧١ أحداث سنة ستين من الهجرة: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة ومقتله. وغيرها من المصادر.

إخبار الإمام الحسين عليه السلام لمن معه بخذلان الناس له

غاية الأمر أنه عليه السلام أعلم بذلك في الطريق من كان معه من الناس، قبل أن يلتقي بالحر وأصحابه.

قال بكر بن مصعب المزني: «كان الحسين لا يمرّ بأهل ماء إلا اتبعوه، حتى انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة مقتل عبد الله بن بقطر... فأخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع. قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن بقطر. وقد خذلتنا شيعتنا. فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام».

قال: «فتفرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة. وإنما فعل ذلك لأنه ظن إنما اتبعه الأعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على مَ يقدمون. وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه»[1].

تهيؤ الإمام الحسين عليه السلام للقاء الحر وأصحابه

وفي حديث عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين أن الإمام الحسين عليه السلام نزل شراف. فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم سار حتى انتصف النهار، ثم التقى بالحر ومن معه ـ وهم ألف فارس ـ في

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٠ـ٣٠١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٣ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين إلى الكوفة. الإرشاد ج:٢ ص:٧٥ـ٧٦.

حــرّ الظهيرة، فقال (صلوات الله عليه) لفتيانه: «اســقوا القوم وارووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً».

قالا: «فقام فتيانه فرشــفوا الخيل ترشــيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم. وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطساس من الماء، ثم يدنونها من الفرس. فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها»[١].

ويظهــر من ذلك أنه عليه السلام قد تهيأ للقاء الحر وجيشــه من الســحر حينما أمر باســتقاء الماء فأكثروا منه. وإلا فركب الإمام الحسين (صلوات الله عليه) يقارب المائتين أو يزيد عليها قليلاً، وليس من الطبيعي أن يســتقي من الماء ما يفيض عن حاجته بمقدار ما يكفي لإرواء ذلك الجيش البالغ ألف نفر وإرواء خيلهم لو لم يكن عليه السلام قد تهيأ لذلك وتعمد الزيادة من الماء ســحراً قبل ارتحاله من شراف.

وإذا كان عليه السلام عالماً بلقاء ذلك الجيش فمن الطبيعي أن يكون عالماً بنتائج ذلك اللقاء وما يترتب عليه، وموطناً نفسه عليها، من أجل تحقيق هدفه. وإلا كان بوسعه الرجوع قبل لقائه.

وبذلــك يظهر أن محاولتــه (صلوات الله عليه) بعــد لقاء ذلك الجيش الرجوع[٢] ليس لاحتمال فســح المجال له وقبولهم بذلك، في محاولة للتراجع

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٢ أحداث ســنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الإرشاد ج:٢ ص:٧٦ـ٧٧. وقد رواه مختصراً ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٦ أحداث ســنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٣ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤

عن مقصده بعد أن ظهر له خطأ تقديره وحساباته، بل هو أشبه بطلب صوري إقامة للحجة، ومقدمة لاتفاقه مع الحر على أن يسير في طريق لا يوصله للكوفة ولا يرده للمدينة، بل ينتهي به إلى حيث انتهى. وقد تحقق له عليه السلام ما أقدم عليه.

اتفاقه عليه السلام مع الحرّ في الطريق

ولما التقى (صلوات الله عليه) بالحرّ بن يزيد الرياحي ـ الذي بعثه ابن زياد في ألف رجل لياتوه بالحسين إلى الكوفة ـ كان عليه السلام في أبعد موضع عن نفوذ ابن زياد، وأصعب مكان لتجمع الجيش ضده، حيث لا ماء ولا زرع ولا قرى ولا مأوى.

لكنه عليه السلام بعد أن منعه الحرّ من الرجوع اتفق مع الحرّ ـ كما سبق ـ على أن يسلك طريقاً لا يوصله للكوفة ولا يرجع به للمدينة، واستمر في السير في منطقة نفوذ ابن زياد، وتوغل فيها.

مع أنه (صلوات الله عليه) إن كان آيساً من نصرة أهل الكوفة له كان الأصلح له عسكرياً أن يقف حيث انتهى، أو يقتصر في السير على أول موضع يجد فيه الماء.

وإن كان يأمل نصرتهم، ويحاول الحصول عليها، كان الأصلح له أن يسير مع الحرّ إلى مشارف الكوفة، ثم يمتنع من الاستسلام لابن زياد، ويستنصر الناس. حيث يسهل على من يريد نصره من الكوفيين أن يصل إليه ويلتحق به.

بينما يتعذر ذلك على الكثير منهم إذا بَعُد عن الكوفة، لأن عبيد الله بن

ص:٤٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

زياد يستطيع حينئذ محاصرة الكوفة وضبط أطرافها، بحيث يتعذر على من يعرف بالتشيع الوصول للإمام الحسين عليه السلام.

وفعلاً قام ابن زياد بذلك. قال ابن سعد: «وجعل الرجل والرجلان والثلاثة يتسللون إلى حسين من الكوفة، فبلغ ذلك عبيد الله، فخرج فعسكر بالنخيلة، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، وأخذ الناس بالخروج إلى النخيلة، وضَبَط الجسر فلم يترك أحداً يجوزه»[1].

امتناعه عليه السلام من الذهاب لجبل طيء

كما أنه (صلوات الله عليه) في الطريق بعد لقائه مع الحر التقى بالطرماح بن عدي الطائي، فذكر له الطرماح أنه رأى الناس قد جُمعوا من أجل أن يسَّرحوا لقتاله. وقال له: «فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى (أجأ). امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر. والله إن دخل علينا ذل قط. فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيء. فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيء رجالاً وركباناً. ثم أقم فينا ما بدا لك. فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم. والله لا يوصَل إليك أبداً ومنهم عين تطرف».

فجزاه الإمام الحسين عليه السلام وقومه خيراً، وقال: «إنه قد كان بيننا وبين

---

(١) ترجمة الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٦٩ـ٧٠ ح:٢٩٠، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٠ في ترجمة الحسين الشهيد. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٨٨ خروج الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة. وغيرها من المصادر.

هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف. ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة»[١].

وأخيراً كانت نتيجة اتفاقه عليه السلام مع الحرّ أن وصل إلى مكان بعيد عن الكوفة قريب من نهر الفرات، حيث الماء والزرع والقرى، وحيث يسهل تجمع الجيوش لقتاله، ويصعب أو يتعذر على من يريد نصره الوصول إليه.

ثم لما وصل كتاب ابن زياد للحر يأمره أن يجعجع بالحسين عليه السلام وأصحابه، وينزلهم على غير ماء ولا في قرية، قالوا له: دعنا ننزل نينوى أو الغاضريات أو شفية، فمنعهم، معتذراً بأن رسول ابن زياد عين عليه. فقال زهير بن القين رضي الله عنه للإمام الحسين (صلوات الله عليه): «يا ابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم. فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قِبَل لنا به». فقال عليه السلام: «ما كنت لأبدأهم بالقتال»[٢].

مع أنه (صلوات الله عليه) لو أصرّ على النزول في إحدى القرى الحصينة، فإن تركوه فذاك، وإن قاتلوه كانوا هم البادئين بالقتال، لا هو عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. ومثله مختصراً في أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٨٣ خروج الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٩ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٩٠ ذكر الحر بن يزيد الرياحي لما بعثه عبيد الله بن زياد لحربه الحسين بن علي رضي الله عنهما. الأخبار الطوال ص:٢٥٢ خروج الحسين إلى الكوفة. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٥١. وغيرها من المصادر.

لكنه استجاب لهم، ولم يمانع.

تصريحه عليه السلام حين وصوله كربلاء بما عهد إليه

حتى إذا نزل في الموضع الذي قتل فيه قال: «ههنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا ومسفك دمائنا»(١). وزاد ابن طاووس: «بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله»(٢).

وقال سبط ابن الجوزي: «فلما قيل للحسين: هذه أرض كربلاء، شمها، وقال: هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله، وأنني أقتل فيها»(٣).

وقال الدينوري: «قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟ قالوا له: كربلاء. قال: ذات كرب وبلاء. ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين، وأنا معه، فوقف فسأل عنه، فأخبرنا باسمه. فقال: ههنا محط ركابهم. وههنا مهراق دمائهم. فسئل عن ذلك، فقال: ثقل لآل بيت محمد ينزلون ههنا»(٤).

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٣٧ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٩٤ ذكر نزول الحسين رضي الله عنه بكربلاء. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ص:٤٠٠. الفصول المهمة ج:٢ ص:٨١٦ الفصل الثالث في ذكر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: فصل في ذكر مصرعه ومدة عمره وإمامته عليه السلام. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٤٧. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٩ وصول الحسين إلى كربلاء. وغيرها من المصادر.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٩ وصول الحسين إلى كربلاء.

(٣) تذكرة الخواص ص:٢٥٠ الباب التاسع في ذكر الحسين عليه السلام: ذكر مقتله عليه السلام.

(٤) الأخبار الطوال ص:٢٥٣ خروج الحسين إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الخميس ج:٢ ص:٢٩٧ـ٢٩٨ الفصل الثاني في ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية والعباسيين: ذكر مقتل

وروي بسند معتبر عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام: «قال: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني إنك ستساق إلى العراق. وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين. وهي أرض تدعى عمورا. وإنك تستشهد بها، ويستشهد جماعة من أصحابك...»[1]... إلى غير ذلك.

تنبيهه عليه السلام لظلامته وتمسكه بموقفه

وبعد أن انتهى (صلوات الله عليه) إلى حيث يريد حاول أن يلفت النظر لظلامته، ليستثير العواطف، وأن يؤكد على تمسكه بموقفه وشرف هدفه، إقامة للحجة.

فقد جمع عليه السلام ولده وإخوته وأهل بيته، ونظر إليهم وبكى، وقال: «اللهم إنا عترة نبيك محمد صلواتك عليه قد أخرجنا وأزعجنا وطردنا عن حرم جدنا، وتعدت بنو أمية علينا. اللهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين»[2].

ثم أقبل على أصحابه فقال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»[3].

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله وقال: «إنه قد نزل بنا من

الحسين بن علي وأين قتل ومن قتله. حياة الحيوان ج:١ ص:١١١ في كلامه عن (الأوز).

(١) الخرائج والجرائح ج:٢ ص:٨٤٨، واللفظ له. بحار الأنوار ج:٥٣ ص:٦١ـ٦٢.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٣٦ـ٢٣٧ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٩٣ ذكر كتاب الحسين رضي الله عنه إلى أهل الكوفة. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٨٣.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٣٦ـ٢٣٧ الفصل الحادي عشر في خروج الحسين من مكة إلى العراق، واللفظ له. تحف العقول ص:٢٤٥. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٨٣.

الأمر ما قد ترون. وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت حذاء، ولم تبق منه إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحق لا يعمل بـه، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً. فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»[1].

فـإن ملاحظة هذه الأمـور بموضوعيـة وإنصاف تشـهد بتصميمه (صلـوات الله عليه) على أن يصل إلى موضع مصرعـه الذي وعد به، وعدم تشبثه بأسباب السـلامة، فضلاً عن أن يسعى للانتصار العسكري. وأنه عليه السلام مصرّ على الإصحار بعدم شرعية السـلطة ومباينته لها، وبعسـفها وظلمها، واستعداده للتضحية في سبيل ذلك، من أجل شرف الهدف، وأداء لما كلف به.

الظروف التي أحاطت بالنهضة لا تناسب انتصاره عسكرياً

الثاني: أن الظروف التي أحاطت بنهضتـه المباركة، وخروجه من مكة إلى العراق، كانت لا تناسب انتصاره عسكرياً. ولا أقل من أنها كانت تقتضي مزيداً من الاحتياط والتأني، ولو من أجل العائلة المخدرة.

كما يشهد بذلك إجماع آراء من نصحه، فإنهم ذكروا لتوجيه آرائهم أموراً لا تخفى على كثير من الناس، فضلاً عنه (صلوات الله عليه).

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٨ خروج الحسين من مكة إلى العراق، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٢ كتاب المناقب: باب مناقب الحسـين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٤ـ١١٥ مسند الحسـين بن علي: ذكر مولده وصفته. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٧ـ٢١٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سـير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٠ في ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٢ مقتل الحسين. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. وغيرها من المصادر. وقد اختلفت المصادر في الوقت الذي خطب عليه السلام به هذه الخطبة.

فإقدامه على تلك النهضة، وما استتبعته من تضحيات جسام ومآسٍ قاسية، لابد أن يكون لهدف آخر غير الانتصار العسكري.

ويبدو مدى وضوح الخطر عليه في خروجه للعراق، وقوة تصميمه عليه السلام عليه مع ذلك، من محاورة ابن عباس معه، وهو الذي سبق منه أنه قال: «ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف»[1].

حيث قال ابن عباس للإمام الحسين عليه السلام: «إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع». فقال (صلوات الله عليه): «قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى». فحذره ابن عباس، وأبدى وجه تخوفه عليه من مسيره في حديث طويل، فقال الإمام الحسين عليه السلام له: «وإني أستخير الله، وأنظر ما يكون».

فلما كان من العشي أو من الغد أتاه ابن عباس، فقال: «يا ابن عم. إني أتصبر ولا أصبر. إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال. إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم. أقم بهذا البلد، فإنك سيد أهل الحجاز. فإن كان أهل العراق يريدونك ـ كما زعموا ـ فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم.

فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً. وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس، وترسل وتبث دعاتك. فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٧٩ كتاب معرفة الصحابة: أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي الشهيد رضي الله عنهما. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في توقع الناس للفاجعة قبل وقوعها من المقدمة.

في عافية».

فقال له الإمام الحسين (صلوات الله عليه): «يا ابن عم إني لأعلم أنك ناصح مشفق. ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير». فقال له ابن عباس: «فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه».

ثم قال: «لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها. وهو يوم [اليوم.ظ] لا ينظر إليه أحد معك. والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك، حتى يجتمع عليّ وعليك الناس، أطعتني، لفعلت ذلك»[1].

وإنما كان (صلوات الله عليه) يبرر خروجه بدعوة أهل الكوفة له، وكثرة كتبهم إليه ـ بنحو قد يوحي بأن هدفه الانتصار العسكري ـ لأن عامّة الناس، وكثير من خاصتهم، لا يستوعبون أن هدفه عليه السلام من الخروج هو الإصحار والإعلان عن عدم شرعية السلطة في موقف يحرجها ويستثيرها، وإن ترتب على ذلك التضحية بنفسه الشريفة وبمن معه، وانتهاك حرمتهم وحرمة عائلته الكريمة، ليتجلى مدى ظلامة دين الإسلام العظيم بظلامة رعاته ورموزه المقدسة، وباستيلاء أولئك المجرمين على السلطة فيه، وحكمهم باسمه.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٧ـ٢٨٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٨ـ٣٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين إلى الكوفة. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٣ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. الأخبار الطوال ص:٢٤٤ خروج الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الكوفة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٧٢ـ٧٣ ابتداء أخبار الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر.

ظهور الإحراج عليه عليه السلام مع ناصحيه

ولذا كان عليه السلام يبدو عليه الإحراج مع كثير من ناصحيه من أهل الرأي والمعرفة، الذين يعتمدون المنطق في موازنة القوى.

وأقوى ما كان يعتذر به مما يصلح لأن يقنع الناس أنه عليه السلام خرج من مكة خشية أن تهتك به حرمتها وحرمة الحرم[1].

وفي حديث له عليه السلام مع جماعة فيهم عبد الله بن الزبير: «والله لئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أقتل فيها. ولئن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إليّ من أن أقتل خارجاً منها بشبر. وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم. والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت»[2].

وفيما عدا ذلك كان (صلوات الله عليه).. **تارة**: يكتفي ببيان تصميمه على الخروج ويتجاهل حسابات الناصحين، أو يعدهم النظر في الأمر، أو أنه سوف يستخير الله تعالى في ذلك، أو يشكر لهم نصحهم، تطييباً لخواطرهم،

---

(١) المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٩ـ١٢٠ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته ح:٢٨٥٩. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٢ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٩٢ في ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٠٦ في ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره.

من دون أن يتعرض لمناقشة حســاباتهم. ثم لا يتراجع عن تصميمه. نظير ما تقدم منه مع ابن عباس وغير ذلك مما كان منه عليه السلام معه ومع غيره[١].

وأُخرى: يعترف بصواب رأيهم، إلا أنه لابد من تجاوزه. فقد قال لأحد بنــي عكرمة: «يا عبد الله إنه ليس يخفى عليّ. الــرأي ما رأيت. ولكن الله لا يغلب على أمره»[٢].

اعتذاره عليه السلام برؤياه للنبي صلى الله عليه وآله وأنه ماض لما أمره

وثالثــة: يقطع الطريق عليهــم، معتذراً بأنه عليه السلام رأى رســول الله صلى الله عليه وآله في المنــام، فأمره بأمر هو ماض له. قال ابن الأثــير: «فنهاه جماعة، منهم أخوه محمد بن الحنفية وابن عمر وابن عباس وغيرهم، فقال: رأيت رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وأمرني بأمر، فأنا فاعل ما أمر»[٣].

ولما سئل عن الرؤيا قال: «ما حدثت بها أحداً، وما أنا محدث بها أحداً حتى

---

(١) تاريخ دمشــق ج:١٤ ص:٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٧ أحداث ســنة ســتين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مســيره. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٦ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحســين إلى العراق. ترجمة الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٧، ٥٨، ٥٩ ح:٢٨٣. مقتل الحســين للخوارزمــي ج:١ ص:٢١٦، ٢١٧ الفصل العاشر. الأخبار الطوال ص:٢٤٣ خروج الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الكوفة. ينابيع المودة ج:٣ ص:٦٠. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠١ أحداث ســنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكــة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مســيره، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٣ أحداث سنة ســتين من الهجرة: ذكر مسير الحسين إلى الكوفة. الإرشاد ج:٢ ص:٧٦. وغيرها من المصادر.

(٣) أسد الغابة ج:٢ ص:٢١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. مضافاً إلى المصادر الآتية.

ألقى ربي»، كما روي ذلك في حديثه مع عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد بن العاص حينما أدركاه في الطريق بعد خروجه من مكة المكرمة[١].

إخباره عليه السلام لأخيه بما أمره به النبي صلى الله عليه وآله في الرؤيا

نعم روى ابن طاووس أنه عليه السلام حدّث أخاه محمد بن الحنفية عند السحر، وهو يريد الخروج إلى العراق بأمر النبي صلى الله عليه وآله له.

قال قدس سره: «ورويت من أصل لأحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الثقة ـ وعلى الأصل أنه كان لمحمد بن داود القمي ـ بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة. فقال له: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم، فإنك أعزّ من في الحرم وأمنعه.

فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد. فقال: أنظر فيما قلت.

فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام. فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤١ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج: ٤ ص:٢٩٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وتهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وتاريخ الإسلام ج:٥ ص:٩ حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين، وغيرها من المصادر.

زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ فقال له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا. وسلم عليه، ومضى»[1].

بعض شواهد إصرار عليه السلام على الخروج للعراق مع علمه بمصيره

وعن ابن عباس قال: «لقيت الحسين، وهو يخرج إلى العراق، فقلت له: يا ابن رسول الله لا تخرج. فقال لي: يا ابن عباس أما علمت إن منيتي من هناك، وأن مصارع أصحابي هناك. فقلت له: فأنى لك ذلك؟ قال: بسرٍّ سُرَّ لي، وعلم أُعطيته»[2].

وقال ابن عساكر: «وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لحدثتني عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقتل حسين بأرض بابل. فلما قرأ كتابها قال: فلابد لي إذاً من مصرعي. ومضى»[3]. وقريب

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٣٩ـ٤٠ خروج الحسين من مكة إلى العراق.

(٢) دلائل الإمامة ص:١٨١ـ١٨٢ في ترجمة الحسين عليه السلام: ذكر معجزاته عليه السلام. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ج:٤ ص:٥٤ الباب الخامس عشر: معجزات أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الفصل السابع عشر.

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٩٦ـ٢٩٧ في

من ذلك جوابه لأم سلمة رضي الله عنها لما أخبرته بحديث النبي صلى الله عليه وآله عن قتله عليه السلام[١].

ومرجع ذلك إلى قطع الطريق عليهما، وإلزامهما بما يعلمان به من الوعد الإلهي، مع التصميم على المضي فيه.

رواية الفريقين للمضامين السابقة شاهد بصحتها

ولو اختص الشيعة برواية ذلك لأمكن للمدعي أن يتجاهل كثرة النصوص المذكورة ومؤيداتها، ويتهمهم باختلاق تلك النصوص من أجل الدفاع عن شرعية هذه النهضة، وتأكيد شرف أهدافها.

لكن الجمهور قد شاركوهم في رواية كثير من ذلك، مع أنه لا يتناسب مع نظرتهم للحدث، وعرضهم له بما يوحي بأن التخطيط للنهضة بشري. فإن رواية الجمهور لتلك النصوص مع مخالفتها لوجهة نظرهم في عرض الواقعة يشهد بشيوعها، بحيث فرضت نفسها عليهم، ولم يستطيعوا تجاهلها.

رواية الفريقين إخبار الأنبياء السابقين بالفاجعة

بل قد روى الشيعة[٢]،

ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٩ حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين. ترجمة الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٨ ح:٢٨٣. وغيرها من المصادر.

(١) إثبات الوصية ص:١٧٥ قصة كربلاء. الهداية الكبرى ص:٢٠٣. الثاقب في المناقب ص:٣٣٠. مدينة المعاجز ج:٣ ص:٤٨٩ـ٤٩٠. وغيرها من المصادر.

(٢) منها ما روي عن آدم عليه السلام (بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٢ـ٢٤٣، ٢٤٥)، وإبراهيم عليه السلام (كامل الزيارات ص:١٤٢ـ١٤٣. خصال الصدوق ص:٥٨ـ٥٩ ح:٧٩. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٣)، وإسماعيل عليه السلام (بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٣ـ٢٤٤)، ونوح عليه السلام (الأمان من أخطار الأسفار ص:١١٨ـ١١٩ الفصل الرابع)، وزكريا عليه السلام (كمال الدين وتمام النعمة ص:٤٦١ الباب الثالث

وكثير من الجمهور[1] ما يوحي بأن هذا الحدث العظيم قد تحدث عنه الأنبياء

والأربعون. دلائل الإمامة ص:٥١٣. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٣٧. وغيرها من المصادر)، وموسى عليه السلام (بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٤)، وسليمان عليه السلام (بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٤)، وعيسى عليه السلام (الأمالي للصدوق ص:٦٩٥. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٤٤)، وغيرهم من الأنبياء (كامل الزيارات ص:١٣٧، ١٣٨، ١٣٩).

(١) راجع المعجم الكبير ج:٣ ص:١١١ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته ح:٢٨٢٧، وتاريخ دمشق ج:١٤ ص:١٩٩، ٢٠٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وسير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٩١ في ترجمة الحسين الشهيد، وتاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٦ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره، والفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٣٠ـ٣٣١ ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل..، ومقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٦٥ الفصل الثامن، وحياة الحيوان ج:١ ص:١١٠ عند كلامه عن الأوز، وغيرها من المصادر الكثيرة.

ومما يشهد بذلك ما رواه ابن عساكر بأسانيد متعددة إلى يحيى بن يمان قال: «أخبرني إمام مسجد بني سليم قال غزا أشياخ لنا الروم، فوجدوا في كنيسة من كنائسهم:

كيف ترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فقالوا: منذ كم وجدتم هذا الكتاب في هذه الكنيسة؟ قالوا: قبل أن يخرج نبيكم بستمائة». تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٤٢ـ٢٤٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. ونقله عنه في البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٨ في أحداث سنة إحدى وستين: فصل بلا عنوان بعد ذكر صفة مقتله. ورواه بسند آخر الطبراني في المعجم الكبير ج:٣ ص:١٢٤ في مسند الحسين بن علي في ذكر مولده وصفته ح:٢٨٧٤، ونقله عنه في مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٩ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. ورواه أيضاً المزي بسند آخر في تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٤٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب.

ورواه الخوارزمي بسنده عن يحيى بن يمان وزاد فيه بيتاً آخر، إلا أن فيه: «قبل أن يبعث صاحبكم بثلاثمائة عام». مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٩٣.

وكذا ما رواه ابن عساكر أيضاً بسندين عن الأصمعي قال: «مررت بالشام على باب دير، وإذا على حجر منقور كتابة بالعبرانية، فقرأتها. فأخرج راهب رأسه من الدير، وقال لي: يا حنيفي أتحسن تقرأ العبرانية؟ قلت: نعم. قال لي: اقرأ. فقلت:

أيرجو معشر قتلوا حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

السابقون (على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاة والسلام) في غابر العصور، وعرف قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله بزمان طويل.

وهو المناسب لما ورد من أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها[1] وغير واحد في أماكن مختلفة[2] سمعوا بعد قتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه) هاتفاً يهتف ويقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم ... من نبي وملأك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

حيث يكشف ذلك عن أهمية هذا الحديث عند الله تعالى في الدعوة إليه،

فقال لي الراهب: يا حنيفي، هذا مكتوب على هذا الحجر قبل أن بعث صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثين عاماً». تاريخ دمشق ج:٣٧ ص:٥٧ـ٥٨ في ترجمة عبد الملك بن قريب بن عبد الملك.

ومثله ما رواه السمهودي عن محمد بن سيرين أنه قال: «وجد حجر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثمائة سنة عليه مكتوب بالسريانية، فنقلوه إلى العربية، فإذا هو:

أترجوا أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم القيامة»

جواهر العقدين ق:٢ ج:٢ ص:٣٨٧ الذكر الرابع عشر. وروى مثله في ينابيع المودة ج:٣ ص:٤٦، ونظم درر السمطين ص:٢١٩، وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٤٠ في ترجمة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة فصل من دون ترجمة. نظم درر السمطين ص:٢١٧. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٩٥ الفصل الثاني عشر، وقد اقتصر على البيت الأول والثالث.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٨ أحداث سنة إحدى وستين. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٥٦ بعد ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثه إليه برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما. كتاب الهواتف ص:٨٧ باب هواتف الجن. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٠ أحداث سنة إحدى وستين ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه وغيرها من المصادر. وقد اختلفت المصادر في بعض ألفاظ الأبيات وقد أثبتناها بلفظ الكامل في التاريخ.

حتى أطلع عليه أنبياءه، كما أطلعهم على رسالة النبي صلى الله عليه وآله الخاتمة للرسالات، والتي تتضمن دين الإسلام الخاتم للأديان، والذي يكون هذا الحدث من الأحداث المهمة المتعلقة به.

وذلك يرجع إلى أن سيد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله عليه) قد أُعِد لمهمة إلهية تتناسب مع هذا الإعلام الإلهي المكثف، ومع حجم التضحية التي يقدم عليها.

وهو المناسب لأهمية دين الإسلام العظيم في الدعوة إلى الله تعالى، لكونه خاتم الأديان وأكملها، وبه بقاء الدعوة لله عز وجل، وخلودها في الأرض، حيث تكتسب الأحداث المؤثرة فيه أهمية تتناسب مع أهميته.

ولاسيما أن هذا الحدث لم يكن نصراً لدين الإسلام فحسب، بل هو انتصار للأديان السماوية بأجمعها، على ما يأتي التنبيه له في الفصل الأول من الخاتمة إن شاء الله تعالى.

كتابه عليه السلام إلى بني هاشم بالفتح الذي يحققه

ولعله إلى هذا يشير كتاب الإمام الحسين عليه السلام الذي كتبه من مكة المكرمة ـ وهو يعدّ العدة لنهضته ـ إلى بني هاشم في المدينة المنورة: «بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم. أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح. والسلام»[1].

حيث لا يبعد أن يكون مراده (صلوات الله عليه) في كتابه هذا أن في

(١) كامل الزيارات ص:١٥٧، واللفظ له. دلائل الإمامة ص:١٨٨. الخرائج والجرائح ج:٢ ص:٧٧١ـ٧٧٢. بصائر الدرجات ص:٥٠٢. وغيرها من المصادر.

نهضته ـ التي تنتهي به وبمن معه للقتل والشـــهادة ـ فتحاً للدين وللدعوة إلى الله تعالى يتناسب مع حجم التضحية التي تحصل فيها.

إخبار الإمام السجاد عليه السلام بأن أباه عليه السلام هو الغالب

وهو المناسب لما عن الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) في جوابه لإبراهيم بن طلحة حينما ســأله بعــد رجوعه بالعائلة الثاكلــة للمدينة كأنه شــامت: «يا علي بن الحســين من غلب؟». حيث قال له عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم»[1].

فإنه كالصريح في أن تلك الفاجعة الفظيعة هي الســبب في الحفاظ على الصلاة التي هي عمود الدين، وأظهر شــعائره. كما يكشــف عن شدّة الخطر الذي يتعرض له الدين لو لم يقف في وجهه الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بنهضته المباركة، التي ختمت بهذه الفاجعة.

خلود الفاجعة يناسب أهميتها

وذلك يتناسب مع خلود هذه الملحمة الشريفة والفاجعة العظمى، وما قدره الله عز وجل لها من أســباب الظهور والانتشار، رغم المعوقات الكثيرة، والجهود المكثفة من قبل الظالمين، والجاهلين أو المتجاهلين لثمراتها وبركاتها، مــن أجل خنقها والقضاء عليها، أو تحجيمهــا والتخفيف من غلوائها، ومن تفاعل الناس بها وانشدادهم نحوها.

فإن ذلك بمجموعه يؤيد عظمــة هذه الملحمة الإلهية، وأهمية الثمرات المترتبة عليها لصالح الدعوة إلى الله تعالى، وحفظ دينه العظيم الذي هو خاتم

(١) الأمالي للطوسي ص:٦٧٧.

الأديـــان، والذي لابد أن يكـــون واجداً لمقومات البقـــاء والخلود، والظهور والانتشار، لتسمع دعوته، وتتم حجته على الناس ﴿**لِيهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[1].

كما أنه نتيجة لما سبق يحسن التنبيه لأمرين:

لا موجب لإطالة الكلام في تفاصيل النهضة الشريفة

أحدهما: أنه لا ينبغي إطالة الكلام في تقييم بعض خصوصيات النهضة الشريفة، مثل توقيتها، حيـــث خرج (صلوات الله عليه) من مكة المكرمة قبل الحج، ومثل حمل العائلة الكريمة، واختيار العراق دون غيره من المناطق التي يشيع فيها الولاء لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وغير ذلك.

إذ بعد أن ظهر أن النهضة كانت بعهد من الله سبحانه وتعالى، فلابد أن تكـــون تفاصيلها وخصوصياتها ذات الأثر فيهـــا بعهد منه عز وجل، لمصالح هو أعلم بها، وربما بيّنها النبي صلى الله عليه وآله ووصلت للإمام الحســـين عليه السلام من طريقه. ولاسيما بعد البناء على عصمة الإمام (صلوات الله عليه).

وقد كتب غير واحد في توجيه كثير من خصوصياتها. ولا يســـعنا إطالة الكلام في ذلك بعد ما ذكرنـــا. على أنه قد يظهر من حديثنا هذا ـ تبعاً ـ بعض الفوائد المترتبة على بعض تلك الأمور.

عظمة الإمام الحسين عليه السلام وروح التضحية التي يحملها

ثانيهما: أنه ممـــا تقدم تتجلى عظمة الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) وروح التضحية في ســـبيل الله تعالى التي يتحلى بها، وقوة العزيمة والتصميم

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

اللذين يحملهما بين جنبيه.

فإن الغالب أن الذين يضحون إما أن يتشبثوا بأمل السلامة ونجاح المشروع الذي يخططون له، فيشرعون في تنفيذه ويدخلون في المعركة، حتى إذا أخطؤوا وفشل مشروعهم عسكرياً منعهم دينهم، أو أبت لهم كرامتهم وحميتهم، التراجع والاستسلام من أجل السلامة، فيثبتون حتى النهاية.

وإما أن يفاجَؤوا بالمعركة من دون تخطيط سابق لها، وتنسد أمامهم طرق النجاح، فيمنعهم دينهم أو حميتهم أيضاً من الاستسلام طلباً للسلامة، ويثبتوا حتى النهاية.

أما أن يدخل الإنسان في مشروع طويل الأمد يعلم مسبقاً بأنه ينتهي بمثل هذه التضحيات الجسام والفجائع الفادحة، ويخطط لتنفيذه بصلابة وعزم، فهو أمر يحتاج إلى قابلية استثنائية.

والناظر في تفاصيل واقعة الطف ـ بموضوعية وإنصاف ـ يرى أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) منذ امتنع من بيعة يزيد في أواخر شهر رجب، وتحرك ركبه من المدينة المنورة إلى مكّة المكرمة، صمم على المضي في مشروعه وتحقيق هدفه عالماً أن ذلك ينتهي بقتله وقتل أهل بيته نجوم الأرض من آل عبد المطلب ـ كما تقول العقيلة زينب عليها السلام في خطبتها الجليلة[1] ـ وقتل الصفوة من أصحابه. مع ما يترتب على ذلك من نهب رحله، وانتهاك حرمته، وسبي عياله والتشهير به وبهم، وتركهم غنيمة بأيدي تلك الوحوش الكاسرة والنفوس المغرقة في الجريمة والرذيلة.

---

(١) راجع ملحق رقم (٤).

ولم يمنعه شيء من ذلك عن التصميم والتخطيط والإصرار والاستمرار حتى النهاية التي حصلت بعد ما يقرب من ستة أشهر.

تحلي الإمام الحسين عليه السلام بالعاطفة

ولاسيما أنه (صلوات الله عليه) لم تجف عاطفته في هذه المدة الطويلة، ولم يتجرد عنها ويدعها جانباً، كما قد يحصل لكثير من ذوي التصميم والإصرار على الدخول في الصراعات المضنية ومقارعة الأهوال، بل كان عليه السلام ـ كسائر أهل بيته (صلوات الله عليهم) ـ متكامل الإنسانية. فهو أشدّ الناس عاطفة، وأرقهم قلباً، يتفاعل مع الآلام والمصائب التي ترد عليه، وتستثيره المناسبات الشجية حسرة وعبرة. كما يظهر بمراجعة تفاصيل الواقعة تاريخياً. وتقدم منّا التعرض لبعض مفردات ذلك. وربما يأتي شيء منه في أثناء حديثنا هذا.

وذلك يزيد في معاناته عليه السلام في هذه المدة الطويلة، خصوصاً في تخطي مفاصلها المثيرة للعاطفة والباعثة على الحسرة. كما انتبهت لذلك أخته العقيلة زينب الكبرى عليها السلام حينما أنشد (صلوات الله عليه) ليلة العاشر من المحرم:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الإمر إلى الجليل ... وكل حيّ سالك السبيل

حيث لم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه، فقالت: «واثكلاه. ليت الموت أعدمني الحياة. اليوم ماتت أمي فاطمة وعلي أبي وحسن أخي. يا خليفة الماضي وثمال الباقي». فنظر عليه السلام إليها، وقال: «يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان». قالت: «بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، استقتلت نفسي فداك» فرد عليه السلام غصته وترقرقت عيناه، وقال: «لو ترك القطا

ليلاً لنام». فقالت عليها السلام: «يا ويلتي أفتُغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي»[١].

ولكن عاطفته (صلوات الله عليه) مهما بلغت لم تمنعه من المضي في طريقه، ومن تصميمه على الوصول للنهاية المفجعة. كل ذلك لفنائه عليه السلام في ذات الله تعالى، ولأن هدفه الأسمى رضاه جل شأنه. كما أفصح عن ذلك في أحاديثه المتفرقة، خصوصاً خطبته الجليلة حينما أراد الخروج من مكّة، التي سبق التعرض لها آنفاً[٢].

ومن أقواله المروية عنه عليه السلام: «هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله»[٣]، و: «عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي»[٤]... إلى غير ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٩٣ خروج الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة. مقاتل الطالبيين ص:٧٥ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:٢٠ ص:٢٧٢ـ٢٧٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين بن علي رضي الله عنهما وخبر من نهاه عن المسير. إعلام الورى بأعلام الهدى ص:٤٥٧. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٥٠ وصول الحسين إلى كربلاء. وقريب منه في البداية والنهاية ج:٨ ص:١٩٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن، وتاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٤ مقتل الحسين بن علي، والمنتظم ج:٥ ص:٣٣٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وغيرها من المصادر.

(٢) تقدمت مع مصادرها عند الكلام في أن الإمام الحسين عليه السلام مأمور بنهضته عالم بمصيره.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٦٩ شهادة أهل بيته عليهم السلام.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١٩. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٢٧. ووردت هكذا: «احتسب نفسي وحماة أصحابي» في تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، ونهاية الأرب في فنون الأدب ج:٢٠ ص:٢٨٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ما تكلم به الحسين.

الموقف المشرف لمن في ركبه من عائلته وصحبه

والملفت للنظر ـ مع كل ذلك ـ أنه (صلوات الله عليه) استطاع أن يختار لنهضته الشريفة من أهل بيته وأنصاره مـن لا يتراجع عنها بعد أن اقتنع بها، وكان بوسعهم التراجع في أي وقت أرادوا.

لكنهم آمنوا بقيادته، واستسـلموا لما يقرره حتـى النفس الأخير، مع قوة في البصيرة، ومزيد من السرور والشـعور بالفوز والسـعادة. وقد آمنوا بمشروعه كما آمن هو عليه السلام.

بل قد ثبتـوا معه عليه السلام ولم يتركـوه حتى بعد أن أذن لهـم بالانصراف، وجعلهم في حلّ مـن بيعته. وكان كلامهم في التعقيـب على ذلك يؤكد على الإصرار على مواسـاته بأنفسـهم والقتال دونه والتضحية في سـبيله، وعلى الشعور بالفوز والسعادة بذلك. ولا يسعنا استقصاؤه لكثرته.

كما أنه يأتي في حديثنا هذا منهم بعض النكات الملفتة للنظر، والتي تحمل على المزيد من الإعجاب والاحترام لهم رفع الله تعالى شأنهم.

نعم ورد أن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال للإمام الحسـين (صلوات الله عليـه): «إني أقاتل عنك ما رأيت مقاتـلًا، فإذا لم أرَ مقاتلاً فأنا في حلّ من الانصراف»، وأنه انصرف حين لم يجد مقاتلاً[1].

وهذا في الحقيقة ليس تراجعاً عن موقف مسبق، بل هو قصور في الموقف من أول الأمر، مع تنفيذه كاملاً.

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٣ أحداث سـنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين عليه السلام، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة.

وحتى عائلته الكريمة التي رأت من بعده الأهوال لم ينقل عن أي منها ما يدل على استنكاره لموقفه عليه السلام أو الشكوى منه في استمراره إلى النهاية المفجعة. بل يظهر من مواقف كثير منها الإيمان بمشروعه عليه السلام، وقوّة البصيرة بأن عاقبته النجاح والفلاح.

ويكفينا من ذلك قول العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السلام في خطبتها في مجلس يزيد: «فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وإن الله ليس بظلام للعبيد. فإلى الله المشتكى وعليه المعول. فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك. فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، ولا تغيب منك شنارها. فهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وشملك إلا بدد يوم ينادي المنادي: ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾. فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة...»[1].

وهذا أمر نادر لا يسهل حصوله لولا العناية الإلهية والتسديد الرباني.

---

(١) راجع ملحق رقم (٤).

المقصد الأول

في أبعاد فاجعة الطف وعمقها
وردود الفعل المباشرة لها

المقصد الأول
في أبعاد فاجعة الطف وعمقها
وردود الفعل المباشرة لها

والكلام في ذلك في فصلين:

الفصل الأول
في أبعاد فاجعة الطف وعمقها

تمهيد:

من المعلوم من مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم) أن الخلافة والإمامة حق لهم مجعول من قِبَل الله تعالى، وأنه لا شرعية لخلافة كل من تقمصها من غيرهم. وعلى ذلك ابتنت نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، كما يأتي ـ عند الكلام فيما كسبه التشيع من هذه النهضة المباركة ـ إن شاء الله تعالى.

استنكار جمهور المسلمين لعهد معاوية ليزيد

أما الجمهور فخلافتهم وإن ابتنت على عدم الانضباط بنظام محدد، بل جروا أخيراً على شرعية الإمامة المبنية على النص بولاية العهد من السابق

للاحق، بلحاظ قربه النسبي منه، بغضّ النظر عن مؤهلاته الشخصية، إلا أنهم استنكروا عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة في وقته.

أولاً: لأنه أول من فتح هذا الباب، وتجاهل سيرة من قبله من خلفائهم، خصوصاً الشيخين اللذين لهما مكانة خاصة في نفوسهم.

ولاسيما أن من جملة دوافع قريش لصرف الخلافة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) هو علمهم بأنها إذا صارت لهم لم تخرج عنهم، حتى قال قائلهم: «وسّعوها في قريش تتسع»[1]. فإذا فتح الباب لولاية العهد بقيت في آل معاوية، ولم تخرج عنهم لبطون قريش، وهو عين ما فرّوا منه.

وثانياً: لابتنائها على الإرغام والقسر، والاستعانة على ذلك بالترغيب والترهيب والخداع والمكر، كما يظهر بأدنى نظر في تاريخها. وإذا غضّت قريش النظر عن ذلك في حق الأولين، لأنه يوافق مصلحتها في صرف الخلافة عن بني هاشم، فهي لا تقبله من معاوية بعد أن كان يضرّ بمصالحها.

كما أن عموم المسلمين إذا غضّوا النظر عنه في حق الأولين، لجهلهم بما حصل في وقته من نزاع وصراع، أو لحبهم لهم، أو حسن ظنهم بهم ـ لما يأتي من دواعي ذلك في حقهم ـ فهم لا يرتضونه من معاوية، لعدم الموجب لذلك.

وثالثاً: لعدم مناسبة واقع يزيد وسلوكه المشين للخلافة. خصوصاً مع وجود جماعة من أعيان الصحابة وأولاد المهاجرين الأولين، لهم المقام الاجتماعي الرفيع، والمكانة العليا في النفوس. وعلى رأسهم الإمام الحسين (صلوات الله عليه).

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٦ ص:٤٣.

وقد أكد ذلك أن تجربة أبيه معاوية في الحكم ـ الذي تسلط بالقوة والقهر والخداع والمكر ـ كانت مرّة على المسلمين في الجانبين الديني والمادي، كما يظهر بأدنى نظر في سيرته، وكان المنتظر من يزيد أن يزيدَ على أبيه في معاناة المسلمين في دينهم ودنياهم.

وإذا كان بعض متأخري الجمهور يحاول الدفاع عن بيعة يزيد، وإضفاء الشرعية عليها، بعد أن شاعت هذه الأمور في الخلفاء وألفها الناس، فهو يخالف ما عليه ذوو المقام والمكانة في المسلمين في الصدر الأول، بل حتى عامة الناس.

ولذا لم يثبت بوجه معتد به أن شخصاً منهم حاول ردع الإمام الحسين عليه السلام عن الخروج ببيان شرعية خلافة يزيد. وكل من أشار عليه بترك الخروج فإنما أشار عليه لخوفه عليه من فشل مشروعه، ومن غشم الأمويين الذين لا يقفون عند حدّ في تحقيق مقاصدهم والإيقاع بمن يقف في طريقهم.

غاية الأمر أنه قد ينسب لبعض الناس أنه أضاف إلى ذلك التذكير بمحذور شق كلمة الأمة وتفريق جماعتها، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

ولذا لا ريب عند خاصة المسلمين، وذوي المقام الرفيع عند الجمهور ممن عاصر الحدث، في أن خروج الإمام الحسين (صلوات الله عليه) لم يكن جريمة منه يستحق عليها العقاب، فضلاً عن القتل وما استتبعه من الجرائم، بل كل ما وقع عليه هو عدوان من الأمويين، وإجرام منهم.

كان الإمام الحسين عليه السلام مسالماً في دعوته للإصلاح

ويزيد في الأمر أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) حينما رفع مشروعه

الإصلاحي لم يرفعه بلسان الإلزام والتهديد، ولم يلجأ فيه للف والدوران والمكر والخديعة من أجل الاستيلاء على السلطة، بل بلسان النصيحة والتذكير. فهو عليه السلام يقول في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية:

«وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[1].

كما أنه عليه السلام لم يختر الكوفة من أجل أن يخرج أهلها من طاعة يزيد لطاعته، ويرغمهم على ذلك، بل لامتناعهم بأنفسهم من القبول ببيعة يزيد. فقد تضمنت كتبهم: «...إنه ليس علينا إمام. فأقبل، لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد...»[2]. و: «أما بعد فحي هلا، فإن الناس ينتظرونك، لا إمام لهم غيرك...»[3]. و: «أما بعد فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار. وطمت

---

(١) تأتي مصادره في أوائل المقام الثاني في الجانب العاطفي.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٦٩ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير إليهم وقتل مسلم بن عقيل. الإمامة والسياسة ج:٢ ص:٤ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن علي. الإرشاد للشيخ المفيد ج:٢ ص:٣٧. وغيرها من المصادر.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٢ أيام يزيد بن معاوية، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٧٠ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. ومثله في الإرشاد ج:٢ ص:٣٨ إلا إنه بدل قوله: «لا إمام لهم غيرك» «لا رأي لهم غيرك» وكذا في تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦٢ أحداث سنة ستين من

الجِمام[١] فإذا شئت فاقدم علينا، فإنما تقدم على جند لك مجند»[٢]. ونحو ذلك.

وقد جاء في كتابه (صلوات الله عليه) الذي كتبه لهم مع مسلم بن عقيل عليه السلام: «وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: إنه ليس علينا إمام. فأقبل، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله...»[٣].

ولما التقى بالحر وأصحابه في الطريق خطبهم، فقال: «أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم. إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا، فليس لنا إمام، لعل الله أن يجعلنا بك على الهدى. فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا، أو كنتم لمقدمي

الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه، والفصول المهمة ج:٢ ص:٧٨٧ الفصل الثالث: فصل في مخرجه عليه السلام إلى العراق، والفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٣٣ ذكر أخبار الكوفة وما كان من كتبهم إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وغيرها من المصادر.

(١) طما البحر والنهر: امتلأ. والجِمام جمع جَمة: البئر الكثيرة الماء. والمراد الكناية عن حصول الوقت المناسب للعمل وتوفر آليات النجاح وأسبابه.

(٢) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٧٠ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، واللفظ له. الإرشاد ج:٢ ص:٣٨. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٣٦. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٣٣ ذكر أخبار الكوفة وما كان من كتبهم إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. وغيرها من المصادر.

(٣) الإرشاد ج:٢ ص:٣٩، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه»[١]. وخطبهم خطبة أخرى بعد صلاة العصر تتضمن ذلك أيضاً[٢].

وحينما ورد عليه عمر بن سعد بجيشه أرسل إليه قرة بن قيس الحنظلي، ليسأله عما جاء به وماذا يريد، فقال عليه السلام له: «كتب إليّ أهل مصركم هذا أن اقدم. فأما إذ كرهتموني فأنا أنصرف عنكم»[٣].

وفي حديث عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة الحسين عليه السلام ـ وكان قد صحب الإمام الحسين (صلوات الله عليه) في مسيرته الطويلة من المدينة إلى حين مقتله ـ أنه عليه السلام قال: «دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس»[٤].

ومن هنا لم يقع منه ما يستحق به العقاب والتنكيل، فضلاً عن تلك الجرائم الوحشية التي قام بها الأمويون، والتي هزت ضمير المسلمين.

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٧ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٨٦ ذكر الحر بن يزيد الرياحي لمابعثه عبيد الله بن زياد لحربه الحسين بن علي رضي الله عنهما. الإرشاد ج:٢ ص:٧٩. وغيرها من المصادر.

(٢) الإرشاد ج:٢ ص:٧٩. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: مقتل الحسين رضي الله عنه.

(٣) الإرشاد ج:٢ ص:٨٥، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٩٧ـ٩٨ ذكر نزول الحسين رضي الله عنه بكربلاء. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. وغيرها من المصادر.

(٤) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٤ـ٥٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٩٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن.

وبعد ذلك كله فلنستعرض بإيجاز الجرائم المذكورة.

قتل الإمام الحسين عليه السلام هو الجريمة الأولى

ولا ينبغي الإشكال في أن أعظم جريمة من الناحية الواقعية ـ بل حتى العاطفية ـ في هذه الفاجعة الممضة هو قتل شخص الإمام الحسين (صلوات الله عليه). لما يتمتع به...

أولاً: من مقام ديني رفيع يستحق به الولاء والتقديس، كما يتضح بالرجوع إلى ما ورد في حقه وحق أهل بيته (صلوات الله عليهم) في الكتاب المجيد، وعلى لسان النبي صلى الله عليه وآله مما لا يسعنا استيعابه بإيجاز، فضلاً عن تفصيل الكلام فيه. ولاسيما مع وضوحه وشيوعه، وتيسر الاطلاع عليه بالرجوع للمصادر الكثيرة للفريقين.

وإذا اختص الشيعة بالقول بالنص الإلهي على إمامة الحسين (صلوات الله عليه)، وأنه هو الإمام الحق دون غيره، فلا إشكال بين المسلمين قاطبة في أنه عليه السلام في عصره هو الرجل الأول في المسلمين، أفضلهم عند الله عز وجل، وأرفعهم مقاماً، وأعظمهم كرامة، وأولاهم بالإمامة من غيره.

وقال البلاذري: «وكان رجال من أهل العراق ولثمان أهل الحجاز[1] يختلفون إلى الحسين يجلّونه ويعظّمونه، ويذكرون فضله، ويدعونه إلى أنفسهم، ويقولون: إنا لك عضد ويد. ليتخذوا الوسيلة إليه، وهم لا يشكّون في أن

(١) اللثام: ما وضع على الفم أو الأنف من العمامة أو اللثام. ويبدو من بعض النصوص التاريخية أن ذوي المقام الاجتماعي في الحجاز كانوا يلتزمون باللثام كزي تقليدي. فيكون المراد الإشارة لهم.

معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحداً»[١].

وثانيـاً: من قربه من النبـي صلى الله عليه وآله، فهو بقية أهل البيـت الذين كان صلى الله عليه وآله يخصهم بعواطفـه وألطافه. ولازال بقايا الصحابـة يذكرون مفردات ذلك، ويحدثون به.

حتى إن غير واحد من الصحابة أنكروا على عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية حينما أخذا ينكتان ثغر الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بالقضيب لما وضع رأسـه بين أيديهما، وذكروا لهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقبل ثغره، كأنس بن مالك[٢]، وزيد بن أرقم[٣]،

---

(١) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٦٦ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٥ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليه السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١٢٥ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته. البداية والنهاية ج:٦ ص:٢٦٠ الأخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، ج:٨ ص:٢٠٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٣ ص:٣٨ في ترجمة الحسين بن علي بن عبد مناف أبي طالب. وغيرها من المصادر.

وقد روي ما ظاهره الإنكار في صحيح البخاري ج:٤ ص:٢١٦ كتاب بدء الخلق: باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وسـنن الترمذي ج:٥ ص:٣٢٥ أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: باب بعد باب مناقب أبي محمد الحسـن بن علي بن أبي طالب ، ومسـند أحمد ج:٣ ص:٢٦١ مسند أنس بن مالـك (رضي الله تعالى عنه)، وصحيح ابن حبـان ج:١٥ ص:٤٢٩ كتاب إخباره صلى الله عليه وآله عن مناقب الصحابة: مناقب الحسـن والحسين رضي الله عنهما، ومسـند أبي يعلى ج:٥ ص:٢٢٨ ح:٢٨٤١، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٣) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٥ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليه السلام. المعجم الكبير ج:٥ ص:٢٠٦، ٢١٠ في ما رواه ثابت بن مرداس عن زيد بن أرقم. تاريخ دمشـق ج:١٤ ص:٢٣٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، ج:٤١ ص:٣٦٥ـ٣٦٦ في ترجمة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. الأخبار الطوال ص:٢٦٠ نهاية الحسين. فتح الباري ج:٧ ص:٧٥. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٤ في ترجمة الحسـين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. كنـز العمال ج:١٣ ص:٦٧٣ ح:٣٧٧١٧.

وأبو برزة الأسلمي[١]، وربما غيرهم[٢].

وبالجملة: كان الناس إذا رأوا الحسين (صلوات الله عليه) ذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وتذكروا مشاهده معه، وما كان يبديه نحوه من مظاهر الحب والحنان والتكريم والتبجيل. وذلك يوجب مزيداً من الانشداد الديني والعاطفي نحوه عليه السلام.

وثالثاً: من مؤهلات شخصية من عقل ودين واستقامة وشجاعة وعلم وعمل وخلق وسلوك وسخاء وحسن معاشرة ومخالطة مع الناس... إلى غير ذلك مما يفرض حب الخاصة والعامة له عليه السلام، واحترامهم إياه، وانشدادهم نحوه.

حتى إنه (صلوات الله عليه) لما كتب إلى معاوية ينكر عليه جملة من موبقاته قيل لمعاوية: «اكتب إليه كتاباً تعيبه وأباه فيه». فقال: «ما عسيت فيه

ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٠ ح:٢٩٢. الفائق في غريب الحديث ج:١ ص:٣٦٣ في مادة (دحج). وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) أسد الغابة ج:٥ ص:٢٠ في ترجمة نضلة بن عبيد. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٢٨ـ٤٢٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٩ في ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ دمشق ج:٦٢ ص:٨٥ في ترجمة نضلة بن عبيد. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٣ أحداث سنة ستين من الهجرة: خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة، ص:٣٥٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٩، ٢١٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٥٠ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما. مروج الذهب ج:٣ ص:٧٢ مقتل الحسين رضي الله عنه. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٣ ص:٣٨ في ترجمة الحسين بن علي بن عبد مناف أبي طالب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٢ ح:٢٩٦.

أن أقول في أبيه إلا أن أكذب، ومثلي لا يعيب أحداً بالباطل. وما عسيت أن أقول في حسين ولست أراه للعيب موضعاً...»[١].

الإمام الحسين عليه السلام هو الرجل الأول في المسلمين

ومن أجل ذلك كله حاز المقام الأول في المسلمين. حيث يأتي عن شبث بن ربعي في حديث له عن قتل الإمام الحسين أنه عليه السلام خير أهل الأرض[٢]. وعن معاوية أنه (صلوات الله عليه) أحب الناس إلى الناس[٣].

وفي حديث محمد بن الحنفية مع الإمام الحسين عليه السلام قال: «إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأول الأسنة. فإذا خير هذه الأمة كلها، نفساً وأباً وأماً، أضيعها دماً، وأذلها أهلاً»[٤].

وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الإمام الحسين عليه السلام مرّ على جماعة هو فيهم، فقال: «ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟» قالوا: بلى. قال: «هو هذا الماشي. ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين. ولئن يرضى عني أحب إليّ من أن تكون لي حمر النعم»[٥].

---

(١) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٦٧ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة وتأتي بقية مصادره بعد الكلام في ندم عمر بن سعد على جريمته.

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وتأتي بقية مصادره في آخر الكلام في المقصد الأول.

(٤) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥٣ أحداث سنة ستين من الهجرة: خلافة يزيد بن معاوية، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٦ـ١٧ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر بيعة يزيد.

(٥) تاريخ دمشق ج:٣١ ص:٢٧٥ في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص، واللفظ له. المعجم

وفي حديث للفرزدق: «هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله. هذا والله خيرة الله، وأفضل من مشى على الأرض من خلق الله...»[١].

وعنه أيضاً أنه قال للإمام الحسين عليه السلام: «أنت أحبّ الناس إلى الناس، والسيوف مع بني أمية، والقضاء في السماء»[٢].

وفي حديث لعبد الله بن مطيع مع الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وهو في طريقه إلى مكة قال له فيه: «فالزم الحرم، فإنك سيد العرب في دهرك هذا...»[٣].

وقال ابن الأثير: «فقال الناس لسنان بن أنس النخعي: قتلت الحسين بن

الأوسط ج:٤ ص:١٨١. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٨٦ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. كنز العمال ج:١١ ص:٣٤٣ ح:٣١٦٩٥. أسد الغابة ج:٣ ص:٢٣٥ في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص. وغيرها من المصادر.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٢٣ الفصل الحادي عشر، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٨١ ذكر مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق. مطالب السؤول ص:٣٩٦ـ٣٩٧. كشف الغمة ج:٢ ص:٢٥٤.

(٢) تاريخ دمشق ج:٥٠ ص:٢٨٥، ٢٨٦ في ترجمة لبطة بن همام الفرزدق بن غالب، واللفظ له، ج:١٤ ص:٢١٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٦٢ ح:٢٨٤.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٨٩ الفصل التاسع، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٢٥ ذكر وصية الحسين بن علي إلى أخيه محمد ابن الحنفية. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٦٨ أمر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦١ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام. الفصول المهمة ج:٢ ص:٧٥٨ الفصل الثالث: فصل في ذكر مخرجه عليه السلام إلى العراق. وغيرها من المصادر.

علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قتلت أعظم الناس خطراً...»[١].

وقد قال من شقي بحمل رأسه الشريف مخاطباً أسياده الظالمين:

أوقــر ركابي فضــة وذهباً إني قتلت الســيد المحجبا

قتلـت خير الناس أمـاً وأبـا وخيرهم إذ ينسبون نسبا[٢]

وقــد جاء في كتاب عبد الله بن جعفر له عليه السلام محاولاً صرفه عن المســير: «أما بعد فإني أســألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك. إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل...»[٣].

وقال عبد الله بن مطيع: «أذكرك الله ـ يا ابن رسول الله ـ وحرمة الإسلام

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٩ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجرة:ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. أسد الغابة ج:٢ ص:٢١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٩ أحداث ســنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٤ كتاب المناقب: باب مناقب الحســين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٧ـ١١٨ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته ح:٢٨٥٢. الاستيعاب ج:١ ص:٣٩٣ في ترجمة الحســين بن علي بن أبي طالب. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٥٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. أســد الغابة ج:٢ ص:٢١ في ترجمة الحســين بن عــلي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٢٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩١ أحداث ســنة ســتين من الهجرة: ذكر الخبر عن مســير الحســين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. ومثله في البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨١ أحداث ســنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق، إلا أن فيه (نور الإسلام) بدل (نور الأرض). وقريب منه في الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٧٤ ابتداء أخبار الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر.

أن تنتهك، أنشـــدك الله في حرمة قريش، أنشـــدك الله في حرمة العرب. فوالله لئن طلبـــت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلـــوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً...»[١].

وروى ابن ســـعد مسنداً قال: «مرّ حســـين بن علي على ابن مطيع، وهو ببئره قد أنبطها، فنزل حســـين عن راحلته، فاحتملـــه ابن مطيع احتمالاً حتى وضعه على سريره، ثم قال: بأبي وأمي أمســـك علينا نفسك. فوالله لئن قتلوك ليتخذنا هؤلاء القوم عبيداً»[٢]. وعنه أيضاً أنه قال للإمام الحسين عليه السلام: «ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلا استحلت»[٣].

وبنظير ذلك صرح الإمام الحســـين عليه السلام نفســـه في المعركة حينما اشتد به الحال، فقد صاح بصوت عال: «يا أمة الســـوء بئســـما خلفتم محمداً في عترته. أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عبـــاد الله الصالحين فتهابوا قتله، بل يهون عليكـــم عند قتلكم إياي...»[٤]. وقال عليه السلام أيضـــاً: «أما والله لا تقتلون بعدي

---

(١) الإرشـــاد ج:٢ ص:٧٢، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مســـير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٤١ أحداث سنة ســـتين من الهجرة: ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة. الفصول المهمة ج:٢ ص:٨٠٤ الفصل الثالث: فصل في ذكر مخرجه عليه السلام إلى العراق. وغيرها من المصادر.

(٢) الطبقات الكـــبرى ج:٥ ص:١٤٥ في الحديث عن عبد الله بن مطيـــع، واللفظ له. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٦ ص:٢٦٠٨.

(٣) العقد الفريد ج:٤ ص:٣٤٤ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: خلافة يزيد بن معاوية وســـنه وصفته: مقتل الحســـين بن علي رضي الله عنه، واللفظ له. المحاســـن والمساوئ ج:١ ص:٢٦ مساوئ قتلة الحسين بن علي (رضوان الله عليهما).

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٣٤، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٣٥ تسمية من قتل بين يدي الحسين من ولده وإخوانه وبني عمه رضي الله عنهم.

عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله مني»[١]... إلى غير ذلك.

ويؤكد ما ذكرنا أن عبد الله بن الزبير كان شديد البغض لبني هاشم والتحامل عليهم، حتى إنه قال لابن عباس: «إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة»[٢]. وقد ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في خطبته، فقيل له في ذلك فقال: «إن له أهل سوء يشرئبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به»[٣]. وكان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. وغيرها من المصادر.

(٢) مروج الذهب ج:٣ ص:٩٠ ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان من أيامهم: بين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٦٢، ج:٢٠ ص:١٤٨. سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:١٢٥ شأن المختار مع ابن الزبير. وغيرها من المصادر.

وروى ابن أعثم أن ابن الزبير قال: «ولقد كتمتم بغضكم يا بني هاشم أربعين سنة، فقال ابن عباس: فازدد إذاً بي غضباً فوالله لا نبالي أحببتنا أم أبغضتنا...» ونبّه المحقق في الهامش إلى أنه ورد في الأصل بدل (كتمتم): كتمت. وهو الصحيح بملاحظة تتمة الرواية. الفتوح لابن أعثم ج:٦ ص:٣٦٤ـ٣٦٥ ذكر ما جرى بين عبد الله بن عباس وابن الزبير في أمر محمد بن الحنفية.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٦١ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وأيام من أيام عبد الملك، واللفظ له. ومثله مع اختلاف يسير في أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٣٣ أمر عمرو بن الزبير بن العوام ومقتله، ج:٧ ص:١٣٣ أمر عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك ومقتله، والعقد الفريد ج:٤ ص:٣٧٧ مقتل مصعب بن الزبير، ومروج الذهب ج:٣ ص:٩٠ بعد حديثه عن الكيسانية، وشرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٦٢، ج:١٩ ص:٩٢، ج:٢٠ ص:١٢٨. وقريب منه في سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:١٢٥ شأن المختار مع ابن الزبير.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٦١ـ٢٦٢ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وأيام من أيام عبد

حتى إنه لما عزّى عبد الله بن عباس بالإمام الحسين عليه السلام ثم انصرف قال ابن عباس: «إنه ليعدل عندي مصيبة الحسين شماتة ابن الزبير. أترون مشي ابن الزبير إليّ يعزيني؟ إن ذلك منه إلا شماتة»(١).

ومع كل ذلك كان يعرف هو وغيره أنه لا يستطيع طلب البيعة لنفسه والإمام الحسين (صلوات الله عليه) في الحرم، حتى اتهمه الناس في مشورته على الإمام الحسين عليه السلام بالخروج إلى العراق(٢).

وقال الإمام عليه السلام: «إن هذا ليس شيء من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلونه بي، فودّ أني خرجت حتى يخلو له»(٣).

بل ورد أن ابن الزبير قال للإمام الحسين (صلوات الله عليه): «أما إنك لو أقمت بالحجاز، ثم أردت هذا الأمر ههنا لما خالفنا عليك وبايعناك

الملك. جمهرة خطب العرب ج:٢ ص:٩٠ خطبة محمد بن الحنفية يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام. مروج الذهب ج:٣ ص:٩٠ بين ابن الحنفية وابن الزبير. شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٦٢. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٣٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٤٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٦ ح:٢٩٨.

(٢) تقدمت مصادره في أول المقدمة عند الكلام في نظرية أن التخطيط لواقعة الطف بشري.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. الفصول المهمة ج:٢ ص:٧٩٨ الفصل الثالث: فصل في ذكر مخرجه عليه السلام إلى العراق. وغيرها من المصادر.

ونصحنا لك»[١]، وقال له: «أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس»[٢].

كل ذلك لما ذكرناه من أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) كان هو الرجل الأول في المسلمين، ولا يتقدم عليه غيره.

وبذلك كان الإقدام على قتله وانتهاك حرمته هو الجريمة الكبرى التي قام بها الأمويون في الواقعة، والمصيبة العظمى التي حلّت بالمؤمنين والمسلمين.

وقد زاد في بشاعة هذه الجريمة أنه (صلوات الله عليه) لم يقتل مواجهة في المعركة، وإنما قتل ذبحاً صبراً، بعد أن ضعف عن القتال، وأعياه نزف الدم، فبقي على وجه الأرض طويلاً[٣].

ويأتي قول الإمام الرضا عليه السلام للريان بن شبيب: «يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش»[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٢ في ترجمة الحسين الشهيد. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٤) الأمالي للصدوق ص:١٩٢ المجلس السابع والعشرون: حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء. وتأتي بقية مصادره عند الكلام في الجو الديني الذي عاشه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

المقارنة بين قضية المباهلة وجريمة قتله عليه السلام

وفي ختام الحديث عن البعد الإجرامي لقتله بشخصه (صلوات الله عليه) نقول: من المفارقات المؤسفة الكاشفة عن تدهور المسلمين وشدة انحرافهم بعد النبي صلى الله عليه وآله في التنظير لشرعية الخلافة والإمامة، وفي سلوكهم العملي، والشاهدة بشدة بشاعة الجريمة، أن الإمام الحسين عليه السلام كان أصغر أصحاب الكساء (صلوات الله عليهم) سناً، وهم الذين خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وآله لمباهلة وفد علماء نصارى نجران في قضية مشهورة تحداهم بها القرآن المجيد، وعمره عليه السلام حينئذٍ ست سنين.

وقد أحجم الوفد المذكور عن مباهلته صلى الله عليه وآله حين رأوهم معه، وعلموا أنهم خاصته وأعز الناس عليه، فلا يقدم على المباهلة بهم إلا واثقاً بصدق دعواه. بل روي أنهم قالوا: «هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها»[1].

ومع ذلك كله قتل (صلوات الله عليه) بأيدي المسلمين أنفسهم في جيش يقوده ابن أحد المهاجرين الأولين، تابع لخلافة النبي صلى الله عليه وآله والإمامة الإسلامية المزعومتين، وبأمر من الخليفة والإمام نفسه، وقد نادى القائد المذكور حينما أراد أن يزحف بجيشه لقتال الإمام الحسين عليه السلام: «يا خيل الله اركبي، وأبشري»[2].

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٢٩٣ أحداث سنة عشر من الهجرة، واللفظ له. مجمع البيان المجلد:١ ص:٤٥٢ في تفسير آية:٦١ من سورة آل عمران. تفسير الثعلبي ج:٣ ص:٣١. تفسير البغوي ج:١ ص:٣١. تفسير الرازي ج:٨ ص:٨٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ج:١ ص:٤٣٤ مع اختلاف في اللفظ. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ث:٣١٥ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. واقتصر في مقتل الخوارزمي على قوله: «يا خيل الله اركبي» ج:١ ص:٢٤٩ في أواخر فصل خروج الحسين من مكة إلى العراق.

وكأنه بذلك ينبههم على أن خيل الله تعالى أعدت للجهاد في سبيله، وقد حضر وقته، فاركبوا له.

وذلك كله مع قرب العهد بالنبي صلى الله عليه وآله، وبقاء جماعة من الصحابة الذين عاشوا قضية المباهلة بتفاصيلها. كما شاهدوا سيرة النبي صلى الله عليه وآله مع أهل بيته عليهم السلام، وتكريمه لهم، وسمعوا تنويهه برفعة مقامهم وعظيم شأنهم.

المقارنة بين قتله وقتل أمير المؤمنين عليهما السلام

وبذلك يظهر الفرق بينه عليه السلام وبين أبيه أمير المؤمنين (سلام الله عليه) فإن جريمة قتل أمير المؤمنين بشخصه وإن كانت أشد من جريمة قتل الإمام الحسين بشخصه، لأنه من أهل المباهلة أيضاً، بل هو أفضل من الإمام الحسين. وقاتله أشقى الآخرين[1]، شقيق عاقر ناقة صالح[2]. إلا أن قتله كان غيلة من خارجي مارق، لا يمثل خلافة وإمامة معترفاً بشرعيتها حسب الضوابط التي أقرها عامة المسلمين. وجروا عليها في عهودهم الطويلة.

كما أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد تعرض لمحاولة التغلب عليه ولو أدى ذلك لقتله في حرب الجمل التي قادها ثلاثة من المهاجرين الأولين، وفي حرب صفين التي قادها صحابي يدين مشهور عامة المسلمين من عهد

---

(١) طبقات ابن سعد ج:٣ ص:٣٥ في ذكره لعبد الرحمن بن ملجم وبيعته لأمير المؤمنين ورده عليه السلام له مرتين. الإمامة والسياسة ج:١ ص:١٣٩ في تتمة ذكره لمقتل أمير المؤمنين عليه السلام. فتح الباري ج:٧ ص:٦٠ في باب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. الاستيعاب ج:٣ ص:١١٢٥ في ترجمته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ج:١ ص:٣٢٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ج:٢ ص:٢٢٦. بحار الأنوار ج:٢٧ ص:٥٢. وغيرها من المصادر.

طويل باحترامه وموالاتـــه. وهما أقرب لعصر النبي صلى الله عليه وآله مـــن واقعة الطف. إلا أن الحربين معاً لا يعترف عامة المســـلمين بشرعيتهـــما وفق الضوابط التي ارتضوها لأنفسهم، بخلاف واقعة الطف.

وبهذا ظهر أن محنتي أمير المؤمنين والإمام الحســـين عليهما السلام وإن اشـــتركتا في كونهما مظهراً لتدهور المســـلمين عملياً، وابتعادهم في سلوكهم عن مبادئ الإســـلام الرفيعة وتعاليمه القويمة، إلا أن محنة الإمام الحســـين عليه السلام في مأساة الطف تتميز بكونها شاهداً على تدهور المسلمين ـ زائداً على ذلك ـ في الجانب التشريعي للخلافة والإمامة الإسلامية عند جمهور المسلمين.

وســـوف يأتي عند الكلام على تأكيد السلطة على أهمية الإمامة والطاعة للإمام ولزوم جماعته كثير من الشـــواهد على ذلك فيـــما يتعلق بواقعة الطف نفسها.

وهـــذه هي النتيجة الطبيعية للانحراف، فإنه كلما امتد الزمن زاد اتجاهه ابتعاداً عن اتجاه الصراط المستقيم، كما لعله ظاهر.

وكأن الإمام علي بن الحســـين زين العابدين عليه السلام قد أشار لذلك بحسرة في قوله: «ولا كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً»[1]. وإنـــا لله وإنا إليه راجعون. هذا ما يتعلق بجريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام بشخصه.

وقد أضيف إلى هـــذه الجريمة النكـــراء جرائم وانتهـــاكات زادت في

---

(١) بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٩٨.

مأساوية الفاجعة:

جريمة قتل أهل البيت عليهم السلام الذين معه

الأول: قتل من كان مع الحسين (صلوات الله عليه) من أولاده وإخوته وبنـــي عمومته من آل أبي طالب، الذين هم أقرب الناس للنبي صلى الله عليه وآله وأخصهم به، بحيث يكون وجودهم بقاء له ومذكراً به.

خصوصـــاً وأن فيهم من يشـــبه النبي صلى الله عليه وآله. فقد ورد أنـــه لما برز علي بن الحسين الأكبر عليهما السلام قال الإمام الحسين (صلوات الله عليه): «اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشـــبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله. كنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه...»[1].

ثـــم رفع عليه السلام صوته وقرأ: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[2].

هذا مضافاً إلى ما تحظى به هذه الثلة الكريمة من مقام رفيع عند المسلمين، حيث الدين والخلق السامي والشرف والسؤدد.

وقد وصفتهم العقيلة زينـــب الكبرى بقولها في خطبتها في مجلس يزيد: «بإراقتك دماء ذرية آل محمد صلى الله عليه وآله، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب»[3].

---

(١) مقتل الحســـين للخوارزمي ج:٢ ص:٣٠، واللفظ له. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٤٢ـ٤٣. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٦٧. ومثله مع اختلاف يسير في الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٣٠ تسمية من قتل بين يدي الحســـين من ولده واخوانه وبني عمه رضي الله عنهم، ومقاتل الطالبيين ص:٧٧ مقتل الحســـين بن علي عليه السلام.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٣٣، ٣٤.

(٣) راجع ملحق رقم (٤).

ووصفهم ابن عباس في كتابه إلى يزيد بقوله: «وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطلب مصابيح الدجى ونجوم الهدى وأعلام التقى»[١].

وفي حديث الريان بن شبيب عن الإمام الرضا (صلوات الله عليه) قال: «وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه»[٢].

وعن الحسن البصري أنه قال: «قتل مع الحسين بن علي ستة عشر من أهل بيته ما كان لهم على وجه الأرض شبيه»[٣].

وعن منذر أنه قال: «كنّا إذا ذكرنا الحسين بن علي ومن قتل معه قال محمد ابن الحنفية: قد قتلوا سبعة عشر شاباً كلهم قد ارتكضوا في رحم فاطمة»[٤].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧٨، واللفظ له. وقريب منه في مجمع الزوائد ج:٧ ص:٢٥١ كتاب الفتن: باب فيما كان من أمر ابن الزبير ويزيد بن معاوية واستخلاف أبيه وغير ذلك، والمعجم الكبير ج:١٠ ص:٢٤٢ باب أحاديث عبد الله بن عباس: ومن مناقب عبد الله بن عباس وأخباره، والكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٢٨ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر بعض سيرة يزيد بن معاوية وأخباره، وتاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٨ مقتل الحسين بن علي، وأنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٢٢ أمر عبد الله بن الزبير بعد مقتل الحسين، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) الأمالي للصدوق ص:١٩٢ المجلس السابع والعشرون، واللفظ له. عيون أخبار الرضا ج:٢ ص:٢٦٨. إقبال الأعمال ج:٣ ص:٢٩. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٢٨٦. وغيرها من المصادر.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٤٧، واللفظ له. الاستيعاب ج:١ ص:٣٩٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. العقد الفريد ج:٤ ص:٣٥٠ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: مقتل الحسين بن علي. تاريخ خليفة بن خياط ص:١٧٩ أحداث سنة إحدى وستين. ذخائر العقبى ص:١٤٦ مقتل الحسين وذكر قاتله. نظم درر السمطين ص:٢١٨. وغيرها من المصادر.

(٤) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص:٨٧ ح:٣٠٥، واللفظ له. المعجم الكبير ج:٣ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته ص:١٠٤ ح:٢٨٠٥، ص:١١٩ ح:٢٨٥٥. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٨ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٥ في ترجمة

وعن الربيع بن خيثم أنه قال: «لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله ﷺ لأحبهم، أطعمهم بيده، وأجلسهم على فخذه»[١]. وقال أيضاً: «لقد قتلوا صبية لو أدركهم رسول الله ﷺ لأجلسهم في حجره، ولوضع فمه على أفمامهم»[٢].

وقال لأشياخ من أهل الكوفة أتوه ليعرفوا رأيه في قتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه): «أرأيتم لو أن رسول الله ﷺ دخل الكوفة وفيها أحد من أهل بيته فيمن كان ينزل؟!»[٣].

هذا مضافاً إلى ما ورد عن بعضهم من النكات المضيئة الشاهدة بشرف نفوسهم ورفعة مقامهم وقوة بصائرهم.

فعن عقبة بن سمعان أنه قال: «فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل، وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً. قال: فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. يا أبتِ جعلت فداك ممّ حمدت الله واسترجعت؟ قال: بني إني خفقت برأسي خفقة، فعنّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم. فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا. قال له: يا أبتِ لا أراك الله سوءاً، ألسنا على

الحسين بن علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(١) تذكرة الخواص ص:٢٦٨ ذكر قول أم سلمة والحسن البصري والربيع بن خيثم وغيرهم، واللفظ له. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٤٤.

(٢) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص:٨٧ ح:٣٠٤، واللفظ له. تفسير الثعلبي ج:٨ ص:٢٣٩ في تفسير قوله تعالى: ﴿**اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...**﴾ من سورة الزمر.

(٣) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص:٨٧ ح:٣٠٣.

الحــق؟ قال: بلى والــذي إليه مرجع العباد. قال: يا أبــتِ إذا لا نبالي، نموت محقين. فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده»[١].

وفي اليوم التاســع من المحرم نادى الشمر: «بنو أختي عبد الله وجعفر والعبــاس وعثمان». فأعرضــوا عنه. فقال لهم الإمام الحســين عليه السلام: «أجيبوه وإن كان فاســقاً...». فقالوا له: «ما شأنك؟». قال: «يا بني أختي أنتم آمنون. فلا تقتلوا أنفســكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد»[٢]. فقالوا له: «لعنك الله ولعن أمانك لئن كنت خالنا، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!»[٣] أتأمرنا أن نترك ســيدنا وأخانا وندخــل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٨ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجــرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. الإرشاد ج:٢ ص:٨٢. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٥٠. وغيرها من المصادر.

(٢) هكــذا ورد النــص في اللهوف في قتلى الطفــوف ص:٥٤، وقريب منه في بقيــة المصادر الآتية في الهامش التالي.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٥ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجــرة، واللفظ له. الكامل في التاريــخ ج:٤ ص:٥٦ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجرة: ذكر مقتل الحســين رضي الله عنه. تذكرة الخواص ص:٢٤٩ الباب التاســع في ذكر الحسين عليه السلام: ذكر وصول الحسين عليه السلام إلى العراق. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٠٤ـ١٠٥ ذكر اجتماع العســكر إلى حرب الحســين بن علي رضي الله عنه. وغيرها من المصادر.

(٤) مثير الأحزان ص:٢٨ واللفظ له. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٥٤.

وروي أن ابــن زياد كتب لهم أماناً فلما رأوا الكتاب قالوا: «لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن ســمية» لاحظ تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٤ـ٣١٥ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجرة، الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحســين رضي الله عنه، والبداية والنهاية ج:٨ ص:١٩٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة

وهم بهذا العدد قد خلت بيوتهم من الرجال وأوحشت، ولم يبق فيها إلا نساء وأطفال يهيجون العواطف ويستثيرون الأسى والنقمة.

قتل الثلة الصالحة من أصحاب الحسين عليه السلام معه

الثاني: قتل الثلة الصالحة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وفيهم الصحابة، والقرّاء، والمعروفون بالدين والورع والأثر الحميد في الإسلام والمواقف المشرفة فيه (رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم).

وقد قال الإمام الحسين عليه السلام لهم ليلة العاشر من المحرم: «أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي»(١).

وقال عمرو بن الحجاج عنهم في المعركة مخاطباً عسكر ابن سعد: «ويلكم يا حمقاء مهلاً. أتدرون لمن تقاتلون؟! إنما تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين...»(٢).

مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن، وغيرها من المصادر.

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٠٥ ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن علي رضي الله عنه. ينابيع المودة ج:٣ ص:٦٥. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٤٧ الفصل الحادي عشر. الأمالي للصدوق ص:٢٢٠ المجلس الثلاثون. الإرشاد ج:٢ ص:٩١. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٥٥. وغيرها من المصادر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١٥، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٠٠ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر.

وقال حبيب بن مظاهر مخاطباً عسكر ابن سعد واعظاً لهم: «أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وآله. وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً». فقال له عزرة بن قيس: «إنك لتزكي نفسك ما استطعت». فقال له زهير بن القين: «يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإني لك من الناصحين. أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية»(١).

وفي حديث غلام عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري قال: «فجعل بريربهازل عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل. فقال له بريربر: والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم...»(٢).

ولما ذهب كعب بن جابر الأزدي ليحمل على بريربر قال له عفيف بن زهير بن أبي الأخنس رادعاً له: «إن هذا بريربر بن خضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد».

ولما قتله ورجع إلى الكوفة قالت له امرأته أو أخته النوار بنت

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٠٩ ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٢١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٩٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. وغيرها من المصادر.

جابر: «أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القرّاء. لقد أتيت عظيماً من الأمر. والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً»[١].

ولما حمل عمرو بن الحجاج بأصحابه على أصحاب الحسين عليه السلام وصرع مسلم بن عوسجة قال أصحاب عمرو بن الحجاج متبجحين: «قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي». فقال شبث بن ربعي: «ثكلتكم أمهاتكم... تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة. أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم. لقد رأيته يوم سلق آذربايجان قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين. أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!»[٢].

وقال أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي للإمام الحسين عليه السلام: «يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك. ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله. وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها». فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه، ثم قال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم هذا أول وقتها»[٣]... إلى غير ذلك مما يشهد بما ذكرنا من رفيع مقامهم (رضوان الله تعالى عليهم).

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٢٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. وذكر بعضه في الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، وأنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٩٩ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١٧.

قتل الأطفال بما فيهم الرضيع

الثالث: قتل الأطفال الأبرياء العزّل[١]

---

(١) **قال هاني بن ثبيت الحضرمي: «إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس وقد جالت الخيل وتصعصعت إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية عليه إزار وقميص، وهو مذعور يتلفت يميناً وشمالاً، فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت إذ أقبل رجل يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف...»**. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. مقاتل الطالبيين ص:٧٩ مقتل الحسين بن علي عليه السلام.

وقال ابن طاووس: «فخرج عبد الله بن الحسن عليه السلام وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين، فلحقته زينب بنت علي عليه السلام لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: لا والله لا أفارق عمي. فأهوى بحر بن كعب ـ وقيل: حرملة بن كاهل ـ إلى الحسين عليه السلام بالسيف. فقال الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟! فضربه بالسيف، فاتقاه الغلام بيده، فأطنها إلى الجلد، فإذا هي معلقة. فنادى الغلام: يا أماه، فأخذه الحسين عليه السلام وضمه إليه، وقال: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين. قال: فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام». اللهوف في قتلى الطفوف ص:٧١، واللفظ له. ومثله في الإرشاد ج:٢ ص:١١٠، ومقاتل الطالبيين ص:٧٧ مقتل الحسين بن علي عليه السلام، وتاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. وغيرها من المصادر.

وقال ابن سعد: «وقد كان ابنا عبد الله بن جعفر لجئا إلى امرأة عبد الله بن قطبة الطائي، ثم النبهاني. وكانا غلامين لم يبلغا. وقد كان عمر بن سعد أمر منادياً فنادى: من جاء برأس فله ألف درهم. فجاء ابن قطبة إلى منزله، فقالت له امرأته: إن غلامين لجئا إلينا، فهل لك أن تشرف بهما، فتبعث بهما إلى أهلهما بالمدينة؟ قال: نعم أرنيهما، فلما رآهما ذبحهما، وجاء برؤوسهما إلى عبيد الله بن زياد...». ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٧٧ ح:٢٩٢.

وقد ذكر بتفصيل في مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٤٨ـ٥٢. ولكن ذكر أنهما من ولد جعفر الطيار

بما فيهم الرضيع[١]. وكذا بعض النســـاء من دون أن يقاتلن[٢]. حيث يكشف ذلك عن ثقافة إجرامية ووحشية مقززة.

في الجنة، وذكره كذلك عن المناقــب القديم في بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٠٠ـ١٠٥، ١٠٥ـ١٠٧.

وذكره بتفصيل أكثر الشــيخ الصدوق في أماليه المجلس التاسع عشر ص:١٤٣ـ١٤٥. ولكن ذكر أنهما ولدان لمسلم بن عقيل عليه السلام. وهو المعروف اليوم. ولهما مشهد يزار.

(١) الفتــوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٣١ تســمية من قتل بين يدي الحســين من ولــده واخوانه وبني عمه رضي الله عنهم. ينابيع المودة ج:٣ ص:٧٩.

قال ابن طاووس: «وقال لزينب: ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه، فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة بن كاهل الأســدي لعنه الله بسهم فوقع في نحره فذبحه. فقال لزينب: خذيه، ثم تلقى الدم بكفيه، فلما امتلأتا رمى بالدم نحو الســماء، قال: هوّن ما نزل بي أنه بعين الله. قال الباقر عليه السلام: فلم يســقط من ذلك الدم قطــرة إلى الأرض». اللهوف في قتلى الطفوف ص:٦٩، واللفظ له. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٣٢.

وورد قتل الطفل الصغير في حجر الإمام الحســين عليه السلام في تاريــخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٢ أحداث سنة إحدى وســتين من الهجرة، والكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والإرشاد ج:٢ ص:١٠٨. وغيرها من المصادر.

وقال اليعقوبي: «فإنه لواقف على فرســه إذ أتي بمولود قد ولد في تلك الســاعة، فأذن في أذنه، وجعل يحنكه إذ أتاه ســهم، فوقع في حلق الصبي، فذبحه، فنزع الحســين الســهم من حلقه، وجعل يلطخه بدمه، ويقــول: والله لأنت أكرم على الله من الناقة، ولمحمد أكرم على الله من صالح...». تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٥ مقتل الحسين بن علي.

(٢) **فقد خرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها، فجلســت عند رأسه تمسح التراب عن وجهه، وتقول: هنيئاً لك الجنة. فأمر شمر غلاماً اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فشدخه، فماتت مكانها**. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفــظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٣ـ٣٣٤ أحداث ســنة إحدى وســتين من الهجرة. مقتل الحســين للخوارزمي ج:٢ ص:١٣. لكن الموجود فيه أن المقتولة أم وهب الكلبي، وأنها أول امرأة قتلت في حرب الحسين عليه السلام. وظاهره قتل نساء أخر.

التضييق على ركب الإمام الحسين عليه السلام ومنعهم من الماء

الرابع: التضييق على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ومنعهم من الماء حتى أضرّ بهم العطش، تذرعاً بالانتقام لعثمان. مع أن من المعلوم للجميع أن أهل البيت (صلوات الله عليهم) أبرأ الناس من دمه، وأسمى من أن يمنعوه الماء.

ولاسيما أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) نفسه قد سقى الحرّ وأصحابه حينما التقى بهم في الطريق، وهم قد جاؤوا ليأخذوه أسيراً لابن زياد[1].

كما أن من المعروف أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يَجزِ معاوية وعسكره في حرب صفين بالمثل، فلم يمنعهم الماء في حرب صفين، وإن سبق منهم منعه ومنع عسكره من الماء لما استولوا عليه.

انتهاك حرمة العائلة النبوية

الخامس: انتهاك حرمة العائلة النبوية الكريمة، ذات المكانة العالية في النفوس، والمعروفة بالخدر والحشمة. سواءً في المعركة[2] أم بعدها. وذلك بإرعابها وبحرق خيامها، وسلبها، والتشهير بها وتسييرها في البلدان، بوجه تقشعر له الأبدان.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في أنه عليه السلام لم يتحر مظان السلامة من المقدمة.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٣، ٣٣٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١٦.

انتهاك حرمة الأجساد الشريفة بعد القتل

السادس: انتهاك حرمة الأجساد الشريفة بعد القتل بسلب الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، ورضّ جسده الشريف بالخيل، وترك جسده وأجساد من قتل معه بالعراء من دون دفن، وقطع الرؤوس ورفعها على الرماح والتشهير بها في البلدان... إلى غير ذلك من مظاهر الانحطاط والوحشية، التي هي سمة الطغاة والجبابرة والمعقدين، الذين خرجوا في مفاهيمهم وسلوكهم عن ضوابط الإنسانية القويمة. وأوقعوا بالمجتمع الإنساني في عصوره المختلفة وحتى عصرنا الحاضر صنوف المصائب والفواجع والجرائم المقززة والمغرقة في الوحشية.

النيل من الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته

السابع: النيل من الإمام الحسين وأهل بيته وأسلافه الطاهرين (صلوات الله عليهم) على المنابر وفي المحافل[1]، من أجل إسقاط حرمتهم، وبيان شرعية

---

(١) **مثل ما يأتي في خطبة ابن زياد في مسجد الكوفة، وقوله للعقيلة زينب الكبرى عليها السلام في مجلسه: «الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم» و: «قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك»**. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٩، ٣٥٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨١، ٨٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن، إلا أنه لم يخرج إلا المقطع الأول من كلام ابن زياد. وغيرها من المصادر.

وقول يزيد للعقيلة زينب عليها السلام: «إنما خرج من الدين أبوك وأخوك» تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. الأمالي للصدوق

قتلهـــم وما فعلـــوه بهم. مع أنهم (صلـــوات الله عليهم) بالمـــكان الرفيع من الاحترام والتقديس.

كل ذلـــك أضاف للجريمة الكبرى بقتل الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) بعداً إجرامياً كبيراً، واقعياً وعاطفياً.

وزاد في البعد الإجرامي للواقعة وتأثيرها على المجتمع الإسلامي أمور:

ص:٢٣١ المجلس الحادي والثلاثون. الإرشاد ج:٢ ص:١٢١. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وما عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «حتى إذا أدخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون» إقبال الأعمال ج:٣ ص:٨٩. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٥٤.

وذلك هو المناســـب لموقف الأمويين من أهل البيت (صلـــوات الله عليهم) حيث عمم معاوية ومن بعده لعن أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين. وقال أبو يحيى زياد المكي: «كنت بين الحسن بن علي والحسين ومروان بن الحكم، والحسين يساب مروان. فجعل الحسن ينهى الحســـين، حتى قال مروان: إنكم أهل بيت ملعونون. قال: فغضب الحســـن، وقال: ويلك! قلت أهل بيت ملعونين. فوالله لقد لعن الله أباك وأنت في صلبه». ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٣٥ـ٣٦، واللفظ له. مسند أبي يعلى ج:١٢ ص:١٣٥ مسند الحسن بن علي بن أبي طالب. المعجم الكبير ج:٣ ص:٨٥ في ما رواه أبو يحيى الأعرج عن الحسن بن علي رضي الله عنه. المطالب العالية ج:١٨ ص:٢٦٥، ٢٦٦ كتاب الفتن: باب لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن العاص وبنيه وبني ابنه. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢٤٠ كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة، ج:١٠ ص:٧٢ كتاب المناقب: باب في من ذم من القبائل وأهل البدع. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٤٧٨ في ترجمة مروان بن الحكم. تاريخ الإسلام ج:٣ ص:٣٦٦ في أحداث سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، ج:٥ ص:٢٣٢ في ترجمة مروان بن الحكم. تاريخ دمشـــق ج:٥٧ ص:٢٤٤، ٢٤٥ في ترجمة مروان بن الحكم بن أبي العاص. كنز العمال ج:١١ ص:٣٥٧ ح:٣١٧٣٠. وغيرها من المصادر.

ويأتي في الملحق الخامس أمر يزيد بمنبر وخطيب يقع في الإمامين أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام، فأكثر الوقيعة فيهما... إلى غير ذلك مما يظهر للمتتبع.

الإمام الحسين عليه السلام بقية أصحاب الكساء

الأول: أن الإمام الحسين عليه السلام كان بقية أصحاب الكساء (صلوات الله عليهم)، فانقطع بقتله أثرهم، كما تضمن ذلك ما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال:

«قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء، دون اليوم الذي قبض منه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟!

فقال: إن يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة ، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فلِمَ لم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟ فقال: بلى، إن علي بن الحسين كان سيد العابدين، وإماماً وحجةً على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه، وكان علمه وراثة عن أبيه

عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال في آن يتوالى فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام، لأنه مضى آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة»[1].

ويناسب ذلك ما تقدم من العقيلة زينب الكبرى عليها السلام في حديثها مع الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر من قولها: «اليوم ماتت أمي فاطمة وعلي أبي وحسن أخي. يا خليفة الماضي، وثمال الباقي»[2].

تذكر الناس أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وغيره عن عظم الجريمة

الثاني: تذكر الناس لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما مما يتضمن التنبؤ بالواقعة، وتقييمها، وشدة ألمها (صلوات الله عليهما وآلهما) وحسرتهما لها، وبيان المقام الرفيع الذي يفوز به الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وسوء منقلب الطرف الآخر بسببها. والتأكيد على عظم الجريمة، وتأنيب المسلمين لتقصيرهم إزاءها، وتخاذلهم في أداء واجبهم، وما جرى مجرى ذلك.

---

(١) علل الشرائع ج:١ ص:٢٢٥ـ٢٢٦ باب: ١٦٢ العلة التي من أجلها صار يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في تحلي الإمام الحسين عليه السلام بالعاطفة.

تشفي الأمويين بالفاجعة ثأراً لأسلافهم المشركين

الثالث: ما طفح على لسان الأمويين من التشفي بقتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بسبب قتل النبي صلى الله عليه وآله لأسلافهم في حروب الإسلام.

فعن أبي عبيدة في كتاب المثالب أنه لما ورد كتاب عبيد الله بن زياد على عمرو بن سعيد الأشدق يبشره بقتل الحسين عليه السلام، قرأه على الناس، وأومأ إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «يوم بيوم بدر»[١].

وروي مثل ذلك عن يزيد حين أخذ ينكت ثغر الإمام الحسين عليه السلام بالقضيب في مجلسه[٢]. وكذا عن ابن زياد حين أنكر عليه بعض من رآه يضرب بالقضيب ثنايا الإمام الحسين (صلوات الله عليه)[٣].

ولما وردت رؤوس القتلى على يزيد ـ وكان في منظرة له على جيرون ـ أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت
تلك الشموس على ربى جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح
فلقد قضيت من الغريم ديوني[٤]

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٧٢. الكامل للمبرد ج:١ ص:٤٠١. النصائح الكافية ص:٧٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٦٠.

(٣) الأمالي للصدوق ص:٢٢٩ المجلس الحادي والثلاثون. روضة الواعظين ص:١٩٠. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٥٤.

(٤) تذكرة الخواص ص:٢٦١ـ٢٦٢. ورواها الآلوسي هكذا: «ولقد اقتضيت من الرسول ديوني» روح المعاني ج:٢٦ ص:٧٢، ونقل مثله ابن الدمشقي عن تاريخ ابن القفطي كما في جواهر المطالب لابن

ولما أدخل عليه رأس الإمام الحسين (صلوات الله عليه) أخذ ينكت ثغره بالقضيب، وأنشد أبياتاً، منها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[1]

وقد استنكرت عليه العقيلة زينب الكبرى عليها السلام ذلك، فخطبت في مجلسه خطبتها الشهيرة، وأشارت لإنشاده الأبيات المذكورة، وقد بدأتها بقولها: «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ**﴾... أتهتف بأشياخك؟! زعمت تناديهم. فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت... فكد كيدك، واسع سعيك وناصب جهدك. فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا...»[2].

الدمشقي ج:٢ ص:٣٠١. وذكره أيضاً في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ج:١ ص:١٢٤ مطلب في حرمة اللعن لمعين وما ورد فيه.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠٥، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٥٠ـ١٥١ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما. بلاغات النساء ص:٢١ كلام زينب بنت علي عليها السلام. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦٦ـ٦٧. تذكرة الخواص ص:٢٦١ ذكر حمل الرأس إلى يزيد. ينابيع المودة ج:٣ ص:٣٢. النصائح الكافية ص:٢٦٣. وذكر بعضه في البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن، ومقاتل الطالبيين ص:٨٠ مقتل الحسين بن علي عليه السلام. وغيرها من المصادر.

(٢) راجع ملحق رقم (٤).

وفي إكـــمال تهذيب الكمال: «وفي كتاب (ليس)[١]: لم يقتل النبي ﷺ بيده صبراً إلا عقبة بن أبي معيط، لذلك أرســـل عبيد الله بـــن زياد ابن أبيه برأس الحسين إلى المعيطيين بالرقة، وقال: هذا بدل رأس أبيكم... انتهى. ذكرت في كتابي [...] إجماع أهل السير على أن النبي ﷺ لم يباشر قتل أحد بيده إلا أُبي بن أبي خلف. وعقبة أمر [...] بضرب عنقه»[٢].

الجو الديني الذي عاشه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه

وفي مقابـــل ذلك كله كان الإمام الحســـين (صلـــوات الله عليه) ومن معه يذكّـــرون بالله عزّ وجلّ ويدعـــون إليه، ويحذرون مـــن عذابه وانتقامه. ويلهجون بذكره واللجأ إليه والتوكل عليـــه، ويرددون الرضا بما يختاره لهم، ويحتســـبون مصائبهم في ســـبيله تعـــالى. ويؤكدون أن هدفهـــم إحقاق الحق وإبطال الباطـــل، وأن همهم رضا الله ســـبحانه، وأداء حق النبي ﷺ في أهل

---

(١) في كتاب كشـــف الظنون لحاجي خليفة ج:٢ ص:١٤٥٤: «كتاب (ليس) لابن خالويه حســـين بن أحمد النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ. بنى فيه كلامه من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، ولهذا سمي به. وهو مختصر. ابن النديم: الفهرست ج:١ ص:١٢٤...».

(٢) **التراجم الســـاقطة من كتاب إكمال تهذيـــب الكمال لمغلطاي (المطبوع) من ترجمة الحســـن البـــصري إلى ترجمة الحكم بن ســـنان. وما ذكره من أن النبي ﷺ أمـــر بضرب عنق عقبة ولم يباشر قتله بنفســـه وإن ذكره غير واحد من أهل الســـير، فقد ذكروا أنه ﷺ أمر أمير المؤمنين عليـــاً عليه السلام بقتلـــه. إلا أن في صحيـــح محمد الحلبي عـــن الإمام أبي عبـــد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «قال: لم يقتل رسول الله ﷺ صبراً قط غير رجل واحد عقبة بن أبي معيط لعنه الله، وطعن أُبي بن أبي خلف فمات بعد ذلك»**. تهذيب الأحكام ج:٦ ص:١٧٣ باب النوادر من كتـــاب الجهاد حديث: ١٨. **فإن ظاهره أنه ﷺ قتله بيده كأُبي بن أبي خلف، وإلا فقد أمر بقتل كثير صبراً، ومنهم بنو قريظة.**

وعلى أي الوجهين فالتشفي وأخذ ثار عقبة برأس الإمام الحسين عليه السلام حاصل.

بيته، ونحو ذلك. مع ما ظهر من استجابة دعائهم على أعدائهم في المعركة[١] وبعدها[٢].

وقد زاد ذلك في البعد الديني لنهضة الإمام الحسين عليه السلام. فهو الممثل الحقيقي للدين الحنيف، والداعي إليه. ولم ينهض في وجه مسلمين مؤمنين من أجل الصراع على السلطة، كما قد يزعمون، ولا لمجرد انحرافهم عملياً عن تعاليم الإسلام، كما قد يظهر بدواً.

وإنما نهض في وجه منافقين، يبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام من أجل الوصول للحكم، والحفاظ عليه. فلا يؤمن منهم دفع المجتمع الإسلامي نحو الكفر والتخلي عن الإسلام تدريجياً لو تيسر لهم ذلك.

وذلك في الحقيقة كان معروفاً للخاصة من مواقف أهل البيت (صلوات الله عليهم) وسلوكهم، ومن منهج معاوية والأمويين عامة، ومن سلوكهم

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦٣٣ كتاب المغازي: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٣ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٤، ١١٧ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته. إكمال الكمال ج:٢ ص:٥٧١ في باب حويزة. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٢٨ـ٣٢٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٦ـ٦٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٣٣، ٢٣٥ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٠٨ ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن علي رضي الله عنه، ص:١٣٠ تسمية من قتل بين يدي الحسين من ولده واخوانه وبني عمه رضي الله عنهم. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٢٤٩. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٣٠١. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١١ في ترجمة الحسين الشهيد. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣١٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٣ـ٥٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٣٥. وغيرها من المصادر.

وتعاملهم مع مفردات الإســـلام ورمـــوزه. إلا أن مثل هذه التصريحات تزيد ذلك وضوحاً وجلاءً، وتعطي للنهضة المباركة ولجريمة الأمويين بعداً عقائدياً يزيد في نقمة المسلمين عموماً عليهم، ويسدّ باب الاعتذار عنهم.

الرابـــع: انتهاك الأمويين لشـــهر المحرم الذي هو من الأشـــهر الحرم، التي حرّم فيها البدء بالقتال في الجاهلية، فضلاً عن الإســـلام. ولذا أمهل أمير المؤمنين (صلـــوات الله عليه) في صفين معاوية وأصحابـــه ولم يقاتلهم حتى خرج شهر المحرم حفظاً لحرمته[١].

وفي معتبر الريان بن شبيب قال: «دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال لي: أصائم أنت؟ فقلت: لا... ثم قال: يا ابن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته. فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله. لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله. فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحســـين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش. وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه. ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله...»[٢].

---

(١) وقعة صفـــين ص:٢٠٢. الفتوح لابن أعثم ج:٣ ص:٢١ ذكر الوقعـــة الثانية بصفين. شرح نهج البلاغـــة ج:٤ ص:٢٥ من أخبار يوم صفين. الأخبار الطوال ص:١٧١ وقعة صفين. بحار الأنوار ج:٣٢ ص:٤٥٧.

(٢) الأمالي للصدوق ص:١٩٢ المجلس الســـابع والعشرون: حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشـــوراء. عيـــون أخبار الرضـــا عليه السلام ج:٢ ص:٢٦٨. بحار الأنـــوار ج:٤٤ ص:٢٨٦. إقبـــال الأعمال ج:٣ ص:٢٩ فيما نذكره من عمل أول ليلة المحرم.

الأحداث الكاشفة عن ارتباط الفاجعة بالله تعالى

الخامس: ما استفاضت به الأخبار التي رواها شيعة أهل البيت والجمهور من حدوث الأمور الغريبة الخارقة للعادة بسبب مصيبة الإمام الحسين عليه السلام الكاشفة عن رفعة شأنه، وعن غضب الله تعالى لفاجعته.

فقد رمى الإمام الحسين عليه السلام بشيء من دمه[١] ودم ولده[٢] للسماء، فلم يسقط منه قطرة[٣].

ولما صرع علي بن الحسين الأكبر عليه السلام نادى رافعاً صوته: «هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: العجل، فإن لك كأساً مذخورة»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١١ في ترجمة الحسين الشهيد. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٥ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢١٤. ذخائر العقبى ص:١٤٤. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٣٠١، ٣١١. وغيرها من المصادر.

(٢) مقاتل الطالبيين ص:٥٩ـ٦٠ عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٦٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٥٧. مثير الأحزان ص:٥٣ـ٥٤. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٤٦. وغيرها من المصادر.

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٣٤. كفاية الطالب ص:٤٣٢. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٥٣. وغيرها من المصادر.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٣١، واللفظ له. مقاتل الطالبيين ص:٧٧ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٦٧. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٤٤. وغيرها من المصادر.

وتكلم رأس الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بعد قتله[١]. وظهرت الأنوار محيطة به[٢].

وصار التراب الذي دفعه النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة من تربته دماً علامة على قتله[٣]. وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار[٤]، وأخذ بعضها يضرب بعضاً[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ج:٢٢ ص:١١٧ـ١١٨ في ترجمة سلمة بن كهيل، ج:٦٠ ص:٣٧٠ في ترجمة منهال بن عمرو. الوافي بالوفيات ج:١٥ ص: ٢٠٠ في ذكر سلمة بن كهيل الحضرمي. فيض القدير ج:١ ص:٢٦٥. الإرشاد ج:٢ ص:١١٧. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٧٣. الخرائج والجرائح ج:٢ ص:٥٧٧. وغيرها من المصادر.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢١٧. ينابيع المودة ج:٣ ص:٩٠. وغيرها من المصادر.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٩٥، ٩٦، ٩٧ الفصل الثاني عشر. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٥ مقتل الحسين بن علي. معارج الوصول ص:٩٤ إخبار النبي صلى الله عليه وآله بما يجري على الحسين عليه السلام. نظم درر السمطين ص:٢١٧. ينابيع المودة ج:٣ ص:١٢. الأمالي للطوسي ص:٣١٥. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢١٣ باب إمامة أبي عبد الله الحسين. وغيرها من المصادر.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ج:٣ ص:٣٣٧ كتاب صلاة الخسوف: باب ما يستدل به على جواز اجتماع الخسوف والعيد لجواز وقوع الخسوف في العاشر من الشهر. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٧ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:١١٤ ح:٢٨٣٨ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. فيض القدير ج:١ ص:٢٦٥. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٥) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٧ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:١١٤ ح:٢٨٣٩ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٧ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٣ في ترجمة الحسين

وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام[١]، واسودت[٢]، حتى ظنوا أنها القيامة[٣]. ومطرت السماء دماً[٤]، كما تعرضت له العقيلة زينب في خطبتها في

بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٢ في ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٥ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. نظم درر السمطين ص:٢٢١. معارج الوصول ص:٩٩. إمتاع الأسماع للمقريزي ج:١٢ ص:٢٤٣، ج:١٤ ص:١٥٠. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٦ ص:٢٦٣٧. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٩١ الفصل الثاني عشر. الصواعق المحرقة ص:٢٩٥ الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٢١٦. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٣٠٥ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٥. ينابيع المودة ج:٣ ص:١٥. الصواعق المحرقة ص:٢٩٤ الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها. وغيرها من المصادر.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج:٣ ص:٣٣٧ كتاب صلاة الخسوف: باب ما يستدل به على جواز اجتماع الخسوف والعيد لجواز وقوع الخسوف في العاشر من الشهر. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٧ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:١١٤ ح:٢٨٣٨ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الدر النظيم ص:٥٦٧. الصواعق المحرقة ص:٢٩٥ الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها. نظم درر السمطين ص:٢٢٠. وغيرها من المصادر.

(٤) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٣ مقتل الحسين بن علي عليه السلام. الثقات لابن حبان ج:٥ ص:٤٨٧ في ترجمة نضرة الأزدية. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٢ في ترجمة الحسين الشهيد. العمدة لابن بطريق ص:٤٠٦ ح:٨٣٨ فصل في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام. تفسير الثعلبي ج:٨ ص:٣٥٣. تفسير القرطبي ج:١٦ ص:١٤١. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٧، ٢٢٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الجرح والتعديل

الكوفة[١]، ولم يرفع حجر فـي بيت المقدس[٢]

ج:٤ ص:٢١٦. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٩٠ ح:٣٢١. ذخائر العقبى ص:١٤٥ ذكر الحسن والحسين: كرامات وآيات ظهرت لمقتله. نظم درر السمطين ص:٢٢٢. إمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢٤١، ج:١٤ ص:١٤٩. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

وعن جعفر بن سليمان قال: «حدثتني خالتي أم سالم قالت: لما قتل الحسين بن علي مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر. قال: وبلغني أنه كان بخراسان والشام والكوفة». تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٦ ص:٢٦٣٨. الصواعق المحرقة ص:٢٩٥ الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها.

ومن الملفت للنظر أن مطر السماء ألماً وحسرة وغضباً لخذلان هذه الأمة للحق المتمثل بخط أهل البيت (صلوات الله عليهم) في صراعه مع الباطل قد سبق عند قيام الدولة الأموية، واضطرار الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية بن أبي سفيان وتسلم معاوية قيادة الأمة.

قال عبد الله بن المبارك: «أخبرنا ابن لهيعة قال حدثني يزيد بن أبي حبيب أن ربيعة بن لقيط أخبره أنه كان مع عمرو بن العاص عام الجماعة وهم راجعون من مسكن وأمطروا دماً عبيطاً. قال ربيعة: ولقد رأيتني أنصب الإناء فيمتلئ دماً عبيطاً. فظن الناس أنها هي، وماج الناس بعضهم في بعض فقام عمرو بن العاص فأثنى على الله عز وجل بما هو له أهل ثم قال: يا أيها الناس أصلحوا ما بينكم وبين الله تعالى، ولا يضركم ولو اصطدم هذان الجبلان». الزهد والرقائق ج:١ ص:٤٦٢ حديث:٥١٦، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٥١٠ في ترجمة ربيعة بن لقيط.

وقال الذهبي بعد أن ذكر ذلك: «ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن ربيعة. ولفظه: أنهم كانوا مع معاوية حين قفلوا من العراق فأمطرت السماء بدجلة دماً عبيطاً وظنوا الظنون، وقالوا القيامة. وذكر الحديث». تاريخ الإسلام ج:٦ ص:٣٥٢.

وقبل ذلك حين قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حيث لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط. تاريخ مدينة دمشق ج:٤٢ ص:٥٦٧، ٥٦٨. **وإنا لله وإنا إليه راجعون.**

(١) راجع ملحق رقم (٣).

(٢) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٦ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٣ ح:٢٨٣٤ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. تاريخ دمشق ج:١٤

وغـــيره[١] إلا وجد تحته دم عبيط. ولما وضـــع الرأس المقدس أمام ابن زياد في قصر الإمارة سالت حيطان القصر دماً[٢].

ونبع الدم من ساق شجرة أم معبد، التي أورقت وأثمرت ببركة وضوء النبي صلى الله عليه وآله في طريق هجرته من مكة إلى المدينة[٣].

ص:٢٢٩ في ترجمة الحســين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٤ في ترجمة الحسين الشهيد. تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٣٠٥ في ترجمــة الحســين بن علي بن أبي طالــب. تاريخ الإســلام ج:٥ ص:١٦ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين. إمتاع الأسماع ج:١٤ ص:١٤٩، ١٥٠، ١٥١. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) مجمــع الزوائد ج:٩ ص:١٩٦ كتاب المناقب: باب مناقب الحســين بــن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٣ ح:٢٨٣٥ مســند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٦، ٢٣٠ في ترجمة الحســين بن عــلي بن أبي طالب. تاريخ الإســلام ج:٥ ص:١٦ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٢٥ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٥. ترجمة الإمام الحســين عليه السلام من طبقات ابن ســعد ص:٩٠، ٩١ ح:٣٢٣، ٣٢٥. نظم درر الســمطين ص:٢٢٠. إمتاع الأســماع ج:١٢ ص:٢٤٢، ج:١٩ ص:١٥٠. أنســاب الأشراف ج:٣ ص:٤٢٥ مقتل الحســين بن عــلي عليهما السلام. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) تاريخ دمشــق ج:١٤ ص:٢٢٩ في ترجمة الحســين بن عــلي بن أبي طالب. تهذيــب الكمال ج:٦ ص:٤٣٤ في ترجمة الحســين بن علي بن أبي طالب. ذخائر العقبى ص:١٤٥ ذكر الحسن والحسين: كرامات وآيات ظهرت لمقتله. سبل الهدى والرشاد ج:١١ ص:٨٠ الباب الثاني عشر. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٦ ص:٢٦٣٦. الصواعق المحرقة ص:٢٩٥ الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها. وغيرها من المصادر.

(٣) **روى الخوارزمي بســنده عن هند بنت الجون، قالت: «نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بخيمة خالتي... فلما قام من رقدته دعا بماء فغســل يديه فأنقاهما، ثم مضمض فاه ومجّه على عوســجة كانت إلى جنب خيمة خالتي ثلاث مرات... ثم قال: إن لهذه العوســجة شأناً... فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم دوحة عالية وأبهى، وقد خضد الله شوكها،**

. . . . . .

ووشـــجت عروقها، وكثرت أفنانها، واخضر ســـاقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك... فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تســـاقط ثمارها، واصفرّ ورقها، فأحزننا ذلك وفزعنا من ذلك، فما كان إلا قليل حتى جاء نعي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا هو قد قبض ذلك اليوم فكانت بعد ذلك تثمر ثمـــراً دون ذلك في العِظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك نحو ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد شاكت من أولها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتســـاقطت جميع ثمرتها، فما كان إلا يسير حتى وافى خبر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل نحن ومن حولنا نأخذ من ورقها ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك برهة طويلة، ثم أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعث من ســـاقها دم عبيط وإذا بأوراقها ذابلة تقطـــر دماً كماء اللحم. فقلنا: قد حدثت حادثة عظيمـــة. فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقع الحادثة، فلما اظلم الليل علينا ســـمعنا بكاءً وعويلاً من تحت الأرض وجَلَبة شديدة ورجّة، وسمعنا صوت نائح يقول:

أيابن النبي ويابن الوصي بقيـة ساداتـنا الأكرمينا

وكثر الرنين والأصوات فلم نفهم كثيراً مما كانوا يقولون، فأتانا بعد ذلك خبر قتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة، وجفّت وكسرتها الأرياح والأمطار، فذهبت ودرس أثرها».

قال عبد الله بن محمد الأنصاري: «فلقيت دعبل بن علي الخزاعي في مدينة الرســـول صلى الله عليه وآله فحدثته بهـــذا الحديث فلم ينكره، وقال: حدثني أبي عن جدي عن أمه ســـعدى بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة وأكلت من ثمرها على عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنها سمعت ليلة قتل الحسين عليه السلام نوح الجن...».

مقتل الحســـين للخوارزمي ج:٢ ص:٩٨ـ١٠٠ الفصل الثاني عشر: في عقوبة قاتل الحســـين عليه السلام. ورواه بســـنده أيضاً ابن العديم في بغية الطلب في تاريـــخ حلب ج:٦ ص:٢٦٤٨ـ٢٦٥٠. وراجع أيضـــاً ربيع الأبرار ج:١ ص:٢٨٥ـ٢٨٦ باب: الشـــجر والنبات والفواكه والرياحين والبســـاتين والرياض وذكر الجنة. والتذكرة الحمدونية ج:٣ ص:١١٦ فنون الشـــعر وغرائبه. وتاريخ الخميس ج:١ ص:٣٣٤ـ٣٣٥ قصـــة أم معبد. والثاقب في المناقـــب ص:١١٢. ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:١ ص:١٠٦. وكشف الغمة ج:١ ص:٢٥. والدر النظيم ص:١٣١. وبحار الأنوار ج:١٨ ص:٤١. وغيرها من المصادر.

وظهرت الحمرة في السماء[١]. ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع[٢].

واضطرمت في وجه ابن زياد النار عند قتل الحسين عليه السلام، فنحاها بكمه وأمر حاجبه بكتمان ذلك[٣].

وعن حصين بن عبد الرحمن أنه قال: «جاءنا قتل الحسين فمكثنا ثلاثاً كأن وجوهنا طليت بالرماد»[٤]... إلى غير ذلك[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٦، ٢٢٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. جزء الحميري ص:٣١. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص:٩١ ح:٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧. نظم درر السمطين ص:٢٢١. معارج الوصول ص:٩٨. ينابيع المودة ج:٣ ص:٢٠. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٦ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٢٤ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر.

(٣) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٦ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٢ ح:٢٨٣١ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. تاريخ دمشق ج:٣٧ ص:٤٥١ في ترجمة عبيد الله بن زياد بين عبيد. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٦٥ أحداث سنة سبع وستين من الهجرة: ذكر مقتل ابن زياد. البداية والنهاية ج:٨ ص:٣١٤ أحداث سنة سبع وستين من الهجرة: ترجمة ابن زياد. وغيرها من المصادر.

(٤) سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٤٢٤ في ترجمة حصين بن عبد الرحمن.

(٥) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٦ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨٥ أحداث

الرؤى المؤكدة لعظم الجريمة

ومثل ذلك بعض الرؤى المتعلقة بالفاجعة، كرؤيا ابن عباس النبي صلى الله عليه وآله وبيده قارورة يجمع فيها دماء الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وأصحابه عليهم السلام، ليرفعها إلى الله تعالى[١]، ورؤيا أم سلمة النبي صلى الله عليه وآله أيضاً مغبراً، وقال لها: شهدت قتل الحسين آنفاً[٢]،

سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٢٤، ٤١٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. بغية الطلب ج:٦ ص:٢٦٣٩. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٣٧ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٨ في أحداث سنة إحدى وستين: فصل بلا عنوان بعد ذكر صفة مقتله. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

وذكر ذلك أيضاً من غير النص على الرفع إلى الله تعالى في مسند أحمد ج:١ ص:٢٤٢، ٢٨٣ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وآله، ومستدرك الصحيحين ج:٤ ص:٣٩٨ كتاب تعبير الرؤيا، ومجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٤ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، والمعجم الكبير ج:٣ ص:١١٠ ح:٢٨٢٢ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته، ج:١٢ ص:١٤٣ ما رواه عمار بن أبي عمار عن ابن عباس، ومسند عبد بن حميد ص:٢٣٥ مسند ابن عباس، والاستيعاب ج:١ ص:٣٩٥ـ٣٩٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتاريخ بغداد ج:١ ص:١٥٢ في ترجمة الحسن والحسين. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٩٦ الفصل الثاني عشر، واللفظ له. سنن الترمذي ج:٥ ص:٣٢٣ ح:٣٨٦٠ أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. المستدرك على الصحيحين ج:٤ ص:١٩ تسمية أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله: ذكر أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها. المعجم الكبير ج:٢٣ ص:٣٧٣ ما أسندت أم سلمة: ما روته سلمى عن أم سلمة. التاريخ الكبير ج:٣ ص:٣٢٤ عند ذكر رزين بياع الأنماط. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٣٢٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. أسد الغابة ج:٢ ص:٢٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٣٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، ج:٩ ص:١٨٧ في ترجمة رزين بن سليمان الأحمري. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٦ في ترجمة الحسين الشهيد. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وغيرهما مما ذكره المؤرخون[١].

وفي بعضها أن صاحب الرؤيا ممن شارك في الجيش الذي حارب الإمام الحسين عليه السلام فعوقب في الرؤيا بما لقي أثره بعد أن أفاق، أو رأى تصديقها بعد ذلك[٢].

نوح الجن على الإمام الحسين عليه السلام

وكذا ما استفاض من سماع الناس نوح الجن على الإمام الحسين (صلوات الله عليه)[٣]. وظهور قلم يكتب على الحائط:

---

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٥٨ـ٢٥٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٤٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) **روى ابن عساكر عن أبي النضر الجرمي أنه قال: «رأيت رجلاً سمج العمى، فسألته عن سبب ذهاب بصره. فقال: كنت ممن حضر عسكر عمر بن سعد، فلما جاء الليل رقدت، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام بين يديه طست فيها دم وريشة في الدم، وهو يؤتى بأصحاب عمر بن سعد، فيأخذ الريشة فيخط بها بين أعينهم، فأتي بي، فقلت: يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم، قال: أفلم تكثر عدونا. فأدخل إصبعه في الدم، السبابة والوسطى، وأهوى بهما إلى عيني. فأصبحت وقد ذهب بصري».**
تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٥٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وروي قريباً من ذلك عن ابن رباح في مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١٠٤ الفصل الثاني عشر في بيان عقوبة قاتل الحسين عليه السلام وخاذله وما له من الجزاء.

كما روي رؤى أخر في المقتل المذكور ج:٢ ص:٨٧، ٨٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤. وتاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٥٨ـ٢٥٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللهوف في قتلى الطفوف ص:٨٠، ١٠٠ـ١٠١، ومقاتل الطالبيين ص:٧٩، وبحار الأنوار ج:٤٥ ص:٣٠٦، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٦ـ٣٢١. وغيرها من المصادر.

(٣) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٩ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١٢١،١٢٢ ح:٢٨٦٢، ٢٨٦٤، ٢٨٦٦، ٢٨٦٧، ٢٨٦٨، ٢٨٦٩ مسند الحسين بن علي: ذكر

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب[١]

كما أنه قد وجد هذا الشعر في عدة أماكن ذكر أهلها أنه قد كتب فيها من مدة طويلة قبل ظهور الإسلام[٢].

التنكيل الإلهي بقتلته عليه السلام وما حصل فيما سلب منه

ومن ذلك ما استفاض في أخبار الفريقين من انتقام الله عز وجل من قتلة الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا قبل الآخرة. وما حصل فيما سلب منه عليه السلام ومن رحله ـ من الإبل والورس وغيرها ـ بحيث أوجب تعذر الانتفاع به، أو حصول النكال بسببه... إلى غير ذلك مما ذكره المؤرخون ولا نطيل باستقصاء مفرداته.

مولده وصفته وهيأته. الإصابة ج:٢ ص:٧٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الآحاد والمثاني ج:١ ص:٣٠٨. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٤١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٣٠٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. البداية والنهاية ج:٦ ص:٢٥٩ الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، ج:٨ ص:٢١٩ في أحداث سنة إحدى وستين: فصل بلا عنوان بعد ذكر صفة مقتله. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٦ـ٣١٧ في ترجمة الحسين الشهيد. كتاب الهواتف ص:٨٧ باب هواتف الجن. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٩ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. المعجم الكبير ج:٣ ص:١٢٣ ح:٢٨٧٣ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٤٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٤٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٠٧ في ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٨ في أحداث سنة إحدى وستين: فصل بلا عنوان بعد ذكر صفة مقتله. ذيل تاريخ بغداد ج:٤ ص:١٥٩ في ترجمة علي بن نصر. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج:١٤ ص:٢٤٢-٢٤٤. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في إخبار الأنبياء السابقين بالفاجعة من المقدمة.

فإن هذه الأمـــور بمجموعهـــا زادت في وقع المصيبة على المســـلمين، وكشـــفت عن عظم الجريمة عند الله عز وجل، حتى عجّل بإظهار سخطه في الدنيا، ليلفت نظر الناس لذلك، ويقيم الحجة عليهم.

الإمام الحسين عليه السلام ثار الله تعالى وابن ثاره

ومن جميع ذلك يظهر الوجه في اســـتحقاق الإمام الحسين (صلوات الله عليه) أن يكون ثار الله تعالى في الأرض، كـــما تضمنت الزيارات الواردة عن أئمـــة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ذلك في حقـــه وحق أبيه أمير المؤمنين (عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والسلام).

ففي صحيح الحســـين بن ثوير عن الإمام الصادق عليه السلام الوارد في زيارة الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) قوله عليه السلام: «السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله. الســـلام عليك يا ثار الله وابن ثاره. السلام عليك يا وتر الله الموتور في السموات والأرض... وأشهد أنك ثار الله في الأرض وابن ثاره»[١]، ونحوها غيرها[٢].

وهو المناســـب لما في حديث جابر قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ: المصحف والمسجد والعترة. يقـــول المصحف: يا رب حرقوني ومزقوني. ويقول المســـجد: يا رب عطلوني وضيعوني. وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا. فأجثوا للركبتين للخصومة. فيقول الله جل جلاله لي: أنا أولى بذلك»[٣].

---

(١) كامل الزيارات ص:٣٦٤، ٣٦٥. تهذيب الأحكام ج:٦ ص:٥٥.

(٢) كامل الزيارات ص:٣٥٨، ٣٨٦، ٣٨٩، ٤٠٦. مصباح الزائر ص:٢٩٢. وغيرها.

(٣) الخصـــال ص:١٧٥، واللفـــظ لـــه. الفردوس بمأثـــور الخطاب ج:٥ ص:٤٩٩. مقتل الحســـين

كما يناسبه أيضاً ما سبق من أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) رمى بدمه الزكي ودم ولده إلى السماء فلم ينزل منه قطرة[١]. وفي بعض المصادر أنه عليه السلام خاطب الله عز وجل قائلاً: «اللهم اطلب بدم ابن بنت نبيك»[٢].

وكذا ما ورد في زيارته عليه السلام التي علمها الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لأبي حمزة الثمالي عند السلام على ولده علي بن الحسين الأكبر عليه السلام، من قوله: «بأبي أنت وأمي دمك المرتقى به إلى حبيب الله... يرفع دمك بكفه إلى أعنان السماء، لا ترجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة»[٣].

وكذا قوله عليه السلام لما ذبح ولده الرضيع: «والله لأنت أكرم على الله من الناقة، ولمحمد أكرم على الله من صالح»[٤].

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

للخوارزمي ج:٢ ص: ٨٤. كنز العمال ج:١١ ص:١٩٣ ح:٣١١٩٠. بحار الأنوار ج:٢٤ ص:١٨٦ـ١٨٧، ج:٨٠ ص:٣٦٨.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج:١٤ ص:٢٢٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في الظواهر الكونية الكاشفة عن الغضب الإلهي للفاجعة.

(٢) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٢٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٥ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. كفاية الطالب ص:٤٣١.

(٣) كامل الزيارات ص:٤١٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٥ مقتل الحسين بن علي.

الفصل الثاني
في ردود الفعل المباشرة
لفاجعة الطف

والكلام فيه في مقامين:

المقام الأول
في رد الفعل من قبل الناس

إن الناظر في تاريخ الواقعة وما قارنها يرى أن الغشم والعنف والترهيب والترغيب كانت هي الدافع لتنفيذ هذه الجريمة العظمى، مع كثير من التململ والضيق والصراع النفسي والتفاعل العاطفي مع الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وأهل بيته عليهم السلام حتى من بعض القائمين بها، لوضوح رفعة مقام أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ولحصول كثير من الجرائم البشعة والممارسات الصارخة المثيرة للعاطفة حتى من قبل الأعداء.

حتى إذا انتهت الجريمة وتمّ للسلطة ما أرادت رجع الناس إلى واقعهم، وعرفوا فداحة المصاب، وشدة الجريمة، وهول ما فعلوا.

فإن من المعلوم..

أولاً: أن السلطة تعاملت مع الإمام الحسين (صلوات الله عليه) على أنه خارج عن الشرعية، وشاق للعصا، وملقح للفتنة، ومستحق للقتل والتنكيل.

بل تعاملت مع نهضته المباركة تعاملها مع الردة سلباً وسبياً وتشهيراً. وبمنتهى الوحشية، بمثل قطع الرؤوس، ورض الأجساد، والسب، والشتم، والشماتة، والتشفي، وغير ذلك.

وثانياً: أن السلطة كانت في أوج قوتها وشراستها في التنكيل بمن يخالفها، أو يخرج عن مسارها، أو يعترض عليها. ولذا ردّت في السنة الثالثة على أهل المدينة في واقعة الحرة أبشع ردّ، وانتهكت حرمتهم أشنع انتهاك، ولم تتورع في السنة الرابعة عن الرد على عبد الله بن الزبير بانتهاك حرمة الحرم، وبضرب مكة المكرمة والكعبة المعظمة بالمنجنيق.

وكان نصيب الكوفة ـ التي هي علوية الهوى ـ من العمال عبيد الله بن زياد الغليظ القاسي الجبار الشرس، الذي قام بنفسه بتلك الجريمة الكبرى بتبجح واستهتار، واستطاع أن يرغم الكوفيين على تنفيذها.

كما كان نصيب المدينة المنورة ـ التي هي موطن أهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ عمرو بن سعيد الأشدق جبار بني أمية[1]، والشامت بقتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، كما سبق ويأتي[2].

---

(١) **فقد روي عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليرعفن على منبري جبار من جبابرة بني أمية يسيل رعافه»**. **قال: «فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه»**. مسند أحمد ج:٢ ص:٥٢٢ مسند أبي هريرة، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢٤٠ كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٢٠٤ في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص. تاريخ دمشق ج:٤٦ ص:٣٦٠ في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص. البداية والنهاية ج:٨ ص:٣٤٢ أحداث سنة تسع وستين من الهجرة في ترجمة الأشدق. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص:١٩٤ كتاب الإمارة: باب في ولاة السوء. وغيرها من المصادر.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٧٢. الكامل للمبرد ج:١ ص:٤٠١. النصائح الكافية ص:٧٥.

وكان المفروض مــع هذين الأمرين أن تكمّ الأفواه، وتكتم العواطف، إزاء الفاجعة، كما عشــنا ذلك مع مآسي العــراق الكثيرة وفجائعه الفادحة في العهد الطويل للطغيان والجبروت والدكتاتورية الغاشمة.

بــل يفترض أن تقام مظاهر الفرح والزينة بالانتصار الكاســح والفتح العظيم للســلطة في هذين المصرين، كما أقيمت في الشــام المعزولة عن عامة المســلمين ثقافياً، والتي لا تعرف عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) إلا ما عرفها الأمويون.

إلا أنه يبــدو أن هول الفاجعة ـ بأبعادها الســابقة ـ وشــدة وقعها في النفوس أفقدا الناس السيطرة على عواطفهم وكبح جماحها، بحيث اضطرت السلطة أن تقف مكتوفة اليد أمام ذلك.

إنكار بعض الصحابة على يزيد وابن زياد

ولا نعني بذلك الإنكارات الشخصية من بعض الصحابة على عبيد الله بن زياد وعلى يزيد حينما أخذا ينكتان رأس الإمام الحسين عليه السلام بالقضيب تشفياً منه، كزيد بن أرقم[١]، وأبي برزة الأسلمي[٢]، وأنس بن مالك[٣]. إذ ربما كانوا

الأغاني ج:٥ ص:٧٥ ذكر عبد الله بن قيس الرقيات.

(١) مجمــع الزوائد ج:٩ ص:١٩٥ كتاب المناقب باب مناقب الحســين بن عــلي عليهما السلام. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في أن قتل الإمام الحسين عليه السلام هو أعظم جرائم الفاجعة.

(٢) أسد الغابة في ترجمة نضلة بن عبيد. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في أن قتل الإمام الحسين عليه السلام هو أعظم جرائم الفاجعة.

(٣) مجمــع الزوائد ج:٩ ص:١٩٥ كتاب المناقب باب مناقب الحســين بن عــلي عليهما السلام. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في أن قتل الإمام الحسين عليه السلام هو أعظم جرائم الفاجعة.

يشـــعرون ببعض الحصانة لمركزهم الاجتماعي، ولأن السلطة كانت تتجمل بهم، فلا تقدم على قتلهم بعد أن لم يكن لإنكارهم مظهر على الصعيد العام.

بل اقتصرت على الإنكار عليهم أو على بعضهم بشـــدة، كقول عبيد الله بن زيـــاد لزيد بن أرقم: «أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنك شـــيخ قد خرفت وذهـــب عقلك لضربت عنقـــك»[١]، وأمر يزيد بإخراج أبي برزة الأســـلمي سحباً[٢].

إنكار يحيى بن الحكم

ولا نعني أيضاً مثل إنكار يحيى بن الحكم، حيث قال حين أدخل الرأس الشريف إلى مجلس يزيد:

لهـــام بجنـــب الطـــف أدنـــى قرابة
من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
ســـمـــــية أمسى نسلهـا عدد الحصـى
وليـس لآل المصـطفى اليـوم من نسل

فضربه يزيد على صدره، وقال: اسكت لا أم لك[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٩ في أحداث ســـنة إحدى وســـتين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨١ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين. أسد الغابة ج:٢ ص:٢١ في ترجمة الحســـين بن علي بن أبي طالب. الأخبار الطوال ص:٢٥٩-٢٦٠ نهاية الحســـين. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٧ في أحداث ســـنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من أئمة الشأن. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٥٠ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي عليهما السلام. اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٢ أحداث ســـنة إحدى وســـتين من الهجرة، واللفظ له. تاريخ دمشق

ولا قوله لمن جاء بالرؤوس والسبايا للشام: «حجبتم عن محمد يوم القيامة. لن أجامعكم على أمر أبداً». ثم قام فانصرف[1].

فإنه أيضاً كان يتمتع بحصانة النسب الأموي، ولم يكن لإنكاره مظهر على الصعيد العام.

إنكار ابن عفيف الأزدي على ابن زياد في مسجد الكوفة

كما لا نعني إنكار عبد الله بن عفيف الأزدي على ابن زياد حينما جمع الناس في مسجد الكوفة، وخطبهم فقال: «الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي وشيعته».

حيث وثب إليه عبد الله بن عفيف ـ وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه

ج:٦٤ ص:١٢٣ في ترجمة يحيى بن الحكم بن أبي العاص. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٩ـ٩٠ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٨ـ٢٠٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. وغيرها من المصادر.

ونسب هذا البيت إلى عبد الرحمن بن أم الحكم في مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٨ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، والمعجم الكبير ج:٣ ص:١١٦ ح:٢٨٤٨ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته وهيأته، وتاريخ دمشق ج:٣٤ ص:٣١٦ في ترجمة عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، وتاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٨ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين: مقتل الحسين، والوافي بالوفيات ج:١ ص:٦٢٣، وأنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٢١ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. تاريخ دمشق ج:٦٢ ص:٨٥ في ترجمة نضلة بن عبيد. وغيرها من المصادر.

يوم الجمل مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، والأخرى بصفين معه عليه السلام أيضاً ـ فقال: «يا ابن مرجانة إن الكذاب بن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوه. يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟!»[١].

فقال ابن زياد: «من المتكلم؟» فقال: «أنا المتكلم يا عدو الله. أتقتل الذرية الطاهرة الذين قد أذهب الله عنهم الرجس في كتابه، وتزعم أنك على دين الإسلام. واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار، لينتقموا من هذا الطاغية اللعين بن اللعين على لسان رسول الله رب العالمين»[٢].

فإن إنكار هذا العبد الصالح وإن كان مهماً جداً، لأنه على ملأ من الناس، وبلهجة شديدة. إلا أنه شخص واحد مستميت. وقد قتل فعلاً، وصلب[٣]، بعد معركة طويلة قتل فيها جماعة[٤]. شكر الله سعيه ورضي عنه وأرضاه.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٣ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٧ـ٢٠٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٤ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد. المحبر ص:٤٨٠. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. تذكرة الخواص ص:٢٥٩. وغيرها من المصادر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٥٣، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٤ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٦. وغيرها من المصادر.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٣ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. المحبر ص:٤٨٠. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٥ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٤ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٩. وغيرها من المصادر.

(٤) الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٥ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد. أنساب

إنكار امرأة من آل بكر بن وائل

ومثله مـــا روي من أن امرأة من آل بكر بن وائـــل كانت مع زوجها في المعركة، فلما نظرت العســـكر يســـلب العائلة الكريمة أخذت سيفاً، وأقبلت نحو الفســـطاط، وقالت: «يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله! لا حَكَم إلا الله. يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله». فردها زوجها إلى رحله[1].

فإنها امرأة واحـــدة انهارت لهول ما رأت. وكذا غيرها ممن أنكر بصورة فردية من دون أن يكون لإنكاره ظهور على الصعيد العام.

وإنما نعني عامة الناس في المصرين المدينة المنورة والكوفة، لأنهما اللذان يتيسر لنا الاطلاع تاريخياً على موقف الناس فيهما.

موقف جمهور أهل الكوفة

فقد اســـتقبل الكوفيون العائلة الكريمة ـ التي عوملت معاملة الكفار في السلب والأسر والتشـــهير ـ بالبكاء والصراخ والنوح والتوجع والتفجع والتأسف[2]، وقد شـــقت النســـاء جيوبهن على الإمام الحسين (صلوات الله

الأشراف ج:٣ ص:٤١٤ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٥٣ـ٥٤. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٧. وغيرها من المصادر.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٧٨، واللفظ له. مثير الأحزان ص:٥٨. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٥٨.

(٢) بلاغات النســـاء ص:٢٣ كلام أم كلثوم بنت علي عليها السلام. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٣٩ تســـمية من قتل بين يدي الحســـين من ولده واخوانه وبني عمه رضي الله عنهم. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٥ مقتل الحسين بن علي. مقتل الحســـين للخوارزمي ج:٢ ص:٤٠. مطالب الســـؤول ص:٤٠٣. الأمالي للمفيـــد ص:٣٢١. الأمالي للطـــوسي ص:٩٢. اللهوف في قتلى الطفـــوف ص:٨٦. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٦٢. وغيرها من المصادر.

عليه) والتَدَمن[١].

وعن حاجب ابن زياد أنه قال: «ثم أمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغل، وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملاء رجال ونساء يضربون وجوههم ويبكون، فحبسوا في سجن وطبق عليهم»[٢].

كما ورد أنه بعد أن خطبت أم كلثوم عليها السلام ضجّ الناس بالبكاء والنوح، ونشر النساء شعورهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال ونتفوا لحاهم، فلم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم[٣].

ولولا حصول الجوّ المناسب والأرضية الصالحة لما تيسر لها ولا لغيرها من أفراد العائلة الكريمة الخطبة في الناس بعد أن أدخلوا إلى الكوفة أسرى يراد التشهير بهم وتوهينهم.

على أنه يبدو من بعض خطب أهل البيت عليهم السلام في الكوفة أن السلطة قد سبقت ركب الأسرى من العائلة الثاكلة ببعض مظاهر التبجح بالواقعة، في محاولة منها للتشهير بها، وإظهار السرور على الصعيد العام بما أوقعته بها.

فقد ورد في خطبة فاطمة الصغرى في الكوفة حال السبي قولها: «تباً

---

(١) بلاغات النساء ص:٢٣، ٢٤ كلام أم كلثوم بنت علي عليه السلام. جمهرة خطب العرب ج:٢ ص:١٣٤ خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام. الأمالي للمفيد ص:٣٢١. الأمالي للطوسي ص:٩١. والتدام النساء: ضربهن وجوههن في المأتم.

(٢) الأمالي للصدوق ص:١٤٦ مجلس:٣١ رقم الحديث:٣. وعنه في بحار الأنوار ج:٤٥ ص:١٥٤.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩١ـ٩٢. وذكر قريباً من ذلك الخوارزمي في مقتله ج:٢ ص:٤١.

لكم يا أهل الكوفة كم تراث[١] لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم، وذحوله[٢] لديكم. ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه وعترة النبي الطيبين الأخيار. وافتخر بذلك مفتخر، فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح

فقالت: بفيك أيها القائل الكثكث ولك الاثلب...»[٣].

ولكن ذلك لم يقو على كبح جماح عواطف جمهور الناس نحو العائلة الكريمة وأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وإظهار التعاطف معهم، والبكاء عليهم، والتفجع لهم.

وهكذا الحال لما أخرجوا من الكوفة إلى الشام. فقد روى ابن سعد بسنده عن الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) أنه قال: «حُملنا من الكوفة إلى يزيد بن معاوية، فغصّت طرق الكوفة بالناس يبكون، فذهب عامة الليل ما يقدرون أن يجوزوا بنا لكثرة الناس. فقلت: هؤلاء الذين قتلونا. وهم الآن يبكون»[٤].

---

(١) التراث: ما يخلفه الرجل لورثته. وفي مثير الأحزان ص:٦٨: «أي ترات» بالتاء المثناة. وترات جمع تِرة: وهي إصابة الشخص بظلم أو مكروه. وهو أنسب بالمقام.

(٢) الذحول جمع ذحل وهو الثأر.

(٣) الاحتجاج ج:٢ ص:٢٨، واللفظ له. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٠. مثير الأحزان ص:٦٨. والكثكث: هو التراب وفتات الحجارة. وكذا الأثلب والإثلب.

(٤) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٩ ح:٣١٣.

موقف جمهور أهل المدينة المنورة

أما في المدينة المنورة فإنه لما وصل الخبر بقتل الإمام الحسين عليه السلام لعمرو بن سعيد بن العاص الأشدق أمر المنادي أن يعلن بقتله في أزقة المدينة، فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية بني هاشم، واتصلت الصيحة بدار الأشدق، فضحك شامتاً، وأنشد:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب[١]

قال ابن طاووس: «فعظمت واعية بني هاشم، وأقاموا سنن المصائب والمآتم»[٢].

وقال اليعقوبي: «وكان أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله كان دفع إليها قارورة فيها تربة وقال لها: إن جبرئيل أعلمني أن أمتي تقتل الحسين. قالت: وأعطاني هذه التربة، وقال لي: إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين قد قتل... فلما رأتها قد صارت دماً صاحت: واحسيناه وا ابن رسول الله، وتصارخت النساء من كل ناحية حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثلها قط»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٦ـ٣٥٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٩ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. الإرشاد ج:٢ ص:١٢٣. مثير الأحزان ص:٧٤. وغيرها من المصادر.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٦ مقتل الحسين بن علي.

وقد استفاضت أحاديث الشيعة والجمهور المتضمنة دفع النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة رضي الله عنها تربة، وإعلامها بأن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) إذا قتل تصير دماً، وأنها علمت بقتله عليه السلام حينما رأت أن تلك التربة صارت دماً. قال ابن الأثير: «فأعلمت الناس بقتله أيضاً». الكامل في

وخرجت بنت عقيل في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فلاذت به، وشهقت عنده، ثم التفتت، إلى المهاجرين والأنصار وأنشدت:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
يوم الحساب وصدق القول مسموع
خذلتموا عترتي أو كنتم غيباً
والحق عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما
منكم له اليوم عند الله مشفوع
ما كان عند غداة الطف إذ حضروا
تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

فأبكت من حضر. ولم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم[1].

التاريخ ج:٤ ص:٩٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر أسماء من قتل معه. وراجع حديث التربة المذكور في مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٨٩ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، والمعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٨ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، وتاريخ دمشق ج:١٤ ص:١٩٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٠٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتهذيب التهذيب ج:٢ ص:٣٠١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، والوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وإمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢٣٨، والفتوح لابن أعثم ج:٤ ص: ٣٢٧ ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن علي وولده وشيعته من ورائه وأهل السنة وما ذكروا في ذلك من الاختلاف. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) الأمالي للمفيد ص:٣١٩. الأمالي للطوسي ص:٩٠. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ص:٢٦٢.

وعن أبي الكنود: «قال: ولما أتي أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب

ولعله لذا أمر عمرو بن سعيد بن العاص بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام صاحب شرطته عمرو بن الزبير أن يهدم دور بني هاشم ففعل، وبلغ منهم كل مبلغ. وهدم دار ابن مطيع، وضرب الناس ضرباً شديداً، فهربوا منه إلى ابن الزبير[١].

حيث لا يبعد أن يكون ذلك منه رداً على الناس وعقوبة لهم، لأنهم تحدّوا بعواطفهم موقف السلطة، وإظهاراً لصرامتها في ذلك، ورداً لهيبتها واعتبارها.

موقف أهل المدينة عند رجوع العائلة الثاكلة إليها

أما بعد رجوع ركب العائلة مكرماً إلى المدينة ـ نتيجة تراجع السلطة عن موقفها، كما يأتي ـ فقد اندفع الناس في إظهار عواطفهم.

فعن الواقدي أنه لم يبق بالمدينة أحد، وخرجوا يضجون بالبكاء[٢]. وقال

ومعها نساؤها، وهي حاسرة تلوي بثوبها وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم»

تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٨ـ٨٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٨ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته. مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٩ـ٢٠٠ كتاب المناقب: باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام. تاريخ دمشق ج:٦٩ ص:١٧٨ في ترجمة زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(١) الأغاني ج:٥ ص:٧٥ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات. وقد تعرض لبعض ذلك الزركلي في الأعلام ج:٧ ص:٢٤٨ في ترجمة مصعب بن الزبير.

(٢) ينابيع المودة ج:٣ ص:٤٧. تذكرة الخواص ص:٢٦٧ حديث الجمال التي حمل عليها الرأس والسبايا.

الخوارزمي: «عجت نساء بني هاشم، وصارت المدينة صيحة واحدة»[١].

وروي أن الإمام زين العابدين عليه السلام بعث بشر بن حذلم ينعى الإمام الحسين عليه السلام لأهل المدينة، ويخبرهم بأن ركبه قد نزل بساحتهم. فخرج الناس يهرعون، ولم تبق مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن يدعون بالويل والثبور، وضجت المدينة بالبكاء. فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم. وخرجوا لاستقبال العائلة الثاكلة وقد أخذوا الطرق والمواضع[٢].

موقف الناس في الشام

وحتى الشام فإنها وإن حجر عليها ثقافياً، ولم تعرف عموماً غير ثقافة الأمويين، إلا أنه كان هناك تململ وإنكار من بعض الخاصة في مجلس يزيد[٣]، وفي بعض المناطق بتكتم وحذر شديدين[٤].

كما أن التاريخ قد تضمن كثيراً من الإنكارات الفردية بصور متفرقة،

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧٦.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:١١٥. مثير الأحزان ص:٩٥ـ٩٦.

(٣) تاريخ دمشق ج:٦٨ ص:٩٥ في ترجمة رجل له صحبة. أسد الغابة ج:٥ ص:٣٨١ في ذكر عبد الواحد بن عبد الله القرشي عن رجل من الصحابة. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٢٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٩ في ترجمة الحسين الشهيد. الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص:٤٦. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٢ ح:٢٩٦. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٥٠، ١٥٤ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي عليهما السلام. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧١، ٧٢، ٧٣. تذكرة الخواص ص:٢٦٣. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦١. اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠٢، ١٠٣. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٢٧٣. وغيرها من المصادر.

وفي مناسبات مختلفة. ومن الطبيعي أن ما لم يسجل منها أكثر.

وقع الحدث في أمصار المسلمين البعيدة

وعلم الله تعالى كيف كان وقع الحدث في أمصار المسلمين الأخرى التي هي بسبب بعدها عن الأحداث أبعد عن ضغط الطغمة الحاكمة.

ولا سيما أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) قد خطا خطوة مهمة في تعريف المسلمين في أقطار الأرض بمقام أهل البيت (صلوات الله عليهم) في مؤتمره الذي عقده في الحج في أواخر عهد معاوية.

محاولة الإمام الحسين عليه السلام نشر مناقب أهل البيت عليهم السلام

فقد ورد أنه عليه السلام جمع وجوه من بقي من المهاجرين والأنصار، وجماعة ممن يعرف بالنسك والصلاح من التابعين المنتشرين في الأقطار الإسلامية، وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال (صلوات الله عليه):

«أما بعد فإن هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم. وإني أريد أن أسألكم عن شيء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني. أسألكم بحق الله عليكم، وحق رسول الله، وحق قرابتي من نبيكم، لما سيرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أنصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا. فإني أتخوف أن يدرس هذا الأمر، ويذهب الحق ويُغلَب. ﴿**وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1]».

---

(١) سورة الصف الآية: ٨.

ثم ما ترك (صلوات الله عليه) شيئاً مما أنزل الله تعالى فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره، ولا شيئاً مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأمه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته (صلوات الله عليهم) إلا رواه.

وفي كل ذلك يقول من شهد الحديث من الصحابة: «اللهم نعم، وقد سمعنا وشهدنا». ويقول التابعي: «اللهم قد حدثني به من أصدقه وأئتمنه من الصحابة». فقال عليه السلام: «أنشدكم الله إلا حدثتم به من تثقون به وبدينه». ثم تفرقوا على ذلك[1].

جهود العائلة الثاكلة في كشف الحقيقة وتهييج العواطف

أما العائلة الثاكلة ـ التي لم يكن فيها من الرجال سوى الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) الذي أنهكه المرض ـ فقد رأت الأرضية الصالحة لبيان الحقيقة، والجوّ المناسب لذلك، فاستثمرت الظلامة لتهييج العواطف.

وقد تيسر لها في هذه المدة الطويلة أن تكشف الحقيقة، وتعلن عن شرف النهضة، ورفعة مقام أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وعن فداحة المصاب، وعظم الجريمة، بنحو ينبه الغافلين، ويهيج العواطف، ويصدع القلوب، ويترك أعمق الأثر في النفوس.

كان ذلك منها في كربلاء قبيل قتل الإمام الحسين عليه السلام[2]،

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص:٣٢٠ـ٣٢١. الاحتجاج ج:٢ ص:١٨ـ١٩.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٥ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٧٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. الإرشاد ج:٢ ص:١١٢. وغيرها من المصادر.

وبعد قتله[١]، وفـي الكوفة على ملأ من الناس[٢]،

وقد قـال الطبري في حديث رواه: «وعتب على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشـهده قتل الحسـين، فقال عبد الله بن عمار: إن لي عند بني هاشـم ليداً. قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح، فانتهيت إليه، فوالله لو شئت لطعنته، ثم انصرفت عنه غير بعيد، وقلت: ما أصنع بأن أتولى قتله؟!. يقتله غيري. قال: فشد عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى ابذعروا، وعلى من عن شـماله حتى ابذعروا ـ وعليه قميص له من خز، وهو معتم ـ. قال: فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه، ولا أجرأ مقدماً. والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله. إن كانت الرجالة لتنكشـف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب. قال: فوالله إنه لكذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته... وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض. وقد دنا عمر بن سـعد من حسـين، فقالت: يا عمر بن سـعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهى تسـيل على خديه ولحيته. قال: وصرف بوجهه عنها». وذكر حديث زينب عليها السلام مع ابن سـعد باختلاف يسير البلاذري في أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٠٩.

(١) مثـير الأحزان ص:٥٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشـوب ج:٣ ص:٢٦٠. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٧٨ـ٧٩.

ومن ذلك مـا رواه الطبري عن قرة بن قيس التميمي قال: «نظرت إلى تلك النسـوة لما مررن بحسـين وأهله وولـده صحن ولطمن وجوههن. قـال: فاعترضتهن على فرس، فما رأيت منظراً من نسـوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك. والله لهن أحسن من مهى يبرين. قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه. يا محمداه. صلى عليك ملائكة السـماء. هذا الحسـين بالعرا، مرمل بالدما، مقطع الأعضا. يا محمداه وبناتك سـبايا، وذريتك مقتلة تسـفى عليها الصبا قال: فأبكت والله كل عـدو وصديق». تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٨ـ٣٤٩ في أحداث سـنة إحدى وسـتين من الهجرة. وذكر حديث زينب عليها السلام بتفاوت يسـير البلاذري في أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١١.

(٢) تقدم التعرض لبعض ذلك قريباً عند ذكر موقف أهل الكوفة حين استقبلوا العائلة الثاكلة. وراجع ملحق رقم (٣).

وفـي مجلس ابن زياد[١]، وفي الشام[٢]،

(١) فقد نقل ابن نما عن حميد بن مسلم أنه قال: «لما أُدخل رهط الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد ـ لعنهما الله ـ أذن للناس إذناً عاماً. وجيء بالرأس فوضع بين يديه. وكانت زينب بنت علي عليهما السلام قد لبست أردأ ثيابها وهي متنكرة، فسأل عبيد الله عنها ثلاث مرات، وهي لا تتكلم. قيل له: إنها زينب بنت علي بن أبي طالب، فاقبل عليها، وقال: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم. فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وطهرنا تطهيراً، [لا كما تقول أنت. تاريخ الطبري] إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا. فقال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم. وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج. هبلتك أمك يا ابن مرجانة.

فغضب ابن زياد، [وكأنه هم بها. اللهوف، مقتل الحسين عليه السلام] وقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة، ولا تؤاخذ بشيء من منطقها. فقال ابن زياد: لقد شفاني الله من طغاتك والعصاة المردة من أهل بيتك. فبكت، ثم قالت: «لقد قتلت كهلي، [وأبرت أهلي. الطبري] وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي. فإن تشفيت بهذا فقد اشتفيت». مثير الأحزان ص:٧٠.

راجع الأمالي للصدوق ص:٢٢٩، والإرشاد ج:٢ ص:١١٥، وإعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٧١ـ٤٧٢، واللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٣ـ٩٤. وتجده مع اختلاف يسير في تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٤٩ـ٣٥٠ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨١ـ٨٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين عليه السلام، والبداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٠ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن، والفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٢ ذكر دخول القوم على عبيد الله بن زياد، ومقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٤٢. وغيرها من المصادر.

(٢) قال الخوارزمي: «ثم أُتي بهم حتى أقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي، وإذا شيخ أقبل حتى دنا منهم قال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح العباد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: هل قرأت هذه الآية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال الشيخ: قرأتها. قال: فنحن القربى يا شيخ. وهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟ قال: نعم. قال: فنحن أهل البيت الذي خصصنا بآية الطهارة. فبقي الشيخ ساكتاً ساعة نادماً على ما تكلم به. ثم رفع رأسه إلى

وفي مجلس يزيد[١].

وإن من أشد ذلك خطبة العقيلة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، في مجلس يزيد حينما تبجح بقتله للحسين عليه السلام، وأنشد الأبيات المتقدمة، حيث إنها لم تقتصر على بيان ظلامة أهل البيت (صلوات الله عليهم) وفداحة المصاب، بل زادت على ذلك بتبكيت يزيد وتكفيره، والتأكيد على هوانه على الله تعالى، وعلى خسته وخسة أصوله وعراقتهم في الكفر، ووعده بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة. والتأكيد على أن العاقبة لأهل البيت (صلوات الله عليهم).

كل ذلك ببيان فريد ومنطق رصين يبهر العقول. كأنها تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين، وأمها الصديقة الزهراء (صلوات الله عليهما)[٢].

السماء فقال: اللهم إني أتوب إليك من بغض هؤلاء. وإني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس».

مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦١ـ٦٢. وقد ذكر القصة باختلاف يسير في اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠٢ـ١٠٣. وفي تفسير الطبري ج:٢٥ ص:٣٣، وتفسير الثعلبي ج:٨ ص:٣١١، وتفسير ابن كثير ج:٤ ص:١٢١، وروح المعاني للآلوسي ج:٢٥ ص:٣١، والدر المنثور ج:٦ ص:٧. وغيرها من المصادر.

(١) **قال ابن الجوزي: «وكان علي بن الحسين والنساء موثقين في الحبال، فناداه علي: يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنا موثقين في الحبال، عرايا على أقتاب الجمال؟! فلم يبق في القوم إلا من بكى»**. تذكرة الخواص ص:١٦٢، واللفظ له. الأنوار النعمانية ج:٣ ص:٢٥١ نور في بعض أحوال واقعة الطفوف. اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠١.

وروى الخوارزمي كلاماً له عليه السلام مع يزيد أشد من هذا لا يسعنا ذكره لطوله. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦٣.

(٢) راجع ملحق رقم (٤). ويأتي لها معه كلام آخر في ص: ٢٦٥ـ٢٦٦.

كما خطب الإمام زين العابدين عليه السلام خطبة طويلة أبكى بها العيون وأوجل فيها القلوب، انتسب فيها لآبائه الكرام (صلوات الله عليهم) وأشاد برفيع مقامهم وبمواقفهم وجهادهم، وعرج على مصاب أبيه عليه السلام، فقال:

«أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء...».

فضجّ الناس بالبكاء. وخشي يزيد من الفتنة، فاضطر إلى قطع خطبته بأن طلب من المؤذن أن يؤذن. فلما انتهى المؤذن إلى قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله» التفت عليه السلام إلى يزيد، وقال: «يا يزيد، محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت إنه جدي فلم قتلت عترته؟!»[1].

فاجعة الطف أشد جرائم يزيد وقعاً في نفوس المسلمين

وبالرغم من أن يزيد كما قام في السنة الأولى من حكمه بفاجعة الطف، قام في السنة الثالثة بواقعة الحرة الفظيعة، التي انتهكت فيها حرمة المدينة المنورة وحرمة أهلها على أبشع وجه، وبوحشية مسرفة، وقام في السنة الرابعة باستباحة حرم الله عز وجل ومكة المكرمة، ورمي المسجد الحرام والكعبة المعظمة بالمنجنيق. إلا أنه يبدو أن فاجعة الطف هي الأشد وقعاً في نفوس المسلمين.

---

(١) راجع ملحق رقم (٥).

فقد ورد عن الزبير بن بكار[١] وعن البيهقي صاحب التاريخ[٢] أن عام قتل الحسين عليه السلام سمي عام الحزن. كما ذكر البكري أنهم كانوا يقولون: «ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر»[٣].

ندم جماعة من المشاركين في المعركة

كما صرح غير واحد بالندم والأسف لاشتراكهم في المعركة وقيامهم بهذه الجريمة الكبرى، وشعورهم بالخزي والعار في الدنيا، وانتظارهم عظيم العقاب والنكال في الآخرة.

ندم عمر بن سعد وموقف الناس منه

فقد قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلى أهله، وهو يقول في طريقه: «ما رجع أحد بمثل ما رجعت. أطعت الفاسق ابن زياد، وعصيت الحاكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة»[٤]. وهجره الناس. وكان كلما مرّ على ملأ من الناس أعرضوا عنه. وكلما دخل المسجد خرج الناس منه، وكل من رآه قد سبه، فلزم بيته إلى أن قتل[٥].

---

(١) ملحقات إحقاق الحق ج:٣٣ ص:٦٩٩ عن مختصر تذكرة القرطبي للشعراني ص:٢٢٢.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٤٠.

(٣) معجم ما استعجم ج:٣ ص:٩٥٠ عند ذكر (العقر). ومثله مع اختلاف يسير في تاريخ الإسلام ج:٧ ص:٨ في حوادث سنة اثنتين ومائة، ووفيات الأعيان ج:٦ ص:٣٠٨، ج:٤ ص:١٠٩ وقد نسبه فيه إلى كثير، وكذا نسبه في الوافي بالوفيات ج:٢٤ ص:٢٤٨.

(٤) تذكرة الخواص ص:٢٥٩، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٤ـ٤١٥ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. الأخبار الطوال ص:٢٦٠ نهاية الحسين.

(٥) تذكرة الخواص ص:٢٥٩.

ومرّ يوماً بمجلس بني نهد حين قتل الحسين عليه السلام فسلم، فلم يردوا عليه السلام، فلما جاز قال:

أتيت الذي لم يأت قبلي ابن حرة فنفسي ما أحرت وقومي أذلت[١]

وقال رضي بن منقذ العبدي الذي اشتبك مع برير بن خضير رضي الله عنه فصرعه برير، وأنعم عليه كعب بن جابر فاستنقذه بعد أن قتل بريراً:

ولو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعماء عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبة تعيره الأبناء بعد المعاشر
فيا ليت أني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس قابر[٢]

وسُمع شبث بن ربعي في إمارة مصعب يقول: «لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسددهم لرشد. ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب، ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه ـ وهو خير أهل الأرض ـ نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية. ضلال يا لك من ضلال!»[٣].

وقال أبو مخنف: «حدثني نمير بن وعلة أن أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه... فقال له أشياخ من الحي: أنت قتلته؟ قال: لا والله ما أنا قتلته، ولكن قتله غيري. وما أحب أني قتلته.

---

(١) تاريخ دمشق ج:٤٥ ص:٥٤ في ترجمة عمر بن سعد، واللفظ له. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٨ ح:٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٠ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٨، ٦٩ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

فقال له أبو الــودّاك: ولِمَ؟ قال: إنه كان زعموا من الصالحين. فوالله لئن كان إثماً لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحــب إليّ من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم...»[١].

ندم جماعة لتركهم نصرة الإمام الحسين عليه السلام

وأما الذين ندموا بعد ذلك لتركهم نصر الإمام الحســين (صلوات الله عليه) فكثيرون، لا يســعنا اســتقصاؤهم. وقد تقدم قــول البراء بن عازب: «أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه»[٢].

وذكــروا أن عبد الله بن الحر الجعفي طلب منه الإمام الحســين عليه السلام أن ينصره فأبى ذلك واعتزل[٣]. وقد أنّبَه ابن زياد على عدم قتاله للإمام الحسين عليه السلام في حديث طويل له معه حينما دخل عليه. ثم خرج ابن الحر من مجلس ابن زياد ومضى إلى كربلاء، فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن. وقال في ذلك:

يقــول أمير غــادر حــق غادر ... ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيا ندمــي أن لا أكــون نصرته ... إلا كل نفــس لا تســدد نادمــة
وإنــي لأني لم أكــن من حماته ... لذو حســرة ما إن تفارق لازمة

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣٣ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة.

(٢) تقــدم في المقدمة عند الــكلام في حثّ النبي صلى الله عليه وآله وأمــير المومنين عليه السلام وغيرهما عــلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) تاريــخ دمشــق ج:٣٧ ص:٤٢١ في ترجمة عبيــد الله بن الحر بن عمرو. الفتــوح لابن أعثم ج:٦ ص:٣٠١ ابتــداء خبر عبيد الله بن الحر الجعفي. ترجمة الإمام الحســين عليه السلام من طبقات ابن ســعد ص:٩٣ في تتمة حديث سابق بعد حديث برقم:٣٢٩.

في أبيات كثيرة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ويؤكد على شدة جريمة قتلهم[١]، وله شعر آخر يتضمن ندمه وحسرته لتقاعسه عن نصره[٢].

كما أن الظاهر أن كثيراً من التوابين قد ندموا على ترك نَصره عليه السلام مع قدرتهم عليه. بل هم إنما سمّوا بالتوابين لذلك. وإن كان الظاهر أن كثيراً منهم عجز عن نصر الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، لأن ابن زياد قد سجنه. أو لأنه قد سدّ الطرق بنحو يتعذر عليه الوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام، كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة.

استغلال المعارضة للفاجعة ضد الحكم الأموي

هذا كله مضافاً إلى أن الجريمة ـ بأبعادها الواقعية والعاطفية ـ قد استغلت على أتم وجوه الاستغلال من قبل المعارضة.

وأظهرها في ذلك الوقت عبد الله بن الزبير العدو اللدود لأهل البيت (صلوات الله عليهم) ولعموم بني هاشم، كما تشهد بذلك مواقفه المشهورة. وقد أشرنا لبعضها في المقدمة[٣]، ويأتي الإشارة لبعضها في الموضع المناسب.

ومع ذلك فقد حاول أن يستغل الفاجعة لصالحه. فقد كان في جملة كلامه ـ بعد أن ذمّ أهل العراق عامة والكوفة خاصة ـ أن ذكر الإمام الحسين عليه السلام فقال:

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٩ـ٣٦٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٢٩ في شيء من أشعاره التي رويت عنه. تاريخ دمشق ج:٣٧ ص:٤٢٠ في ترجمة عبيد الله بن الحر بن عمرو. الفتوح لابن أعثم ج:٦ ص:٣٠٢ ابتداء خبر عبيد الله بن الحر الجعفي.

(٢) تاريخ دمشق ج:٣٧ ص:٤٢١ في ترجمة عبيد الله بن الحر بن عمرو. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٩٤، ٩٦.

(٣) تقدم ذلك في بيان أبعاد الفاجعة عند التعرض لأن قتل الإمام الحسين عليه السلام هو أعظم الجرائم فيها.

«ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة. فرحم الله حسيناً وأخزى قاتل حسين... أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم، ونصدق قولهم، ونقبل لهم عهداً؟! لا ولا نراهم لذلك أهلاً. أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل. أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد فسوف يلقون غياً» يعرض بيزيد.

فثار إليه أصحابه، فقالوا له: «أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد ـ إذ هَلك حسين ـ ينازعك هذا الأمر». وقد كان يبايع سراً، ويظهر أنه عائذ بالبيت. فقال لهم: «لا تعجلوا»[1].

وهكذا حاول أن يجعل من فاجعة الطف مبرراً للامتناع من بيعة يزيد، وإنكار شرعية حكمه، والدعوة للخروج عليه.

ولنكتف بهذا المقدار في بيان ردود الفعل السريعة من قِبَل المسلمين نتيجة هول الفاجعة. ويأتي إن شاء الله تعالى في المقام الثالث من المبحث الثاني من الفصل الأول من المقصد الثاني تمام الكلام في التداعيات اللاحقة للفاجعة عند إيضاح أن فاجعة الطف حققت هدفها على الوجه الأكمل.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٦٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٨ـ٩٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد. وقد اقتصر ابن الجوزي على ذكر خطبة ابن الزبير في تذكرة الخواص ص:٢٦٨.

المقام الثاني
في موقف السلطة نتيجة رد الفعل المذكور
وانقلاب موقفها من الحدث
ومن عائلة الإمام الحسين (صلوات الله عليه)

من الطبيعي جداً أن يكون يزيد قد أوعز لابن زياد بقتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بعد أن امتنع عن بيعته، واستجاب لطلب شيعته في الكوفة أن يأتيها، ليكون هو الخليفة والإمام عليهم.

بل لا يشك المنصف في أن مثل هذه الجريمة الكبرى لا يمكن أن يقدم عليها ابن زياد لوحده لو لم يكن يزيد من ورائه دافعاً له وداعماً لموقفه.

ولاسيما أن ابن زياد قد سبق منه أن قتل سفير الإمام الحسين إلى الكوفة مسلم بن عقيل عليهما السلام، وهاني بن عروة، وأرسل رأسيهما إلى يزيد[1]. وكان ذلك فاتحة الرد على موقف الإمام الحسين عليه السلام من يزيد الذي انتدب له ابن

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٠٦ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير إليهم وقتل مسلم بن عقيل. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٥ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمسير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه. أنساب الأشراف ج:٢ ص:٣٤١ـ٣٤٢ مقتل مسلم بن عقيل. تاريخ الإسلام ج:٤ ص:١٧١ حوادث سنة ستين من الهجرة: بيعة يزيد. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٦٩ـ٧٠ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية. الإرشاد ج:٢ ص:٦٥. وغيرها من المصادر.

زياد، فلو لم يكن من رأي يزيد قتل الإمام الحسين عليه السلام لكان عليه إلفات نظر ابن زياد وتحذيره من الاندفاع بالاتجاه المذكور.

شواهد أمر يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السلام

على أنه قد روى غير واحد أن يزيد كتب إلى ابن زياد يأمره بقتل الإمام الحسين[١] عليه السلام. كما يأتي من يزيد الاعتراف بتحمله تبعة قتله[٢] عليه السلام.

بل عن ابن زياد في الاعتذار عن قتل الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «أما قتلي الحسين فإنه أشار عليّ يزيد بقتله أو قتلي، فاخترت قتله»[٣].

وهو المناسب لأمور..

الأول: حنق يزيد على الإمام الحسين (صلوات الله عليه) من أيام معاوية، لأنه منع من تزويجه بنت عبد الله بن جعفر[٤]، ورفض بيعته في أيام معاوية، حيث ردّ على معاوية فيمن ردّ عليه[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٢ أيام يزيد بن معاوية. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٣ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الأخبار الطوال ص:٢٨٤. نور الأبصار ص:١٤٣. وغيرها من المصادر.

(٢) يأتي قريباً عند الكلام في محاولة يزيد التنصل من الجريمة واستنكاره لها.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٤٠ في أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر هرب ابن زياد إلى الشام.

(٤) تاريخ دمشق ج:٥٧ ص:٢٤٥ـ٢٤٦ في ترجمة مروان بن الحكم بن أبي العاص. الكامل ج:٣ ص:٢٠٨ـ٢٠٩ كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم. معجم البلدان ج:١ ص:٤٦٩ في مادة (بغيبغ).

(٥) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٢٦ أحداث سنة ست وخمسين من الهجرة: دعاء معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده وجعله ولي العهد. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٥٠٩، ٥١١ أحداث سنة ست وخمسين من الهجرة: ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٦٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة ومقتله. الإمامة والسياسة ج:١ ص:١٥١ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة. الفتوح

وكان يزيد يضيق من مداراة معاوية للإمام الحسين عليه السلام في بعض المناسبات ويحمله على مجابهته وردعه، ولا يستجيب له معاوية في ذلك[١].

الثاني: أن يزيد كتب للوليد بن عتبة والي المدينة كتاباً يخبره فيه بموت معاوية، ويأمره بأخذ البيعة من الناس. وأرفقه بكتاب صغير كأنه أذن فأرة وفيه: «أما بعد فخذ الحسين وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة. فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه والسلام»[٢].

نعم ذكر بعضهم الكتاب هكذا: «أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة»[٣]. ولو تمّ فهو

لابن أعثم ج:٤ ص:٣٤٠ـ٣٤١ ذكر خبر معاوية في خروجه إلى الحج ومما كان منه بمكة والمدينة إلى رجوعه. وغيرها من المصادر.

(١) اختيار معرفة الرجال ص:١٢٤ عند ذكر عمرو بن الحمق. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٦ حوادث سنة واحد وستين من الهجرة: مقتل الحسين. وغيرها من المصادر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٨٠، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٩ ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤١ أيام يزيد بن معاوية إلا إنه اقتصر على الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير. ونظيره في مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ج:٣ ص:٢٤٠، واللهوف في قتلى الطفوف ص:١٦. وغيرها من المصادر.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: خلافة يزيد بن معاوية، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر بيعة يزيد. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٥٧ أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه. المنتظم ج:٥ ص:٣٢٣ أحداث سنة ستين من الهجرة: باب ذكر بيعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣١٣ ذكر ما كان من أمر الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وابن الزبير في بيعة يزيد بعد موت معاوية بن أبي سفيان.

وإن لم يصرح فيه بالقتل، إلا أنه راجع إليه، وإلا فكيف يكون الأخذ الشديد من عامل يزيد في مثل هذا الأمر الحساس الذي يتوقف عليه استقرار حكمه وإحكام سلطانه؟!.

وقد سبق نظيره ممن هو أكثر تعقلاً من يزيد وأبعد نظراً منه. ففي أحداث السقيفة هُدد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بالقتل[١]. وقريب من ذلك كان الموقف من سعد بن عبادة[٢] وأخيراً قتل[٣]. وفي أحداث الشورى أمر عمر

وأشار إلى هذا الكتاب الدينوري في الأخبار الطوال ص:٢٢٧ مبايعة يزيد. سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:٥٤ بيعة يزيد بن معاوية. تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:١٩ بيعة يزيد. وغيرها من المصادر.

(١) الإمامة والسياسة ج:١ ص:١٦ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٦٠. كتاب سليم بن قيس ص:١٥٣. الاحتجاج ج:١ ص:١٠٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:١ ص:٣٨١. بحار الأنوار ج:٢٨ ص:٣٥٦.

(٢) صحيح البخاري ج:٨ ص:٢٧ـ٢٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة: باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت. مسند أحمد ج:١ ص:٥٦ مسند عمر بن الخطاب: حديث السقيفة. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٧٢ كتاب المغازي: ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة. المصنف لعبد الرزاق ج:٥ ص:٤٤٤ كتاب المغازي: بيعة أبي بكر (رضي الله تعالى عنه) في سقيفة بني ساعدة. صحيح ابن حبان ج:٢ ص:١٥٠-١٥١ باب حق الوالدين: الزجر عن أن يرغب المرء عن أبائه إذ استعمال ذلك ضرب من الكفر. تاريخ دمشق ج:٣٠ ص:٢٨٣ في ترجمة أبي بكر الصديق. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٣) العقد الفريد ج:٤ ص:٢٤٢ـ٢٤٣ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: سقيفة بني ساعدة. أنساب الأشراف ج:١ ص:٢٩١ تسمية السبعين الذين بايعوا عند العقبة، ج:٢ ص:٢٧٢ أمر السقيفة.

وقد اتهم الجن بقتله في كل من المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:٢٨٣ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقب سعد بن عبادة الخزرجي النقيب رضي الله عنه، والاستيعاب ج:٢ ص:٥٩٩ في ترجمة سعد بن عبادة، ومجمع الزوائد ج:١ ص:٢٠٦ كتاب الطهارة: باب البول قائماً، والمعجم الكبير ج:٦ ص:١٦ في ترجمة سعد بن عبادة الأنصاري، وسير أعلام النبلاء ج:١ ص:٢٧٧ في ترجمة سعد بن

بقتل من يخالف حكمها[١] وهُدد أمير المؤمنين عليه السلام عند بيعة عثمان بذلك[٢].

عبادة وغيرها من المصادر الكثيرة.

وعلق ابن أبي الحديد على اتهام الجن بقوله: «أما أنا فلا اعتقد أن الجن قتلت سعداً، ولا أن هذا من شعر الجن ولا أرتاب أن البشر قتلوه، وأن هذا الشعر شعر البشر. ولكن لم يثبت عندي أن أبا بكر أمر خالداً، ولا استبعد أن يكون فعله تلقاء نفسه ليرضي بذلك أبا بكر ـ وحاشاه ـ فيكون الإثم على خالد، وأبو بكر بريء من إثمه. وما ذلك من أفعال خالد ببعيد». شرح نهج البلاغة ج:١٧ ص:٢٢٣ـ٢٢٤.

وقال أيضاً: «وقال بعض المتأخرين:

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ... ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وقد صبرت عن لذة العيش أنفس ... وما صبرت عن لذة النهي والأمر»

شرح نهج البلاغة ج:١٠ ص:١١١.

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٨٢ كتاب المغازي: ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب. صحيح ابن حبان ج:١٥ ص:٣٣٢ كتاب إخباره صلى الله عليه وآله عن مناقب الصحابة: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وصف استشهاده رضي الله عنه. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٢٩٤ أحداث سنة ثلاث وعشرين من الهجرة: قصة الشورى. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٦٧ أحداث سنة ثلاث وعشرين من الهجرة: ذكر قصة الشورى. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٨٢ كتاب المغازي: ما جاء في خلافة عثمان وقتله. الإمامة والسياسة ج:١ ص:٢٦ تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده إليهم. تاريخ المدينة ج:٣ ص:٩٢٥. كنز العمال ج:١٢ ص:٦٩٤ ح:٣٦٠٧٦. الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٣٤٢ ذكر استخلاف عمر رحمه الله. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:١٩ ص:٢٤٠ ذكر قصة الشورى. العقد الفريد ج:٤ ص:٢٥٦ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٢٨ أمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه. الإمامة والسياسة ج:١ ص:٢٧ـ٢٨ ذكر الشورى وبيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه. شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٩٤. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:١٩ ص:٢٤٤ قصة الشورى.

ونظيره في صحيح البخاري ج:٨ ص:١٢٣ كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٤٧ كتاب قتال أهل البغي: باب كيفية البيعة. المصنف لعبد الرزاق ج:٥ ص:٤٧٧ كتاب المغازي: حديث أبي لؤلؤة قاتل عمر رضي الله عنه. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وروي أنه لما أراد معاوية البيعة ليزيد بولاية العهد وامتنع هؤلاء النفر جمعهم في مكة، وبعد أن سمع منهم ما لم يعجبه قال لهم: «فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم. إنه قد أعذر من أنذر. إني كنت أخطب فيكم، فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح. وإني قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن ردّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه. فلا يبقين رجل إلا على نفسه».

ثم جمع صاحب حرسه بحضرتهم، فقال: «أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين، ومع كل واحد سيف. فإن ذهب رجل منهم يرد عليّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما».

ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يُبَتّ[1] أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم. وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد. فبايعوا على اسم الله».

فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر. ثم ركب رواحله، وانصرف إلى المدينة[2].

فلقي الناس أولئك النفر، فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون، فلِمَ أُرضيتم وأُعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل[3].

---

(١) بتّ الأمر: أمضاه.

(٢) سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:٤٥.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٥٠٨ـ٥٠٩ أحداث سنة ست وخمسين من الهجرة: ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد، واللفظ له. تاريخ خليفة بن خياط ص:١٦٤ أحداث سنة إحدى وخمسين من

كما أن ذلك هو المناسب لطلب مروان من الوليد بن عتبة أن يقتل الإمام الحسين عليه السلام إن لم يبايع وتأنيبه له على ترك قتله[١]، ولعزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة في شهر رمضان بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام بقليل[٢]. بل صرح في بعض المصادر أن سبب عزله امتناعه من تنفيذ أمر يزيد بإرغام الإمام الحسين عليه السلام على البيعة[٣].

الهجرة: أخذ معاوية بن أبي سفيان البيعة لابنه يزيد. تاريخ الإسلام ج:٤ ص:١٥٢ حوادث سنة إحدى وخمسين من الهجرة. الإمامة والسياسة ج:١ ص:١٥٣ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة. سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:٤٥ عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥١ـ٢٥٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: خلافة يزيد بن معاوية. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٥ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر بيعة يزيد. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٥٧ أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه. تاريخ الإسلام ج:٤ ص:١٦٩ حوادث سنة ستين من الهجرة: بيعة يزيد. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤ ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة. الإمامة والسياسة ج:١ ص:١٦٥ إباية القوم الممتنعين عن البيعة. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:٢١ عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: خلافة يزيد بن معاوية. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٥٨ أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: في ترجمة يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه. وفي الاستيعاب ج:٣ ص:١٣٨٨ في ترجمة مروان بن الحكم، وتاريخ دمشق ج:٦٣ ص:٢٠٧، ٢٠٨ في ترجمة الوليد بن عتبة بن صخر بن حرب، وتاريخ خليفة بن خياط ص:١٧٤ أحداث سنة ستين من الهجرة، إلا إنه لم يحدد في شهر رمضان. وغيرها من المصادر.

(٣) الاستيعاب ج:٣ ص:١٣٨٨ في ترجمة مروان بن الحكم. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٥٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: في ترجمة يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٤٠.

وعن الواقدي أنه قال: «عزل يزيد الوليد بن عتبة لأن مروان كتب إليه يذكر ضعفه

ولما ورد من أن أبا هرم رأى الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وهو في طريقه إلى كربلاء، فقال له: «يا ابن النبي ما الذي أخرجك من المدينة؟!» فقال عليه السلام: «ويحك يا أبا هرم شتموا عرضي فصبرت، وطلبوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت. وأيم الله ليقتلنني...»[١].

الثالث: أن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) لما دخل مكة واجتمع الناس إليه بلغ يزيد ذلك، فكتب إلى ابن عباس: «أما بعد فإن ابن عمك حسيناً وعدو الله ابن الزبير التويا ببيعتي، ولحقا بمكة مرصدين للفتنة معرضين أنفسهما للهلكة...» وكتب أسفل الكتاب أبياتاً منها قوله:

إني لأعلم أو ظناً كعالمه ... والظن يصدق أحياناً فينتظم
أن سوف يترككم ما تدعون به ... قتلى تهاداكم العقبان والرخم[٢]

الرابع: ما روي من أن يزيد دسّ مع الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية وأمرهم باغتيال الإمام الحسين عليه السلام[٣].

ويناسب ذلك حديث الفرزدق الشاعر قال: «حججت بأمي، فأنا

ووهنه وإدهانه». أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٢٢ أمر عبد الله بن الزبير بعد مقتل الحسين.

(١) الأمالي للصدوق ص:٢١٨ المجلس:٣٠. مثير الأحزان ص:٣٣. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٣ـ٤٤. وقريب منه في الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٧٩ ذكر مسير الحسين إلى العراق.

(٢) تذكرة الخواص ص:٢٣٧ـ٢٣٨ الباب التاسع في ذكر الحسين عليه السلام، واللفظ له. وذكرت جميع الأبيات مع اختلاف في الكتاب في تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٢٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، والبداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٧ في أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. وغيرها من المصادر.

(٣) ينابيع المودة ج:٣ ص:٥٩ خروج الحسين من مكة. بحار الأنوار ج:٤٥ ص:٩٩.

أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ـ وذلك في سنة ستين ـ إذ لقيت الحسين بن علي خارجاً من مكة معه أسيافه وتراسه... فقلت: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت...»[١]. وما سبق من أنه عليه السلام كان يعتذر عن خروجه بأنه يخشى أن تهتك به حرمة الحرم[٢].

الخامس: بقاء ابن زياد عاملاً ليزيد حتى مات يزيد. بل قال ابن أعثم: «لما قتل الحسين استوسق العراقان جميعاً لعبيد الله بن زياد. وأوصله يزيد بألف ألف درهم جائزة... ثم علا أمره، وارتفع قدره...»[٣].

وقال المسعودي: «وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب. وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد. وذلك بعد قتل الحسين. فأقبل على ساقيه وقال:

اسقني شربة تروي مشاشي ... ثم مِل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي»[٤]

السادس: طيش يزيد وعنجهيته، حتى فعل بالمدينة المنورة في واقعة الحرة، وفي مكة المكرمة في قتاله لابن الزبير، ما فعل.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٨٠ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. الأمالي للشجري ج:١ ص:١٦٦ فضل الحسين بن علي عليهما السلام وذكر مصرعه وسائر أخباره وما يتصل بذلك.

(٢) المعجم الكبير ج:٣ ص:١١٩، ١٢٠ مسند الحسين بن علي ذكر مولده وصفته حديث:٢٨٥٩، وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في موقف الإمام الحسين عليه السلام مع ناصحيه من المقدمة.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٥٦ـ١٥٧ ذكر ما كان بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٤) مروج الذهب ج:٣ ص:٧٨ فسق يزيد وعماله وزندقتهم.

السابع: طلبه من ابن زياد إرسال العائلة الكريمة إلى الشام[١]، فأرسلها بذلك الوضع المزري[٢]، الذي أشارت إلى بعض مآسيه العقيلة زينب الكبرى بقولها في خطبتها في مجلس يزيد: «أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدى بهن من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف...»[٣]. ثم تزيين الشام لاستقبالهم[٤]، وقد أقيموا على درج باب المسجد حيث يقام السبي[٥]. وأدخلوا على يزيد مربقين بالحبال[٦].

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٤ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين عليه السلام. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٤ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨١ ح:٢٩٦. اللهوف في قتلى الطفوف ص:٩٩. وغيرها من المصادر.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٧ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي عليهما السلام. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٣ في أحداث سنة إحدى وستين: ذكر مقتل الحسين عليه السلام. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الثقات لابن حبان ج:٢ ص:٣١٢، ٣١٣ في ترجمة يزيد بن معاوية. الفصول المهمة ج:٢ ص:٨٣١ الفصل الثالث: فصل في ذكر مصرعه ومدة عمره وإمامته عليه السلام. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٥٥ـ٥٦. إقبال الأعمال ج:٣ ص:٨٩. وغيرها من المصادر.

(٣) راجع ملحق رقم (٤).

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦٠.

(٥) الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٩ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي عليهما السلام. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦١. الأمالي للصدوق ص:٢٣٠. اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠٢. الاحتجاج ج:٢ ص:٣٣. البدء والتاريخ ج:٦ ص:١٢ مقتل أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام. تاريخ مختصر الدول ص:١١٠ـ١١١ الدولة التاسعة: يزيد بن معاوية. وغيرها من المصادر.

(٦) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٣ ح:٢٩٧. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٦

الثامن: صلب رأس الإمام الحسين عليه السلام[١] على باب القصر في دمشق ثلاثة أيام[٢]، ثم التشهير به وتسييره في البلدان[٣].

التاسع: إظهار السرور والشماتة بقتل الإمام الحسين عليه السلام[٤]، وإنشاده الأبيات السابقة[٥]، وقوله: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما

في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٦ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. العقد الفريد ج:٤ ص:٣٥٠ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: مقتل الحسين بن علي. تذكرة الخواص ص:٢٦٢. الإمامة والسياسة ج:٢ ص:١٨٥ قدوم من أسر من آل علي على يزيد. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ دمشق ج:١٦ ص:١٨٠ في ترجمة خالد بن غفران. السيرة الحلبية ج:٣ ص:١٥٧ في كلامه عن سرية أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧٣ـ٧٤. الأمالي للصدوق ص:٢٣١ المجلس الحادي والثلاثون. وغيرها من المصادر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧٥. تاريخ دمشق ج:٦٩ ص:١٦٠ في ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٩ في ترجمة الحسين الشهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٠٧ في ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٤. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٢٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من أئمة الشأن. وغيرها من المصادر.

(٣) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٩ في مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. نور الأبصار ص:١٤٧ فصل: اختلفوا في رأس الحسين رضي الله عنه. مثير الأحزان ص:٨٥.

(٤) الثقات لابن حبان ج:٢ ص:٣١٣ في ترجمة يزيد بن معاوية. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٢٠ في ترجمة الحسين الشهيد. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٠٩، ٢١١ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. الأنساب للسمعاني ج:٣ ص:٤٧٦ في كلامه عن الشهيد. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٦ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. وغيرها من المصادر.

(٥) تقدمت عند الكلام في تشفي الأمويين بالفاجعة ثأراً لأسلافهم المشركين.

يفلقــن هاماً من رجــال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما[١]

العاشر: ما ذكره البلاذري في سرد مواقف يزيد وما صدر منه في أعقاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام قال: «وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد بن ســعيد قال: كتب يزيد إلى ابن زياد: أما بعد فزد أهل الكوفة أهل الســمع والطاعة في أعطياتهم مائة مائة»[٢].

الحادي عشر: رد العقيلة زينب الكبرى على يزيد في خطبتها المشار إليها آنفاً، ومجابهتها له بذلك من دون أن يتنصل منه.

الثاني عشر: كتاب ابن عباس له[٣] المؤكد لاشــتراكه في الجريمة... إلى غير ذلك مما لا يبقى معه شك في أمر يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السلام وسروره به

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٥ أحداث ســنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه، واللفــظ له. الفصول المهمــة ج:٢ ص:٨٣٤. وقد اقتصر على البيت الثــاني في مجمع الزوائد ج:٩ ص:١٩٣ كتاب المناقب: باب مناقب الحســين بن علي عليهما السلام، والمعجم الكبير ج:٣ ص:١٠٤ مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته، وتاريخ دمشق ج:٦٢ ص:٨٥ في ترجمة نضلة بن عبيد، ج:٦٥ ص:٣٩٦ في ترجمــة يزيد بن معاوية، ج:٦٨ ص:٩٥ في ترجمة رجــل من خثعم له صحبة، ج:٧٠ ص:١٤ـ١٥ في ترجمة فاطمة بنت الحســين بن علي بن أبي طالب، وأســد الغابة ج:٥ ص:٣٨١ في ترجمة عبد الواحد بن عبد الله القرشي، وتهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٢٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤٢٠ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام.

(٣) المعجــم الكبــير ج:١٠ ص:٢٤٢ أحاديث عبد الله بــن عباس: ومن مناقب عبــد الله بن عباس وأخبــاره. مجمع الزوائد ج:٧ ص:٢٥١ كتاب الفتن: باب فيــما كان من أمر ابن الزبير. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٢٨ في أحداث ســنة أربع وســتين من الهجرة: ذكر بعض سيرة يزيد وأخباره. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٤٨ في مقتل الحسين بن علي. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٧٨. وغيرها من المصادر.

بعد حصوله.

محاولة يزيد التنصل من الجريمة واستنكاره لها

ومع كل ذلك فقد تبدل موقف يزيد، حيث نسب له بعض المؤرخين وأهل الحديث التنصل من الجريمة، أو الاستنكار لها، وأنه كان يرضى من طاعة أهل الكوفة بدون ذلك، وأنه قد حمل ابن زياد مسؤوليتها[١].

وروى غير واحد أنه قد أقيم المأتم على الإمام الحسين (صلوات الله عليه) في داره، وشاركت عائلته عائلة الإمام الحسين عليه السلام فيه[٢].

بل لا إشكال في أنه أسرع بإرجاع العائلة الثاكلة للمدينة المنورة مكرمة معززة، وفسح المجال لها لإقامة المآتم ومراسم العزاء بوجه مهيج للشعور ضده على الصعيد العام، وغض النظر عن تبعة ذلك عليه.

كما أنه أوصى مسلم بن عقبة صاحب وقعة الحرة بالإمام زين

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٤، ٨٥، ٨٧ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٤٨ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما. تاريخ دمشق ج:١٨ ص:٤٤٥ في ترجمة زحر بن قيس الجعفي. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٥ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. الأخبار الطوال ص:٢٦١ نهاية الحسين. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٣ ح:٢٩٧. مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٥٦. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٥ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢١٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٤١٧ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٤ في ترجمة الحسين الشهيد. تذكرة الخواص ص:٢٦٥. الأمالي للصدوق ص:٢٣٠. وغيرها من المصادر.

العابديـــن (صلـــوات الله عليه)[١]، وأعفـــاه من البيعة التـــي طلبها من أهل المدينة[٢]، حيث طلب منهم أن يبايعوا على أنهم عبيد ليزيد[٣].

---

(١) ســـير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٢٠ـ٣٢١ في ترجمة الحسين الشـــهيد. تاريخ الإسلام ج:٥ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين من الهجرة ص:٢١ مقتل الحسين، ص:٢٨ قصة الحرة. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٧٩ أحداث ســـنة ثلاث وســـتين من الهجرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٣٩، ٢٤١ أحداث سنة ثلاث وســـتين من الهجرة عن الحديث عن وقعة الحرة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٨٤ ذكـــر حرة واقم وما قتل فيها من المســـلمين. الكامـــل في التاريخ ج:٤ ص:١١٩ـ١٢٠ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة: ذكر وقعة الحرة. وغيرها من المصادر.

لكن قال المســـعودي: «ونظر الناس إلى علي بن الحسين الســـجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعـــو. فأتي به إلى مسرف، وهو مغتاظ عليه، فتـــبرأ منه ومن آبائه. فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه. وقال له: ســـلني حوائجك. فلم يســـأله في أحد ممن قدم للسيف إلا شفعه فيه، ثم انصرف عنه. وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتي به إليك رفعت منزلته. فقال: ما كان ذلك لرأي مني. لقد ملئ قلبي منه رعباً». مروج الذهب ج:٣ ص:٨٠.

(٢) تاريـــخ الطبري ج:٤ ص:٣٧٩ أحداث ســـنة ثلاث وســـتين من الهجرة. تاريخ الإســـلام ج:٥ ص:٢٨ الطبقة الســـابعة: حوادث سنة واحد وســـتين من الهجرة: قصة الحرة. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٨٤ ذكر حرة واقم وما قتل فيها من المسلمين. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١١١ـ١١٢ أحداث ســـنة ثلاث وســـتين من الهجرة: ذكر وقعة الحرة. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥١ في مقتل الحسين بن علي. مروج الذهب ج:٣ ص:٨٠ـ٨١ معركة حرة واقم. وغيرها من المصادر.

(٣) الإصابـــة ج:٦ ص:٢٣٢ في ترجمة مســـلم بن عقبة بن رباح. تهذيـــب التهذيب ج:١١ ص:٣١٦ في ترجمـــة يزيد بن معاوية بن أبي ســـفيان. فتح البـــاري ج:١٣ ص:٦٠، ٦١. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٧٩، ٣٨١ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١١٨ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة: ذكر وقعة الحرة. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٢٩، ٣٠ الطبقة السابعة: حوادث ســـنة واحد وســـتين من الهجرة: قصة الحرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٤٣ أحداث ستة ثلاث وســـتين من الهجرة. الإمامة والسياســـة ج:٢ ص:١٨٧ إخراج بني أميـــة عن المدينة وذكر قتال أهـــل الحرة. تاريخ خليفة بن خياط ص:١٨٣ أحداث ســـنة ثلاث وســـتين من الهجرة: أمر الحرة. تاريخ دمشـــق ج:٥٨ ص:١٠٥، ١٠٧، ١١٤ في ترجمة مســـلم بن عقبة. لسان الميزان ج:٦

وكل ذلك لابد أن يكون بسبب ردود الفعل المباشرة التي سبق الكلام فيها، والتي تكشف عن شدة وقع الجريمة في نفوس المسلمين، حيث شعر بخسارته في المعركة شعوراً فرض عليه الخروج في معالجة الموقف عن طبيعته في الطيش والعنجهية، التي بقيت معه في بقية الأحداث التي واجهته بعد فاجعة الطف، ومنها ردّه ببشاعة على أهل المدينة في واقعة الحرة، وعلى ابن الزبير في استحلال الحرم، ورمي مكة المكرمة والكعبة المعظمة بالمنجنيق.

قال ابن الأثير: «وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، ووصله وسرّه ما فعل. ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له، ولعنهم وسبهم. فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما علي لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري، وحكمته فيما يريد، وإن كان علي في ذلك وهن في سلطاني... لعن الله ابن مرجانة فإنه اضطره... فقتله، فبغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين. مالي ولابن مرجانة، لعنه الله، وغضب عليه»[1]. وقد روى مثل ذلك الطبري وغيره عن أبي عبيدة عن يونس بن حبيب[2].

محاولة ابن زياد التنصل من الجريمة وشعوره بالخطأ

كما يظهر أن ابن زياد أيضاً حاول أن يتنصل من قتل الإمام الحسين عليه السلام،

ص:٢٩٣ في ترجمة يزيد بن معاوية. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٨٢ ذكر حرة واقم وما قتل فيها من المسلمين. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥٠ في مقتل الحسين بن علي. النصائح الكافية ص:٦٢. معجم البلدان ج:٢ ص:٢٤٩ في (حرة واقم). وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٧ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٨٨. ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣١٧ في ترجمة الحسين الشهيد.

ويحمل عمر بن سعد تبعته. قال الطبري: «قال هشام: عن عوانة، قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر أين الكتاب الذي كتبت إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك. وضاع الكتاب. قال: لتجيئن به. قال: ضاع. قال: والله لتجيئني به. قال: ترك والله يقرأ على عجائز قريش، اعتذاراً إليهن بالمدينة. أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أديت حقه. قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله. والله لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل. قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله»[١]. وقد ذكر ابن الأثير أيضاً حديث عبيد الله بن زياد هذا مع عمر بن سعد من دون أن يذكر السند[٢].

وقالت مرجانة لابنها عبيد الله بن زياد: «يا خبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! لا ترى الجنة أبداً»[٣].

ويبدو شعور يزيد وابن زياد بسوء تبعة قتل الإمام الحسين عليه السلام عليهما مما

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٧ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: عند الكلام في مقتل الحسين عليه السلام، واللفظ له. ومثله في البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٢٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: فصل [بلا عنوان].

(٢) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٩٣ـ٩٤ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه.

(٣) تاريخ دمشق ج:٣٧ ص:٤٥١ في ترجمة عبيد الله بن زياد، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٦٥ أحداث سنة سبع وستين من الهجرة: ذكر مقتل ابن زياد. تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٣٠٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٥ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين من الهجرة: مقتل الحسين. البداية والنهاية ج:٨ ص:٣١٤ أحداث سنة سبع وستين من الهجرة: ترجمة ابن زياد. الوافي بالوفيات ج:١٢ ص:٢٦٥. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٨٨ ح:٣١١. وغيرها من المصادر.

رواه ابن أعثم مـــن أن يزيد حين علم إصرار ابن الزبير على الامتناع من بيعته أمهله، وأخـــذ يتأنى في أمره، ويقول لأصحابـــه: «ويحكم إني قتلت بالأمس الحســـين بن علي وأقتل اليوم عبد الله بن الزبير. أخاف أن تشعث عليّ العامة، ولا يحتمل ذلك لي، ويتنغص عليّ أمري»[١].

ومـــا ذكره غير واحد من أن يزيد لما كتب إلى ابـــن زياد يأمره بغزو ابن الزبير، قال ابن زياد: «لا أجمعهما للفاسق أبداً. أقتل ابن رسول الله ﷺ، وأغزو البيت»[٢].

موقف الحكام إذا أدركوا سوء عاقبة جرائمهم عليهم

وهذه هي الطريقة التي يجري عليها الحكام عموماً عندما يشعرون بخطأ مواقفهم، أو يرون ردود فعلها السيئة عليهم. حيث يحاولون أن يتنصلوا منها، ويحمّلوا عمالهم وأعوانهم تبعتها.

وربما أبعدوهم وعزلوهم. بل قد يعاقبونهم أو يقيدون منهم ويقتصون، إمعاناً في التنصل مما قاموا به.

لكن الذي يبدو أن شكر يزيد في نفسه لابن زياد على جريمته، وامتنانه

---

(١) الفتوح لابن أعثـــم ج:٥ ص:١٧٤ ابتداء حرب واقم وما قتل فيها من أولاد المهاجرين والأنصار والعبيد والموالي.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٧١ في أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة: واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٣٩ أحداث ســـنة ثلاث وســـتين من الهجرة عن الحديث عن وقعـــة الحرة. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١١١ـ١١٢ أحداث ســـنة ثلاث وســـتين من الهجرة: ذكـــر وقعة الحرة. وقريب منه في الأمالي للشـــجري ج:١ ص:١٦٤ الحديث الثامن: فضل الحسين بن علي عليهما السلام وذكر مصرعه وسائر أخباره وما يتصل بذلك.

منه، جعله يتريث في ذلك، حيث لم يظهر منه تبدل في موقفه من ابن زياد حتى مات.

موقف معاوية مما فعله بسر بن أرطاة

وبالمناسبة ذكر ابن أبي الحديد ما فعله بسر بن أرطاة في غارته بأمر معاوية على الحرمين وبلاد الحجاز عامة ونجد واليمن، وقتله ابني عبيد الله بن العباس وهما صبيان. ثم قال:

«وروى أبو الحسن المدائني قال: اجتمع عبيد الله بن العباس وبسر بن أرطاة يوماً عند معاوية بعد صلح الحسن عليه السلام. فقال له ابن عباس: أنت أمرت اللعين السيء الفدْم[1] أن يقتل ابني؟ فقال: ما أمرته بذلك. ولوددت أنه لم يكن قتلهما. فغضب بسر، ونزع سيفه فألقاه، وقال لمعاوية: اقبض سيفك. قلدتنيه وأمرتني أن أخبط به الناس، ففعلت. حتى إذا بلغت ما أردت قلت: لم أهوَ ولم آمر. فقال: خذ سيفك. فلعمري إنك ضعيف مائق حين تلقي السيف بين يدي رجل من بني عبد مناف قد قتلت أمس ابنيه. فقال له عبيد الله بن العباس: أتحسبني يا معاوية قاتلاً بسراً بأحد ابني؟! هو أحقر وألأم من ذلك. ولكني والله لا أرى لي مقنعاً ولا أدرك ثأراً إلا أن أصيب بهما يزيد وعبد الله. فتبسم معاوية وقال: وما ذنب معاوية وابني معاوية. والله ما علمت ولا أمرت، ولا رضيت ولا هويت. واحتملها منه لشرفه وسؤدده»[2].

---

(١) قال في لسان العرب: «الفدم من الناس: العيي عن الحجة والكلام، مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. وهو أيضاً الغليظ السمين الأحمق الجافي».

(٢) شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:١٧، ١٨. وقريب منه في أنساب الأشراف ج:٣ ص:٢١٦ غارة بسر بن أرطاة القرشي.

وقد جرى الخلف على سنن السلف، كما قال الشاعر:

نبني كمـا كانت أوائـلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وعلى كل حـــال فالذي يظهر بعد ملاحظة الأحـــداث والتدبر فيها أن الجريمة بأبعادها الواقعية والعاطفية قد أخذت موقعها في نفوس المســـلمين، وصارت صرخة في ضمائرهم ترعب الظالمين.

وإلا فمـــن غير الطبيعي أن يتراجع هذان الجباران المســـتهتران ـ مع ما هما عليه من الطيـــش والعنجهية ـ بهذه السرعة من دون أن يظهر أي وهن في قواهما المادية، أو التخلي منهما عن سياسة العنف والعنجهية في معالجة المشاكل الطارئة.

وقد صدق من قال: ما رأيت واقعـــة كواقعة الطف عضّ فيها المنتصر أنامله ندماً.

ويبدو أن مقام أهـــل البيت (صلوات الله عليهـــم) وفداحة مصيبتهم وآثارها الســـلبية على أعدائهم قد فرض نفسه على أرض الواقع حتى اضطر للاعتراف به أعداؤهم.

موقف عبد الملك بن مروان من الفاجعة

فمروان بن الحكم من ألدّ أعدائهم حتى إنه كان من المحرضين على قتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه)[1]، وأظهر الشماتة بقتله. حتى إنه قال حينما

(١) تاريـــخ الطبري ج:٤ ص:٢٥١، ٢٥٢ أحداث ســـنة ســـتين من الهجرة خلافة يزيـــد بن معاوية. وتقدمت بقية مصادره عند ذكر شـــواهد أمر يزيد بقتل الإمام الحســـين عليه السلام عند الكلام في انقلاب موقف السلطة من الحدث.

رأى رأس الإمام الحسين عليه السلام:

ضرب الدوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين[١]

لكن ابنه عبد الملك كتب إلى الحجاج حينما كان عاملاً له على الحجاز: «جنبني دماء آل بني أبي طالب. فإني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم»[٢].

مع وضوح أن يزيد لم يقتصر على واقعة الطف، بل أعقبها بواقعة الحرة بفظاعتها وبشاعتها، وبهتك حرمة الحرم ورمي الكعبة المعظمة بالمنجنيق. فنسبة عبد الملك انخذال بني حرب لخصوص واقعة الطف شاهد بما ذكرنا.

إدراك الوليد بن عتبة سوء أثر الجريمة على الأمويين

بل يظهر أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان قد أدرك ذلك من أول الأمر،

---

(١) تذكرة الخواص ص:٢٦٦ الباب التاسع في ذكر حمل الرأس إلى يزيد: ذكر الحسين عليه السلام.

(٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي ص:٤٠ مساوئ من عادى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:٧ ص:٢٣٣ ما قيل في عبد الملك وأخباره بعد مقتل ابن الزبير. مروج الذهب ج:٣ ص:١٧٦ ذكر أيام الوليد بن عبد الملك في رسالة أخرى من عبد الملك إلى الحجاج. العقد الفريد ج:٤ ص:٣٥٢ فرش كتاب العسجدة الثانية: تسمية من قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم ص:٣٦٦ ولاية عبد الملك بن مروان. الفصول المهمة ج:٢ ص:٨٦٣ الفصل الرابع في ذكر علي بن الحسين عليهما السلام. ينابيع المودة ج:٣ ص:١٠٧. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٩٢ ح:٣٢٩. سبل الهدى والرشاد ج:١١ ص:٧٨. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٣٠٤ وفاة علي بن الحسين. جواهر المطالب ج:٢ ص:٢٧٨ الباب الخامس والسبعون: تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام وأهل بيته ومن أسر منهم.

فهو لم يستجب ليزيد حينما أمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام إن لم يبايع. ولما عتب عليه مروان بن الحكم في ذلك لم يعتبه، بل أصرّ على موقفه. وقد بادر يزيد فعزله عن ولاية المدينة المنورة، كما سبق[١].

ولما سار الحسين عليه السلام إلى الكوفة كتب الوليد إلى ابن زياد: «أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق. وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله. فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء، فتهيج على نفسك وقومك في هذه الدنيا ما لا يسدّه شيء، ولا تنساه الخاصّة والعامّة أبداً مادامت الدنيا»[٢].

وربما نسب هذا الكتاب لمروان بن الحكم[٣]. لكن نفسية مروان ومواقفه ـ قبل قتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وبعده ـ لا تناسب ذلك.

وكيف كان فالكتاب المذكور يكشف عن إدراك كاتبه مسبقاً لشدة بشاعة الجريمة وأثرها السلبي على السلطة الغاشمة وبني أمية عامة.

موقف معاوية المسبق من الجريمة

ولعل ذلك هو الذي دعا معاوية إلى أن يوصي يزيد بالإمام الحسين عليه السلام

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥٤ أحداث سنة ستين من الهجرة. وتقدمت بقية مصادره عند ذكر شواهد أمر يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السلام عند الكلام في انقلاب موقف السلطة من الحدث.

(٢) بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٦٨، واللفظ له. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:٢٢١ الفصل الحادي عشر. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٧٨ ذكر مسير الحسين إلى العراق، إلا أن فيه بدل «أن تأتي إليه بسوء فتهيج» «أن تبعث إليه رسولاً فتفتح».

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤٢٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص:٦٢ ح:٢٨٣.

فيـــما رواه جماعة[١]. ففي رواية الطبري أنه قال له: «وأما الحســـين بن علي فإن أهل العـــراق لن يدعوه حتى يخرجوه. فإن خـــرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً»[٢].

وإلا فمعاويـــة قد قتل الإمام الحســـن (صلوات الله عليه) بالســـم[٣]، وشـــمت بموته[٤]. مع أن الإمام الحســـن عليه السلام يشـــارك الإمام الحسين عليه السلام في الرحم والحق، إن لم يزد عليه في معايير الحق عندهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦ أحداث ســـنة ســـتين من الهجرة: ذكر وفاة معاوية بن أبي ســـفيان. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٢٣ في أحداث سنة ســـتين من الهجرة النبوية. تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:١٨ وفاة معاوية. الأخبار الطوال ص:٢٢٦ موت معاوية. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٣٨ في أحداث سنة ستين من الهجرة.

(٣) الاســـتيعاب ج:١ ص:٣٨٩ـ٣٩٠ في ترجمة الحســـن بن علي بن أبي طالب. تاريخ دمشق ج:١٣ ص:٢٨٤ في ترجمة الحســـن بن علي بن أبي طالب. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٢٥٢ في ترجمة الحســـن بن علي بن أبي طالب. ســـير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٧٤ في ترجمة الحســـن بن علي بن أبي طالب. البداية والنهاية ج:٨ ص:٤٧ في أحداث ســـنة تسع وأربعين من الهجرة: في ذكر الحسن بن علي بن أبي طالب. مقتل الحسين للخوارزمي ج:١ ص:١٣٦ الفصل السادس. تذكرة الخواص ص:٢١١ الباب الثامن في ذكر الحســـن عليه السلام: ذكر وفاته عليه السلام. شرح نهج البلاغة ج:١٦ ص:١١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص:١٧٤. الإرشـــاد ج:٢ ص:١٦. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٠٢. وغيرها من المصادر.

(٤) الإمامة والسياســـة ج:١ ص:١٤٢ موت الحســـن بن علي رضي الله عنهما. العقد الفريد ج:٤ ص:٣٣١ فرش كتاب العســـجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: خلافة الحســـن بن علي. مقتل الحســـين للخوارزمي ج:١ ص:١٤٠ الفصل الســـادس. تاريخ الخميس ج:٢ ص:٢٩٤ ذكر وصية الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما. وفيات الأعيان ج:٢ ص:٦٦ـ٦٧ في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب. مروج الذهب ج:٣ ص:٩ أثر موت الحســـن رضي الله عنه على معاوية. تذكرة الخـــواص ص:٢١٤ الباب الثامن في ذكر الحســـن عليه السلام: ذكر وفاته عليه السلام. حياة الحيـــوان ص:١٠٨ في (الأوز). الأمالي للمرتضى ج:١ ص:٢٠٠ المجلس التاســـع عشر. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٠٣. وغيرها من المصادر.

على أن ابن عساكر روى ما يناسب إقرار معاوية ليزيد فيما حصل منه مع الإمام الحسين عليه السلام، حيث ذكر أنه قال له: «انظر حسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه أحب الناس إلى الناس. فصل رحمه، وارفق به يصلح لك أمره. فإن يك منه شيء فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه»[١].

إذ من الظاهر أن أهل الكوفة لا يكفونه أمر الإمام الحسين (صلوات الله عليه) إذا لم يأمرهم يزيد بذلك، ويستعين على تحقيقه بالترغيب والترهيب، فلو لم يكن معاوية راضياً به لم يكتف بتنبيه يزيد لموقفهم.

ويشبه ذلك ما رواه بعضهم في موقفه من أهل المدينة المنورة، حيث ورد أنه قال ليزيد: «إن لك من أهل المدينة يوماً. فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفت نصيحته»[٢].

---

(١) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٧ الطبقة السابعة: حوادث سنة واحد وستين من الهجرة: مقتل الحسين. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٥ أحداث سنة ستين من الهجرة ج:٨ ص:١٧٥ صفة مخرج الحسين إلى العراق. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٥ ح:٢٨٣. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٨٠ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١١٢ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة: ذكر وقعة الحرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٤٢ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة. تاريخ خليفة بن خياط ص:١٨٢ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة: أمر الحرة. تاريخ دمشق ج:٥٨ ص:١٠٤ في ترجمة مسلم بن عقبة بن رياح. فتح الباري ج:١٣ ص:٦٠. وغيرها من المصادر.

المقصد الثاني
في ثمرات فاجعة الطف وفوائدها

المقصد الثاني
في ثمرات فاجعة الطف وفوائدها

والــكلام.. **تارة**: فيما جناه دين الإســلام العظيم مــن ثمرات النهضة المباركة التي انتهت بالفاجعة.

وأُخرى: في العِبَر التي تســتخلص من هذه النهضة الشريفة، لينتفع بها المعتبرون. ولاسيما الذين يهتمون بالصالح العام.

وذلك في فصلين:

الفصل الأول
فيما جناه الدين من ثمرات فاجعة الطف

وهذا هو المنظور الأول للإمام الحسين (صلوات الله عليه). وهو الذي يرتفع به إلى منزلة القديسين، وبه صار ثار الله عز وجل[1].

الهدف الأول للإمام الحسين عليه السلام

فإنه (صلوات الله عليه) مهــما تمتع به من مؤهلات ومثالية، هي مدعاة للفخــر والاعتزاز، ودليل على ســمو الذات ـ كإباء الضيــم، وقوة الإرادة،

(١) تقدمت مصادره في آخر الفصل الأول في أبعاد فاجعة الطف وعمقها.

ووحدة الموقف، والشجاعة، والصبر، والسخاء، والشرف، وغير ذلك ـ فهو فوق كل ذلك عبد لله عز وجل، فانٍ في ذاته تعالى، وصاحب رسالة قد حمّله الله سبحانه إياها، وائتمنه عليها.

وقد تحمل عليه السلام مسؤولية حفظها ورعايتها وخدمتها. فيلزمه النظر فيما يصلحها، وبذل كل إمكانياته ومؤهلاته في سبيل ذلك. ولها الأولوية عنده على كل شيء.

ولذا نرى ذلك الشخص الأبي، والذي وقف من يزيد ذلك الموقف الصلب ـ مع علمه بأنه يؤدي إلى تلك التضحيات الجسيمة ـ قد صبر عشرين عاماً على مضض، ولم يحرك ساكناً مع معاوية، مع أنه قد نقض العهد، وتجاوز الحدود، وانتهك حرمته عليه السلام، وحرمة أهل بيته وشيعته، وحرمة الدين الذي كان (صلوات الله عليه) مسؤولاً عنه وعن رعايته.

كل ذلك لأن مصلحة دين الإسلام العظيم الذي كان الإمام الحسين (صلوات الله عليه) مسؤولاً عنه قد فرضت عليه في كل ظرف الموقف المناسب له مهما كلفه من متاعب ومصائب ومآسٍ وفجائع.

فنحن نقدس الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ونشيد بموقفه في حفظ الدين قبل أن نشيد بإبائه للضيم وشجاعته وصبره وصلابة موقفه وتضحيته الكبرى نتيجة ذلك. بل لا نشيد بهذه الأمور منه عليه السلام كإمام إلا من أجل أنها صارت وسيلة لخدمة قضيته، وأداء منه لأمانته إزاء الدين، التي تحملها عليه السلام بإخلاص.

وهكذا الحال في جميع الأئمة من أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وإن اختلفت المواقف، تبعاً لاختلاف الظروف. فمواقفهم جميعاً (صلوات

الله عليهم) ليست كيفية، ولا مزاجية، ولا انفعالية، بل هي مواقف حكيمة ـ بتسديد من الله عز وجل ـ لخدمة القضية الكبرى، وقياماً بمقتضى الأمانة التي حُمّلوها إزاء الدين، قد يظهر لنا وجه الحكمة في بعضها، وقد يخفى علينا في بعضها.

ونعود للحديث عما كسبه الدين الحنيف من نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه). فنقول:

بعدما سبق من أن نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) كانت بأمر من الله تعالى، وبتسديد منه، فلابد أن يكون الهدف منها مصلحة للدين ـ الذي هو أهم شيء عند الله عز وجل ـ تناسب حجم التضحية.

ومن ثم كان ذلك هو المتسالم عليه عند شيعة أهل البيت (أعز الله دعوتهم)، حتى قال شاعرهم بعد أن تعرض لتحلل يزيد واستهتاره:

وأصبح الدين منه يشتكي سقماً ... وما إلى أحد غير الحسين شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً ... إلا إذا دمه في نصره سفكا
وما رأينا عليلاً لا شفاء له ... إلا بنفس مداويه إذا هلكا
بقتله فاح للإسلام نشر هدى ... فكلما ذكرته المسلمون ذكا

وقد تضمنت زياراته (صلوات الله عليه)، وزيارات أصحابه عليهم السلام معه التي وردت عن الأئمة (صلوات الله عليهم) ما يناسب ذلك، حيث تكرر فيها التعبير بأنهم أنصار الله عز وجل وأنصار دينه ورسوله. ووضوح ذلك يغني عن إطالة الكلام فيه.

والذي يهمنا هنا هو التعرف على طبيعة الخدمة التي أداها الإمام الحسين

(صلوات الله عليه) للدين الحنيف، وتشخيص الخطر الذي دفعه عليه السلام عنه بنهضته المباركة وتضحياته الجسيمة.

فإن من الظاهر أن النهضة المباركة لم تمنع من استمرار العمل على نظام ولاية العهد في الخلافة من دون مراعاة أهلية المعهود له، واستمر ما سنّه معاوية في دول الإسلام المتعاقبة حتى تمّ إلغاء الخلافة في العصور القريبة.

وإذا كان كثير من المسلمين قد استنكروا على معاوية ـ في وقته ـ فتح هذا الباب، فإنهم قد سكتوا عمن بعده، وتعاملوا مع النظام المذكور كأمر واقع. بل أقرّ فقهاء الجمهور الخلافة المبتنية عليه، كما أقروا خلافة الأولين.

كما أن النهضة الشريفة قد جرّأت الأمويين على الدماء، كما توقع الإمام الحسين عليه السلام نفسه وبعض من نصحه بعدم الخروج، على ما تقدم[1]. وجرى على ذلك من بعدهم من الحكام في الدول المتعاقبة.

ومن الظاهر أيضاً أن النهضة الشريفة لم تخفف من غلواء السلطات المتعاقبة باسم الإسلام في الظلم والطغيان، والأثرة والتعدي، وانتهاك الحرمات العظام، والخروج عن أحكام الله عز وجل في مختلف المجالات.

وكذلك لم تمنع هذه النهضة من اختلاف المسلمين وتفرقهم وتناحرهم، وانتهاكهم للحرمات وتدهور أوضاعهم وتسافلها، حتى انتهى بهم الأمر على ما هم عليه اليوم من الوهن والهوان.

كما أن من القريب جداً أنه لو ابتلي المسلمون بعد ذلك بمثل واقعة الطف

---

(١) تقدمت مصادره في الفصل الأول عند الكلام في أبعاد الفاجعة وعمقها، وأن الإمام الحسين عليه السلام هو الرجل الأول في المسلمين.

في الظروف والمقارنات وانتهاك الحرمات لم يخرجوا منها بأحسن مما خرجوا في الواقعة المذكورة، بل قد يزيدون عليه إجراماً وبشاعة.

بل تسببت فاجعة الطف التي ختمت بها هذه النهضة عن ردود فعل ومضاعفات زادت في عمق الخلاف بين شيعة أهل البيت وكثير من الجمهور، وأريقت بسببها أنهار من الدماء، وانتهكت كثير من الحرمات.

وإلى ذلك يشير زهير بن القين رضي الله عنه في خطبته قبيل المعركة، حيث قال: «يا أهل الكوفة نذارِ لكم من عذاب الله نذارِ. إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم. ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل. فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أمة وأنتم أمة...»[1].

كما أن هذه النهضة لم تقف حاجزاً دون تدهور المجتمع الإسلامي دينياً وخلقياً، بشرب الخمور، وظهور الفجور، واستعمال الملاهي، وأكل الحرام والجرأة على الدماء... إلى غير ذلك.

وعلى ذلك لابد من كون المكاسب الشريفة التي حصل عليها الدين الحنيف بسبب هذه النهضة العظيمة أموراً لا تتنافى مع كل ذلك. بل هي من الأهمية بحيث تناسب حجم التضحية، وتهون معها هذه الأمور. وتأتي محاولتنا هذه للتعرف على تلك المكاسب وتقييمها.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٢٣ـ٣٢٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٩٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن. وغيرها من المصادر.

والناظـــر في تراث أهل البيت (صلـــوات الله عليهم) يجد منهم التركيز عـــلى رفعة مقام الإمام الحســـين (صلـــوات الله عليه)، وعلى شـــدّة ظلامته، وفداحة المصاب به، وإبراز الجوانب العاطفية في الواقعة. وعلى عظم الجريمة في نفســـها، وشـــدة النكير على القائمين بها، وكل من له دخل فيها من قريب أو بعيد، وخبثهم وســـوء منقلبهم ونحو ذلك، مما يرجـــع إلى الإنكار عليهم ومحاولة التنفير منهم.

كل ذلك مع التأكيد المكثف على أهمية إحياء الفاجعة، وتحري المناسبات للتذكير بها بمختلف الأساليب. من دون تركيز على الجهة التي نحن بصددها.

غاية الأمر أنه تقدم عن الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) ما يدل على أن نتيجة نهضته وشـــهادته هي الفتح[١]، كما تقدم عـــن الإمام زين العابدين (صلـــوات الله عليه) ما يدل على أن بقاء الصلاة شـــاهد عـــلى انتصار الإمام الحســـين (عليه الصلاة والســـلام)[٢] من دون أن يوضحا عليهما السلام منشـــأ الفتح والشهادة المذكورين.

الزيارات المتضمنة أن الهدف إيضاح معالم الدين

نعم ورد في إحدى زيارات الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) المروية عن الإمام الصـــادق (صلوات الله عليه) قوله عنـــه عليه السلام: «فأعذر في الدعاء، وبذل مهجته فيك، ليســـتنقذ عبادك من الضلالة والجهالة والعمى والشـــك والارتياب إلى باب الهدى من الردى»[٣].

---

(١)، (٢) تقدمت مصادره عند الكلام في ثمرات الفاجعة في أواخر المقدمة.

(٣) كامل الزيارات ص:٤٠١، واللفظ له. تهذيـــب الأحكام ج:٦ ص:٥٩. المزار للمفيد ص:١٠٨.

وفي زيارته عليه السلام في يوم الأربعين عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة...»[١]. وقريب منه ما ورد في زيارته عليه السلام ليلة عيد الفطر وفي عيد الأضحى[٢].

وذلك صريح في أن الهدف من النهضة الشريفة هو التعريف بالدين على حقيقته، وإيضاح معالمه، ووضوح الحجة عليه، ورفع الارتياب والحيرة فيه، بِغضّ النظر عن تطبيقه عملياً في الواقع الإسلامي أو عدمه.

وقد يناسب ذلك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث له مع أُبيّ بن كعب، من أنه قال له: «إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، فإنه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح الهدى، وسفينة النجاة...»[٣].

فإن الأئمة (صلوات الله عليهم) وإن كانوا كلهم هداة لدين الله تعالى وسفن نجاة الأمة، إلا أن تخصيص الإمام الحسين عليه السلام بذلك يناسب تميزه في هداية الناس، ونجاتهم من هلكة التيه والحيرة والضلال.

كما ورد عن الإمام الحسين نفسه (صلوات الله عليه) أنه ذكر في كلام له طويل دواعي خروجه وتعرضه للقتل، وقال في آخره: «...﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ

وغيرها من المصادر.

(١) مصباح المتهجد ص:٧٨٨، واللفظ له. تهذيب الأحكام ج:٦ ص:١١٣. إقبال الأعمال ج:٣ ص:١٠٢. وغيرها من المصادر.

(٢) مصباح الزائر ص:٣٣٢. المزار لمحمد بن المشهدي ص:١٦٠. بحار الأنوار ج:٩٨ ص:٣٥٤.

(٣) بحار الأنوار ج:٣٦ ص:٢٠٥. واللفظ له. عيون أخبار الرضا ج:٢ ص:٦٢. كمال الدين وتمام النعمة ص:٢٦٥. وغيرها من المصادر.

عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾»[١].

وربما تشـــير إلى ذلك العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السلام فيما تقدم من قولها في أواخر خطبتها ـ في التعقيب على الأبيات التي أنشـــدها يزيد متشفياً، وهو ينكت ثنايا الإمام الحسين عليه السلام بمخصرته ـ: «فكد كيدك، واسع ســـعيك، وناصب جهدك. فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا...»[٢].

وذلك يكشف عن أن دين الإســـلام الخاتم للأديان قد تعرض بسبب انحراف السلطة لخطر التحريف والتشـــويه، بحيث تضيع معالمه، ولا يتيسر الوصـــول والتعرف عليه لمن يريد ذلك، كما حصل في الأديان الســـابقة، وأن الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والســـلام) قد واجه ذلك الخطر، ودفعه بنهضته المقدسة، وما استتبعها من تضحيات جسام.

أهمية بقاء معالم الدين ووضوح حجته

ومـــن الظاهر أن ذلك من أهمّ المقاصـــد الإلهية، فإن الله عز وجل لابد أن يوضـــح الدين الحق، ويتم الحجة عليه، ليتيسر لطالب الحق الوصول إليه، والتمسك به، و﴿**لِيهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[٣].

وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِـــلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى**

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٤٢.

(٢) راجع ملحق رقم (٤).

(٣) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

﴿يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٣]... إلى غير ذلك.

تميز الإسلام بما أوجب إيضاح معالمه وبقاء حجته

وحقيقة الأمر: أن ذلك لم يستند لنهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وحدها، بل هو نتيجة أمرين امتاز بهما دين الإسلام العظيم:

الأول: بقاء القرآن المجيد في متناول المسلمين جميعاً، واتفاقهم عليه، وحفظ الله عز وجل له من الضياع على عامّة الناس، ومن التحريف، كما حصل في الكتب السماوية الأخرى.

الثاني: جهود جميع الأئمة من أهل البيت (صلوات الله عليهم). فإنهم لما أقصوا عن مراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها، نتيجة انحراف مسار السلطة في الإسلام، تعرض دين الإسلام القويم لخطر التحريف والتشويه والضياع، كما تعرضت لذلك جميع الأديان. فكان مقتضى ائتمان الله تعالى لهم عليهم السلام على الدين، وجعلهم رعاة له أن يتحملوا مسؤوليتهم في درء الخطر المذكور.

فجدّوا وجهدوا في إيضاح الدين الحق، وإقامة الحجة عليه، بحيث لا يضيع على طالبه، رغم المعوقات الكثيرة، والجهود المضادة من قبل السلطات المتعاقبة وأتباعها.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١١٥.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٥.

(٣) سورة النساء الآية: ١٦٥.

وقد تظافرت جهودهم عليهم السلام في خطوات متناسقة حققت هذا الهدف العظيم على النحو الأكمل، على ما سوف يظهر في محاولتنا هذه إن شاء الله تعالى.

غاية الأمر أن لنهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) التي انتهت بفاجعة الطف ـ بأبعادها المتقدمة ـ أعظم الأثر في ذلك، على ما سيتضح بعون الله عز وجل.

ما يتوقف عليه بقاء معالم الدين الحق ووضوح حجته

هذا وقيام الحجة على الدين الحق ووضوح معالمه، مع ما مني به الإسلام ـ كسائر الأديان ـ من الخلاف بين الأمة وتفرقها، وشدة الخصومة والصراع بينها، يتوقف..

أولاً: على وجود مرجعية في الدين سليمة في نفسها متفق عليها بين جميع الأطراف تنهض بإثبات الحق، والاستدلال عليه.

و**ثانياً**: على وجود فرقة ظاهرة تدعو إلى الحق، وتنبه الغافل. لوضوح أنه مع الغفلة المطلقة لا يكفي وجود الدليل في قيام الحجة ورفع العذر في حق الجاهل والمخطئ.

والظاهر أن لنهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) أعظم الأثر في كلا هذين الأمرين الدخيلين في قيام الحجة على الحق ووضوحه، كما يتضح مما يأتي من الحديث عمّا جناه دين الإسلام العظيم من ثمرات هذه النهضة المباركة والملحمة الإلهية المقدسة.

إذا عرفت هذا فالكلام..

تارة: فيما كسبه الإسلام بكيانه العام.

وأُخرى: فيما كسبه الإسلام الحق المتمثل بخط أهل البيت (صلوات الله عليهم) الذين جعلهم الله تعالى ورسوله مع الكتاب المجيد مرجعاً للأمة يعصمها من الضلال. وهو مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (رفع الله تعالى شأنه). فهنا مطلبان:

المطلب الأول

فيما كسبه الإسلام بكيانه العام

تمهيد:

شرع الله عز وجل الأديـــان جميعاً لتؤدي دورهـــا في إصلاح البشرية، وتقويم مسيرتها، في الفترة الزمنية التي يشرع فيها الدين.

يجب بقاء الدين الحق واضح المعالم ظاهر الحجة

وحيث كان المشرع للدين هـــو الله عز وجل الحكيم الأكمل، ذو العلم المطلق، المحيط بكل شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فمـــن الطبيعي أن يكون الدين الذي يشرعه في فترة زمنية معينة، ويفرض على عباده الالتزام به في تلك الفترة، واجـــداً تشريعياً لمقومات بقائه واضح المعالم مســـموع الدعوة ظاهر الحجة ﴿**لِيهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[1]، بحيث يكون الخروج عنه خروجاً بعد البيان والحجة، كما قال عز من قائل: ﴿**وَمَـــا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ**﴾[2]، لئلا يقولوا: ﴿**رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَـــلْتَ إِلَيْنَا رَسُـــولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِـــكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ**

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

(٢) سورة التوبة الآية: ١١٥.

﴿وَنَحْزَى﴾[١].

لابد من رعاية المعصوم للدين

وذلك لا يكـــون إلا بأن يكون الأمين على الدين، والمرجع للأمة فيه في فترة تشريعه معصوماً لا يزيغ عن الدين، ولا يخطأ فيه، نبياً كان أو وصياً لنبي.

وعلى ذلك جرت الأديان الســـماوية فيما روي عن النبي والأئمة من آله (صلوات الله عليهم أجمعين) مستفيضاً، بل متواتراً.

وروى الجمهور كثيراً من مفردات ذلك في الأديان الســـابقة[٢]. بل ورد في بعض روايات الجمهور أن الله ســـبحانه وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام: «إني قد استكملت نبوتك وأيامك، فانظر الاسم الأكبر وميزان علم النبوة فادفعه إلى

---

(١) سورة طه الآية: ١٣٤.

(٢) مجمع الزوائد ج:٩ ص:١١٣ كتاب المناقـــب: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: باب فيما أوصى به رضي الله عنه. فضائل الصحابة لابن حنبـــل ج:٢ ص:٦١٥ ومن فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شـــيوخه غير عبد الله. تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٢٧١ في ترجمة شيث ويقال شيث بن آدم واسمه هبة الله، ج:٥٠ ص:٩ في ترجمة كالب بن يوقنا بن بارص، ج:٦١ ص:١٧٥ في ترجمة موسى بن عمران بن يصهر، ج:٦٢ ص:٢٤١ في ترجمة نوح بن لمك بن متوشـــلخ. تهذيب الأســـماء ج:١ ص:٢٣٦. مســـائل الإمام أحمد ج:١ ص:١٢ ذكر ترتيب كبار الأنبياء. العظمة ج:٥ ص: ١٦٠٢، ١٦٠٤. المعجم الكبير ج:٦ ص:٢٢١ في ما رواه أبو ســـعيد عن سلمان رضي الله عنه. تفسير القرطبي ج:٦ ص:١٤٠، ج:١٥ ص:١١٥. تفســـير البغوي ج:٢ ص:٣٠، ٣١. تفسير الطبري ج:٢ ص:٨٠٨. الدر المنثور ج:١ ص:٣١٤. الطبقات الكبرى ج:١ ص: ٣٧، ٣٨، ٤٠ ذكر من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مـــن الأنبياء. تاريـــخ الطـــبري ج:١ ص:١٠٢، ١٠٣ ذكر ولادة حواء شـــيثاً، ص:١٠٧، ١١٠، ١١١ ذكر وفـــاة آدم عليه السلام، ص:٣٢٢، ٣٢٤ ذكر أمر بني إسرائيل والقوم الذين كانوا بأمرهم، ج:٢ ص:٣١ـ٣٢ ذكر نسب رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده. الكامل في التاريخ ج:١ ص:٤٧ ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام في الدنيا: ذكر ولادة شيث. وغيرها من المصادر.

ابنك شيث، فإني لم أكن لأترك الأرض إلا وفيها عالم، يدل على طاعتي، وينهى عن معصيتي»[١].

وهو عين ما يبتني عليه مذهب الإمامية الاثني عشرية ـ رفع الله تعالى شأنه ـ من أن الأرض لا تخلو من إمام وحجة، تبعاً لما استفاض ـ بل تواتر ـ عن النبي والأئمة من آله (صلوات الله عليهم أجمعين)[٢].

ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها أهل حقها

إلا أن الأديان جميعاً قد ابتليت بالاختلاف بعد أنبيائها. ومن الطبيعي ـ إذا لم تتدخل العناية الإلهية بوجه خاص ـ أن يكون الظاهر في آخر الأمر هو الباطل، وتكون الغلبة والسلطة له..

أولاً: لأن مبدئية صاحب الحق المعصوم تجعله يحمل الناس على مرّ الحق، ولا يهادن فيه، وذلك يصعب على أكثر الناس، كما قال الإمام الحسين (صلوات الله عليه): «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه

---

(١) العظمة ج:٥ ص:١٦٠٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ج:١ ص:١٢ في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. حلية الاولياء ج:١ ص:٨٠ في ترجمة علي بن أبي طالب. تذكرة الحفاظ ج:٢٤ ص:٢٢١ في ترجمة كميل بن زياد بن نهيك. كنز العمال ج:١٠ ص:٢٦٣ ـ ٢٦٤ ح:٢٩٣٩١. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:١٨ في ترجمة الحسين بن أحمد بن سلمة، ج:٥٠ ص:٢٥٤ في ترجمة كميل بن زياد بن نهيك. المناقب للخوارزمي ص:٣٦٦ الفصل الرابع والعشرون في بيان شيء من جوامع كلمه وبوالغ حكمه. ينابيع المودة ج:١ ص:٨٩. جواهر المطالب ج:١ ص:٣٠٣. وغيرها من المصادر.

وأما المصادر الشيعية: فقد رويت في نهج البلاغة ج:٤ ص:٣٧ ـ ٣٨، والمحاسن ج:١ ص:٣٨، وبصائر الدرجات ص:٥٧، والإمامة والتبصرة ص:٢٦، والكافي ج:١ ص:١٧٨، ١٧٩، والخصال للصدوق ص:٤٧٩، وكمال الدين وتمام النعمة ص:٢٢٢، ٣١٩، ٤٠٩، ٤٤٥، ٥١١، وكفاية الأثر ص:١٦٤، ٢٩٦، وبحار الأنوار ج:٢٣ ص:١ ـ ٦٥، وغيرها من المصادر.

ما درت معايشـــهم، فإذا محصـــوا بالبلاء قلّ الديانـــون»[١]. وحينئذٍ يخذلونه ويتفرقون عنه. بل كثيراً ما يتحزبون ضده.

وثانيـــاً: لأن مبدئية المعصوم تمنعه من ســـلوك الطـــرق الملتوية، وغير المشروعة، والمنافية للمبادئ الإنســـانية السامية، في صراعه مع الباطل. وهي نقطة ضعف مادية فيه، كثيراً ما يســـتغلها الطرف المبطل في الصراع، ويقوى بسببها، فيغلب المحق، ويظهر عليه.

وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلـــة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعهـــا رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[٢].

ولعله لذا ورد أنه ما اختلفت أمـــة بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها أهل حقها[٣].

---

(١) بحـــار الأنـــوار ج:٤٤ ص:٣٨٣. وتقدمت بقية مصـــادره في المقدمة عند التعـــرض لتنبيه الإمام الحسين عليه السلام لظلامته حين وصوله كربلاء.

(٢) نهـــج البلاغـــة ج:١ ص:٩٢، واللفظ له. ربيع الأبرار ج:٤ ص:٣٤٢ باب الوفاء وحســـن العهد ورعاية الذمم. التذكرة الحمدونية ج:٣ ص:١ الباب الســـابع في الوفاء والمحافظة والأمانة والغدر والملل والخيانة.

(٣) مجمع الزوائد ج:١ ص:١٥٧ كتاب العلم: باب في الاختلاف، واللفظ له. المعجم الأوســـط ج:٧ ص:٣٧٠. فيـــض القدير ج:٥ ص:٤١٥. حليـــة الأوليـــاء ج:٤ ص:٣١٣. تذكرة الحفاظ ج:١ ص:٨٧ في ترجمة الشـــعبي. ســـير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٣١١ في ترجمة الشعبي. تاريخ الإسلام ج:٧ ص:١٣١ في ترجمة عامر بن شرحبيل الشعبي. ذكر من اسمه شعبة ص:٦٨. كنز العمال ج:١ ص:١٨٣ ح:٩٢٩. الجامع الصغير للسيوطي ج:٢ ص:٤٨١ ح:٧٧٩٩. وقعة صفين ص:٢٢٤. ينابيع المودة ج:٢ ص:٨٠. وغيرها من المصادر.

استغلال السلطة المنحرفة الدعوة ومبادئها لصالحها

ونتيجة لذلك يستولي أهل الباطل، ويتخذون الدين ذريعة لخدمة مصالحهم وسلطانهم، ولتبرير نزواتهم، وإشباع شهواتهم، ولو بتحريفه عن حقيقته والخروج عن حدوده، لأن لهم القوة والسطوة، وبيدهم التثقيف والدعاية والإعلام.

ومن ثم كان منشأ التحريف في الدين غالباً هو تحكم غير المعصوم فيه من سلطان مبطل، أو مؤسسة منسقة مع السلطان المذكور.

بل ذلك هو منشأ التحريف في جميع الدعوات والأنظمة التي تتبناها الجهات المتنفذة والقوى الحاكمة، حيث تتخذ منها أداة لتقوية نفوذها، وتركيز حكمها وسلطانها، ولو على حساب الأسس التي تقوم عليها تلك الدعوات والأنظمة والتعاليم التي تتبناها.

كما يتضح ذلك بأدنى نظرة في واقع الأنظمة والدعوات التي تبنتها الدول والحكومات عبر التاريخ الطويل، وحتى عصرنا الحاضر. حيث لا نجد دعوة حق أو باطل قامت على أساسها دولة في ظل غير المعصوم بقيت محافظة على أصالتها ونقائها، وعلى تعاليمها ومفاهيمها التي أسست عليها.

غلبة الباطل لا توجب ضياع الدين الحق وخفاء حجته

لكن الله عز وجل قد أخذ على نفسه أن يتم الحجة على الحق، كما سبق. بل هو اللازم عليه بمقتضى عدله وحكمته.. **أولاً**: لقبح العقاب بلا بيان. **وثانياً**: لعدم تحقق حكمة جعل الدين وإلزام الناس به إلا بوصوله وقيام الحجة عليه.

وحينئذ لابد من كون غلبة الباطل وتسلطه بنحو لا يمنع من قيام الحجة على بطلان دعوته، وصحة دعوة الحق، بحيث تنبه الغافل لذلك، وتقطع عذر الجاهل.

كما لابد أن تبقى الدعوة المحقة التي يرعاها المرجع المعصوم شاخصة ناطقة، بحيث لو طلبها من شاء من أهل ذلك الدين وغيرهم، ونظر في حجتها بموضوعية تامة، بعيداً عن التعصب والعناد، لوصل إليها.

ونتيجة لذلك لابد من كون الخلاف للحق، والخروج عنه ليس لقصور في بيانه وخفاء فيه، بل عن تقصير من الخارج بعد البينة، وقيام الحجة الكافية على الحق.

كما قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٣.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٥.

﴿إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾[١].

وفي حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[٢]... إلى غير ذلك.

---

(١) سورة طه الآية: ١٣٤.

(٢) مسند أحمد ج:٤ ص:١٢٦ حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وآله، واللفظ له. تفسير القرطبي ج:٧ ص:١٣٨ـ١٣٩. سنن ابن ماجة ج:١ ص:١٦ باب اتباع الخلفاء الراشدين المهديين. المستدرك على الصحيحين ج:١ ص:٩٦ كتاب العلم. السنة لابن أبي عاصم ج:١ ص:١٩، ٢٦، ٢٧. المعجم الكبير ج:١٨ ص:٢٤٧ في ما رواه عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية، ص:٢٥٧ في ما رواه حبير بن نفير عن العرباض. مسند الشاميين ج:٣ ص:١٧٣. الترغيب والترهيب للمنذري ج:١ ص:٤٧. مصباح الزجاجة ج:١ ص:٥ كتاب اتباع السنة. وغيرها من المصادر الكثيرة.

روى الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن الديلمي هذا الحديث كما يلي: «قال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: لقد تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدها إلا هالك. ومن يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي، وسنة الخلفاء الراشدين من أهل بيتي، فعضوا عليهم بالنواجذ، وأطيعوا الحق ولو كان صاحبه عبداً حبشياً، فإن المؤمن كالجمل الألوف حيثما قيد استقاد». إرشاد القلوب ج:١ ص:٣٧ الباب الخامس: في التخويف والترهيب.

أما مصادر الجمهور فقد تضمنت الحديث المذكور بتمامه بألفاظ متقاربة. وفيه: «فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي وسنة الخلفاء الراشدين فعضوا عليها بالنواجذ...» وقد حذف منه: «من أهل بيتي».

ولا ينبغي الإشكال في حذف ذلك تحريفاً للحديث الشريف. أو أنه كان مستغنىً عنه، لكون اختصاص الخلفاء الراشدين بأهل البيت (صلوات الله عليهم) كان معلوماً واضحاً في عهده صلى الله عليه وآله لآية التطهير وحديث الثقلين والغدير وغيرها من الآيات والنصوص الكثيرة الدالة على مرجعيتهم عليهم السلام للأمة في دينها.

فإن حديث العرباض هذا قد تضمن التنبيه لحدوث الاختلاف بعده صلى الله عليه وآله، وأن سنة

. . . . . .

الخلفاء الراشـــدين هي أحد المرجعين عند الاختلاف. فلابد من وضوح المرجعين معاً عند حصول الاختلاف، ليتضح الحق بســـببهما، ويكونا أماناً من الضلال، وسبباً في هلاك الزائغ عن الحجة الواضحة.

ومـــن الظاهر أن الخلاف بدأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، وأول شيء وقع الخلاف فيه هو أمر الخلافة وتعيين الخليفة بعده صلى الله عليه وآله. فلو لم يكن الخلفاء الراشـــدون حينئذٍ معلومين لم يكن لهم أثر في وضوح الحق عند الاختلاف.

ولا مجال ـ بلحاظ ما ذكرنا ـ لحملهم على الخلفاء الراشـــدين بالاصطلاح الذي اســـتقر عليه أخيراً عامة الجمهور، لعدم وجودهم حين الاختلاف، بل وقع الخلاف بين المســـلمين في معيار الخلافة الراشـــدة، كما بقي الخلاف بين الأمة في ذلك، ولم يكمل عددهم إلا بعد أن اســـتحكم الخلاف وافترقت الأمة وأريقت الدماء بحد قد يبلغ التكفير، فلا يصلحون لأن يكونوا معياراً لإيضاح الحق عند حصول الاختلاف.

ويؤيد ما ذكرنا أمور:

الأول: ما في رواية للطبراني بسنده عن العرباض بن سارية نفسه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فوعـــظ الناس ورغبهم وحذرهم وقال ما شـــاء الله أن يكون وقال: «اعبدوا الله ولا تشركـــوا به شـــيئاً، وأطيعوا من ولاّه أمركـــم ولا تنازعوا الأمر أهله وإن كان عبداً أســـود وعليكم بما تعرفون من سنة نبيكم والخلفاء الراشدين، وعضوا عليها بالنواجذ...». المعجم الكبير للطبراني ج:١٨ ص: ٢٤٨.

فإنـــه صريح في أن للأمر أهلاً ولاهم الله عز وجل إياه، وأنه ليس لهم أن ينازعوهم ذلك الأمر، بل عليهم أن ينقادوا لهم، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين يجب الاستنان بسنتهم، وأن يعضوا بالنواجذ كسنة النبي صلى الله عليه وآله. مع إجماع الجمهور على أن الخلفاء الراشدين باصطلاحهم لم يعينهم الله تعالى، وإنما صاروا خلفاء ببيعة الناس لهم.

الثاني: ما رواه شيعة أهل البيت عن النبي صلى الله عليه وآله من إطلاق الأئمة الراشدين على أئمة أهل البيت (صلـــوات الله عليهم)، كما رواه الخزاز القمي وابن عياش الجوهري عن أبي ســـعيد الخدري، قال: «صلى بنا رســـول الله صلى الله عليه وآله الصلاة الأولى، ثم أقبل بوجهه الكريم علينا، فقال: يـــا معاشر أصحابي إن مثل أهل بيتي فيكم مثل ســـفينة نوح وباب حطـــة في بني إسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتي بعدي الأئمة الراشدين من ذريتي، فإنكم لن تضلوا أبداً. فقيل يا رسول

. . . . . .

الله كم الأئمة بعدك؟ قال: اثنا عشر من أهل بيتي، أو قال: من عترتي» كفاية الأثر ص:٤٧٥، مقتضب الأثر ص:٩ من المقدمة، **ونحوه في ذلك ما روي عن واثلة بن الأسفع وعمار**. كفاية الأثر ص:١١٠، ١٢٠.

الثالث: أن وصف الأئمة بالراشدين قد شاع في تراث أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في الأدعية والزيارات وغيرها مما ورد عنهم. لاحظ الكافي ج:٣ ص:٤٧٧، ومن لا يحضره الفقيه ج:١ ص:٣١٩، وكامل الزيارات ص:٣٢٦، ٣٢٨، ٤٧٥، وكفاية الأثر ص:٣٣ـ٣٤، ١١٠ـ١١١، ١٢٠ـ١٢١، وغيرها من المصادر الكثيرة.

ولم يظهر في تراث الجمهور في العهود الأولى حتى ما ورد منه في مقام احترام الخلفاء الأولين والحث على الأخذ بسيرتهم، والاستنان بسنتهم. ففي الشورى اشترط في البيعة الأخذ بسيرة أبي بكر وعمر، من دون أن يشار لكونهما خليفتين راشدين.

وحاول معاوية التشنيع على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بموقفه السلبي من الخلفاء الثلاثة الأولين من دون أن يشير لذلك. شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٤٧، وقعة صفين ص:٨٧، **مع أنه أدعى في التشنيع عليه**عليه السلام.

وكذلك عمرو بن العاص. شرح نهج البلاغة ج:٦ ص:٢٨٧.

وبويع عبد الله بن الزبير على كتاب الله وسنة نبيهصلى الله عليه وآله **وسيرة الخلفاء الصالحين**. أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٧٣. **من دون إشارة لأنهم الراشدون.**

وكذا لما قدم عبد الله بن مطيع الكوفة والياً من قبله خطب الناس، وقال في جملة ما قال: «وأمرني بجباية فيئكم، وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين». تاريخ الطبري ج:٤ ص:٤٩٠ أحداث سنة ست وستين من الهجرة. وغيرها من المصادر الكثيرة التي يأتي تفصيلها في المقام الثاني عند الكلام فيما كسبه التشيع من فاجعة الطف في الجانب العاطفي.

وقد أنكر غير واحد على عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام **في تحليل المتعة ومخالفة عمر، ولم يشيروا لكونه خليفة راشداً، مع أنه أدعى للإنكار المذكور وصالح للاحتجاج له**. تأتي مصادر ذلك في ص:٤٢٨، ٤٢٩.

وكذا لما كتب عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة ليسأل الحسن البصري عن الوجه في عدم أخذ الجزية من نصارى العرب، فسأله فقال له: «اكتب إليه: إنك متبع ولست بمبتدع.

. . . . . .

إن عمر رأى في ذلك صلاحاً». أنساب الأشراف ج:٨ ص:١٥٩ في ذكر عمر بن عبد العزيز.

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة له في خلافته: «ألا إن ما سنّ رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه...». تأتي مصادره عند الكلام في موقف عمر بن عبد العزيز من سنة الشيخين.

وقال في كلام له آخر: «سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها وتبديلها ولا النظر فيما خالفها. من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وصلاه جهنم وساءت مصيراً». تفسير ابن أبي حاتم ج:٤ ص:١٠٦٧ واللفظ له. الدر المنثور ج:٢ ص:٢٢٢. البداية والنهاية ج:٩ ص:٢٤٢ فصل بلا عنوان بعد ذكر سبب وفاة عمر بن عبد العزيز. وروي نحوه عن مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب الأربعة. سير أعلام النبلاء ج:٨ ص:٩٨ في ترجمة مالك.

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: «أما بعد فقد أتاني كتابك تسأل عن القضاء بين الناس. والقضاء بين الناس باتباع ما في كتاب الله، ثم ما جاء عن رسول الله ﷺ، ثم ما حكم به أئمة الهدى، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم. فما أتاك من الحكم فلم تجده في الكتاب نصاً، ولا في السنة رواية، ولا أخبرك به مخبر عن الأئمة الأبرار، فسل عنه أهل العفة والمعرفة...». أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٥٥ في ذكر عمر بن عبد العزيز.

وحينما تحرك أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس، وطلب البيعة على كتاب الله وسنة نبيه وإلى الرضا من آل رسول الله ﷺ، وتحرش بنصر بن سيار عامل مروان آخر حكام بني أمية على خراسان، جمع نصر بن سيار القرّاء، وقال في حديث له محرضاً على أبي مسلم وأهل دعوته: «فهلموا فلنتعاون على إطفاء نائرتهم وقمع ضلالتهم، ولكم أن نعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه وسنة العمرين بعده». أخبار الدولة العباسية ص:٢٩٠. **ولم يشر إلى أنهما خليفتان راشدان... إلى غير ذلك مما ورد في العهد الأموي وأغفل فيه التنبيه لأن خلافتهم راشدة مع شدة الحاجة لذلك لو كان حديث العرباض هذا وارداً فيهم.**

وآخر ذلك حينما تحرك أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس، وطلب البيعة على كتاب الله وسنة نبيه، وإلى الرضا من آل رسول الله ﷺ، واحتك بنصر بن سيار عامل مروان آخر خلفاء بني أمية على خراسان، فقد جمع نصر بن سيار القرّاء، وقال في حديث له محرضاً على

لا محذور في ضياع معالم الدين بعد نسخه

نعم إنما يلزم على الله عز وجل إبقاء الحجة ووضوح معالم الحق في الدين الذي يقــع الاختلاف فيه مادام ذلك الدين مشروعاً نافذاً على الناس، بحيث يجب عليهم التدين به، والعمل بأحكامه.

أما إذا انتهى أمده، ونســخ بدين جديد ـ يجب عــلى الناس التدين به، والعمل بأحكامه ـ فلا ملزم ببقــاء الحجة الواضحة على دعوة الحق في الدين المنسوخ، ولا محذور في ضياع معالمها.

بل لا أثر عملي لظهور دعوة الحق في الدين المنسوخ ووضوح حجته بعد عدم وجوب اعتناقه، والتدين به. ولا محذور في انفراد دعوة الباطل من ذلك

أبي مســلم وأهل دعوته: «فهلموا فلنتعاون على إطفــاء نائرتهم، وقمع ضلالتهم. ولكم أن نعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه وســنة العمرين بعده». أخبار الدولة العباسية ص:٢٩٠. **ولم يشر إلى أنهما خليفتان راشدان.**

بــل لا يبعد أن يكون إغفال ذلك في هذه المدة الطويلة ـ واللجوء لافتعال عناوين أخرى في الثناء عليهم ـ في عصر الصحابة وما قاربه لمعلومية اختصاص العنوان المذكور بأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، في محاولة لتجاهلهم وعدم تنبيه جمهور المسلمين لمقامهم الرفيع.

حتى إذا تعاقبت الأجيال، واستحكم الجهل بمقامهم عليهم السلام، وقوي الجمهور المؤمن بمقام الخلفاء الأولين، وابتنى الدين عندهم على تقدســيهم، توجــه علماؤهم والمنظرون لهم دينياً ـ في أوج قوة الخلافة العباسية المعادية لأهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ لهذا اللقب الرفيع فأطلقوه على الخلفاء الأولين على أنه حقيقة ثابتة، بحيث صار عنوان (الخلفاء الراشــدون) خاصاً بهم.

وعلى ضــوء ذلك فسروا حديث العرباض بن ســارية المتقدم بهــم، في محاولة لإضفاء الشرعية على ســنتهم وســيرتهم ولو في الجملة، محرفين للحديــث، أو متجاهلين للقرائن الشــاهدة بخلاف ذلك مما سبق التعرض له. والله ســبحانه العالم بحقائق الأمور، والعاصم من الزلل في القول والعمل.

الدين في الساحة. إذ يكفي في تحقق حكمة جعل الدين، ودفع محذور العقاب بلا بيان، سماع دعوة الدين الجديد الناسخ ـ الذي يجب التدين به واتباعه ـ ووضوح معالمه، وقيام الحجة عليه، كما هو ظاهر.

كون الإسلام خاتم الأديان يستلزم بقاء معالمه ووضوح حجته

وبذلك يظهر اختلاف دين الإسلام العظيم عن بقية الأديان. إذ حيث كان هو الدين الخاتم الذي ليس بعده دين، والذي يجب على الناس اعتناقه والتدين به مادام الإنسان يعمر الأرض، فلابد من بقاء دعوة الحق فيه مسموعة الصوت ظاهرة الحجة ما بقيت الدنيا.

وهو ما حصل بتسديد الله عز وجل ورعايته، وبجهود وتضحيات أهل البيت (صلوات الله عليهم) الذين ائتمنهم تعالى على دينه، وجعلهم ـ مع كتابه المجيد ـ مرجعاً للأمة فيه، وما استتبع ذلك من جهود وتضحيات شيعتهم ومواليهم الذين آمنوا بقيادتهم، وتفاعلوا معهم دينياً وعاطفياً.

وكان لنهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وتضحياته الجسيمة، أعظم الأثر في ذلك، كما نرجو إيضاحه في حديثنا هذا، بعون من الله تعالى وتوفيقه وتسديده.

هذا وسوف يتضح إن شاء الله تعالى أن الخطر الذي تصدى الإمام الحسين عليه السلام لدفعه لم ينشأ من استيلاء الأمويين على الحكم، أو استيلاء يزيد عليه خاصة. غاية الأمر أن يكون الخطر قد تفاقم بذلك، أو أن الفرصة قد سنحت للتصدي لذلك الخطر، ولم تسنح قبل ذلك.

وكيف كان فالحديث..

أولاً: في اتجاه مسيرة الإسلام بعد الانحراف عن خط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، واستيلاء غيرهم على السلطة، وما من شأنه أن يترتب على الانحراف المذكور لو لم يكبح جماحه.

وثانياً: في جهود أهل البيت (صلوات الله عليهم) في كبح جماح الانحراف من أجل خدمة دعوة الإسلام بكيانه العام. فالكلام في مبحثين:

المبحث الأول

فيما من شأنه أن يترتب على انحراف مسار السلطة في الإسلام لو لم يكبح جماحه

من الطبيعي أن يجري الله عز وجل في دين الإسلام القويم تشريعاً على سنن الأديان السابقة، فلا يتركه بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله للرفيق الأعلى عرضة للاختلاف والاجتهادات المتضاربة، بل يوكله للمعصومين الذين يؤمن عليهم الخطأ والاختلاف.

بل هو أولى من الأديان السابقة بذلك بعد أن كان هو الدين الخاتم، الذي لا ينتظر أن يشرع بعده دين ونبوة تصحح الأخطاء والخلافات التي تحصل بين معتنقيه، كما تصدى هو لتصحيح الأخطاء والخلافات التي حصلت بين معتنقي الأديان السابقة عليه.

قال الله عز وجل: ﴿**تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ**

---

(١) سورة النحل الآية: ٦٣ـ٦٤.

يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وقال سبحانه: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾**[٢]... إلى غير ذلك.

وقد كان المعصومون، الذين أوكل الله تعالى دينه العظيم إليهم، وجعلهم مرجعاً للأمة فيه، هم الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم إمام العصر والزمان الحجة بن الحسن المهدي المنتظر (صلوات الله عليهم أجمعين).

ولسنا الآن بصدد إثبات ذلك، بل هو موكول لعلم الكلام، وكتب العقائد الكثيرة، ومنها كتابنا (**أصول العقيدة**).

ولأهمية أمر الإمامة في الدين فقد أكد الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة على أمور:

وجوب معرفة الإمام والإذعان بإمامته

الأول: وجوب معرفة الإمام والبيعة له. فقد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[٣]، أو: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[٤]، أو: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة

---

(١) سورة النمل الآية: ٧٦ـ٧٧.

(٢) سورة المائدة الآية: ١٥.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة ص:٤٠٩. كفاية الأثر ص:٢٩٦. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:٢ ص:٢٥٣. ينابيع المودة ج:٣ ص:٣٧٢. الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج:٢ ص:٤٥٧. وغيرها من المصادر.

(٤) مسند أحمد ج:٤ ص:٩٦ حديث معاوية بن أبي سفيان. حلية الأولياء ج:٣ ص:٢٢٤ في ترجمة زيد بن

جاهلية»[١]، أو نحو ذلك.

وجوب طاعة الإمام وموالاته والنصيحة له

الثاني: وجوب الطاعة لأولياء أمور المسلمين وأئمتهم، وموالاتهم، والنصيحة لهم. قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[٢].

وقال النبي ﷺ في خطبته في مسجد الخيف: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم...»[٣]... إلى غير ذلك مما يفوق حدّ الإحصاء.

أسلم. المعجم الكبير ج:١٩ ص:٣٨٨ في ما رواه شريح بن عبيد عن معاوية. مسند الشاميين ج:٢ ص:٤٣٧ ما انتهى إلينا من مسند ضمضم بن زرعة: ما رواه ضمضم عن شريح بن عبيد. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢١٨ كتاب الخلافة: باب لزوم الجماعة وطاعة الأئمة والنهي عن قتالهم. مسند أبي داود الطيالسي ص:٢٥٩ ما رواه أبو سلمة عن ابن عمر. كنز العمال ج:١ ص:١٠٣ ح:٤٦٤، ج:٦ ص:٦٥ ح:١٤٨٦٣. علل الدارقطني ج:٧ ص:٦٣ من حديث الصحابة عن معاوية رضي الله عنه. وغيرها من المصادر.

(١) صحيح مسلم ج:٦ ص:٢٢ كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن. السنن الكبرى ج:٨ ص:١٥٦ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب الترغيب في لزوم الجماعة والتشديد على من نزع يده من الطاعة. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢١٨ كتاب الخلافة: باب لزوم الجماعة وطاعة الأئمة والنهي عن قتالهم. السنة لابن أبي عاصم ص:٤٨٩ ح:١٠٥٧، ص:٥٠٠ ح: ١٠٨١. المعجم الكبير ج:١٩ ص:٣٣٤ في ما رواه ذكوان أبو صالح السمان عن معاوية. فتح الباري ج:١٣ ص:٥. كنز العمال ج:٦ ص:٥٢ ح:١٤٨١٠. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) سورة النساء الآية: ٥٩.

(٣) الكافي ج:١ ص:٤٠٣، واللفظ له. الأمالي للصدوق ص:٤٣٢. سنن الترمذي ج:٥ ص:٣٤ كتاب العلم عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع. سنن ابن ماجة ج:١ ص:٨٤ باب من بلغ علماً. المستدرك على الصحيحين ج:١ ص:٨٧ كتاب العلم. مسند أحمد ج:٣ ص:٢٢٥ مسند أنس بن مالك، ج:٤ ص:٨٢ حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. صحيح ابن حبان ج:١ ص:٢٧٠

لزوم جماعة المسلمين والمؤمنين وحرمة التفرق

الثالث: لزوم جماعة الأئمة، التي هي جماعة المؤمنين، واتباع سبيلهم، والنهي عن الاختلاف والتفرق، قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾(٣).

وكذا ما سبق من خطبة النبي صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف. وقوله صلى الله عليه وآله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(٤).

كتاب العلم: باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها: ذكر رحمة الله جل وعلا من بلغ الأمة حديثاً صحيحاً عنه. مجمع الزوائد ج:١ ص:١٣٧، ١٣٨، ١٣٩ كتاب العلم : باب في سماع الحديث وتبليغه. الأحاديث المختارة ج:٦ ص:٣٠٨في ما رواه عقبة بن وساج عن أنس. سنن الدارمي ج:١ ص:٧٥ باب الاقتداء بالعلماء. المعجم الكبير ج:٢ ص:١٢٧ باب محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، ج:٥ ص:١٥٤ فيما رواه وهب أبو محمد عن زيد بن ثابت. مسند الحميدي ج:١ ص:٤٨. مسند أبي يعلى ج:١٣ ص:٤٠٨. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥٩.

(٤) صحيح البخاري ج:١ ص:٣٨ كتاب العلم: باب الإنصات للعلماء، ج:٢ ص:١٩١، ١٩٢ كتاب الحج: باب الخطبة أيام منى، ج:٥ ص:١٢٦ كتاب المغازي: باب حجة الوداع، ج:٧ ص:١١٢ كتاب الأدب: باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ج:٨ ص:١٦ كتاب الحدود: باب الحدود كفارة، ص:٣٦ كتاب الديات، ص:٩١ كتاب الفتن: باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا ترجعوا بعدي

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن. بالجماعة والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله. فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلى أن يرجع...»[1]... إلى غير ذلك.

وقد أجمع الجمهور على حرمة الخروج على الإمام العادل ـ فضلاً عن المعصوم ـ وأن الخارج عليه باغٍ يجب على المسلمين قتاله حتى يفيء للطاعة.

قال الله عز وجل: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾[2].

أهمية هذه الأمور في نظم أمر الدين والمسلمين

وبالتأكيد على هذه الأمور يُقطع الطريق تشريعياً على من يحاول زرع

كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. صحيح مسلم ج:١ ص:٥٨ كتاب الإيمان: باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ج:٥ ص:١٠٨ كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات: باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال. وغيرهما من المصادر الكثيرة جداً.

(١) مسند أحمد ج:٤ ص:٢٠٢ حديث الحارث الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله، واللفظ له، ج:٥ ص:٣٤٤ حديث أبي مالك الأشعري. سنن الترمذي ج:٤ ص:٢٢٦ أبواب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وآله: باب ما جاء مثل الصلاة والصيام والصدقة. المستدرك على الصحيحين ج:١ ص:١١٧ كتاب العلم: الحديث الرابع فيما يدل على أن إجماع العلماء حجة. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٥٧ كتاب قتال أهل البغي: باب الترغيب في لزوم الجماعة والتشديد على من نزع يده من الطاعة. صحيح ابن خزيمة ج:٣ ص:١٩٦ كتاب الصيام: باب ذكر تمثيل الصائم في طيب ريحه بطيب ريح المسك إذ هو أطيب الطيب. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢١٧ كتاب الخلافة: باب لزوم الجماعة وطاعة الأئمة والنهي عن قتالهم. المصنف لعبد الرزاق ج:٣ ص:١٥٧ كتاب الصلاة: باب تزيين المساجد والممر في المسجد. المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٢٢٧ كتاب الإيمان والرؤية. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) سورة الحجرات الآية: ٩.

الأشواك في طريق الإمام المعصوم وإتعابه، وعلى من يتوهم أو يختلق المبررات لمخالفة أمره، فضلاً عن الخروج عليه والانحياز عن جماعته.

وهو أمر ضروري في مسيرة دولة الحق، لأن الدولة لا تقوم إلا بالطاعة المطلقة. إذ كثيراً ما يخفى على الرعية وجه الحكمة في موقف الإمام المعصوم من الأحداث. نظير ما حدث للمسلمين مع النبي صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية وغيره.

فإذا فتح باب الاجتهاد والخلاف على الإمام عاقه ذلك عن أداء وظيفته، وتيسر للمنحرفين والنفعيين اختلاق المبررات لمخالفته والخروج عليه، كما هو ظاهر. وقد حاولنا توضيح ذلك عند الاستدلال على وجوب عصمة الإمام من كتابنا (**أصول العقيدة**).

طاعة الإمام المعصوم مأمونة العاقبة على الدين والمسلمين

كما أن الطاعة المذكورة مأمونة العاقبة على الدين والمسلمين بعد فرض عصمة الإمام، وكونه مسدداً من قبل الله عز وجل.

كما قالت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في بيان حال الأمة لو وليها أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام): «وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم إليها وحملهم عليها. ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم حشاشه، ولا يكِلّ سائره، ولا يمُلّ راكبه. ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً روياً، تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه. ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً»[1].

---

(١) راجع ملحق رقم (٢).

طاعة الإمام ولزوم جماعته مدعاة للطف الإلهي

بل الطاعة المذكورة مدعاة للطف الإلهي والفيض الرباني على الأمة بعد أن اجتمعت على طاعة الله عز وجل، وانضمت تحت راية عدله التي رفعها لها. كما قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ**﴾[١].

وقال سبحانه تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾[٢].

وقال سلمان الفارسي: «لو بايعوا علياً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»[٣]. وقال أبو ذر: «أما لو قدمتم من قدّم الله، وأخرتم من أخر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم»[٤].

انحراف مسار السلطة في الإسلام

لكن أمر الإسلام عملياً بعد النبي صلى الله عليه وآله لم يجر على ما أراده الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله، بل تعثرت الأمة في طريقها، وانحرفت عن خط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وخرجت بالسلطة عنهم، وعن الالتزام بالنص على

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٩٦.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٥ـ٦٦.

(٣) أنساب الأشراف ج:٢ ص:٢٧٤ أمر السقيفة.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٧١ في أيام عثمان.

الإمام المعصوم. بل من دون نظام بديل حتى لو لم يكن إلهياً.

وصـــار المعيار في الإمامة البيعة ولو بالقـــسر والقهر ـ مهما كانت منزلة المبايَع نسباً، وأثراً في الإسلام، وســـلوكاً في نفسه ومع الناس ـ اعترافاً بالأمر الواقع ورضوخاً له.

إنكار أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام لما حصل

وقد وقف أمير المؤمنين الإمام علي (صلوات الله عليه) وخاصة أصحابه ممن ثبت معه موقف المنكر لذلك، إقامة للحجة.

كما استثمرت الصديقة سيدة النساء فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) حصانتها نسبياً، فدعمت موقفهم، وأصحرت بالشكوى والإنكار لما حصل في خطبتيهـــا الجليلتين[١]، وأحاديثها ومواقفها الصلبة في بقية عمرها القصير، وأيامها القليلة، مؤكدة عـــلى أن الخلافة والإمامة حق لأهل البيت (صلوات الله عليهم) جعلـــه الله تعالى كما جعل فرائض الإســـلام، وأنه لا عذر لهم في الخروج عن ذلك، ولا مجال لتبريره، بل ســـوف يتحملون مسؤولية ما حصل في الدنيا والآخرة. وقد أصرت على مواقفها السلبية منهم حتى قضت نحبها، في تفاصيل كثيرة لا يسع المقام استقصاءها.

وتتضمن خطبتاها الكبرى والصغرى أطروحة كاملة باختصار لموقف أهل البيت (صلوات الله عليهم) من الأولين ولبيان مذهب شيعتهم في الإمامة وفي التولي والتبري، وما جرى مجرى ذلك، كما يظهر بالتأمل[٢].

---

(١) راجع ملحق رقم (١) وملحق رقم (٢).

(٢) راجع ملحق رقم (١) وملحق رقم (٢).

اضطرار أمير المؤمنين عليه السلام للمسالمة

ثم اضطر أمير المؤمنين عليه السلام وخاصة أصحابه للسكوت والمسالمة بعد أن ظهر إصرار المستولين على السلطة وعنفهم، حفاظاً منه (صلوات الله عليه) على كيان الإسلام العام من الانهيار، وإبقاء منه عليه السلام على حياته وحياة البقية الصالحة، لتؤدي دورها في التعريف بالدين الصحيح، والدعوة له، عندما يتيسر لهم ذلك، على ما ذكرناه في خاتمة كتابنا (**أصول العقيدة**).

أثر الفتوح في تركز الإسلام واحترام رموز السلطة

ولم تمض مدة طويلة حتى توجه المسلمون للحروب خارج الجزيرة العربية. وكانت نتيجتها الفتوح الكبرى، وما استتبعها من الغنائم العظيمة التي لم يكونوا يحلمون بها، ثم الشعور بالعزة والرفعة. فتركز الإسلام وحسن في نفوسهم، وفرض احترامه على العالم، واتسعت رقعته، وتوطدت أركانه في الأرض، ودخلت فيه الشعوب المختلفة.

ومن الطبيعي ـ بعد ذلك ـ أن لا يعرف من الإسلام ولا يحترم ويقدس عند جمهور المسلمين إلا الإسلام الذي تحقق به الفتح، والذي ابتنت الخلافة والحكم فيه على الخروج على النظام الإلهي، واعتماد القوة. فصار له ولرموزه المكانة العليا في النفوس، ومنها تؤخذ أصوله وثوابته العقائدية، ويرجع إليها في فروعه وأحكامه وإرشاداته وآدابه وتاريخه وأمجاده وجميع شؤونه. فهي المرجع للإسلام والمسلمين في السياسة والإدارة والعلم والثقافة، كما يظهر بمراجعة التراث المتعلق بتلك الفترة. وربما يأتي بعض مفردات ذلك.

وأكد ذلك الخطوات التي خطتها السلطة في سبيل فرض احترامها

ومرجعيتها، وتثبيت شرعيتها، بل تقديسها، مما يأتي التعرض له إن شاء الله تعالى.

غياب الإسلام الحق ورموزه عن ذاكرة المسلمين

وصار الإسلام الحق غريباً على جمهور المسلمين، وجهل مقام رموزه وحملته، بالرغم مما لهم من مقام ديني رفيع نوّه عنه النبي صلى الله عليه وآله بصورة مكثفة.

كما أن لهم أعظم الأثر في الإسلام في بدء قيام الدعوة، والجهاد في سبيله والتضحيات الجسام من أجل ذلك.

وحتى في تلك الحروب ـ التي كانت نتيجتها الفتوح الكبرى ـ دعماً وتوجيهاً ومشاركة. اهتماماً منهم بكيان الإسلام العام، من أجل أن تصل دعوته إلى العالم، وتتعرف عليه الأمم المختلفة، ويأخذ موقعه من نفوسها. وإن استغلت السلطة الرسمية القائمة ذلك كله لصالحها، وتثبيت موقعها، وفرض احترامها.

دعم أمير المؤمنين عليه السلام السلطة اهتماماً بكيان الإسلام

وكشاهد على ذلك يظهر من بعض الروايات أن شعور جمهور الصحابة بعدم شرعية الانحراف الذي حصل جعلهم يتوقفون عن الحرب في ظل السلطة الجديدة في حروب الردة في الجزيرة العربية، فضلاً عن غزو الكفار فيها وفي خارجها. وقد أوجب ذلك توقف النشاط العسكري الإسلامي، وتعرض الإسلام للخطر.

فاضطر أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) لدعم السلطة، من أجل إضفاء الشرعية على القتال تحت ظلها.

فقــد روى المدائني ـ وعهدة ذلك عليه ـ عن عبد الله بن جعفر بن عون قال: «لما ارتدت العرب مشى عثمان إلى علي، فقال: يا ابن عم إنه لا يخرج أحد إلي. فقال: [إلى قتال. صح] هذا العدو وأنت لم تبايع؟ فلم يزل به حتى مشــى إلى أبي بكر. فقام أبو بكر إليه واعتنقــا، وبكى كل واحد إلى صاحبه، فبايعه. فسرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال، وقطعت البعوث»[١].

وقال (صلــوات الله عليه) في كتابه إلى أهل مصر: «فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمســكت يــدي حتى رأيت راجعــة الناس قد رجعت عن الإســلام يدعــون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشــيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكــم... فنهضت في تلك الأحداث حتــى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه»[٢].

وقــال اليعقــوبي: «وأراد أبو بكــر أن يغزو الروم، فشــاور جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقدّموا وأخروا. فاستشار علي بن أبي طالب، فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت، فقال: بشرت بخير»[٣].

وكان (صلوات الله عليه) يسعفهم بتوجيهاته، وصائب رأيه.

فحين استشاره عمر في الخروج لحرب الروم أشار عليه بترك الخروج[٤].

---

(١) أنساب الأشراف ج:٢ ص:٢٧٠ أمر السقيفة. الشافي في الإمامة ج:٣ ص:٢٤١.

(٢) نهج البلاغة ج:٣ ص:١١٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٣٣ في أيام أبي بكر. وقريب منه في الفتوح لابن أعثم ج:١ ص:٨٢ ذكر كيفية الاستيلاء على بلاد الشام في خلافة الصديق رضي الله عنه.

(٤) نهج البلاغة ج:٢ ص:١٨.

وكذا لما استشـــاره في الخـــروج لحرب الفرس[١]. كما أوضـــح له آلية الحرب، وكيفية تجنيد المسلمين لها[٢].

وما أكثر ما جنبهم المآزق، حتى تكرر عن عمر أنه كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن[٣]. وقال: «لولا علي لهلك عمر»[٤]... إلى غير ذلك مما هو كثير جداً، ويسهل على الباحث الاطلاع عليه[٥].

---

(١) نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٩.

(٢) نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٩. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٢١١ـ٢١٢ أحداث سنة إحدى وعشرين من الهجرة: ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٨ أحداث سنة إحدى وعشرين من الهجرة: ذكر وقعة نهاوند. وغيرها من المصادر.

(٣) الاســتيعاب ج:٣ ص:١١٠٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. أسد الغابة ج:٤ ص:٢٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. الطبقــات الكبرى ج:٢ ص:٣٣٩ في ترجمة علي بــن أبي طالب عليه السلام. الإصابة ج:٤ ص:٤٦٧ في ترجمــة علي بــن أبي طالب. فتح البــاري ج:١٣ ص:٢٨٦. تهذيــب التهذيب ج:٧ ص:٢٩٦ في ترجمــة علي بــن أبي طالب. الفصول المهمــة ج:١ ص:١٩٩، ٢٠٠ الفصل الأول في ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): فصل في ذكر شيء من علومه عليه السلام. كنز العمال ج:١٠ ص:٣٠٠ ح:٢٩٥٠٩. شرح نهــج البلاغة ج:١ ص:١٨. نظم درر السـمطين ص:١٣٢. فيض القدير ج:٤ ص:٤٧٠ ح:٥٥٩٤. المناقب للخوارزمي ص:٩٦. وغيرها من المصادر.

(٤) الاستيعاب ج:٣ ص:١١٠٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. فيض القدير ج:٤ ص:٤٧٠ ح:٥٥٩٤. مسند زيد بن علي ص:٣٣٥ كتاب الحدود: باب حد الزاني. تأويل مختلف الحديث ص:١٥٢. تفسير السمعاني ج:٥ ص:١٥٤. الوافي بالوفيات ج:٢١ ص:١٧٩. الفصول المهمة ج:١ ص:١٩٩ الفصل الأول في ذكــر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): فصل في ذكر شيء من علومه عليه السلام. المناقب للخوارزمي ص:٨١. مطالب السـؤول في مناقب آل الرسول ص:٧٧. ينابيع المودة ج:١ ص:٢١٦، ج:٢ ص:١٧٢، ج:٣ ص:١٤٧. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٥) **غاية الأمر أنــه (صلوات الله عليه) كان يقتصر على ما فيه مصلحة الإســلام وتأييده، دون ما كان فيه تأييد لهم بأشــخاصهم أو بمراكزهم من دون أن يخدم الإســلام بكيانه العام، إلا أن يضطــر لذلك. ولذا رفض عليه السلام أن يتولى حرب الفــرس لما طلب منه عمر أن يوليه ذلك.** مروج الذهب ج:٢ ص:٣١٠ ذكر خلافة عمر بن الخطاب: عمر يحرض على الجهاد. ومثله في فتوح

كما أنه قد اشترك جماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخواصه في تلك الحروب، كسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وغيرهم رضي الله عنهم. وكان لهم الرأي الصائب والتدبير الحسن والأثر المحمود.

إلا أن ذلك إنما يعرفه الخاصة، دون عامة الناس. ومن عرفه من العامة نسبه للسلطة، واعتبرهم واجهة لها، كغيرهم ممن تعاون معها، وسار في ركابها.

من دون أن يعرف لهذه الجماعة الصالحة مقامها الرفيع في الإسلام وجهادها من أجله في عهد النبي صلى الله عليه وآله وتضحيتها وجهودها في الحفاظ على كيانه ونشره في الأرض بعد ذلك، ولا يحترمها نتيجة ذلك في نفسه.

كما يناسب ذلك ما يأتي من جندب بن عبد الله الأزدي عن موقف أهل الكوفة في أعقاب الشورى من حديثه في بيان مقام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وفضله[1].

البلدان ج:٢ ص:٣١٣.

كما امتنع من الخروج مع عمر عندما ذهب إلى الشام حتى شكاه عمر لابن عباس. شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:٧٨.

ولعله لذا نصح عمر أبا بكر بأن لا يطلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى قتال الأشعث بن قيس. حيث يتوقع منه أن يرفض ذلك. الفتوح لابن أعثم ج:١ ص:٥٧.

كما أن أبا بكر استشار عمرو بن العاص فيمن يوليه الحرب فيما يسمى بحروب الردة، فلما ذكر له أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يطيعك» تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١١٨ في أيام أبي بكر.

ولما سئل عمر عن وجه عدم توليته لأمير المؤمنين عليه السلام وجماعة من الصحابة قال: «أما علي فأنبه من ذلك...». شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٢٩.

(١) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٥٨. ويأتي عند الكلام في جهود أمير المؤمنين عليه السلام وخاصة أصحابه في كبح جماح الانحراف وفي تعريف العامة بالحقيقة.

وكذلك قول معاوية بن أبي سفيان لعمار بن ياسر لما بدأ الإنكار من المسلمين على عثمان في مجلس يضم جمعاً من الصحابة: «يا عمار إن بالشام مائة ألف فارس كل يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم وعبدانهم لا يعرفون علياً وقرابته، ولا عماراً ولا سابقته»[1].

تقييم أمير المؤمنين عليه السلام للأوضاع

وقد أوضح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ذلك في حديث له، حيث قال له قائل: «يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلّم إليه أمرها؟» قال: «لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت.

إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها. وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته.

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسُلّماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً.

ثم فتح الله عليها الفتوح، فأَثْرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة. فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب

---

(١) الإمامة والسياسة ج:١ ص:٢٩ ذكر الإنكار على عثمان رضي الله عنه، واللفظ له. وقريب منه في تاريخ المدينة ج:٣ ص:١٠٩٤.

كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا.

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين.

فكنا ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها. ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف...»[1].

محاولة السلطة إغفال المسلمين عن حق آل البيت عليهم السلام

وبالمناسبة قد يبدو من بعض النصوص ونكات التاريخ أن السلطة كانت قد حاولت إغفال المسلمين عن مقام أهل البيت صلوات الله عليهم وما فرضه الله من حقهم على المسلمين، وما ميزهم به.

ففي صحيح عبد الله بن سنان: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كانت امرأة من الأنصار تودنا أهل البيت، وتكثر التعاهد لنا. وإن عمر بن الخطاب لقيها ذات يوم وهي تريدنا. فقال لها: أين تذهبين يا عجوز الأنصار؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد أسلم عليهم وأجدد بهم عهداً وأقضي حقهم. فقال لها عمر: ويلك ليس لهم اليوم حق عليك ولا علينا إنما كان لهم حق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. فأما اليوم فليس لهم حق، فانصرفي. فانصرفت حتى أتت

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٢٠ ص:٢٩٩.

ولا يخفى أن قوله عليه السلام: «ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها» ظاهر أو مشعر بأن الواقع على خلاف ذلك، وأنه كان هناك من يشير عليهم ويسددهم في تلك الفتوح، وأن نجاحهم فيها كان بسبب ذلك، وإن خفيت جهودهم على عامة الناس. ولا شك أنه عليه السلام يعني نفسه. وتوجد بعض الشواهد التاريخية المتفرقة بذلك.

أم سلمة، فقالت لها أم سلمة: ماذا أبطأ بك عنا؟ فقالت: إني لقيت عمر بن الخطاب، وأخبرتها بما قالت لعمر وما قال لها عمر. فقالت لها أم سلمة: كذب. لا يزال حق آل محمد صلى الله عليه وآله واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة»[١].

وفي حديث أبي علي الهمداني: «إن عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول شيئاً فلم تقله. ألا تحدثنا عن أمرك هذا كان بعهد [من] رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنا قد أكثر الأقاويل فيك، وأوثقه عندنا ما قبلناه منك وسمعناه من فيك... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن إن الله قبض نبيه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس مني بقميصي هذا. وقد كان من نبي الله إلي عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً لله وطاعة. وإن أول ما انتقصناه بعده إبطال حقنا في الخمس. فلما رقّ أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا...»[٢].

وعن أبي يحيى مولى معاذ بن عفراء في حديث مفاتيح بيت المال الطويل قال: «فبلغ ذلك عثمان، فخرج إلى الناس حتى دخل المسجد، ثم رقى المنبر وقال: أيها الناس إن أبا بكر كان يؤثر بني تيم، وإن عمر كان يؤثر بني عدي على كل الناس، وإني أوثر والله بني أمية على من سواهم. ولو كنت جالساً على باب الجنة، ثم استطعت أن أدخل بني أمية جميعاً الجنة لفعلت...»[٣].

---

(١) الكافي ج:٨ ص: ١٥٦ ح:١٤٥.

(٢) أمالي الشيخ المفيد ص: ٢٢٣، ٢٢٤. المجلس: ٢٦ ح:٢.

(٣) أمالي المفيد ص:٧٠، ٧١ المجلس:٨ ح:٥. **أما الجمهور فقد رووا أن عثمان أحضر جماعة من الصحابة، فقال: «إني سائلكم أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم. فقال: لو أن مفاتيح الجنة**

حيث قد يبتني ذلك على أن استحقاق بني هاشم لسهم ذي القربى من الخمس وحقهم على المسلمين يبتني على تميز أهل بيت الحاكم، فهو لبني هاشم ما دام النبي حياً وحاكماً، فإذا مات وانتهى سلطانه سقط حقهم فيه وفي غيره. بل هو ما عن أشعب بن سوار عن الحسن البصري قال: «الخمس لله وللرسول ولذي قرابة رسول الله ﷺ ليس كله. وقد كان يقسم لمن سمى الله عز وجل. فأعطته الخلفاء بعد قرابتهم. قلت: كلهم؟ قال: نعم، كلهم»[1]. وإذا لم يطرح ذلك صريحاً بهذا الوجه، لعدم تقبل الناس له، يجري العمل عليه، كأمر واقع تتقبله الناس تدريجاً. ولعل مصادرة فدك من الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام من ذلك.

وقد قام الولاة ومن دعمهم في سبيل فرض احترامهم، وتوطيد أركان حكمهم، وإضفاء الشرعية عليه، بأمور خطيرة.

استغلال الألقاب المناسبة لشرعية السلطة ونقلها عن أهلها

الأمر الأول: إضفاء الألقاب المناسبة لشرعية الحكم دينياً، مثل: (خليفة

بيدي لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم». تاريخ مدينة دمشق ج:٣٩ ص:٢٥٢. مسند أحمد ج:١ ص:٦٢. مجمع الزوائد ج:٧ ص:٢٢٧. وغيرها من المصادر.

لكن قال محمد بن يوسف الوهبي الأباضي المصعبي: قال حذيفة: «والله ما يعدو عثمان أن يكون فاجراً في دينه أخرق في معيشته. وقال: وددت أن ما في كنانتي من سهم في بطنه. وقذف رسول الله والخليفتين بعده إذ قال: إن رسول الله كان يؤثر بني هاشم، وأبو بكر بني تميم [تيم. ظ] وعمر بني عدي. فوالله لأخصن بني أمية على رغم الأنوف...». هميان الزاد إلى أرض المعاد ج:١١ ص:٣٤٦ في تفسير آية:٥٥ من سورة الروم.

(١) مجالس الشيخ الطوسي: ٢٦٢ المجلس العاشر ح:١٦.

رسول الله)[١]، و(أمير المؤمنين)، و(ولي رسول الله)[٢].

وتأكيداً لذلك تختم عمر وأبــو بكر وعثمان بخاتم النبيﷺ الذي كان نقشه: (محمد رســول الله)، وكان يوقع به في كتبه للأعاجم، أو بما هو مثله في النقش[٣].

وحمل أبو بكر[٤] وعمر[٥] بعد موتهما على السرير الذي حمل عليه رسول

(١) مسند أحمد ج:١ ص:١٠، ١٣، ٣٧ مســند أبي بكر الصديقرضي الله عنه. المستدرك على الصحيحين ج:٣ كتاب معرفة الصحابة ص:٨١ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطابرضي الله عنه ص:٦٠٧ ذكر ســعد بن الربيع الأنصاريرضي الله عنه. مجمع الزوائد ج:٥ كتاب الخلافة ص:١٨٤ باب الخلفاء الأربعة، ص:١٩٨ باب كيف يدعى الإمام، ج:٦ ص:٢٢٢ كتاب المغازي والســير: باب قتال أهل الردة. فتح الباري ج:١٣ ص:١٧٨. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) صحيح البخاري ج:٤ ص:٤٤ باب فرض الخمس، ج:٥ ص:٢٤ كتاب المغازي: باب حديث بني النضير ومخرج رسول اللهﷺ إليهم، ج:٦ ص: ١٩١ كتاب النفقات، ج:٨ ص:٤ كتاب الفرائض، ص:١٤٧ كتاب الاعتصام بالكتاب والســنة. صحيح مسلم ج:٥ ص:١٥٢ كتاب الجهاد والسير: باب حكم الفــيء، ج:٢ ص:٢١ كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب في صفايا رســول اللهﷺ. مســند أحمد ج:١ ص:٦٠ مســند عثمان بن عفانرضي الله عنه، ص:٢٠٨، ٢٠٩ حديــث العباس بن عبد المطلبرضي الله عنه. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٣) صحيح البخاري ج:٧ ص:٥٣ كتاب اللباس: باب نقش الخاتم. صحيح مســلم ج:٦ ص:١٥٠ كتاب اللباس والزينة: باب لبس النبي خاتماً من ورق نقشــه محمد رســول الله ولبس الخلفاء له من بعده. السنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:١٤٢ كتاب الزكاة: باب ما ورد فيما يجوز للرجل أن يتحلى به من خاتمه وحلية سيفه ومصحفه إذا كان من فضة. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٤) المســتدرك على الصحيحين ج:٣ ص:٦٣ كتاب الهجرة: ذكر مرض أبي بكر ووفاته ودفنه. تاريخ الطبري ج:٢ ص:٦١٣ أحداث ســنة الثالثة عشر من الهجرة: ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكررحمه الله ومــن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفي فيه (رحمة الله عليه). الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٤١٩ أحداث ســنة الثالثة عشر من الهجرة: ذكر وفاة أبي بكر. وفيات الأعيان ج:٣ ص:٦٥ في ترجمة أبي بكر الصديق. وغيرها من المصادر.

(٥) أســد الغابة ج:٤ ص:٧٧ في ترجمة عمر بن الخطاب. تاريخ دمشق ج:٤٤ ص:٤٥١ في ترجمة عمر

الله صلى الله عليه وآله. كما أن من المعلوم أنهما قد دفنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حجرته.

بل تمادت السلطة وأتباعها فوصفوا الحاكم بأنه (خليفة الله)[١]، و(سلطان الله في الأرض)[٢]، ونحو ذلك.

وقد روى راشد بن سعد أن عمر أتي بمال فجعل يقسم بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة، قال: «إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك»[٣].

وفي كتاب عثمان إلى الأمراء يتحدث عن الجماعة المحاصرين له: «قالوا: لا نرضى إلا بأن تعتزلنا. وهيهات لهم والله من أمر ينال به الشيطان فيما بعد اليوم من سلطان الله حاجته...». ولما قدم الكتاب عليهم قام معاوية فخطب

بن الخطاب. سبل الهدى والرشاد ج:١١ ص:٢٧٥. وغيرها من المصادر.

(١) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٧ وأما معاوية بن أبي سفيان. مروج الذهب ج:٣ ص:٥٣ ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان: موقف آخر بين صعصعة ومعاوية. تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٥٤٣ في ترجمة عثمان بن عفان ج:٤٠ ص:٤١١ في ترجمة عطاء بن أبي صيفي بن نضلة، ج:٧٠ ص:٧٢ في ترجمة ليلي الأخليلية. الفتوح لابن أعثم ج:٣ ص:٨٨ بعد حديث الزرقاء بنت عدي الهمذانية مع معاوية. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٦ ص:٣٣١ أحداث سنة ١٥٨ من الهجرة: ذكر الخبر عن صفة أبي جعفر المنصور وذكر بعض سيره. البداية والنهاية ج:١٠ ص:١٣٠ أحداث سنة ١٥٨ من الهجرة: ترجمة المنصور. تاريخ دمشق ج:٣٢ ص:٣١١ في ترجمة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وغيرها من المصادر.

(٣) الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٢٨٧ ذكر استخلاف عمر، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٢٨٠ أحداث سنة ثلاث وعشرين من الهجرة: ذكر الخبر عن مقتل عمر رضي الله عنه: حمله الدرة وتدوينه الدواوين. أنساب الأشراف ج:١٠ ص:٣٣٨ـ٣٣٩ نسب بني عدي بن كعب بن لؤي: في ترجمة عمر بن الخطاب. كنز العمال ج:١٢ ص:٥٦٤ ح:٣٥٧٦٨. شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:٩٦.

الناس وكان فيما قال: «انهضوا إلى سلطان الله فأعزوه يعزكم وينصركم...».

وخطب أبو موسى فكان فيما قال: «وإنما قوام هذا الدين السلطان. بادروا سلطان الله لا يستذل...»[١].

وأخذ عبد الله بن سلام ينهى المحاصرين لعثمان عن قتله، وكان فيما قال: «... ويلكم إن سلطان الله اليوم يقوم بالدرة، وإن قتلتموه لم يقم إلا بالسيف»[٢].

وقال معاوية في خلافته: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبفضل مني»[٣].

وقال جويرية بن أسماء: «قدم أبو موسى الأشعري على معاوية في برنس أسود. فقال: السلام عليك يا أمين الله. قال: وعليك السلام. فلما خرج قال معاوية: قدم الشيخ لأوليه، والله لا أوليه»[٤].

وخرج عبد الله بن عامر إلى الجمعة وعليه ثياب رقاق، وأبو بلال تحت المنبر. فقال أبو بلال: انظروا إلى أميركم يلبس لباس الفسّاق، فقال أبو بكرة

---

(١) تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٤٣١ في ترجمة عثمان بن عفان.

(٢) تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٤٣٩ في ترجمة عثمان بن عفان.

(٣) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٧ وأما معاوية بن أبي سفيان، واللفظ له. مروج الذهب ج:٣ ص:٥٣ ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان: موقف آخر بين صعصعة ومعاوية. نثر الدر ج:٢ ص:١٤٢ الباب السابع: الجوابات المسكتة الحاضرة. التذكرة الحمدونية ج:٢ ص:٣٤١ الباب الثالث والثلاثون: في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة. وغيرها من المصادر.

(٤) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٢ أحداث سنة ستين من الهجرة عند الكلام عن معاوية بن أبي سفيان: ذكر بعض سيرته وأخباره وقضاته وكتابه، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٤٥ أحداث سنة ستين من الهجرة عند الكلام عن معاوية بن أبي سفيان: ذكر بعض أخباره وسيره.

وهو تحت المنبر: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»[١].

وخطب زياد بن أبيه فقال في جملة ما قال: «أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا...»[٢].

وعن الهيثم أن الحجاج كتب إلى عبد الملك كتاباً يعظم فيه أمر الخلافة، ويذكر أن الخليفة أعظم عند الله من الملائكة المقربين، لأنه جعل آدم خليفته، ثم أمر الملائكة بالسجود له، وجعلهم رسلاً إليه. فحسن موقع ذلك من عبد الملك وأعجبه وازدهاه، فقال: وددت أن عندي بعض الخوارج فأخاصمه بكتاب الحجاج. فلما انصرف بعض جلسائه حدث أضيافه بما كان. فقال له جوّاز الضبي ـ وكان من رؤساء الخوارج كاتماً أمره ـ: توثق لي منه ثم أعلمني. فراح إلى عبد الملك فتوثق له، ثم رجع إليه فأعلمه. فلما أصبح جوّاز اغتسل وتحنط ولبس ثوبين أبيضين، فأدخله على عبد الملك، فدعا بكتاب الحجاج وقال: اقرأه. فلما قرأه قال له: جعلك مرة مَلَكاً ومرة نبياً، ومرة خليفة. فإن كنت مَلَكاً فخبرنا متى نزلت، وإن كنت نبياً فأعلمنا متى نبئت، وإن كنت خليفة فأعلمنا أعن ملأ من المسلمين استخلفت أم عن ابتزاز لأمورهم؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:١٤ ص:٥٠٧ في ترجمة الروياني محمد بن هارون. واللفظ له. مسند الطيالسي ج:٢ ص:١٦٧. مسند أحمد ج: ٥ ص:٤٢، ٤٩. مسند الترمذي رقم الحديث:٢٢٢٤ في الفتن.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٤٩ أحداث سنة خمس وأربعين من الهجرة: ذكر ولاية زياد بن أبيه البصرة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:١٦٦ أحداث سنة خمس وأربعين من الهجرة: ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة. الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٠٧ ذكر خطبة زياد بالبصرة. شرح نهج البلاغة ج:١٦ ص:٢٠٢.

فقال له عبد الملك: قد أعطيناك موثقاً فلا سبيل لنا إلى قتلك، ولكنك والله لا تساكني في بلد، الحق بحيث شئت، فاختار مصر.

فلما مات عبد الملك كتب الحجاج إلى الوليد: «إن ذمة أمير المؤمنين قد وفت، ولا أمان لعدوّ الله جوّاز الضبي. فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليّ به» فأرسل الوليد من يأتيه به، وأرسل به إلى الحجاج، فلما قدم به عليه قال: بلغ من أمرك يا جوّاز أن ترد على أمير المؤمنين. ثم أمر به فقتل[١].

وفي كتاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى رعيته بعد أن ذكر النبي صلى الله عليه وآله قال: «فأبان الله به الهدى... ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته حين قبض نبيه صلى الله عليه وآله... فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه، واستخلفهم عليه منه. لا يتعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله، ولا يفارق جماعتهم أحد إلا أهلكه الله... وكذلك صنع الله ممن فارق الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها... فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده، وإليها صيره، وبطاعة من ولاه إياها سعد من أكرمها ونصرها... فمن أخذ بحظه منها كان لله ولياً، ولأمره مطيعاً... ومن تركها ورغب عنها وحادّ الله فيها أضاع نصيبه، وعصى ربه، وخسر دنياه وآخرته... والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وزمامه وملاكه وعصمته وقوامه بعد كلمة الإخلاص لله التي ميز بها بين العباد...» إلى آخر ما في هذا الكتاب مما يجري مجرى ذلك[٢].

---

(١) أنساب الأشراف ج:٨ ص:٦١ـ٦٣ أمر جوّاز الضبي.

(٢) تاريخ الطبري ج:٥ ص:٥٣٠ أحداث سنة ١٢٥ من الهجرة: خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

عدم شرعية استغلال السلطة لهذه الألقاب

مــع أن من المعلوم أن نظام الحكم عند رمــوز الجمهور يبتني على عدم النص من الله عز وجل، ولا من رســوله صلى الله عليه وآله على شخص الحاكم، أو تحديده بنحو منضبط، بحيث يتعين في شــخص خاص، ليتجه نســبة الخليفة لله عز وجل أو لرسوله صلى الله عليه وآله وإضافته لهما.

وقد أشار إلى ذلك العباس بن عبد المطلب في جوابه لأبي بكر في حديث بينهما طويل حينما عرض عليه أبو بكــر أن يجعل له ولعقبه من بعده نصيباً في الخلافة مــن أجل أن يقطعه عن أمير المؤمنين عليه السلام ويضعف حجته، حيث قال العباس له في جملة ما قال: «وما أبعد تســميتك بخليفة رسول الله من قولك: خلى على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك!»[1].

ولما أرســلوا لأمير المؤمنين (صلوات الله عليــه) يطلبون منه أن يحضر ليبايــع أبا بكر وقيل له: «خليفة رســول الله يدعوك». قــال عليه السلام: «لسريع ما كذبتم على رسول الله»[2].

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي عليه السلام

كــما أن لقب (أمير المؤمنــين) من مختصات الإمام عــلي (صلوات الله عليه)، على مــا ورد عن أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) فيما رواه عنهم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٢٥ خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر.

(٢) الإمامة والسياســة ج:١ ص:١٦ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، واللفظ له. كتاب سليم بن قيس ص:٣٨٥. الاختصاص ص:١٨٥. الاحتجاج ج:١ ص:١٠٨.

شـــيعتهم[١]، وحتى بعض الجمهور[٢]. بل في بعض روايات الجمهور أنه اسم سماه به جبرئيل، كما سماه الله عز وجل به[٣]، وأنه ينادى به يوم القيامة[٤].

وورد أيضاً أن رســـول الله صلى الله عليه وآله قد أطلقه عليه في عدة مواضع[٥]. بل في حديث بريدة: «أمرنا رســـول الله صلى الله عليه وآله أن نسلم على علي بأمير المؤمنين، ونحن سبعة. وأنا أصغر القوم يومئذ»[٦].

---

(١) الـــكافي ج:١ ص:٤١١، ٤٤٣. الخصـــال ص:٥٨٠. الاختصـــاص ص:٥٤. الأمـــالي للطوسي ص:٢٩٥. اليقين لابن طاووس ص:٢٧. تفسير العياشي ج:١ ص:٢٧٦. دلائل الإمامة ص:٥٣. فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة ص:٦٠. وغيرها من المصادر.

(٢) المناقب للخوارزمي ص:٣٠٣ الفصل التاسع عشر في فضائل له شتى.

(٣) المناقب للخوارزمي ص:٣٢٣ الفصل التاسع عشر في فضائل له شتى.

(٤) المناقـــب للخوارزمي ص:٣٥٩ـ٣٦٠ الفصل الثاني والعشرون في بيان أنه حامل لوائه يوم القيامة. تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٣٢٦، ٣٢٨ في ترجمة علي بن أبي طالب. تاريخ بغداد ج:١٣ ص:١٢٤ في ترجمة المفضل بن سلم. ينابيع المودة ج:١ ص:٢٣٨.

(٥) تاريخ دمشق ج:٤٢ ص: ٣٠٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٨٦ في ترجمة علي بن أبي طالب. المناقب للخوارزمي ص:٨٥ الفصل الســـابع في بيان غزارة علمه وأنه أقضى الأصحاب، ص:١٤٢ الفصل الرابع عشر في بيان أنه أقرب الناس من رســـول الله وأنه مولى من كان رســـول الله مولاه. موضح أوهام الجمع والتفريـــق ج:١ ص:١٨٥. تاريـــخ بغداد ج:١٣ ص:١٢٤ في ترجمة المفضل بن ســـلم. الفردوس بمأثـــور الخطاب ج:٥ ص:٣٦٤. حلية الأولياء ج:١ ص:٦٣ في ترجمة علي بن أبي طالب. لســـان الميزان ج:١ ص:١٠٧ في ترجمة إبراهيم بن محمد بن ميمون. ميزان الاعتدال ج:١ ص:٦٤ في ترجمة إبراهيم بن محمود بن ميمون. مطالب السؤول ص:١٢٦. الكافي ج:١ ص:٢٩٢. تفسير القمي ج:١ ص:١٧٤. المسترشد ص:٥٨٤. الإرشاد ص:١٩. الاحتجاج ج:١ ص:٨٣. اليقين لابن طاووس ص:٢٨٥. مناقـــب آل أبي طالب لابن شهرآشـــوب ج:٢ ص:٢٥٢. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٦) تاريخ دمشـــق ج:٤٢ ص: ٣٠٣ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. الإرشـــاد ج:١ ص:٤٨. اليقين لابن طاووس ص:٢٢٩. ونحوه في الخصال ص:٤٦٤، وعيون أخبار الرضا ج:١ ص:٧٣، والمسترشـــد ص:٥٨٦، والأمالي للطوسي ص:٣٣١، والتحصين ص:٥٧٥، وكشف الغمة ج:١ ص:٣٥١، وغيرها من المصادر.

ولـــذا ورد عـــن أبي ذر رضي الله عنه أنه حينما مرض أوصى لأمـــير المؤمنين علي (صلوات الله عليه)، فقيـــل له: «لو أوصيت إلى أمير المؤمنين عمر لكان أجمل لوصيتك من علي». فقال: «والله لقد أوصيت إلى أمير المؤمنين حقاً. وإنه والله أمير المؤمنين...»[١].

ونحوه ما رواه ابن مردويه بسنده عن معاوية بن ثعلبة قال: «دخلنا على أبي ذر رضي الله عنه نعـــوده في مرضه الذي مات فيه، فقلنـــا: أوص يا أبا ذر. قال: قد أوصيـــت إلى أمير المؤمنين. قال: قلنا: عثمان؟ قال: لا، ولكن إلى أمير المؤمنين حقاً، أمير المؤمنين والله. إنه لَرِبيّ الأرض، وإنه لَرَباني هذه الأمة...»[٢].

وعن أبي شريح، أنه قال: «أتى حذيفة بالمدائن ونحن عنده أن الحســـن وعماراً قدما الكوفة يســـتنفران الناس إلى علي، فقال حذيفة: إن الحسن وعماراً قدما يســـتنفرانكم، فمن أحب أن يلقى أمير المؤمنين حقاً حقاً فليأت إلى علي بن أبي طالب»[٣].

وعن حذيفة أيضاً أنه لما كتب إليه أمـــير المؤمنين عليه السلام، وأقره على عمله بالمدائـــن بعد قتل عثمان، قام خطيبـــاً في الناس، وقال في جملـــة ما قال: «أيها الناس إنما وليكم الله ورســـوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً، وخير من نعلمه بعد

---

(١) شرح إحقاق الحق ج:٨ ص:٦٧٩ نقلاً عن مناقب عبد الله الشافعي ص:٨٧، واللفظ له. كتاب سليم بن قيس ص:٢٦٨. كشـــف الغمـــة ج:١ ص:٣٥٣ ذكر الإمام علي بـــن أبي طالب عليه السلام: مخاطبته بأمير المؤمنين. الشافي في الإمامة ج:٣ ص:٢٢٤. اليقين لابن طاووس ص:١٤٥. وغيرها من المصادر.

(٢) اليقـــين لابـــن طـــاووس ص:١٤٦، واللفظ له. الإرشـــاد ج:١ ص:٤٧. كتاب ســـليم بن قيس ص:٢٧١. نهج الإيمان لابن جبر ص:٤٦٢. وغيرها من المصادر.

(٣) أنساب الأشراف ج:٢ ص:٣٦٦ (وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، واللفظ له، ونحوه في ج:٣ ص:١٧ في بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

نبينا...»[١].

تحجير السلطة على السنة النبوية

الأمر الثاني مما قام به الولاة في سبيل دعم سلطانهم: التحجير على السنة النبويـــة، بمنع تدوينها[٢]، وحرق ما دون منها[٣]، ومنع الحديث عن رســـول الله صلى الله عليه وآله إلا بما يتناســـب مع نهج الحاكم ورغبته. حتى حبس عمر عبد الله بن مســـعود وأبا ذر[٤]، الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ج:٢٨ ص:٨٩.

(٢) جامـــع بيان العلم وفضلـــه ج:١ ص:٦٥ باب ذكر كراهية كتابة العلـــم وتخليده في الصحف. كنز العمال ج:١٠ ص:٢٩٢ ح:٢٩٤٧٦.

(٣) تذكـــرة الحفاظ ج:١ ص:٥ في ترجمـــة أبي بكر الصديق (رضي الله تعالى عنـــه). كنز العمال ج:١٠ ص:٢٨٥ ح:٢٩٤٦٠. الطبقات الكبرى ج:٥ ص:١٨٨ في ترجمة القاسم بن محمد. تاريخ الإسلام ج:٧ ص:٢٢٠ـ٢٢١ في ترجمة القاســـم بن محمد بن أبي بكر الصديق. ســـير أعـــلام النبلاء ج:٥ ص:٥٩ في ترجمة القاسم بن محمد.

(٤) تذكـــرة الحفـــاظ ج:١ ص:٧ في ترجمة عمر بـــن الخطاب. المجروحين لابـــن حبان ج:١ ص:٣٥ ذكر أول من وقى الكذب على رســـول الله صلى الله عليه وآله. المســـتدرك على الصحيحين ج:١ ص:١١٠ كتاب العلم: حبس عمر رضي الله عنه ابن مســـعود رضي الله عنه وغيره على كثرة الرواية. سير أعلام النبلاء ج:٢ ص:٣٤٦ في ترجمة أبي الدرداء. تاريخ دمشـــق ج:٤٧ ص:١٤٢ في ترجمة عويمـــر بن زيد بن قيس. المصنف لابن أبي شـــيبة ج:٦ ص:٢٠١ في هيبة الحديث عن رســـول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه لم يذكر أبا ذر. وغيرها من المصادر.

(٥) مسند أحمد ج:٥ ص:١٩٧ باقي حديث أبي الدرداء، واللفظ له، ج:٢ ص:٢٢٣ مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ج:٦ ص:٤٤٢ من حديث أبي الدرداء عويم رضي الله عنه. ســـنن الترمذي ج:٥ ص:٣٣٤ أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: مناقب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:٣٤٢، ٣٤٤ كتاب معرفة الصحابة: ذكر مناقـــب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. صحيح ابن حبان ج:١٦ ص:٧٦ كتاب إخباره صلى الله عليه وآله عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم: مناقب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. مجمع الزوائد

وعن عبد الرحمن بن عــوف أنه قال: «والله ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رســول الله ﷺ فجمعهم من الآفاق: عبد الله وحذيفة وأبي الدرداء وأبي ذر وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله ﷺ في الآفــاق؟! فقالوا: أتنهانا؟ قال: لا. أقيمــوا عندي. لا والله لا تفارقوني ما عشت. فنحن أعلم ما نأخذ ونرد عليكم»[١].

وعن ســعد بن إبراهيم عن أبيه قال: «بعث عمر إلى ابن مســعود وأبي الدرداء وأبي مســعود الأنصاري فقال: ما هذا الحديــث الذي تكثرون عن رسول الله ﷺ؟! فحبسهم في المدينة حتى استشهد»[٢].

قسوة السلطة في تنفيذ مشروعها

ويبــدو من بعض الروايات أن الأمر بلغ من الشــدة حــداً كمّت معه الأفواه. ففي حديث حذيفة: «كنّا مع رســول الله ﷺ فقــال: أحصوا لي كم يلفظ الإســلام. قال: فقلنا: يا رســول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟! قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا. قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منّا لا يصلي إلا سراً»[٣].

ج:٩ ص:٣٢٩ كتــاب المناقب: باب في أبي ذر رضي الله عنه. المصنف لابن أبي شــيبة ج:٧ ص:٥٢٦ كتاب الفضائل: ما جاء في أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(١) تاريخ دمشــق ج:٤٠ ص:٥٠٠ـ٥٠١ في ترجمة عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو، واللفظ له. كنز العمال ج:١٠ ص:٢٩٣ ح:٢٩٤٧٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٢٠٦ في ترجمة شعبة بن الحجاج.

(٣) صحيح مسلم ج:١ ص:٩١ كتاب الإيمان: باب الاستسرار بالإيمان للخائف، واللفظ له. مسند أحمد ج:٥ ص:٣٨٤ حديث حذيفة بن اليمان. سنن ابن ماجة ج:٢ ص:١٣٣٧ كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء. السنن الكبرى للنسائي ج:٥ ص:٢٧٦ كتاب السير: إحصاء الإمام الناس. صحيح ابن

ولعل منه حديث مطرف قال: «بعــث إليّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه، فقال: إني كنت محدثك بأحاديث، لعل الله أن ينفعك بها بعدي. فإن عشت فاكتم عني، وإن مت فحدث بها إن شئت. إنه قد سلم علي. إن نبي الله ﷺ قد جمع بين حجة وعمرة، ثم لم ينزل بها كتاب، ولم ينه عنها نبي الله ﷺ. قال رجل فيها برأيه ما شاء»[١].

بل يبدو أن الأمر تجاوز ذلك إلى منع العلم والثقافة إلا ما بذلته السلطة، بحيث لا يحق لأحد أن يطلب العلم ويسأل إلا في حدود خاصة، ومن حاول ما خرج عن ذلك لا يقتــصر على منعه، بل ينهك عقوبة ونكالاً، ليكون عبرة لغيره، فلا يتجرأ على البحث والسؤال.

فقــد تظافرت النصوص أن صبيغاً ســأل عن شيء مــن القرآن فعزره عمر[٢]، بل في بعضها أنه أنهكه عقوبة وأضرّ به[٣]. وفي بعضها أنه منع المسلمين

حبان ج:١٤ ص:١٧١ كتاب التاريخ: ذكر إحصاء المصطفى ﷺ من كان تلفظ بالإســلام في أول الإسلام. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦١٩ كتاب الفتن: باب من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(١) صحيح مســلم ج:٤ ص:٤٨ كتاب الحج: باب جــواز التمتع، واللفظ له. الطبقات الكبرى ج:٤ ص:٢٩٠ في ترجمة عمران بن حصين. سنن الدارمي ج:٢ ص:٣٥ كتاب المناسك: باب في القران. مســند أحمد ج:٤ ص:٤٢٨ حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. أضواء البيان ج:٤ ص:٣٦٦. وغيرها من المصادر.

(٢) سنن الدارمي ج:١ ص:٥٤ باب: من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع. الإصابة ج:٣ ص:٣٧٠ في ترجمة صبيغ بن عسل. تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٤١١ في ترجمة صبيغ بن عسل. الاستذكار لابن عبد البر ج:٥ ص:٧٠. نصب الراية ج:٤ ص:١١٨. تفســير القرطبي ج:٤ ص:١٥. الدر المنثور ج:٢ ص:٧. فتح القدير ج:١ ص:٣١٩. الاتقان في علوم القرآن ج:٢ ص:٩. تخريج الأحاديث والآثار للزيلعــي ج:٣ ص:٣٦٥. كنــز العمال ج:٢ ص:٣٣٤ ح: ٤١٧٠. وغيرهــا من المصادر الكثيرة.

(٣) ســنن الدارمي ج:١ ص:٥٤ باب: من هــاب الفتيا وكره التنطع والتبدع. تاريخ دمشــق ج:٢٣

من مجالسته[١]، ومن عيادته إذا مرض[٢]، وحرمه عطاءه ورزقه[٣].

وعن بعضهم قال: «رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين عمر. فيقومون ويدعونه»[٤].

ص:٤١٠، ٤١١ في ترجمة صبيغ بن عسل. تفسير القرآن لعبد الرزاق ج:٢ ص:٢٤٩. تفسير القرطبي ج:٩ ص:٢٢٦. تفسير ابن كثير ج:٢ ص:٢٩٤. الدر المنثور ج:٦ ص:١١١. الاستذكار لابن عبد البر ج:٥ ص:٧٠. كنز العمال ج:٢ ص:٣٣١ ح: ٤١٦١، وص:٣٣٥ ح: ٤١٧٢. وغيرها من المصادر.

قال نافع مولى عبد الله: «إن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن... فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى نزل ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت...».

(١) سنن الدارمي ج:١ ص:٥٤ باب: من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع. المصنف لعبد الرزاق ج:١١ ص:٤٢٦ باب: من حالت شفاعته دون حد. الإصابة ج:٣ ص:٤٧١ في ترجمة صبيغ. تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣ في ترجمة صبيغ بن عسل. تفسير ابن كثير ج:٤ ص:٢٤٨. الدر المنثور ج:٦ ص:١١١. الاتقان في علوم القرآن ج:٢ ص:٩. إكمال الكمال ج:٦ ص:٢٠٧ باب: عسل. كنز العمال ج:٢ ص:٣٣١ ح: ٤١٦١، وص:٣٣٥ ح: ٤١٧٣، ٤١٧٤، وص:٥١٠ ح: ٤٦١٧، وص:٥١١ ح: ٤٦١٨، وج:١١ ص:٢٩٧ ح: ٣١٥٥٩. وغيرها من المصادر.

(٢) الدر المنثور ج:٢ ص:٧. كنز العمال ج:٢ ص:٣٣٧ ح: ٤١٨٠.

(٣) الإصابة ج:٣ ص:٣٧١ في ترجمة صبيغ. تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٤١٣ في ترجمة صبيغ بن عسل. الوافي بالوفيات ج:١٦ ص:١٦٣ في ترجمة صبيغ اليربوعي. الفقيه والمتفقه ج:٢ ص:١٩. الدر المنثور ج:٢ ص:٧. كنز العمال ج:٢ ص:٣٣٥ ح: ٤١٧٤. وغيرها من المصادر.

(٤) تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٤١٣ في ترجمة صبيغ بن عسل، واللفظ له. الاستذكار لابن عبد البر ج:٥ ص:٧٠. الدر المنثور ج:٢ ص:٧. وغيرها من المصادر.

سيرة عمر أيام ولايته

وذلك يناسب ما هو المعلوم من شدة عمر وغلظته.

كما أجاب بذلك عبد الرحمن بن عوف أبا بكر لما سأله عنه، حيث قال له: «إنه أفضل من رأيك، إلا أن فيه غلظة»[١]. بل أنكر بعض المهاجرين على أبي بكر استخلافه لعمر، حيث قال له: «استخلفت علينا عمر وقد عَتا علينا ولا سلطان له، فلو قد ملكنا كان أعتى وأعتى. فكيف تقول لله إذا لقيته؟!»[٢].

وتقول أسماء بنت عميس: «دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر، فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم؟! وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك. فقال أبو بكر وكان مضطجعاً: أجلسوني. فأجلسوه، فقال لطلحة: أبالله تفرقني؟! أو أبالله تخوفني؟! إذا لقيت الله ربي فساءلني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك»[٣].

وزاد ابن أبي الحديد: «فقال طلحة: أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله؟! فاشتد غضبه. فقال: إي والله هو خيرهم، وأنت شرهم. أما والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٦٤.

(٢) تاريخ دمشق ج:٤٤ ص:٢٤٩، ٢٥٠ في ترجمة عمر بن الخطاب، واللفظ له. الفائق في غريب الحديث ج:١ ص:٨٩.

(٣) تاريخ الطبري ج:٢ ص:٦٢١ أحداث سنة ثلاث عشرة من الهجرة: ذكر أسماء قضاته وكتابه وعماله على الصدقات، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٤٢٥ أحداث سنة ثلاث عشرة من الهجرة: ذكر استخلافه عمر بن الخطاب. شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٦٤ـ١٦٥. وقريب منه في الفتوح لابن أعثم ج:١ ص:١٢١ ذكر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قبل فتح دمشق.

الذي يضعها. أتيتني وقد دلكت عينك تريد أن تفتنني عن ديني وتزيلني عن رأيي! قم لا أقام الله رجليك... فقام طلحة فخرج»[١].

وفي رواية أخرى أن طلحة قال له: «ما أنت قائل لربك غداً وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منه النفوس، وتنفضّ عنه القلوب»[٢].

بل قال ابن قتيبة: «فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمر، فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه[٣] فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا؟ وأنت لاقٍ الله عز وجل فسائلك، فما أنت قائل؟ فقال أبو بكر: لئن سألني الله لأقولن: استخلفت عليهم خيرهم في نفسي... وكان أهل الشام قد بلغهم مرض أبي بكر استبطؤوا الخبر، فقالوا: إنا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولي بعده عمر. فإن كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب. وإنا لنرى خلعه»[٤].

وعن زيد بن الحارث أن أبا بكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه فقال الناس: «تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت عمر؟!»[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٦٤.

(٣) هكذا وردت في طبعة مؤسسة الحلبي وشركائه بتحقيق الدكتور طه محمد الزيني، وكذا طبعة أمير ـ قم سنة:١٤١٣هـ بتحقيق علي شيري. وأما ما في طبعة دار الكتب العلمية في بيروت سنة:١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م بتعليق خليل المنصور فالوارد هكذا: (بوافقه).

(٤) الإمامة والسياسة ج:١ ص:٢٣ ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٧٤ كتاب المغازي: ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب، واللفظ له. تاريخ المدينة ج:٢ ص:٦٧١. كنز العمال ج:٥ ص:٦٧٨ ح:١٤١٧٨.

ويظهر من ذلك أن المنكرين لولاية عمر في أنفسهم وعلى أبي بكر جماعة كثيرون. ويناسبه قول أبي بكر لعبد الرحمن بن عوف: «إني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه...»[١].

وعن سيرة عمر في ولايته وسلطانه يقول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في خطبته الشقشقية: «فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها. فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم. فمُنِيَ الناس ـ لعمرو الله ـ بخبط وشماس، وتلون واعتراض. فصبرت على طول المدة وشدة المحنة»[٢].

ويقول عثمان: «أما والله يا معشر المهاجرين والأنصار لقد عبتم عليّ أشياء ونقمتم أموراً قد أقررتم لابن الخطاب مثلها. ولكنه وَقَمَكم[٣] وقمعكم، ولم يجترئ أحد يملأ بصره منه، ولا يشير بطرفه إليه...»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٢ ص:٦١٩ أحداث سنة ثلاث عشرة من الهجرة: ذكر أسماء قضاته وكتابه وعماله على الصدقات، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢٠٢ كتاب الخلافة: باب كراهة الولاية ولمن تستحب. المعجم الكبير ج:١ ص:٦٢ ومما أسند أبو بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) عن رسول الله ﷺ. الإمامة والسياسة ج:١ ص:٢٠ مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما. تاريخ دمشق ج:٣٠ ص:٤٢٠ في ترجمة أبي بكر الصديق. ميزان الاعتدال ج:٣ ص:١٠٩ في ترجمة علوان بن داود البجلي. لسان الميزان ج:٤ ص:١٨٨ في ترجمة علوان بن داود البجلي. وقد ذكر بعضه في النهاية في غريب الحديث ج:٥ ص:١٧٧، ولسان العرب ج:٩ ص:١٥، وتاج العروس ج:١٧ ص:٧٢٣. وغيرها من المصادر.

(٢) نهج البلاغة ج:١ ص:٣٣، واللفظ له. علل الشرائع ج:١ ص:١٥١. معاني الأخبار ص:٣٦١. مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٢ ص:٤٩. وغيرها من المصادر.

(٣) وقم الدابة: جذب عنانها لتقف. ووقم الرجلَ: قهره ورده عن حاجته أقبح الرد.

(٤) الإمامة والسياسة ج:١ ص:٢٨ ذكر الإنكار على عثمان رضي الله عنه، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٧٥ـ١٧٦ مسير أهل الأمصار إلى عثمان واجتماعهم إليه مع من اجتمع من أهل المدينة.

وعن المغيرة أنه قال: «كان مما تميز به عمر رضي الله عنه الرعب، إن الناس كانوا يفرقونه»[١].

وقال الأصمعي: «كلم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب أن يلين لهم، فإنه قد أخافهم، حتى إنه قد أخاف الأبكار في خدورهن. فقال عمر: إني لا أجد لهم إلا ذلك. وإنهم لو يعلمون ما لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي»[٢].

وفي حديث محمد بن زيد أن جماعة من المهاجرين قالوا لعبد الرحمن: «لو أنك كلمت أمير المؤمنين، فإنه يقدم الرجل، فيطلب الحاجة، فتمنعه مهابته أن يكلمه حتى يرجع. فليلن للناس»[٣].

ويبدو الإغراق في الشدة والإرعاب مما عن القاسم بن محمد قال: «بينما عمر رضي الله عنه يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بدا له فالتفت فما بقي منهم أحد إلا سقط إلى الأرض على ركبتيه. فلما رأى ذلك بكى، ثم

تاريخ الطبري ج:٣ ص:٣٧٧ أحداث سنة أربع وثلاثين من الهجرة: تكاتب المنحرفين عن عثمان للاجتماع.. . الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٥٢ أحداث سنة أربع وثلاثين من الهجرة: ذكر ابتداء قتل عثمان. البداية والنهاية ج:٧ ص:١٨٩ أحداث سنة أربع وثلاثين من الهجرة. إعجاز القرآن للباقلاني ص:١٤٢. شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٢٣. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ المدينة ج:٢ ص:٦٨ هيبة عمر.

(٢) عيون الأخبار ج:١ ص:١٢ كتاب السلطان، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٤٤ ص:٢٦٩ـ٢٧٠ في ترجمة عمر بن الخطاب. كنز العمال ج:١٢ ص:٦٥٠ـ٦٥١ ح:٣٥٩٧٩. التذكرة الحمدونية ج:١ ص:١٠٩ الفصل الخامس أخبار في السياسة والآداب.

(٣) تاريخ المدينة ج:٢ ص:٦٨١ هيبة عمر، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:١٠ ص:٣٤٠ أخبار عمر بن الخطاب. الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٢٨٧ ذكر استخلاف عمر رضي الله عنه. تاريخ دمشق ج:٤٤ ص:٢٦٩ في ترجمة عمر بن الخطاب. كنز العمال ج:١٢ ص:٥٦٤ ح:٣٥٧٧٠.

رفع يديه فقال: اللهم إنك تعلم أني منك منهم أشـــد فرقاً منهم مني»[١]... إلى غير ذلك مما يجده الناظر في سيرته. ويأتي بعض ما يتعلق بذلك في المقام الأول من المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

هذا والحديث في التحجير على الســـنة النبوية طويل تعرضنا لطرف منه في جواب الســـؤال الســـابع من الجزء الأول من كتابنا (**في رحاب العقيدة**)، وعند التعرض لمحن الحديث النبوي الشريف في أواخر جواب السؤال الثامن من الجزء الثالث من الكتاب المذكور.

وضع الأحاديث على النبي صلى الله عليه وآله لصالح السلطة

كما يبدو أن التحجير المذكور قـــد قارن أمراً لا يقل خطورة عنه، بل قد يكون أخطر منه. وهو قيام الســـلطة بالتعاون مع حديثي الإسلام والمنافقين الذين قربتهم ـ كما يأتي ـ بوضع الحديث على رســـول الله صلى الله عليه وآله بما يتناســـب مع رغبتها، ويرفع من شأنها وشأن المتعاونين معها.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أسباب اختلاف الحديث

فقد روي بطرق متعددة عن ســـليم بن قيس الهلالي، قال: «قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر أشياء من تفسير القرآن، وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم ســـمعت منك تصديق ما ســـمعت منهم. ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل. أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين، ويفسرون القرآن بآرائهم؟

---

(١) تاريخ المدينة ج:٢ ص:٦٨١ هيبة عمر.

قال: فأقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب. إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً، فقال: أيها الناس قد كثرت علي الكذابة. فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. ثم كذب عليه من بعده.

وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً. فلو علم الناس أنه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ورآه وسمع منه. وأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله.

وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره، ووصفهم بما وصفهم، فقال عز وجل: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ**﴾.

ثم بقوا بعده، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا، إلا من عصم الله. فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه، ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً. فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه، فيقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله. فلو علم المسلمون أنه وَهِم لم يقبلوه. ولو علم هو أنه وَهِم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به، ثم نهى عنه وهو لا

يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم. فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ. ولو علم أنه منسوخ لرفضه. ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، مبغض للكذب، خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، لم ينسه [لم يسه]، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع، لم يزد فيه، ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ، ورفض المنسوخ.

فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، [وخاص وعام]، ومحكم ومتشابه. قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل القرآن. وقال الله عز وجل في كتابه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾. فيشتبه على من لم يعرف، ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله.

وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء فيفهم. وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه. حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطاري، فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا...»[1].

---

(١) الكافي ج:١ ص:٦٢ـ٦٤ باب الاختلاف في الحديث حديث:١. واللفظ له. الخصال ص:٢٥٥ـ٢٥٧ باب الأربعة حديث:١٣١. غيبة النعماني ص:٨٠ـ٨٢ باب:٤ حديث:١٠.

وروى كلام أمير المؤمنين عليه السلام السيد الرضي، فقال: «ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام...». نهج البلاغة ج:٢ ص:١٨٨. كما روي في كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي ج:٣ ص:١٩٧.

وذكر المهم من هذا الكلام سبط ابن الجوزي، فقال: «قال الشعبي: حدثني من سمع علياً عليه السلام وقد سئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث فقال: الناس أربعة منافق... وفي

ثم ذكر (صلوات الله عليه) ما اختصه به رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم، وأنه علمه كلما علمه الله تعالى وأنه دعا له بالحفظ، فحفظ كلما علم ولم ينس منه شيئاً في كلام طويل لا يسعنا ذكره.

شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من التحريف وتعريضه بالمحرفين

وقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أيضاً: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى...»[1].

قال ابن أبي الحديد: «هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة، كانوا ينازعونه الفضل، فمنهم من كان يُدعى له أنه أفرض، ومنهم من كان يُدعى له أنه أقرأ، ومنهم من كان يدعى له أنه أعلم بالحلال والحرام. هذا مع تسليم هؤلاء له عليه السلام أنه أقضى الأمة، وأن القضاء يحتاج إلى كل هذه الفضائل. وكل واحدة منها لا تحتاج إلى غيرها. فهو إذن أجمع للفقه وأكثرهم احتواء عليه. إلا أنه عليه السلام لم يرض بذلك، ولم يصدق الخبر الذي قيل: أفرضكم فلان... إلى آخره. فقال: إنه كذب وافتراء حمل قوماً على وضعه الحسد والبغي والمنافسة لهذا الحي من بني هاشم، أن رفعهم الله على غيرهم، واختصهم دون سواهم»[2].

وعن عباد بن عبد الله الأسدي قال: «سمعت علي بن أبي طالب يقول:

رواية كميل بن زياد عنه أنه قال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً... وإنما يأتيك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس. وذكرهم». تذكرة الخواص ص:١٤٢ـ١٤٣.

(١) نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٨٦.

أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر. لا يقولها غيري إلا كذاب. ولقد صليت قبل الناس سبع سنين»[١].

وروت معاذة العدوية قالت: «سمعت علياً على منبر البصرة يخطب، يقول: أنا الصدّيق الأكبر. آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم»[٢]. وعنه عليه السلام أنه قال: «أنا الصدّيق الأكبر، وأنا الفاروق الأول. أسلمت قبل إسلام الناس، وصليت قبل صلاتهم»[٣].

وقال ابن عبد البر: «وروينا من وجوه عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: أنا عبد

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١٣ ص:٢٢٨. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين ص:٨٣. وفي ضعفاء العقيلي ج:٣ ص:١٣٧ في ترجمة عباد بن عبد الله الأسدي أنه عليه السلام قال: «أنا عبد الله وأخو رسول الله أنا الصديق الأكبر وما قالها أحد قبلي وما يقولها إلا كاذب مفتر ولقد أسلمت وصليت قبل الناس سبع سنين». وقد ذكر بدل (لا يقولها غيري) (لا يقولها بعدي) في سنن ابن ماجة ج:١ ص:٤٤ باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والسنن الكبرى للنسائي ج:٥ ص:١٠٧ كتاب الخصائص: ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذكر منزلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١١٢ كتاب معرفة الصحابة: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٤٩٨ كتاب الفضائل: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والسنة لابن أبي عاصم ص:٥٨٤، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٣٣ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. الآحاد والمثاني ج:١ ص:١٥١. تهذيب الكمال ج:١٢ ص:١٨ في ترجمة سليمان بن عبد الله. ضعفاء العقيلي ج:٢ ص:١٣١ في ترجمة سليمان بن عبد الله. الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ج:٣ ص:٢٧٤ في ترجمة سليمان بن عبد الله. شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:١٢٢، ج:١٣ ص:٢٢٨. ينابيع المودة ج:٢ ص:١٤٦. وغيرها من المصادر.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:٣٠. ينابيع المودة ج:١ ص:٤٥٥.

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر بعد نقل هذا الحديث عنه عليه السلام: «وفي غير رواية الطبري: أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته بسبع سنين». شرح نهج البلاغة ج:١٣ ص:٢٠٠.

الله وأخو رسول الله. لا يقولها أحد غيري إلا كذاب»[١]... إلى غير ذلك مما يظهر منه تكذيب ما اشتهر من أن أبا بكر هو الصديق، وأن عمر هو الفاروق، وما روي من أن أبا بكر أخو رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

ونظير ذلك ما عن أبي غطفان أنه قال: «سألت ابن عباس أرأيت أن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي. قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري. فقال ابن عباس: أتعقل؟! والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه لمستند إلى صدر علي. وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس...»[٣].

تأكيد السلطة على أهمية الإمامة وعلى الطاعة ولزوم الجماعة

الأمر الثالث مما قام به الولاة في سبيل دعم سلطانهم: التأكيد على الأمور الثلاثة، التي سبق أن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله قد أكدا عليها في حق الإمام المعصوم المجعول من قبل الله تعالى. وهي وجوب معرفة الإمام والبيعة له، ووجوب طاعته والنصيحة له، ووجوب لزوم جماعته، والنهي عن الاختلاف والتفرق والفتنة.

وقد أغفلت السلطة أن ذلك إنما جعل في حق الإمام المنصوص عليه

---

(١) الاستيعاب ج:٣ ص:١٠٩٨ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٢) صحيح البخاري ج:٤ ص:١٩١ كتاب بدء الخلق: باب مناقب المهاجرين وفضلهم. مسند أحمد ج:١ ص:٤٦٣ مسند عبد الله بن مسعود. مسند أبي داود الطيالسي ص:٤٢. المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٤٧٦ كتاب الفضائل: ما ذكر في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. المعجم الكبير ج:١٠ ص:١٠٥ ما روي عن عبد الله بن مسعود. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) الطبقات الكبرى ج:٢ ص:٢٦٣ ذكر من قال توفي رسول الله صلى الله عليه وآله في حجر علي بن أبي طالب، واللفظ له. فتح الباري ج:٨ ص:١٠٧. كنز العمال ج:٧ ص:٢٥٣ـ٢٥٤ ح:١٨٧٩١.

المعصـــوم، المأمون على الدين والدنيا، دون غيره ممن لا تؤمن أخطاؤه وبوائقه على الإسلام والمسلمين.

١ـ فمن الملفت للنظر أن كثيراً من طـــرق رواية ما تضمن أن من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية ونحـــوه ـ مما تقدم التعرض له ـ تنتهي إلى معاوية بن أبي ســـفيان[١]، الذي بقي هو بلا بيعة، ومن دون أن يدعي لنفسه الخلافة، ما يقرب من ثلاث سنين.

٢ـ ومن الطريف جداً ما رواه ابن الأثير. فإنه ـ بعد أن ذكر بيعة معاوية ليزيد بالشـــام بالترغيب والترهيب، وأنه ورد المدينة فنال من النفر الذين بلغه إباءهم البيعة، وشتمهم في وجوههم، ثم خطب فأرعد وأبرق مهدداً معرضاً بهم ـ قال: «ثم دخل على عائشـــة، وقـــد بلغها أنه ذكر الحســـين وأصحابه، فقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا، فشـــكاهم إليها، فوعظته، وقالت له: بلغني أنك تتهددهم بالقتل. فقال: يا أم المؤمنين، هم أعز من ذلك. ولكني بايعت ليزيد، وبايعه غيرهم. أفترين أن أنقض بيعة قد تمت؟!...»[٢].

---

(١) راجع مســـند أحمد ج:٤ ص:٩٦ حديث معاوية بن أبي ســـفيان رضي الله عنه، ومجمـــع الزوائد ج:٥ كتاب الخلافة ص:٢١٨ باب لـــزوم الجماعة وطاعة الأئمة والنهي عن قتالهم، ص:٢٢٥ باب لا طاعة في معصية، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص:٤٨٩، ومسند أبي يعلى ج:١٣ ص:٣٦٦، وصحيح ابن حبان ج:١٠ ص:٤٣٤ كتاب السير: باب طاعة الأئمة: ذكر الزجر عن ترك اعتقاد المرء الإمام الذي يطيع الله جل وعلا في أســـبابه، والمعجم الأوسط ج:٦ ص:٧٠، والمعجم الكبير ج:١٩ ص:٣٣٥ فيـــما رواه ذكوان أبو صالح الســـمان عن معاوية، ص:٣٨٨ فيما رواه شريـــح بن عبيد عن معاوية، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٥٠٨ـ٥٠٩ أحداث ســـنة ست وخمسين من الهجرة: ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد. ونحوه في الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٤١ ذكر خبر معاوية في خروجه إلى الحج ومما كان منه بمكة والمدينة ورجوعه.

فكأنَّ مثل هذه البيعة بيعة إلهية نقضها أعظم جريمة من الموبقات الكثيرة التي ارتكبها معاوية!.

٣ـ ولما تخلف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ومن معه عن بيعة أبي بكر، واجتمعوا في بيت سيدة النساء الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) أرسل إليهم عمر ليخرجهم من بيتها. وقال له: «إن أبوا فقاتلهم»، فأقبل عمر ومن معه بقبس من نار، فلقيتهم سيدة النساء، وقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟!». قال: «نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة»[١].

٤ـ ويتحدث عمر بن الخطاب عن أحداث السقيفة وعن موقفه من سعد بن عبادة، لأنه حاول أن يسبقهم في الاستيلاء على السلطة، فيقول: «فقلت وأنا مغضب: قتل الله سعداً، فإنه صاحب فتنة وشر»[٢].

٥ـ وفي حديث لأبي بكر مع العباس بن عبد المطلب حينما ذهب إليه ليجعل له ولعقبه نصيباً في الخلافة، ليقطعه بذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام ويضعف موقفه، قال أبو بكر: «إن الله بعث محمداً نبياً... حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أموراً [أمورهم.ظ] ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم

---

(١) العقد الفريد ج:٤ ص:٢٤٢ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: سقيفة بني ساعدة، واللفظ له. المختصر في أخبار البشر ج:١ ص:١٥٦ ذكر أخبار أبي بكر الصديق وخلافته.

(٢) صحيح ابن حبان ج:٢ ص:١٥٧ باب حق الوالدين: الزجر عن أن يرغب المرء عن آبائه إذ استعمال ذلك ضرب من الكفر. تاريخ دمشق ج:٣٠ ص:٢٨٣ في ترجمة أبي بكر الصديق. تاريخ الإسلام ج:٣ ص:١١ أحداث سنة إحدى عشر من الهجرة: خلافة أبي بكر رضي الله عنه. النهاية في غريب الحديث ج:٤ ص:١٣. لسان العرب ج:١١ ص:٥٤٩. وغيرها من المصادر.

مشـــفقين، فاختاروني عليهم والياً، ولأمورهم راعياً... وما انفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ... فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه...». فقال عمر بن الخطاب: «إي والله. وأخرى: إنا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهاً أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المســلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم...». فأجاب العباس أبا بكــر بكلام طويل، ومنه قوله: «فإن كنت برســول الله طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم... وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين فــما وجب إذ كنا كارهين. ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا إليك...»[1].

٦ـ وقــال الفضل بن شــاذان في التعقيب على محاولــة القوم قتل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «فقيل لسفيان وابن حي ولوكيع: ما تقولون فيما كان من أبي بكر في ذلك؟ فقالوا جميعاً: كانت ســيئة لم تتم. وأما من يجسر من أهل المدينة فيقولون: وما بأس بقتل رجــل في صلاح الأمة. إنه إنما أراد قتله لأن علياً أراد تفريق الأمة، وصدهم عن بيعة أبي بكر»[2].

٧ـ ولما امتنعت كندة من بيعة أبي بكر وطاعته وتســليم زكاتها له، لأنها ترى أن الحق في بني هاشــم، وقتل منها من قتــل، وجرت خطوب طويلة في ذلــك، كتب أبو بكر إلى الأشــعث بن قيس يتهدده، فلــما وصل الكتاب إلى الأشعث وقرأه قال للرسول: «إن صاحبك أبا بكر هذا يلزمنا الكفر بمخالفتنا

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٢٥ خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر، واللفظ له. الإمامة والسياسة ج:١ ص:١٨ كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. شرح نهج البلاغة ج:١ ص:٢٢٠.

(٢) الإيضاح ص:١٥٧ـ١٥٨.

له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي». فقال له الرسول: «نعم يا أشعث يلزمك الكفر لأن الله تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين»[١].

٨ـ وفي خطبة لأبي بكر: «وإنكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة. وسترون بعدي ملكاً عضوضاً، وأمة شَعاعاً، ودماً مفاحاً. فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، وتموت السنن. فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة...»[٢].

٩ـ كما أن علقمة بن علاثة قد رأى عمر بن الخطاب مساء في الظلام، فظنه خالد بن الوليد، فشدد في الاستنكار على عمر، وذمه لعزله لخالد، ونزعه من الولاية، فأبقاه عمر على غفلته، وقال له: «نزعني فما عندك في نزعي؟» فقال علقمة: «وماذا عندي في نزعك؟! هؤلاء قوم ولوا أمراً، ولهم علينا حق، فنحن مؤدون إليهم الحق الذي جعله الله لهم، وأمرنا ـ أو قال: وحسابنا ـ على الله». وفي الصباح لما اجتمع خالد وعلقمة عند عمر أظهر عمر حقيقة الحال، وأن حديث علقمة لم يكن مع خالد، بل مع عمر نفسه، وعزر عمر علقمة لذمه إياه، ثم قال عن كلمته السابقة في الطاعة وعدم محاولة التغيير من أجل عزل خالد: «إنه قال كلمة لأن يقولها من أصبح من أمة محمد أحب إلي من حمر النعم»[٣].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج:١ ص:٥٦ ذكر كتاب أبي بكر إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة.

(٢) عيون الأخبار ج:٢ ص:٢٣٣ كتاب العلم والبيان. الخطب، واللفظ له. نثر الدر ج:٢ ص:٧ الباب الأول من الفصل الثاني: في كلام أبي بكر الصديق رحمة الله عليه ورضي الله عنه. ومثل ذلك في العقد الفريد ج:٤ ص:٦٢ فرش كتاب الخطب، إلا أنه فيه: «واعتصموا بالطاعة» بدل «والزموا الجماعة».

(٣) تاريخ المدينة ج:٣ ص:٧٩٥. واللفظ له. الإصابة ج:٤ ص:٤٥٩ في ترجمة علقمة بن علاثة. تاريخ

١٠ـ وخطب عمر بالجابية، فذكر خطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله أكد فيها على لزوم الجماعة[١].

١١ـ وعن عبد الملك بن عمير قال: «كان عامة خطبة يزيد بن أبي سفيان وهو على الشام: عليكم بالطاعة والجماعة. فمن ثم لا يعرف أهل الشام إلا الطاعة»[٢].

١٢ـ وفي صحيح أبي حمزة الثمالي قال: «سمعت أبا جعفر [يعني: الإمام الباقر] عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ومعاوية يكتب بين يديه وأهوى بيده إلى خاصرته بالسيف ـ من أدرك هذا يوماً أميراً فليبقر خاصرته بالسيف. فرآه رجل ممن سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وهو يخطب بالشام على الناس، فاخترط سيفه ثم مشى إليه، فحال الناس بينه وبينه، فقالوا: يا عبد الله ما لك؟ فقال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: من أدرك هذا يوماً أميراً فليبقر خاصرته بالسيف. فقالوا: أتدري من استعمله؟ قال: لا. قالوا: أمير المؤمنين عمر. فقال: سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين»[٣].

١٣ـ وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: «كنا مع عبد الله بن مسعود بجمع،

دمشق ج:٤١ ص:١٤١ في ترجمة علقمة بن علاثة. وغيرها من المصادر.

(١) لاحظ سنن الترمذي ج:٣ ص:٣١٥ أبواب الفتن عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم: باب في لزوم الجماعة، والسنن الكبرى للنسائي ج:٥ ص:٣٨٨ـ٣٨٩ كتاب عشرة النساء: لا يخلون رجل بامرأة، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج:١٣ ص:٢٦٦، ونصب الراية ج:٦ ص:١٤١ـ١٤٢، وعلل الترمذي الكبير ص:٣٢٣ أبواب الفتن: ما جاء في لزوم الجماعة.

(٢) تاريخ دمشق ج:١ ص:٣١٩ باب ما ذكر من تمسك أهل الشام بالطاعة واعتصامهم بلزوم السنة والجماعة.

(٣) معاني الأخبار ص:٣٤٦ باب معنى استعانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعاوية في كتابة الوحي.

فلما دخل مسجد منى فقال: كم صلى أمير المؤمنين؟ قالوا: أربعاً. فصلى أربعاً. قال: فقلنا له: ألم تحدثنا أن النبي ﷺ صلى ركعتين، وأبا بكر صلى ركعتين؟ فقال: بلى، وأنا أحدثكموه الآن. ولكن عثمان كان إماماً، فما أخالفه. والخلاف شر»[١]. وروى غير واحد نحو ذلك عن ابن مسعود[٢].

١٤ـ وذكر ابن الأثير أن عبد الرحمن بن عوف أنكر على عثمان إتمامه الصلاة. وقال: «فخرج عبد الرحمن فلقي ابن مسعود، فقال: يا أبا محمد غيّر ما تعلم. قال: فما أصنع؟ قال: اعمل بما ترى وتعلم. فقال ابن مسعود: الخلاف شرّ. وقد صليت بأصحابي أربعاً. فقال عبد الرحمن: قد صليت بأصحابي ركعتين. وأما الآن فسوف أصلي أربعاً»[٣].

١٥ـ وقال الحارث بن قيس: «قال لي عبد الله بن مسعود: أتحب أن يسكنك الله وسط الجنة. قال: فقلت: جعلت فداك وهل أريد إلا ذلك؟ قال:

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج:٣ ص:١٤٤ باب من ترك القصر في السفر غير رغبة عن السنة، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٢٥٤ في ترجمة عثمان بن عفان.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج:٣ ص:١٤٤ باب من ترك القصر في السفر غير رغبة عن السنة. سنن أبي داود ج:١ ص:٤٣٨ كتاب المناسك: باب الصلاة بمنى. المعجم الأوسط ج:٦ ص:٣٦٨. المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج:٢ ص:٥١٦ كتاب الصلاة: باب الصلاة في السفر. مسند أبي يعلى ج:٩ ص:٢٥٦. البداية والنهاية ج:٧ ص:٢٤٤. فتح الباري ج:٢ ص:٤٦٥. عمدة القاري ج:٧ ص:١٢٠، ١٢٢. معرفة السنن والآثار ج:٢ ص:٤٢٦ـ٤٢٧. التمهيد لابن عبد البر ج:١١ ص:١٧٢. تأويل مختلف الحديث ص:٢٧. تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٢٥٥ في ترجمة عثمان بن عفان. وغيرها من المصادر.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٠٤ أحداث سنة تسع وعشرين من الهجرة: ذكر إتمام عثمان الصلاة بجمع.

عليك بالجماعة، أو لجماعة الناس»[١].

١٦ـ وفي خطبة لابن مسعود: «أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به. وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»[٢].

١٧ـ وعن أبي مسعود أنه قال: «عليكم بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة»[٣]. وفي حديث له آخر: «عليك بعظم أمة محمد...»[٤].

١٨ـ وفي أحداث الشورى حينما بايع عبد الرحمن بن عوف عثمان تلكأ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مؤكداً على أنه الأولى بالأمر، وبأن يبايَع، وأخذ يذكر جملة من فضائله التي يتميز بها على غيره، فقطع عليه عبد الرحمن كلامه، وقال: «يا علي، قد أبى الناس إلا عثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً». ثم قال: «يا أبا طلحة، ما الذي أمرك به عمر؟» قال: «أن أقتل من شقّ عصا

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦٤٥ كتاب المغازي: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢٢٢ كتاب الخلافة: باب لزوم الجماعة والنهي عن الخروج على الأئمة وقتالهم. كنز العمال ج:١ ص:٣٨٠ ح:١٦٥٤. المعجم الكبير ج:٩ ص:١٩٨ في نقل كلام ابن مسعود.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ج:٢١ ص:٢٧٣، واللفظ له. الاستذكار لابن عبد البر ج:٨ ص:٥٧٧. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢٢٢ كتاب الخلافة: باب لزوم الجماعة والنهي عن الخروج على الأئمة وقتالهم، ج:٧ ص:٣٢٨ كتاب الفتن: باب ثانٍ في أمارات الساعة. المعجم الكبير ج:٩ ص:١٩٩ في نقل كلام ابن مسعود. وقد روي بعضه في تفسير الطبري ج:٤ ص:٤٥، وتفسير ابن أبي حاتم ج:٣ ص:٧٢٣، وتفسير الثعلبي ج:٣ ص:١٦٢، والدر المنثور ج:٢ ص:٦٠، وغيرها من المصادر.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦٧٢ كتاب المغازي: ما ذكر في فتنة الدجال، واللفظ له. كتاب السنة لابن أبي عاصم ص:٤١ـ٤٢. سير أعلام النبلاء ج:٢ ص:٤٩٥ـ٤٩٦ في ترجمة أبي مسعود البدري. كنز العمال ج:١ ص:٣٨٤ ح:١٦٦٣. كشف الخفاء ج:٢ ص:٣٥٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ج:٤ ص:٥٥٦ كتاب الفتن والملاحم: ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة.

الجماعة». فقال عبد الرحمن لأمير المؤمنين عليه السلام: «بايع إذاً، وإلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به!!»[١].

١٩ـ وفي حديث شقيق بن سلمة أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لما انصرف إلى رحله قال لبني أبيه: «يا بني عبد المطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي كعداوتهم النبي في حياته. وإن يُطَع قومكم لا تؤمّروا أبداً. ووالله لا ينيب هؤلاء إلى الحق إلا بالسيف». قال: «وعبد الله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم قد سمع الكلام كله، فدخل وقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟! فقال: اسكت ويحك. فوالله لولا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ما نازعني ابن عفان ولا ابن عوف. فقام عبد الله فخرج»[٢].

٢٠ـ كما أن المقداد رضي الله عنه قد أنكر ذلك أيضاً، وكان فيما قال: «أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد». فقال عبد الرحمن بن عوف: «ثكلتك أمك، لا يسمعن هذا الكلام الناس، فإني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة». فقال له المقداد: «إن من دعا إلى الحق وأهله لا يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في الباطل، وآثر الهوى على الحق، فذلك صاحب الفتنة والفرقة. فتربد وجه عبد الرحمن»[٣].

٢١ـ وعن صهبان مولى الأسلميين قال: «رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت. فقال أبو ذر: نصحتك

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٦ ص:١٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٥٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٥٧، واللفظ له. وذكر بعضه في الأمالي للمفيد ص:١٧١. والأمالي للطوسي ص:١٩١.

فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني. قال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها. قد انغلت الشام علينا... قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان، وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام...»[١].

٢٢ـ وعتب عثمان على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لتوديعه أبا ذر، وكان عثمان قد نهى الناس عن كلامه وتشييعه، فقال عثمان لهعليه السلام: «أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر؟» فأجابه أمير المؤمنينعليه السلام قائلاً: «أوكلما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟!»[٢].

٢٣ـ وعن عبد الله بن رباح قال: «دخلت أنا وأبو قتادة على عثمان وهو محصور، فاستأذناه في الحج، فأذن لنا. فقلنا: يا أمير المؤمنين قد حضر من أمر هؤلاء ما قد ترى، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالجماعة. قلنا: فإنا نخاف أن تكون الجماعة مع هؤلاء الذين يخالفونك. قال: الزموا الجماعة حيث كانت...»[٣].

وسواء صحّ هذا الحديث أم لم يصح فإنه يكشف عن وجود مثل هذه الثقافة، وتبني بعض الناس لها، سواءً كان هو عثمان أم من يتقول عليه.

٢٤ـ ولما طلب زياد عامل معاوية على الكوفة من وجوه أهل الكوفة أن يشهدوا على حجر بن عدي وجماعته بما يدينهم عند معاوية كتب أبو بردة بن أبي موسى الأشعري: «هذا ما شهد عليه الشهود أبو بردة بن أبي موسى

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٣ ص:٥٦، واللفظ له، وج:٨ ص:٢٥٩. الشافي في الإمامة ج:٤ ص:٢٩٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:٨ ص:٢٥٤.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ج:١١ ص:٤٤٦ باب مقتل عثمان.

لله رب العالمين. شـــهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمـــع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية. فكفر بالله كفرة صلعاء، وأتى معصية شـــنعاء». فقال زياد: «اشهدوا على مثل شهادته». فشهد جماعة كما قال[1].

٢٥ـ ولما كتب مـــروان بن الحكم إلى معاوية يخوفـــه من وثوب الإمام الحســـين (صلوات الله عليه)، وخروجه عليه، كتب معاوية للإمام عليه السلام كتاباً يحذره فيه، وجاء فيه: «فاتق شقّ عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم. فانظر لنفسك ولدينك، ولأمة محمد صلى الله عليه وآله...».

فأجابـــه عليه السلام على هذه الفقرة في كتابه لـــه: «وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وعلينا أفضل من أن أجاهدك...»[2].

٢٦ـ ولما أراد معاويـــة البيعة ليزيد بولاية العهد قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده: «إني متكلم، فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد، وتحثني عليها».

فلـــما جلس معاوية للناس تكلم، فعظم أمر الإســـلام، وحرمة الخلافة وحقهـــا، وما أمر الله به مـــن طاعة ولاة الأمر. ثم ذكر يزيـــد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض ببيعته.

---

(١) أنســـاب الأشراف ج:٥ ص:٢٦٢ أمـــر حجر بن عدي ومقتله، واللفظ لـــه. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٠٠ أحداث سنة إحدى وخمسين من الهجرة: ذكر سبب مقتل حجر بن عدي. الأغاني ج:١٧ ص:١٤٥ـ١٤٦ خبر مقتل حجر بن عدي.

(٢) اختيار معرفة الرجال ج:١ ص:١٢٠ـ١٢٤ في ترجمة عمرو بن الحمق الخزاعي.

فعارضه الضحـــاك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قـــال: «يا أمير المؤمنين إنه لابد للناس من والٍ بعـــدك. وقد بلونا الجماعة والألفة، فوجدناهما أحقن للدمـــاء، وأصلح للدهماء، وآمن للســـبل، وخيراً في العاقبـــة. والأيام عوج رواجع. والله كل يوم في شـــأن. ويزيد بن أمير المؤمنين في حسن هديه، وقصد سيرته، على ما علمت. وهو من أفضلنا علماً وحلماً، وأبعدنا رأياً. فوله عهدك، واجعله لنا علماً بعدك، ومفزعاً نلجأ إليه، ونسكن في ظله». وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك.

ثم قـــام يزيد بن المقنع العذري، فقال: «هذا أمير المؤمنين ـ وأشـــار إلى معاوية ـ فإن هلك فهذا ـ وأشـــار إلى يزيد ـ ومن أبى فهذا. وأشار إلى سيفه». فقال معاوية: «اجلس، فأنت سيد الخطباء». وتكلم من حضر من الوفود.

فقـــال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخـــاف الله إن كذبنا. وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه. فإن كنت تعلمه لله تعالى وللأمة رضى فلا تشاور فيـــه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيـــا وأنت صائر إلى الآخرة. وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا!.

وقام رجل من أهل الشام فقال: «ما ندري ما تقول هذه المعدية العراقية. وإنما عندنا سمع وطاعة، وضرب وازدلاف»![1].

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٥٠٧ـ٥٠٨ أحداث ســـنة ست وخمسين من الهجرة: ذكر البيعة ليزيد بولايـــة العهد، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٣٦ـ٣٣٧ ثم رجعنا إلى الخبر الأول. نهاية الإرب في فنون الأدب ج:٢٠ ص:٢٢٢ أحداث سنة ست وخمسين من الهجرة: من وفد إلى معاوية من أهل الأمصار.

٢٧ـ وقال معاوية أيضاً لعبد الله بن عمر حين أراد البيعة ليزيد: «قد كنت تحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة وأن لك الدنيا وما فيها. وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملئهم، وأن تسفك دماءهم...».

فأجابه ابن عمر، وقال في جملة ما قال: «... وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين، وأفرق ملأهم، وأسفك دماءهم. ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله. ولكن إن استقام الناس فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد»[١].

٢٨ـ وكتب يزيد بن معاوية لابن عباس بعد خروج الإمام الحسين (صلوات الله عليه) إلى مكة، وجاء في كتابه: «وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففه عن السعي في الفرقة»[٢].

٢٩ـ ولما علم يزيد امتناع ابن عباس من البيعة لابن الزبير كتب إليه: «أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته، وعرض عليك الدخول في طاعته، لتكون على الباطل ظهيراً، وفي المأثم شريكاً، وأنك امتنعت عليه، واعتصمت ببيعتنا، وفاء منك لنا، وطاعة لله فيما عرفك من حقنا... وانظر

---

(١) الإمامة والسياسة ج:١ ص: ١٥١ـ١٥٢ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة، واللفظ له. تاريخ الإسلام ج:٤ ص:١٤٨ـ١٤٩ الطبقة السادسة: أحداث سنة أحدى وخمسين من الهجرة. تاريخ خليفة بن خياط ص:١٦٠ـ١٦١ أحداث سنة أحدى وخمسين من الهجرة. وغيرها من المصادر.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٠٤ في ترجمة الحسين الشهيد. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٧ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢١٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٩ ح:٢٨٣. وغيرها من المصادر.

رحمــك الله فيمن قبلك من قومك ومن يطرأ عليــك من الآفاق... فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتمسك ببيعتي...»[١].

٣٠ـ ولقــي عبد الله بن عمر وابن عباس منصرفــين من العمرة الإمام الحســين عليه السلام وعبد الله بن الزبير بالأبواء، فقال لهما ابن عمر: «أذكركما الله إلا رجعتــما، فدخلتما في صالح ما يدخل فيه النــاس. وتنظرا، فإن اجتمع الناس عليه لم تشــذا، وإن افترق عليه كان الذي تريدان»[٢]. وفي رواية أخرى: «اتقيا الله، ولا تفرقا بين جماعة المسلمين»[٣].

٣١ـ وكان عبــد الله بن عمر يقول: «غلبنا حســين بــن علي بالخروج. ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير»[٤].

---

(١) تاريــخ اليعقــوبي ج:٢ ص:٢٤٧ مقتل الحســين بن عــلي، واللفظ له. الكامــل في التاريخ ج:٤ ص:١٢٧ أحداث سنة أربع وســتين من الهجرة: ذكر بعض سيرته (يزيد) وأخباره. مجمع الزوائد ج:٧ ص:٢٥٠ كتــاب الفتن: باب فيــما كان من أمر ابن الزبير. المعجــم الكبير ج:١٠ ص:٢٤١ مناقب عبد الله بن عباس وأخباره. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ دمشــق ج:١٤ ص:٢٠٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٦ في ترجمة الحســين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحســين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٧ ح:٢٨٣. وغيرها من المصادر.

(٣) البداية والنهاية ج:٨ ص:١٥٨ أحداث ســنة ســتين من الهجرة النبوية: يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥٤ أحداث ســنة ستين من الهجرة: خلافة يزيد بن معاوية.

(٤) تاريخ دمشــق ج:١٤ ص:٢٠٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٥ أحداث ســنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص:٥٧

٣٢ـ وقد سبق في المقدمة كتاب عمرة بنت عبد الرحمن للإمام الحسين (صلوات الله عليه) تعظم عليه ما يريد، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة[١].

٣٣ـ ولما خرج عليه السلام من مكة متجهاً إلى العراق اعترضته رسل عمرو ابن سعيد بن العاص فامتنع عليهم امتناعاً قوياً، ومضى عليه السلام لوجهه فنادوه: «يا حسين ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة»!. فتأول عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿**لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٢].

٣٤ـ وكتب عمرو بن سعيد للإمام الحسين (صلوات الله عليه) يحاول صرفه عن وجهه، ويحثه على الرجوع. وجاء في كتابه: «فإني أعيذك بالله من الشقاق...». فكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام جواباً لكتابه، وكان فيه: «وإنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين»[٣].

ح:٢٨٣. وغيرها من المصادر.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج:١٤ ص:٢٠٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في بعض شواهد إصرار الإمام الحسين عليه السلام على الخروج للعراق مع علمه بمصيره.

(٢) سورة يونس الآية: ١٠. تجد ذلك في تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٩ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق.

(٣) تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٢٠٩ـ٢١٠ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٦ ص:٤١٩ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٩٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧٦ـ١٧٧ أحداث سنة ستين من الهجرة: صفة مخرج الحسين إلى العراق. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص:٥٧ ح:٢٨٣. وغيرها من المصادر.

٣٥ـ ولما علم النعمان بن بشير والي الكوفة بقدوم مسلم بن عقيل واختلاف الناس إليه خطب الناس، وكان في جملة ما قال: «أما بعد فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال». وقال: «إني لم أقاتل من لم يقاتلني... ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثكم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي منكم ناصر. أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل»[1]. ومع ذلك يقول عنه من يقول: «وكان حليماً ناسكاً يحب العافية»[2].

٣٦ـ وأخذ مسلم بن عقيل عليه السلام أسيراً لابن زياد، فلما انتهوا به إلى باب القصر فإذا قلة باردة موضوعة على الباب، فقال: «اسقوني من هذا الماء»، فقال له مسلم بن عمرو: «أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم». فقال له مسلم: «ويحك من أنت؟» قال: «أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمسير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام ليسير إليهم وقتل مسلم بن عقيل رضي الله عنه. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٣٩ ذكر نزول مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة إليه للبيعة. وذكر باختصار في تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:٢٢ مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٦٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمسير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام ليسير إليهم وقتل مسلم بن عقيل رضي الله عنه. وقريب منه ما في تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:٢٢ مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله.

وخالفت. أنا مسلم بن عمرو الباهلي». فقال مسلم عليه السلام: «لأمك الثكل، ما أجفاك، وما أفظك وأقسى قلبك وأغلظك. أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني»[1].

٣٧ـ ولما أدخل على ابن زياد قال له ابن زياد: «يا شاق ويا عاق، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة» فقال له مسلم: «كذبت يا ابن زياد. إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد. وأما الفتنة فإنما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج»[2].

٣٨ـ ولما عسكر عبيد الله بن زياد بالنخيلة، ليخرج الناس لحرب الإمام الحسين (صلوات الله عليه) دعا كثير بن شهاب الحارثي، ومحمد بن الأشعث بن قيس، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن، وأسماء بن خارجة الفزاري، وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة، وخوفوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة، فخرجوا فعذروا، وداروا بالكوفة، ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب، فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة، ويحذرهم الفتنة والفرقة، ويخذل عن الإمام الحسين (صلوات الله

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٨١ـ٢٨٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمسير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير إليهم وقتل مسلم بن عقيل. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٧١ـ١٧٢ أحداث سنة ستين من الهجرة: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة ومقتله. مقاتل الطالبيين ص:٦٦ مقتل الحسين عليه السلام. وغيرها من المصادر.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٣٥. ومثله في الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٦٤ ذكر دخول مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد وما كان من كلامه وكيف قتل.

عليه)[١].

٣٩ـ ولما جاء مالك بن النسير برسالة عبيد الله بن زياد للحر بن يزيد الرياحي يأمره فيها بأن يجعجع بالإمام الحسين عليه السلام وينزله بالعراء على غير ماء، قال أبو الشعثاء الكندي من أصحاب الإمام عليه السلام لمالك: «ثكلتك أمك ماذا جئت فيه؟!». فقال مالك: «وما جئت فيه؟! أطعت إمامي ووفيت ببيعتي». فقال له أبو الشعثاء: «عصيت ربك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك. كسبت العار والنار. قال الله عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ**﴾[٢] فهو إمامك»[٣].

٤٠ـ وقال عمرو بن الحجاج في المعركة يوم عاشوراء: «يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام». فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «يا عمرو بن الحجاج أعلي تحرض الناس؟! أنحن مرقنا من الدين وأنتم ثبتم عليه؟! أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم، ومتم على أعمالكم، أينا مرق من الدين، ومن هو أولى بصلي النار»[٤].

---

(١) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٣٨٧ خروج الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة.

(٢) سورة القصص الآية: ٤١.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٠٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:٨٧ ذكر الحر بن يزيد الرياحي لما بعثه عبيد الله بن زياد لحربه الحسين بن علي رضي الله عنهما. الإرشاد ج:٢ ص:٨٣ـ٨٤.

(٤) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٣١ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٦٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٩٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن.

٤١ـ وعن أبي إسحاق قال: «كان شمر بن ذي الجوشن يصلي معنا الفجر، ثم يقعد حتى يصبح، ثم يصلي فيقول: اللهم إنك شريف تحب الشرف، وأنت تعلم أني شريف، فاغفر لي. فقلت: كيف يغفر الله لك وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله ﷺ فأعنت على قتله؟! قال: ويحك، فكيف نصنع؟! إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر، ولو خالفناهم كنّا شراً من هذه الحمر»[١].

٤٢ـ ولما خلع أهل المدينة يزيد أنكر عبد الله بن عمر ذلك[٢]، ودعا بنيه وجمعهم، وقال: «إنا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقول: هذه غدرة فلان... فلا يخلعن أحد منكم يزيد... فتكون الصيلم بيني وبينه»[٣].

٤٣ـ وكان أهل المدينة حينما خلعوا بيعة يزيد قد حبسوا بني أمية وضيقوا عليهم. فلما أقبل جيش أهل الشام بقيادة مسلم بن عقبة أفرجوا عنهم

---

(١) تاريخ الإسلام ج:٥ ص:١٢٥ في ترجمة شمر بن ذي الجوشن، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:١٨٩ في ترجمة شمر بن ذي الجوشن. ميزان الاعتدال ج:٢ ص:٢٨٠ في ترجمة شمر بن ذي الجوشن. وغيرها من المصادر.

(٢) صحيح البخاري ج:٨ ص:٩٩ كتاب الفتن: باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٥٩ كتاب قتال أهل البغي: باب إثم الغادر للبر والفاجر. مسند أحمد ج:٢ ص:٤٨، ٩٦ مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. تفسير ابن كثير ج:٢ ص:٦٠٥. الطبقات الكبرى ج:٤ ص:١٨٣ في ذكر عبد الله بن عمر بن الخطاب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) الطبقات الكبرى ج:٤ ص:١٨٣ في ذكر عبد الله بن عمر بن الخطاب، واللفظ له. صحيح البخاري ج:٨ ص:٩٩ كتاب الفتن: باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٥٩ كتاب قتال أهل البغي: باب إثم الغادر للبر والفاجر. مسند أحمد ج:٢ ص:٤٨، ٩٦ مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٥٥ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ترجمة يزيد بن معاوية. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وسـمحوا لهم بالخروج من المدينة بعد أن أخذوا منهم عهد الله تعالى وميثاقه على أن لا يبغوهم غائلة، ولا يدلوا على عورة لهم، ولا يظاهروا عليهم عدواً.

لكن عبد الملك بن مروان حينما دخل على مسـلم بن عقبة في الطريق، واستشـاره مسلم في خطة القتال أشار عليه بخطة محكمة ـ سار عليها مسلم ـ ثم قال له: «ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم، فإن الله ناصرك، إذ خالفوا الإمام، وخرجوا من الجماعة»[١].

٤٤ـ ولما رأى مسلم بن عقبة ضَعفَ قتال أهل الشام في قتال أهل المدينة نادى: «يا أهل الشـام هذا القتال قتال قوم يريـدون أن يدفعوا به عن دينهم، وأن يعزوا به نصر إمامهم؟!»[٢].

وقال أيضاً في تحريضهم على القتال: «يا أهل الشـام إنكم لستم بأفضل العرب في أحسـابها ولا أنسـابها، ولا أكثرها عدداً، ولا أوسـعها بلداً. ولم يخصصكم الله بالذي خصكم به ـ من النصر على عدوكم، وحسن المنزلة عند أئمتكم ـ إلا بطاعتكم واستقامتكم. وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم. فتموا على أحسـن ما كنتم عليه من الطاعة يتمم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلج»[٣].

٤٥ـ ولما انتصر على أهل المدينة، واستباحها وفعل بها الأفاعيل، وانتهك

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٧٣ أحداث سـنة ثلاث وستين من الهجرة، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٤٠ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٧٥ أحداث سـنة ثلاث وسـتين من الهجرة، واللفظ له. جمهرة خطب العرب ج:٢ ص:٣٢٧ خطبة مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام.

(٣) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٧٦ أحداث سنة ثلاث وستين من الهجرة.

الحرمات العظام، خرج إلى مكة لقتـــال ابن الزبير، فاحتضر في الطريق، فقال عند المـــوت: «اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شـــهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورســـوله، أحـــب إلي من قتلي أهل المدينـــة، ولا أرجى عندي في الآخرة»[١].

وقال: «اللهم إن عذبتني بعـــد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية، وقتل أهل الحرة، فإني إذاً لشقي»[٢].

وقال الحصين: «قال مســـلم حين احتضر: اللهم إنك تعلم أني لم أشاق خليفة، ولم أفارق جماعة فاغفر لي»[٣].

٤٦ـ ثم قدم الحصين بن نمير مكة، فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم، ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبـــة. وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة، فنادى بأعلى صوته: «يا أهل الشام هذا حرم الله الـــذي كان مأمناً في الجاهلية، يأمن فيه الطير والصيد. فاتقوا الله يا أهل الشام». فيصيح الشاميون: «الطاعة الطاعة. الكرة الكرة. الرواح قبل المســـاء». فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة. فقال أصحاب ابن الزبير: نطفي النار، فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة، فقال بعض أهل الشام:

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٨٤ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٢٣ أحداث ســـنة أربع وستين من الهجرة: ذكر مســـير مسلم لحصار ابن الزبير وموته. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٤٦ أحداث ســـنة أربع وستين من الهجرة. وقريب منه في الفتوح لابن أعثم ج:٥ ص:١٨٥ ذكر حرة واقم وما قتل فيها من المسلمين.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥١ مقتل الحسين بن علي.

(٣) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٥٥ من قتل من الأشراف بالحرة.

«إن الحرمة والطاعة اجتمعتا، فغلبت الطاعة الحرمة»[١].

وقال المدائني: «وكان عبيد بن عمير الليثي يقص أيام الموادعة فيقول له أهل الشام: أيها الرجل الصالح ارجع إلى ما كنت فيه، ولا تنقّص خليفة الله في أرضه، فإنه أعظم حرمة من البيت»[٢].

٤٧ـ وقال ابن أبي الحديد: «قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب، ليحرق عليهم الدار»[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥١ـ٢٥٢ مقتل الحسين بن علي.

(٢) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٦٤ حصار ابن الزبير بمكة أيام يزيد بن معاوية.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:٢٠ ص:١٤٧.

ويبدو طروء التحريف والتشذيب على هذا الموضوع من كتاب مروج الذهب: ففي طبعة بولاق في مصر عام ١٢٨٣ هـ، ج:٢ ص:٧٩، والطبعة الأولى من المطبعة الأزهرية المصرية عام ١٣٠٣ هـ الذي بهامشه تاريخ روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر للعلامة ابن شحنة ج:٢ ص:٧٢، والطبعة التي بهامش الكامل ج:٦ ص:١٦٠ـ١٦١ هكذا: «وحدث النوفلي في كتابه في الأخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد بن سلمة قال: كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم، وحصره إياهم في الشعب، وجمعه الحطب لتحريقهم، ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته. كما أرهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم، إذ هم أبوا البيعة فيما سلف. وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا، وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الأذهان».

بينما الموجود في الطبعة الثانية من مطبعة دار السعادة بمصر عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج:٣ ص:٨٦، والطبعة الأولى من مطبعة دار الفكر ببيروت عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام ج:٣ ص:٨٧: «وحدث

٤٨ـ ولما اختلف أهل الشـــام بعد معاوية بن يزيد في البيعة لابن الزبير أو لبني أمية خطب روح بن زنباع وجاء في جملة خطبته: «وأما ما يذكر الناس مـــن عبد الله بن الزبير، ويدعون إليه من أمره، فهو والله كما يذكرون بأنه لَابن الزبير حواري رسول الله ﷺ، وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين. وهو بعد كـــما تذكرون في قدمه وفضلـــه. ولكن ابن الزبـــير منافق، قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية بن يزيد، وســـفك الدماء، وشـــقّ عصا المسلمين. وليس صاحب أمر أمـــة محمد ﷺ المنافق. وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع. وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل...»[1].

٤٩ـ ولما انشـــق عمرو بن ســـعيد الأشـــدق عن عبد الملك بن مروان واستولى على دمشق صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس إنه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة وناراً، يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه. وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله، وأنه ليس إليّ

النوفلي في كتابه في الأخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد بن سلمة قال: كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشـــم وحصره إياهم في الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته. إذ هم أبوا البيعة فيما سلف. وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا، وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الأذهان».

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٤١٤ أحداث ســـنة خمس وستين من الهجرة: ذكر السبب في البيعة لمروان بن الحكم، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٨٤ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر بيعة مروان بن الحكم. شرح نهج البلاغة ج:٦ ص:١٦١.

من ذلك شيء، غير أن لكم عليّ حسن المواساة والعطية»[١].

٥٠ـ وقال الوليد بن عبد الملك: «أيها الناس عليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد. أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه»[٢].

٥١ـ ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وسيطر على الكوفة والبصرة وبقي لابن الزبير الحجاز، كان المهلب بن أبي صفرة بإزاء الحرورية من قبل مصعب، فكتب إليه عبد الملك: «إن الناس مجتمعون على بيعتي، فإن دخلت فيما دخل فيه الناس فيه عرفنا لك منزلتك وشرفك، وإن لم تفعل استعنا بالله عليك». فكتب إليه المهلب: «أما إذا اجتمع الناس فإني لم أكن أشق عصا المسلمين، ولا أسفك دماءهم، ولا أفرق جماعتهم»[٣].

٥٢ـ ولما حاصر الحجاج مكة المكرمة في قتاله لابن الزبير رمي بالمنجنيق، فرعدت السماء وبرقت، فتهيب ذلك أهل الشام، فرفع الحجاج بيده حجراً ووضعه في كِفة المنجنيق، ورمى بعضهم. فلما أصبحوا جاءت صاعقة فقتلت من أصحاب المنجنيق اثني عشر رجلاً. فانكسر أهل الشام. فقال الحجاج:

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٥٩٦ـ٥٩٧ أحداث سنة تسع وستين من الهجرة، واللفظ له. تهذيب التهذيب ج:٨ ص:٣٥ في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص.

(٢) تاريخ الطبري ج:٥ ص:٢١٤ أحداث سنة ست وثمانين من الهجرة: خلافة الوليد بن عبد الملك، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٢٣ أحداث سنة ست وثمانين من الهجرة: خلافة الوليد بن عبد الملك. البداية والنهاية ج:٩ ص:٨٥ أحداث سنة ست وثمانين من الهجرة: خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق. تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:٥٩ وفاة عبد الملك وبيعة الوليد. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٨٣ أيام الوليد بن عبد الملك.

(٣) أنساب الأشراف ج:٦ ص:٨٢ خبر يوم الجفرة.

يا أهل الشـــام لا تنكروا ما ترون، فإنما هي صواعق تهامة. وعظم عندهم أمر الخلافة وطاعة الخلفاء[١].

٥٣ـ وذكر الجاحظ أن الحجاج قـــال: «والله لطاعتي أوجب من طاعة الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿**اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾. فجعل فيها مثنوية. وقال: ﴿**وَاسْـــمَعُوا وَأَطِيعُوا**﴾، ولم يجعل فيها مثنوية. ولو قلت لرجل: ادخل من هذا الباب. فلم يدخل لحلّ لي دمه»[٢].

وفي حديث الأعمـــش أن الحجاج قال: «اســـمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبد الملك. والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد، فخرجوا من باب آخر، لحلّت لي دماؤهم وأموالهم»[٣].

٥٤ـ وقـــال أبو اليقظان: «بعث الحجاج إلى الفضيل بن بزوان العدواني ـ وكان خيِّراً مـــن أهل الكوفة ـ فقال: «إني أريـــد أن أولّيك. قال: أوَ يُعفيني الأمير؟ فأبى. وكتب عهـــده، فأخذه وخرج من عنده، فرمى بالعهد وهرب. فأُخِـــذَ وأُتي به الحجاج. فقال: يا عدو الله. فقال: لســـت لله ولا للأمير بعدو. قـــال: ألم أكرمك؟ قال: بـــل أردت أن تهينني. قال: ألم أســـتعملك؟ قال: بل أردت أن تستعبدني. قال: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾... الآية.

---

(١) أنساب الأشراف ج:٧ ص:١٢٢ أمر عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك ومقتله.

(٢) كتـــاب الحيوان للجاحظ ج:٣ ص:١٥ علة الحجاج بن يوســـف، واللفظ لـــه. البصائر والذخائر المجلد:٢ ق:١ ص:٢٣٠ سياســـة الحجـــاج. نثر الدر ج:٥ ص:٢٣ البـــاب الثاني: كلام الحجاج. ربيع الأبرار ج:٢ ص:٧٩١ باب الطاعة لله ولرســـوله ولولاة المســـلمين. التذكرة الحمدونية ج:١ ص:٣٤٠ الباب الثاني عشر ما جاء في العدل والجور.

(٣) ســـنن أبي داود ج:٢ ص:٤٠٠ كتاب الســـنة: باب في الخلفاء، واللفظ لـــه. البداية والنهاية ج:٩ ص:١٤٨ أحداث سنة خمس وتسعين من الهجرة: ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ووفاته.

قال: ما استوجبت واحدة منهن. قال: كل ذلك قد استوجبت بخلافك. وأمر رجلاً من أهل الشام أن يضرب عنقه»[١].

٥٥ـ وكان سمرة بن جندب يقول: «من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام»[٢].

٥٦ـ وقال ابن الكلبي: «رأيت قاتل الحسين بن علي عليهما السلام قد أدخل على الحجاج وعنده عنبسة بن سعيد، فقال: أأنت [قتلت] حسيناً؟ قال: نعم. قال: كيف؟ قال: دسرته بالرمح دسراً، وهبرته هبراً. ووكلت رأسه إلى أمرئ غير وكل. فقال الحجاج: والله لا تجتمعان في الجنة أبداً. فخرج أهل العراق يقولون: والله لا يجتمع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتله في الجنة أبداً. وخرج أهل الشام يقولون: صدق الأمير، لا يجتمع من شقّ عصا المسلمين وخالف أمير المؤمنين وقاتِلَه في طاعة الله في الجنة»[٣].

٥٧ـ وقد تقدم في أوائل هذا المبحث كتاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك لرعيته المتضمن لتعظيم أمر طاعة الخلفاء ولزوم جماعتهم[٤]... إلى غير ذلك مما يجده المتتبع من أجل التعرف على نظرتهم للطاعة ولزوم الجماعة وفهمهم لها. من دون ملاحظة لأهلية الخليفة، وسلوكه في نفسه، وسيرته في المسلمين،

---

(١) عيون الأخبار ج:٢ ص:٢١٠ كتاب العلم والبيان: التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض، واللفظ له. أنساب الأشراف ج:١٣ ص:٢٧٢ نسب عدوان.

(٢) الثقات لابن حبان ج:٥ ص:٤٢١ في ترجمة المنذر بن ثعلبة القطعي العبدي. لسان الميزان ج:٦ ص:٨٩ في ترجمة منذر بن حسان. وقد روى أحمد بن حنبل هذا الحديث في مسنده ج:٥ ص:١٢، ولكن مع حذف كلمة الإسلام، فصار الحديث هكذا: «من خالف الحجاج فقد خالف».

(٣) البصائر والذخائر ج:٣ ص:٤٧١، واللفظ له. نثر الدر للآبي ج:٥ ص:٢١ الباب الثاني: كلام الحجاج.

(٤) تقدم في ص:١٨٠.

وعدلــه وجوره. بل مع التأكيد على عــدم دخلها في وجوب الطاعة والحفاظ على الجماعة.

٥٨ـ ولم يكتف أتباع الســلطة في تأكيد شرعيتها وعدم شرعية الخروج عليها حتى نسبوا ذلك لأبي ذر رضي الله عنه، مع ما هو المعلوم من موقفه منها وإنكاره عليها.

فعن العوام بن حوشــب عن رجل من بني ثعلبة بن سعد قال: «رأيت أبــا ذر وقوم يقولون له: فعل بك هذا الرجل وفعل، فهل أنت ناصب لنا راية فتجتمع إليك الرجال؟ فقال: لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له. فرجعوا»[1].

٥٩ـ ويبــدو إغراق الســلطة في ذلــك بنحو يعــم التكليف الشرعي الشخصي الثابت للمكلف نتيجة تحقق سببه في حقه إذا لم يثبت عند السلطان.

فمن المعلوم ـ تبعاً للنصوص الكثيرة ـ أن الصوم والإفطار يتبعان رؤية الهــلال. فمن رأى الهلال صام أو أفطر وإن لم تثبت الرؤية عند الســلطان ولم يعلن ذلك لعامة الناس.

لكن الســلطة كانت تحــاول فرض موقفها حتى عــلى من رأى الهلال بنفسه، ووجب عليه اتخاذ الموقف المناسب لذلك.

فعن صالح بن كيســان أنه قال: «قال عمر لرجل أعور أصيبت عينه في غزاة مع رســول الله صلى الله عليه وسلم شهد عنده على رؤية هلال شهر رمضان: بأي عينيك رأيتــه؟! قال: بشرهما. يعنــي الصحيحة. فقال عمــر: وإن أفطرتُ فما أنت

(١) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٧١ أمر أبي ذر.

صانع؟ قال: أفطر معكم. فقبل قوله»[١].

وقال البلاذري: «وكان هاشم بن عتبة المرقال قد أفطر في آخر يوم من شهر رمضان، فشهد عليه بذلك قوم عند سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص عامل عثمان بن عفان على الكوفة. فقال له سعيد: ما دعاك أن أفطرت قبل أميرك؟ فقال: رأيت الهلال. قال سعيد: كيف رأيته بعين واحدة وعامة الخلق ينظرون بعينين ولم يروه؟! فقال: سببت خير عيني، فضربه سعيد عند ذلك حداً...»[٢].

وقد بقيت السلطة وأتباعها يحاولون التذكير بهذه المفاهيم المشوهة والتأكيد عليها حتى بعد أن سقطت السلطة عن الاعتبار، وفقدت مكانتها الدينية، نتيجة فاجعة الطف ومضاعفاتها، كما يظهر بأدنى ملاحظة لتاريخ المسلمين وتراثهم. ولهم في ذلك نكات ملفتة للنظر.

تبدل موقف العباسيين من خلافة الأمويين

ومنها محاولة المنصور العباسي ومن بعده من حكام بني العباس الاعتراف بشرعية خلافة الأمويين، وبوجوب طاعتهم، تأكيداً لشرعية الخلافة بالقهر والقوة، ولترتب وجوب الطاعة ولزوم الجماعة على الخلافة المذكورة.

مع أن من المعلوم أن دولة بني العباس قامت بناء على عدم شرعية خلافة

---

(١) أنساب الأشراف ج:١٠ ص:٣٠٣ في ترجمة أبي حفص عمر بن الخطاب.

(٢) أنساب الأشراف ج:١٠ ص:٢٧ في ترجمة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. وقد أشار إلى ذلك ابن سعد وابن عساكر وابن أعثم، لاحظ الطبقات الكبرى ج:٥ ص:٣٢ في ترجمة سعيد بن العاص، وتاريخ دمشق ج:٢١ ص:١١٥ في ترجمة سعيد بن العاص، والفتوح ج:٢ ص:٣٨٣ خبر الوليد بن عقبة مع أهل الكوفة.

بني أمية. بل على أن الخلافة حق لبني هاشم، ولا شرعية لخلافة غيرهم حتى الأولين. ويأتي بعض شواهد كلا الأمرين في أواخر المقام الثاني من المبحث الثاني إن شاء الله تعالى[1].

أثر هذه الثقافة على العامة

وقد كان لهذه الثقافة تأثيرها المهم على العامة في طاعتهم للخلفاء، بل تقديسهم لهم، لولا موقف المعارضة المضاد. ويبدو ذلك بوضوح في الشام، حيث اقتصر الأمر فيها على ثقافة السلطة، ولم يكن فيها للمعارضة نشاط يذكر. وقد تقدم عرض بعض شواهد ذلك.

وحتى في إفريقية، فإنها كانت مدة طويلة معزولة لا يصل إليها نشاط المعارضة، ولا تعرف إلا ثقافة السلطة.

أثر هذه الثقافة في إفريقية

ومن الطريف ما رواه الطبري بسنده عن أبي حارثة وأبي عثمان في حديثهما عن فتح إفريقية في عهد عثمان، ثم عن أهل إفريقية بعد الفتح. قالا: «فمازالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة إسلاماً وطاعة، حتى دبّ إليهم أهل العراق. فلما دبّ إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم، شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم.

وكان سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء، فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم. فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء

(١) يأتي ذلك عند الكلام في مهاجمة العباسيين للأولين في بدء الدعوة ثم تراجع المنصور عن ذلك.

بأمر أولئك. فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورهم[١]. فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم.

فأتوا الأبرش فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نَفَلَهم دوننا، وقال: هم أحق به. فقلنا: هو أخلص لجهادنا، لأنا لا نأخذ منه شيئاً. إن كان لنا فهم منه في حلّ، وإن لم يكن لنا لم نُرِده.

وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا. وأخّر جنده. فقلنا: تقدموا، فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه. فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم.

ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد. فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك.

ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا. فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون.

فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قال: نفعل.

فلما طال عليهم، ونفدت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه.

ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على عامل هشام، فقتلوه، واستولوا على إفريقية. وبلغ هشاماً الخبر، فإذا هم النفر الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا»[٢].

---

(١) بارَ الرجلَ: جربه واختبره.

(٢) تاريخ الطبري ج:٣ ص:٣١٣ أحداث سنة سبع وعشرين من الهجرة: ذكر الخبر عن فتح أفريقية

وهو يكشف بوضوح عن تأثير هذه الثقافة في تشويه مفهوم وجوب الطاعة حتى يُتحمّل من أجلها مثل هذا الظلم. كما يكشف عن استغفال الناس ـ نتيجة العوامل السابقة ـ حتى صاروا يحترمون هؤلاء الخلفاء الجبارين، ويعظمونهم هذا التعظيم، مع شدة تعلقهم بالدنيا، وانغماسهم في الملذات بإسراف وإفساد، بحيث يبلغ بهم الأمر أن يطلبوا جلد السخال البيض ولو توقف تحصيل الواحد منه على أن يبقروا بطن ألف شاة لعامة الرعية من المسلمين.

وبدلاً من أن يأنف هؤلاء المستغفلون أن يكون هؤلاء ولاة عليهم وأمراء للمؤمنين، يحتملون ذلك، ويخلون أمراءهم يفعلونه، ويقولون: «ما أيسر هذا لأمير المؤمنين».

ومن الملفت للنظر أن الراوي لا ينعى على الخلفاء ظلمهم وظلم عمالهم لهؤلاء، واحتجابهم عنهم بحيث لا يتسير لهم إبلاغ ظلامتهم، حتى يضطرهم ذلك لشق العصا والخروج عن طاعتهم، بعد أن كانوا ـ كما يقول ـ أحسن أمة إسلاماً وطاعة، بل يظهر عليه الأسف لإفساد أهل العراق ودعاتهم لهؤلاء المساكين، وحملهم على شق العصا والخروج عن الطاعة، مما أدى إلى خروجهم وخلافهم بعد ما غضوا النظر عن الظلامات الكثيرة، حتى بلغ الظلم إلى أعراضهم وغصب نسائهم، وبعد أن طال احتجاب الخليفة عنهم حتى نفدت نفقاتهم، وكانوا قد قصدوه من تلك المسافات البعيدة ليرفعوا له ظلامتهم.

وعن سبب ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٩٢ـ٩٣ أحداث سنة سبع وعشرين من الهجرة: ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية.

هذه هي مفاهيم الخلافة والطاعة والجماعة والفتنة وشـّق العصا، التي حاولت السلطات المنحرفة نشرها بين المسلمين وتثقيفهم بها.

موقف عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص من الإمامة والجماعة

وقد عرف عن عبد الله بن عمر أنــه لا يبايع إلا بعد اجتماع الناس على خليفة واحد، من دون نظر إلى كيفية حصول الاجتماع، وأنه هل حصل بطريق مشروع أو بطريق عــدواني غير مشروع. وعنه أنه قــال: «لا أقاتل في الفتنة. وأصلي وراء من غلب»[١].

وقال ابن حجر: «وكان رأي ابن عمر ترك القتال في الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة، والأخرى مبطلة»[٢].

وقال زيد بن أســلم: «كان في زمان الفتنــة لا يأتي أمير إلا صلّى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله»[٣].

وروى عبد الرزاق عن عبد الله بن محرز قال: «أخبرني ميمون بن مهران قال: دخلت على ابن عمر أنا وشــيخ أكبر مني ـ قال: حســبت أنه قال: ابن المسيب ـ فسألته عن الصدقة أدفعها إلى الأمراء؟ فقال: نعم. قال: قلت: وإن اشــتروا به الفهود والبيزان؟ قال: نعم. فقلت للشــيخ حين خرجنا: تقول ما

---

(١) الطبقات الكــبرى ج:٤ ص:١٤٩ في ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب، واللفظ له. إرواء الغليل ج:٢ ص:٣٠٤.

(٢) فتح الباري ج:١٣ ص:٤٠. ومثله في عمدة القاري ج:٢٤ ص:٢٠٠.

(٣) الطبقات الكبرى ج:٤ ص:١٤٩ في ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٩ ص:٨ أحداث ســنة أربع وســبعين من الهجرة: في ترجمة عبد الله بن عمر. إرواء الغليل ج:٢ ص:٣٠٣ـ٣٠٤.

قال ابن عمر؟ قـــال: لا. فقلت أنا لميمون بن مهران: أتقول ما قال ابن عمر؟ قال: لا»[١].

وروى نحو ذلك عنه غير واحد[٢].

وقد ســـبق من ابن عمر أن طلب من الإمام الحســـين عليه السلام وعبد الله بن الزبير أن يبايعا يزيد، ولا يفرقا جماعة المسلمين[٣].

وهو بذلك يعطـــي الشرعية لخلافة من يغلـــب وإن كان ظالماً باغياً قد غلب على الإمارة بالقسر والإكراه والطرق الإجرامية المنحطة.

وقريب من ذلك موقف ســـعد بن أبي وقاص في القتال ـ كما هو المعلوم من سيرته ـ وفي الزكاة. فعن عائشـــة ابنته أنها قالت: «أرسل سعد بزكاة عين ماله إلى مروان بن الحكم، وهي خمسة آلاف درهم»[٤].

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ج:٤ ص:٤٧ كتاب الزكاة: باب موضع الصدقة ودفع الصدقة في مواضعها.

(٢) راجع المصنف لعبد الـــرزاق ج:٤ ص:٤٦ كتاب الزكاة: باب موضـــع الصدقة ودفع الصدقة في مواضعها، ص:٥٠ باب لا تحل الصدقة لآل محمد صلى الله عليه وآله، والســـنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:١١٥ كتـــاب الزكاة: بـــاب الاختيار في دفعها إلى الـــولي، والمصنف لابن أبي شـــيبة ج:٣ ص:٤٧ كتاب الزكاة: من قال تدفع الزكاة إلى الســـلطان، والمجموع للنووي ج:٦ ص:١٦٤، ونيل الأوطار ج:٤ ص:٢٢٠، وكتاب المسند للشافعي ص:٩٤، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج:١٤ ص:٢٠٨ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. وتقدمت بقية مصادره في أواسط شواهد تأكيد السلطة على أهمية الطاعة ولزوم الجماعة.

(٤) أنســـاب الأشراف ج:١٠ ص:٢٣ في ترجمة ســـعد بن أبي وقاص. تاريخ الإسلام ج:٤ ص:٢٢٠ في ترجمة ســـعد بن أبي وقاص. الطبقات الكبرى ج:٣ ص:١٤٩ في ترجمة سعد بن أبي وقاص: ذكر الصلاة على ســـعد وكيف حملت جنازته. تاريخ مدينة دمشـــق ج:٢٠ ص:٣٦٣ في ترجمة سعد بن مالك أبي وقاص.

ومن الملفت للنظر أن هذا الموقف من ســـعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر لا يتناسب

وقد بقيت هذه النظرة لسلطان الجور الذي يجتمع عليه المسلمون بالقهر والسيف إلى بعض التابعين فهذا وهب بن منبه المتوفى سنة مائة وعشرة أو بعدها له حديث طويل مع أبي شمر ذي خولان ينصحه فيه بأن لا يدفع زكاته للحرورية ويطيل في ذم الخوارج. فقال له ذو خولان: «فما تأمرني؟» قال: «انظر زكاتك فأدها إلى من ولّاه الله أمر هذه الأمة وجمعهم عليه، فإن الملك من الله وحده وبيده يؤتيه من يشاء. فإذا أديتها إلى ولي الأمر برئت منها...»[١].

وعن الأوزاعي أنه قال: «كان القاسم بن مخيمرة يقدم علينا ههنا متطوعاً، فإذا أراد أن يرجع استأذن الوالي. فقيل له: أرأيت إن لم يأذن لك. قال: أقيم، ثم قرأ: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾». قال الذهبي: «وروى أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي نحو ذلك. وزاد فيها: ويقول: من عصى من بعثه لم تقبل له صلاة حتى يرجع»[٢].

وما أكثر ما ورد في ذلك عن السلطة وأتباعها ومن سار في خطها، وعليه جرى عملهم وسيرتهم.

مع موقفهما من بيعة أبي بكر فقد سارعا إليها قبل أن تجتمع عليها الأمة، وقبل أن يبايع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وسائر بني هاشم ومن تبعهم وسعد بن عبادة ومن تبعه. كما أن عبد الله بن عمر بايع يزيد بن معاوية، والإمام الحسين عليه السلام قد أعلن الامتناع من بيعته، وتبعه جماعة لا يستهان بهم، ولم يتضح موقف عامة أهل الكوفة بعد، وقبل أن يبايع عبد الله بن الزبير ومن تبعه.

(١) سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٥٥٥ في ترجمة وهب بن منبه، واللفظ له. تاريخ مدينة دمشق ج:٦٣ ص:٣٨٤ في ترجمة وهب بن منبه. تهذيب الكمال ج:٣١ ص:١٥٦ في ترجمة وهب بن منبه.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٢٠٢ في ترجمة القاسم بن مخيمرة، واللفظ له. تاريخ مدينة دمشق ج:٤٩ ص:٢٠٤ في ترجمة القاسم بن مخيمرة. تهذيب الكمال ج:٢٣ ص:٤٤٥ في ترجمة القاسم بن مخيمرة.

الأحاديث والفتاوى في دعم هذا الاتجاه

بل حاولوا دعم ذلك بأحاديث رواها أتباع السلطة، لتكون ديناً يتدين به، كحديث زيد بن أسلم: «دخل ابن مطيع على ابن عمر ليالي الحرة، فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نزع يداً من طاعة لم يكن له حجة يوم القيامة»[1].

وحديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه. فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية»[2]، وغيره.

وعلى ذلك جرت فتاوى كثير من فقهاء الجمهور. قال الشوكاني تعقيباً على الحديث المذكور: «فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم. فيكون هذا مخصصاً لعموم قوله تعالى: ﴿مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٣٢٣ في ترجمة عبد الله بن حنظلة الغسيل. واللفظ له. مسند أحمد ج:٢ ص:٧٠، ٨٣، ٩٧، ١٢٣، ١٣٣، ١٥٤.

(٢) صحيح البخاري ج:٨ ص:٨٧ كتاب الفتن: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن، واللفظ له. صحيح مسلم ج:٦ ص:٢١ كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٥٧ كتاب قتال أهل البغي: باب الصبر على أذى يصيبه من جهة إمامه وإنكار المنكر بقلبه وترك الخروج عليه. مسند أحمد ج:١ ص:٢٧٥، ٢٩٧ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (رضي الله تعالى عنه). سنن الدارمي ج:٢ ص:٢٤١ كتاب الجهاد: باب لزوم الطاعة والجماعة. كتاب السنة لابن أبي عاصم ص:٥١٠. مسند أبي يعلى ج:٤ ص:٢٣٥. معرفة السنن والآثار ج:٦ ص:٢٨٩. إرواء الغليل ج:٨ ص:١٠٥. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾»[١].

وقال ابن حجر: «قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار. وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه. وأن طاعته خير من الخروج عليه. لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء. وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده. ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها...»[٢]. والحديث في ذلك طويل.

مشابهة الاتجاه المذكور للتعاليم المسيحية الحالية

وهم يسيرون في ذلك باتجاه التعاليم المسيحية الشائعة الآن في الطاعة للحكام. فقد جاء في العهد الجديد:

«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله. والسلاطين الكائنة هي مرتّبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله. والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة، بل للشريرة»[٣].

حديث أمير المؤمنين عليه السلام في حقوق الوالي والرعية

بينما نرى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول في خطبة له: «أما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحق مثل الذي

(١) نيل الأوطار ج:٧ ص:٣٦٠.

(٢) فتح الباري ج:١٣ ص:٥.

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح الثالث عشر: ١ـ٤.

عليكم. فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له... ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضها، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض. وأعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم. فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل... وإذا غلبت الرعية واليها، وأجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور...»[1].

ويقول في خطبة أخرى: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق. فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»[2].

ما تقتضيه القاعدة في البيعة

بل من الظاهر أن البيعة لما كانت على شروط خاصة من العمل بالكتاب والسنة والتناصح بين الوالي والرعية ونحو ذلك، فوجوب الوفاء بها من كل من الطرفين إنما يكون مع التزامهما معاً بما اتفقا عليه، كما هو الحال في سائر العقود والعهود. ولا منشأ لوجوب التزام أحدهما بها مع عدم التزام الآخر،

(١) نهج البلاغة ج:٢ ص:١٩٨ـ١٩٩، واللفظ له. الكافي ج:٨ ص:٣٥٢.

(٢) نهج البلاغة ج:١ ص:٨٤.

كما يحاول أتباع الانحراف في السلطة حمل الناس عليه.

ما آل إليه أمر وجوب البيعة والطاعة ولزوم الجماعة

والحاصل: أن وجوب بيعة الإمام وطاعته، ولزوم جماعته والنهي عن الخلاف والفتنة، التي جعلها الله عز وجل وشرعها من أجل نظم أمر الأمة، واجتماعها في دعم الحق، وتماسكها في وجه الباطل، قد صارت وسيلة لدعم الباطل، وانتهاك الحرمات العظام.

كحرمة الحرم الشريف، ومكة المكرمة، والكعبة المعظمة، والمدينة المنورة، ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وقبره الشريف[1]، وبيت ابنته الصديقة عليها السلام الذي هو من أفاضل البيوت التي أذن الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه، كما في الحديث الشريف[2]... إلى غير ذلك من الحرمات.

كما صارت وسيلة للوقوف في وجه رموز الدين وذوي المقام الرفيع فيه، والإيقاع بهم، كأمير المؤمنين والصديقة الزهراء (صلوات الله عليهما)، والإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الكرام، والمقداد بن الأسود وأبي ذر (رضوان الله عليهم)، ومحمد بن الحنفية وابن عباس وبقية بني هاشم في مكة المكرمة... إلى غير ذلك مما تقدم التعرض له.

كل ذلك في محاولة لفرض طاعة السلطة عليهم، ومنعهم من أداء وظيفتهم في الأمر بالمعروف وإنكار المنكر، والوقوف في وجه الفساد، ومحاولة

---

(١) جوامع السيرة ج:١ ص:٣٥٧ ولاية يزيد ابنه. فيض القدير ج:١ ص:٥٨. السيرة الحلبية ج:١ ص:٢٦٨.

(٢) تفسير الثعلبي ج:٧ ص:١٠٧. شواهد التنزيل ج:١ ص:٥٣٤. الدر المنثور ج:٥ ص:٥٠. روح المعاني للآلوسي ج:١٨ ص:١٧٤. وغيرها من المصادر.

الإصلاح، والامتناع من بيعة الضلال.

بينما نجد الإنكار لهذه المفاهيم، والرد عليها، ومحاولة تصحيحها، من الخط الآخر. وفيهم أعلام الإسلام وذوو التقوى والمقام الرفيع في الدين. وهو الحقيق بالقبول، لانسجامه مع الفطرة، وموافقته للأدلة العقلية والنقلية.

اختلاف الأمة في الحق خير من اتفاقها على الباطل

وفي الحقيقة أن اتفاق الأمة إنما يحسن، بل يجب، إذا كان اتفاقاً على الحق، أما إذا تعذر ذلك، فاختلافها في الحق خير من اتفاقها على الباطل، لما في الاختلاف المذكور من التنبيه للحق والتذكير به والدعوة إليه، وجعله في متناول الطالب له.

ولو تم الاتفاق على الباطل لضاع الحق، واختفت معالمه، ولم يتيسر لأحد الوصول إليه. وفي ذلك تفويت للغرض والحكمة الداعية لتشريع الدين الحق، وإرسال الأنبياء به، وجهاد المؤمنين في سبيله، وتضحياتهم الجسيمة من أجله. وربما يأتي عند الكلام في نتائج فاجعة الطف مزيد من التوضيح لذلك.

استعانة السلطة بالمنافقين وحديثي الإسلام

الأمر الرابع مما قام به الولاة في سبيل دعم سلطانهم: الاستعانة بالمنافقين وحديثي الإسلام في قيادة الجيوش، وولاية الأمصار، وتمكينهم من مقدرات المسلمين، كما تضمنه ما تقدم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أسباب اختلاف الحديث.

وذلك إما لعدم تجاوب المهاجرين الأولين والأنصار مع السلطة، كما تعرضنا لذلك بتفصيل في جواب السؤال الرابع من الجزء الثاني من كتابنا (**في رحاب العقيدة**).

وإما لأن المنافقين وحديثي الإسلام ليس لهم بأشخاصهم مكانة واحترام في نفوس عامة المسلمين، وإنما يستمدون حرمتهم من ارتباطهم بالسلطة، بما لها من نفوذ واحترام في المجتمع.

وذلك يجعلهم في حاجة للالتزام بتعاليمها، والطاعة العمياء لها، والحفاظ على نهجها من أجل أن تدعمهم وترفع من شأنهم، وتمكنهم في البلاد والعباد. فهم أرضية صالحة للولاء للسلطة، وأداة فاعلة في تركيز ولائها في نفوس عامة المسلمين.

مضافاً إلى أنهم ـ نوعاً ـ يفقدون الوازع الديني الذي يمنعهم من تنفيذ تعاليم السلطة إذا انحرفت عن واقع الإسلام، ومن تركيزها بالطرق غير المشروعة، كالاستئثار بالمال، وتفضيل ذوي النفوذ في العطاء، واختلاق الأحاديث لصالحها، كما تضمنه كلام أمير المؤمنين عليه السلام السابق.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب أنه قال: «نستعين بقوة المنافق، وإثمه عليه»[1].

وقيل له: «إنك استعملت يزيد بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، ومعاوية، وفلاناً وفلاناً من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء، وتركت أن تستعمل علياً والعباس والزبير وطلحة. فقال: أما علي فأنبه من ذلك. وأما هؤلاء النفر من قريش فإني أخاف أن ينتشروا في البلاد، فيكثروا فيها

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٢٦٩ كتاب الأمراء: ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم، واللفظ له. السنن الكبرى للبيهقي ج:٩ ص:٣٦ كتاب السير: باب من ليس للإمام أن يغزو به بحال. كنز العمال ج:٤ ص:٦١٤ ح:١١٧٧٥. وقريب منه في كنز العمال ج:٥ ص:٧٧١ ح:١٤٣٣٨.

الفساد»[١].

السلطة تمكن للأمويين وخصوصاً معاوية

وإن ممـــا يلفت النظر، ويدعو للتســـاؤل والعجب، تمكين الســـلطة في الصدر الأول للأمويين من مقدرات المسلمين، وخصوصاً معاوية.

فقد كان عمر بن الخطاب يحاســـب جميع ولاته ســـوى معاوية، حيث كان يقول له: «لا آمرك ولا أنهـــاك»[٢]. وكان يغضّ الطرف عنه، وينهى عن ذمه، ويقول: «دعونا من ذم فتى قريـــش»[٣]. ويقول عنه أيضاً: «هذا كسرى العرب»[٤].

ويا ترى هل جاء الإسلام ليســـتبدل كسرى فارس بكسرى العرب؟! وهل أن ذلك يتناسب مع ما ينســـب لعمر من خشونة العيش، والتركيز على محاسبة العمال، ومنعهم من التوسع والترف؟!.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٢٩ـ٣٠.

(٢) الاســـتيعاب ج:٣ ص:١٤١٧ في ترجمة معاوية بن أبي ســـفيان. تاريخ دمشـــق ج:٥٩ ص:١١٢، ١١٣، ١١٤ في ترجمة معاوية بن صخر أبي ســـفيان. ســـير أعلام النبـــلاء ج:٣ ص:١٣٣ في ترجمة معاوية بن أبي ســـفيان. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٣٣ أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: ترجمة معاوية. شرح نهج البلاغة ج:٨ ص:٣٠٠. وغيرها من المصادر.

(٣) الاســـتيعاب ج:٣ ص:١٤١٨ في ترجمة معاوية بن أبي ســـفيان. تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:١١٢ في ترجمة معاوية بن صخر أبي سفيان.

(٤) الاستيعاب ج:٣ ص:١٤١٧ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان. أسد الغابة ج:٤ ص:٣٨٦. في ترجمة معاوية بن صخر بن حرب. الإصابة ج:٦ ص:١٢١ في ترجمة معاوية بن أبي ســـفيان. ســـير أعلام النبلاء ج:٣ ص:١٣٤ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان. تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:١١٤، ١١٥ في ترجمة معاوية بن صخر أبي سفيان. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٣٤ أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: ترجمة معاوية. أنساب الأشراف ج:٥ ص:١٥٥ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان. وغيرها من المصادر.

ويزيد العجب أو التساؤل إذا صحّ عن عمر أنه كان يتوقع من معاوية الطمع وتحيّن الفرصة للاستيلاء على الخلافة. فقد ورد عنه أنه حذر أهل الشورى منه، وقال: «إياكم والفرقة بعدي، فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام، فإذا وكلتم إلى رأيكم عرف كيف يستبزها منكم»[١].

بل ورد عنه أنه كان يتوقع من بني أمية عامّة أن يكيدوا للإسلام. فعن المغيرة بن شعبة أنه قال: «قال لي عمر يوماً: يا مغيرة، هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت؟ قلت: لا. قال: أما والله ليُعورِن بنو أمية الإسلام كما أعُورت عينك هذه، ثم ليعمينه، حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء...»[٢].

ظهور الاستهتار من المنافقين

وعلى كل حال يبدو أن ظهور المنافقين وحديثي الإسلام في الساحة، وفسح المجال لهم، حملهم على الاستهتار، وجرأهم على أن يبوحوا بما في نفوسهم، ويجهروا به، من دون أن يراقبوا أحداً، أو يخافوا مغبة ذلك، بنحو قد يؤدي إلى تشوه المفاهيم المتداولة بين عامة المسلمين.

١ـ فعن عائشة أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وآله اشرأب النفاق بالمدينة[٣].

---

(١) الإصابة ج:٦ ص:١٢٢ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان. تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:١٢٤ في ترجمة معاوية بن صخر أبي سفيان. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٣٦ أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية: ترجمة معاوية. وغيرها من المصادر.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:٨٢.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٩٩ كتاب المرتد: باب ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقاً كان أو غيره. معرفة السنن والآثار ج:٦ ص:٣٠٤. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٧٤ كتاب المغازي: ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص:٢٩١. أمالي المحاملي ص:١٤٠. تاريخ خليفة بن خياط ص:٦٥ الردة. تاريخ دمشق ج:٣٠ ص:٣١١، ٣١٢،

٢ـ وفي حديث حذيفة: «إن المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبي ﷺ. كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون»[١].

٣ـ وعن أبي وائل عن حذيفة قال: «قلت: يا أبا عبد الله النفاق اليوم أكثر أم على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: فضرب بيده على جبهته وقال: أوه! وهو اليوم ظاهر. إنهم كانوا يستخفونه على عهد رسول الله ﷺ»[٢].

وفي حديث آخر عن أبي وائل أن حذيفة قال: «بل هم اليوم أكثر، لأنه كان يومئذ يستسرونه، واليوم يستعلنونه»[٣].

٤ـ وفي حديث آخر عن حذيفة أنه قال: «إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات...»[٤].

٣١٤، ٣١٥ في ترجمة أبي بكر الصديق. فتوح البلدان ج:١ ص:١١٤ خبر ردة العرب في خلافة أبي بكر الصديق. بلاغات النساء ص:٦ـ٧ كلام عائشة وخطبها. تاريخ الإسلام ج:٣ ص:٢٨ أحداث سنة إحدى عشر من الهجرة: خبر الردة. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) صحيح البخاري ج:٨ ص:١٠٠ كتاب الفتن: باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، واللفظ له. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:٢٠٠ كتاب المرتد: باب قتل من ارتد عن الإسلام. المحلى ج:١١ ص:٢٢٥. وغيرها من المصادر.

(٢) البحر الزخار المعروف بمسند البزار ج:٧ ص:٣٠٣ ح:٢٩٠٠ مسند حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، واللفظ له. فتح الباري ج:١٣ ص:٦٤.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ج:٦ ص:٤٩١ كتاب التفسير: سورة المنافقين.

(٤) مسند أحمد ج:٥ ص:٣٩٠ حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ، واللفظ له. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦٠٩ كتاب الفتن: من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها. مجمع الزوائد ج:١٠ ص:٢٩٧ كتاب الزهد: باب في ما يحتقره الإنسان من الكلام. كتاب الزهد لابن حنبل ص:٤٣. حلية الأولياء ج:١ ص:٢٧٩ في ترجمة حذيفة بن اليمان. تفسير ابن كثير ج:٢: ٣١٢. كنز العمال ج:٣ ص:٦٨٦ ح:٨٤٦١.

٥ـ وعنه أنه قال: «إنكم اليوم معشر العرب لتأتون أموراً إنها لفي عهد رسول الله ﷺ النفاق على وجهه»[١].

٦ـ وعنه أيضاً أنه قال: «إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان»[٢].

٧ـ وقد مرّ أبو سفيان بقبر شهيد واقعة أحد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فضربه برجله، وقال: «يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»[٣].

٨ـ وكان يقول: «اللهم اجعل هذا الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية»[٤].

٩ـ وعن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: «قد صارت إليك بعد تيم وعدي. فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك. ولا أدري ما جنة ولا نار». فصاح به عثمان: «قم عني. فعل الله بك وفعل»[٥]. قال ابن عبد البر: «وله أخبار من نحو هذا ردية.

---

(١) مسند أحمد ج:٥ ص:٣٩١ حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:١٠ ص:٦٤ كتاب المناقب: باب ما جاء في الكوفة.

(٢) صحيح البخاري ج:٨ ص:١٠٠ كتاب الفتن: باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، واللفظ له. تفسير الطبري ج:١٨ ص:٢١٣. الدر المنثور ج:٥ ص:٥٥. تفسير القرطبي ج:٨ ص:٢١٤. وغيرها من المصادر.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:١٦ ص:١٣٦.

(٤) تاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٤٧١ في ترجمة صخر بن حرب بن أمية.

(٥) الاستيعاب ج:٤ ص:١٦٧٩ في ترجمة أبي سفيان صخر بن حرب، واللفظ له. النصائح الكافية ص:١١٠. وقريب منه في تاريخ الطبري ج:٨ ص:١٨٥ أحداث سنة ٢٨٤ هـ، ومروج الذهب

ذكرها أهل الأخبار، ولم أذكرها»[١].

وإذا كان عثمان قد صاح به في هذه الواقعة فهو ـ إن صحّ ـ لا يزيد على رد فعل مؤقت، من دون أن يؤثر على علاقته به وبأولاده، ولا يمنع من تقريبهم وتمكينهم من مقدرات الإسلام والمسلمين.

١٠ـ وباع معاوية سقاية من ذهب أو من ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل». فقال معاوية: «ما أرى بهذا بأساً». فقال أبو الدرداء: «من يعذرني من معاوية؟! أخبره عن رسول الله ﷺ، ويخبرني عن رأيه. لا أساكنك بأرض أنت بها». ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر له ذلك. فكتب عمر إلى معاوية أن لا يبيع ذلك إلا مثلاً بمثل وزناً بوزن[٢].

١١ـ كما باع معاوية الخمر[٣].

ج:٢ ص:٣٤١ ذكر خلافة عثمان رضي الله عنه: قبل حديثه عن الثورة على عثمان، وأنساب الأشراف ج:٥ ص:١٩ في ترجمة أبي سفيان، وتاريخ دمشق ج:٢٣ ص:٤٧١ في ترجمة صخر بن حرب بن أمية، وشرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٤٥، ج:٩ ص:٥٣ـ٥٤، وسبل الهدى والرشاد ج:١٠ ص:٩١. وغيرها من المصادر.

(١) الاستيعاب ج:٤ ص:١٦٧٩ في ترجمة أبي سفيان صخر بن حرب.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج:٥ ص:٢٨٠ كتاب البيوع: باب من قال الربا في الزيادة، واللفظ له. موطأ مالك ج:٢ ص:٦٣٤ كتاب البيوع: باب بيع الذهب بالفضة تبراً وعيناً. المجموع ج:١٠ ص:٣٠. الاستذكار لابن عبد البر ج:٦ ص:٣٤٧، ٣٥٤ كتاب البيوع: باب بيع الذهب بالفضة تبراً وعيناً. أضواء البيان ج:١ ص:١٨٠. وغيرها من المصادر.

(٣) الرياض النضرة ج:٢ ص:١٨٣ الباب الثالث في مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الفصل الحادي عشر: ذكر ما نقم على عثمان مفصلاً والاعتذار عنه بحسب الإمكان: في مقتله وما يتعلق به. الأوائل للعسكري ص:١٣٠ أول ما وقع الاختلاف من الأمة فخطّأ بعضهم بعضاً حين نقموا على

١٢ـ وباع سمرة بن جندب الخمر أيضاً، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فقال: «قاتل الله سمرة. ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها»[١].

١٣ـ وروى عائذ بن ربيعة حديث وفد بني نمير على النبي ﷺ. وقال في جملته: «ثم دعا شريحاً، واستعمله على قومه، ثم أمره أن يصدقهم ويزكيهم... قال: ولم يزل شريح عامل رسول الله ﷺ على قومه، وعامل أبي بكر. فلما قام عمر رضي الله عنه أتاه بكتاب رسول الله ﷺ، فأخذه فوضعه تحت قدمه، وقال: لا. ما هو إلا ملك. انصرف»[٢]... إلى غير ذلك. وما رواه الشيعة من ذلك كثير.

عثمان أشياء نحن ذاكروها.

وقد استبدل في بعض المصادر اسم معاوية بفلان راجع تاريخ دمشق ج:٢٦ ص:١٩٧ في ترجمة عبادة بن الصامت، وسير أعلام النبلاء ج:٢ ص:١٠ في ترجمة عبادة بن الصامت، ومسند الشاشي ج:٣ ص:٤٥١ ح:١١٩٦ ما روى أبو الوليد عبادة بن الصامت: في ما رواه عبيد بن رفاعة عن عبادة بن الصامت.

(١) صحيح مسلم ج:٥ ص:٤١ كتاب البيوع: باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، واللفظ له. مسند أحمد ج:١ ص:٢٥ مسند عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه). السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:١٢ كتاب البيوع: باب تحريم التجارة في الخمر. السنن الكبرى للنسائي ج:٣ ص:٨٧ كتاب الفروع والعتيرة: النهي عن الانتفاع بما حرم الله عز وجل، ج:٦ ص:٣٤٢ كتاب التفسير: تفسير سورة الأنعام: قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا**...﴾. سنن الدارمي ج:٢ ص:١١٥ كتاب الأشربة: باب في التغليظ لمن شرب الخمر. سنن ابن ماجة ج:٢ ص:١١٢٢ كتاب الأشربة: باب التجارة في الخمر. صحيح ابن حبان ج:١٤ ص:١٤٦ كتاب التاريخ: ذكر لعن المصطفى ﷺ اليهود باستعمالهم هذا الفعل. المصنف لعبد الرزاق ج:٦ ص:٧٥ بيع الخمر، ج:٨ ص:١٩٥ كتاب البيوع: باب بيع الخمر. مسند أبي يعلى ج:١ ص:١٧٨ مسند عمر بن الخطاب. مسند الحميدي ج:١ ص:٩. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً. وروي في صحيح البخاري ج:٣ ص:٤٠ كتاب البيوع: باب كم يجوز الخيار، ج:٤ ص:١٤٥ كتاب بدء الخلق، إلا إن فيه بدل (سمرة) (فلاناً).

(٢) تاريخ المدينة ج:٢ ص:٥٩٦.

وذلك يتناسب مع ما صدر من كثير منهم من التحريف في الدين، والمواقف المشينة والأفعال الشنيعة التي تضمنتها كتب الحديث والتاريخ والسيرة مما لا يسعنا استقصاؤه. وربما يأتي في حديثنا هذا الإشارة لبعضه.

موقف أُبي بن كعب وموته

ولعله لذا ضاقت الأمور بأُبي بن كعب. ففي حديث قيس بن عباد عنه قال: «ثم استقبل القبلة، فقال: هلك أهل العقد ـ ثلاثاً ـ ورب الكعبة. ثم قال: والله ما عليهم آسى، ولكني آسى على ما أضلوا. قال: قلت: من تعني بهذا؟ قال: الأمراء»[١].

وقريب منه حديثه الآخر، لكن فيه: «قلت: يا أبا يعقوب ما يعني به أهل العقد؟ قال: الأمراء»[٢]. وقريب منهما أحاديث له أخر[٣].

ومثله ما عن الحسن قال: «قال حذيفة: هلك أصحاب العقد ورب الكعبة. والله ما عليهم آسى، ولكن على من يهلكون من أصحاب محمد ﷺ.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج:١ ص:٢١٤ كتاب الصلاة: ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، واللفظ له. صحيح ابن خزيمة ج:٣ ص:٣٣ كتاب الصلاة: باب ذكر البيان أن أولي الأحلام والنهي أحق بالصف الأول إذ النبي أمر بأن يلوه. الأحاديث المختارة ج:٤ ص:٢٩ـ٣٠ ما رواه قيس بن عباد البصري أبو عبد الله عن أبي بن كعب رضي الله عنه. موارد الظمآن ج:٢ ص:٩٥ كتاب الصلاة: باب في من يلي الإمام. وغيرها من المصادر.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ج:١ ص:٢٨٧ كتاب الإمامة والجماعة: من يلي الإمام ثم الذي يليه.

(٣) مسند أحمد ج:٥ ص:١٤٠ حديث قيس بن عباد عن أبي بن كعب رضي الله عنه. شعب الإيمان ج:٦ ص:١٥. مسند ابن الجعد ص:١٩٧. حلية الأولياء ج:١ ص:٢٥٢ في ترجمة أبي بن كعب. تاريخ دمشق ج:٤٩ ص:٤٣٦ في ترجمة قيس بن عباد.

وسيعلم الغالبون العقد خط [حظ. صح] من ينقصون»[١].

بل يبدو أنه ضاق صدر أُبي بن كعب، فأراد أن يجهر بالحقيقة وإن تعرض للخطر. ففي حديث جندب بن عبد الله البجلي عنه قال: «فسمعته يقول: هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة. ولا آسى عليهم. أحسبه قال مراراً... ثم قال: اللهم إني أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول الله، لا أخاف فيه لومة لائم...»[٢].

وفي حديث عتي بن ضمرة عن أبي أيضاً: «فقال: لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن فيها قولاً لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني...»[٣].

لكنه لم يبق للجمعة، بل مات يوم الخميس أو يوم الجمعة، كما في تتمة حديثي جندب بن عبد الله وعتي بن ضمرة المتقدمين.

وعلم الله كيف مات وما سبب موته؟!، إذ يبدو أن الوضع كان حرجاً، خصوصاً في عهد عمر. كما يناسبه ما تقدم في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وغيرهم عنه، والنظر في تاريخه وسيرته.

حتى إن السيد المرتضى قدس سره حينما ذكر أن غرض عمر من تدبير الشورى بالوجه المعروف هو التحايل لصرف الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام، تجنباً عن

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ج:١١ ص:٣٢٢ باب الإمام راع.

(٢) الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٥٠١ في ترجمة أبي بن كعب، واللفظ له. الأحاديث المختارة ج:٣ ص:٣٤٦ـ٣٤٧ ما رواه جندب أظنه ابن عبد الله بن سفيان .. عن أبي بن كعب رضي الله عنه. تاريخ دمشق ج:٧ ص:٣٤١ في ترجمة أبي بن كعب. وغيرها من المصادر.

(٣) الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٥٠٠ـ٥٠١ في ترجمة أبي بن كعب، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٧ ص:٣٤٠ في ترجمة أبي بن كعب. وغيرها من المصادر. تهذيب الكمال ج:٢ ص:٢٧٠ في ترجمة أبي بن كعب. سير أعلام النبلاء ج:١ ص:٣٩٩ في ترجمة أبي بن كعب. وغيرها من المصادر.

محذور التصريح بصرفها عنه عليه السلام، حاول ابن أبي الحديد الرد عليه، فقال:

«فقد قلنا في جوابه ما كفى، وبينا أن عمر لو أراد ما ذكر لصرَفَ الأمر عمن يريد صرفه عنه، ونصَّ على من يريد إيصال الأمر إليه، ولم يبال بأحد. فقد عرف الناس كلهم كيف كانت هيبته وسطوته وطاعة الرعية له. حتى إن المسلمين أطاعوه أعظم من طاعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، ونفوذ أمره فيهم أعظم من نفوذ أمره عليه السلام. فمن ذا الذي كان يجسر أو يقدر أن يراجعه في نصه، أو يرادّه، أو يلفظ ـ عنده أو غائباً عنه ـ بكلمة تنافي مراده؟!... فلقد كان أبو بكر وهو خليفة يهابه وهو رعية وسوقة بين يديه. وكل أفاضل الصحابة كان يهابه وهو بعد لم يل الخلافة... فمن كانت هذه حاله وهو رعية وسوقة فكيف يكون وهو خليفة قد ملك مشارق الأرض ومغاربها، وخطب له على مائة ألف منبر؟!...»[1].

تبرير السلطة بعض مواقفها بالقضاء والقدر

وزاد في تعقد الأمر محاولة السلطة وأتباعها الاعتذار عن بعض مواقفهم الخاطئة وتبريرها بالقضاء والقدر. وكأنه قضاء قهري يكفي في العذر ورفع المسؤولية.

فعن ابن عباس في حديث له مع عمر عندما خرج إلى الشام أنه قال: «فقال لي: يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل. ولم أزل أراه واجداً. فيمَ تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم. قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك. إنه يزعم أن رسول الله

(١) شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:٢٨٠ـ٢٨١.

أراد الأمر له. فقال: يا ابن عباس، وأراد رسول الله ﷺ الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟! إن رسول الله ﷺ أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله. أو كلما أراد رسول الله ﷺ كان؟!...»[١].

وقال الطبري في الحديث عن مقتل عمر والشورى: «فخرجوا ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت إلينا عهداً. فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجلاً أمركم، هو أحراكم أن يحملكم على الحق ـ وأشار إلى علي ـ ورهقتني غشية، فرأيت رجلاً يدخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غضة ويانعة، فيضمه إليه ويصيره تحته. فعلمت أن الله غالب على أمره ومتوف عمر. فما أريد أن أتحملها حياً وميتاً. عليكم هؤلاء الرهط...». ثم ذكر تدبير عمر في الشورى بما هو معروف مشهور[٢].

فانظر إليه كيف جعل رؤياه مطابقة لقضاء الله تعالى وقدره، ومبرراً لتركه في اختيار من هو أحرى أن يحملهم على الحق، وتدبير أمر الشورى، مع أن من المظنون ـ إن لم يكن من المعلوم ـ أنه يؤدي إلى خلافة عثمان، الذي تفرس فيه أن يلي الخلافة، فيحمل بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس[٣].

وقد استمرت السلطة على تأكيد هذا المفهوم، حتى تبلورت عقيدة الجبر،

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:٧٨ـ٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ج:٣ ص:٢٩٣ أحداث سنة ثلاث وعشرين من الهجرة: قصة الشورى.

(٣) الاستيعاب ج:٣ ص:١١١٩ في ترجمة علي بن أبي طالب عليه السلام. تاريخ دمشق ج:٤٤ ص:٤٣٩ في ترجمة عمر بن الخطاب. تاريخ المدينة ج:٣ ص:٨٨١، ٨٨٣، ٨٨٤. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٥٨ أيام عمر بن الخطاب. كنز العمال ج:٥ ص:٧٣٨ ح:١٤٢٦٢، وص:٧٤١ ح:١٤٢٦٦. شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٨٦. بحار الأنوار ج:٦ ص:٣٢٦، وج:١٢ ص:٥٢، ٢٥٩، وج:٣١ ص:٣٩٤. وغيرها من المصادر.

وظهرت في جمهور المسلمين. والحديث في ذلك طويل لا يسعنا استقصاؤه.

قيام كيان الإسلام العام على الطاعة العمياء للسلطة

إذا عرفت هذا فمن الطبيعي أن ينشأ المسلمون ـ بعد تلك الفتوح الكبرى، وانتشار الإسلام الواسع، ودخول من لا عهد له بالنبي صلى الله عليه وآله وتعاليمه ـ على ذلك، ويبتني كيانهم العام عليه.

وكان نتيجته تشوه المفاهيم الإسلامية التي تشيع عند عامة المسلمين، واحترام السلطة كيف كانت، وتحكّم غير المعصوم في الدين، يحلّ ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ويبتدع ما يشاء، من دون أن يحيط بأحكام الدين، ويعرفها معرفة كاملة، ولا أن يلتزم بحرفية التشريع ويتقيد بها.

والمفروض على المسلمين القبول منه، والطاعة له، واللزوم لجماعته، والرضا بما قضى الله عز وجل، من دون اعتراض على الحاكم.

وفي حديث بين عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس حول من يستخلفه بعده جاء فيه: «يا ابن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً؟ قال: فقلت: وأين يبتعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه؟! قال: هو والله كما ذكرت. ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق، فأخذ المحجة الواضحة... والله يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكن قريشاً لا تحتمله. ولئن وليهم ليأخذنهم بمرّ الحق لا يجدون عنده رخصة. ولئن فعل لينكثن بيعته، ثم ليتحاربن»[1].

حيث يبدو من ذلك بوضوح أن اتجاه السلطة كان نحو التحلل من قيود

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٥٨ـ١٥٩ أيام عمر بن الخطاب.

الدين، وافتعال الرخص، وعدم الالتزام بمرّ الحق. إرضاء لقريش التي دخل أكثرها في الإسلام خوفاً أو طمعاً، من دون أن يستحكم في نفوسها كعقيدة ثابتة بحيث تجري على تعاليمه وإن خالف أهواءها.

تعرض الدين للتحريف

وبذلك تعرض الدين للتحريف عن جهل أو عمد، كما قال أبو موسى الأشعري: «لقد ذكّرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إما نسيناها، وإما تركناها عمداً...»[١]. وقريب منه عن عمران بن حصين[٢].

وفي حديث أبي الدرداء: «والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً»[٣]. وفي حديث أنس قال: «ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: الصلاة. قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها»[٤]. وفي حديث لوهب بن حسان قال: «كل سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غيرت حتى الصلاة»[٥]...

---

(١) مسند أحمد ج:٤ ص:٣٩٢، واللفظ له، ٤٠٠، ٤١٢، ٤١٥ حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. المصنف لابن أبي شيبة ج:١ ص:٢٧٢ كتاب الصلوات: من كان يتم التكبير ولا ينقصه في كل رفع وخفض. علل الدارقطني ج:٧ ص:٢٢٤. فتح الباري ج:٢ ص:٢٢٤. عمدة القاريء ج:٦ ص:٥٨ـ٥٩. تفسير القرطبي ج:١ ص:١٧٢. شرح معاني الآثار ج:١ ص:٢٢١. التمهيد لابن عبد البرج ج:٩ ص:١٧٦. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) صحيح البخاري ج:١ ص:١٩٠، ٢٠٠. صحيح مسلم ج:٢ ص:٨.

(٣) صحيح البخاري ج:١ ص:١٥٩ كتاب الجماعة والإمامة: باب فضل صلاة الجماعة، واللفظ له. مسند أحمد ج:٥ ص:١٩٥ باقي حديث أبي الدرداء. شرح صحيح مسلم للنووي ج:١٦ ص:١٧٥. وغيرها من المصادر.

(٤) صحيح البخاري ج:١ ص:١٣٤ كتاب مواقيت الصلاة: باب تضييع الصلاة عن وقتها. ونحوه في الكافي ج:٨ ص:٦٤.

(٥) معرفة السنن والآثار ج:٣ ص:٤٦. عين الحديث ذكر عن وهب بن كيسان في كتاب الأم ج:١ ص:٢٦٩.

إلى غير ذلك.

وقد عانى الإسلام نتيجة ذلك من أمور ثلاثة:

جهل المتصدين للفتوى والقضاء

الأمر الأول: جهل المتصدين لبيان الأحكام في الفتوى والقضاء، حيث لا ينتظـر من الحاكم غير المعصوم أن يلتزم بالرجوع للمعصوم والإرجاع له، والتقيد بفتواه وقضائه.

خصوصاً بعد ما سـبق من تشـوه المفاهيم التي يبتنـي عليها المجتمع الإسلامي للطاعة ولزوم الجماعة والفرقة والفتنة.

وبعـد ما هو المعلوم من كون المعصوم خصماً للسـلطة، وقد غيب ـ بما له من مقام رفيع وما يحمله من مفاهيم أصيلة ـ عن الكيان الإسلامي العام.

ومن الطبيعي حينئذ أن يفسـح الحاكم المجال لكل من يتعاون معه، أو يسير في ركابه، مهما كانت ثقافته الدينية وتمرسه في القضاء، خصوصاً مع سعة رقعة الإسلام نتيجة الفتوح، والحاجة للتكثير من القضاة والمفتين.

ومن الغريب ما عن أبي عمر الشـيباني عن ابن مسعود: «أن رجلاً من بني شـمخ بن فزارة تزوج امرأة، ثم رأى أمها فأعجبته، فاستفتى ابن مسعود فأمـره أن يفارقها، ثم يتزوج أمها، فتزوجها وولدت لـه أولاداً. ثم أتى ابن مسعود المدينة، فسأل عن ذلك فأخبره أنه لا تحل له. فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل: إنها عليك حرام، إنها لا تنبغي لك. ففارقها»[1]، ونحوه عن يزيد بن

(١) المصنـف لعبد الرزاق الصنعاني ج:٦ ص:٢٧٣ كتاب النكاح: باب أمهات نسـاءكم، واللفظ له.
السنن الكبرى للبيهقي ج:٧ ص:١٥٩ كتاب النكاح: جماع أبواب ما يحرم من نكاح الحرائر وما يحل

أبي زياد[١].

كما أنه لم يكن يعلم أن صرف الفضة بالفضة لا يصلح إلا مثلاً بمثل[٢].

وإذا بلغ الجهل بالخاصة ذلك فما هـو حال العامة، خصوصاً البعيدين عن المدينة؟!.

وقـد قال ابن عباس لأهـل البصرة وهو على المنـبر: «أخرجوا صدقة صومكم» فلم يعرف الناس مراده، فطلب ممن كان حاضراً من أهل المدينة أن يوضحوا ذلك للناس، لأنهم لا يعلمون عن زكاة الفطرة شيئاً، وكانوا يجهلون وجوبها[٣]. وعلم الله تعالى كم هناك من شواهد على الجهل بالأحكام الشرعية بنحو يبلغ حد المأساة.

منه والجمع بينهن وغير ذلك: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي**﴾. سنن سـعيد بن منصور ج:١ ص:٢٣٤ كتاب النكاح: باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فتموت قبـل أن يدخل بها أو يطلقها هل يصلح له أن يتزوج أمها. المصنف لابن أبي شـيبة ج:٣ ص:٣٠٨ كتـاب النكاح: الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها قبل أن يدخل بها أله أن يتزوج أمها؟. المعجم الكبير ج:٩ ص:١١٢ في ترجمة عبد الله بن مسعود. الاستذكار لابن عبد البرج:٥ ص:٤٥٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج:٢ ص:١٣٥. المحلى ج:٩ ص:٥٢٨. وغيرها من المصادر.

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج:٦ ص:٢٧٤ كتاب النكاح: باب أمهات نسائكم.

(٢) السـنن الكبرى للبيهقـي ج:٥ ص:٢٨٢ كتاب البيوع: جماع أبواب الربا: باب ما يسـتدل به على رجـوع من قال من الصدر الأول لا ربا إلا في النسـيئة عن قوله ونزوعـه عنه. فتح الباري ج:١٣ ص:٢٧٠. المجموع للنووي ج:١٠ ص:٣٩. أضواء البيان ج:١ ص:١٦٨.

(٣) سـنن أبي داود ج:١ ص:٣٦٥ كتاب الزكاة: باب من روى نصف صاع من قمح. السنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:١٦٨ كتاب الزكاة: جمـاع أبواب زكاة الفطرة: باب من قال يخرج من الحنطة في صدقة الفطر نصف صاع. عمدة القـاري ج:٩ ص:١١٤. تحفة الأحوذي ج:٣ ص:٢٨٢. نصب الراية ج:٢ ص:٥٠٧. الأحكام لابن حزم ج:٢ ص:٢٤٢ـ٢٤٣. وغيرها من المصادر.

ظهور الاختلاف في الحديث والقضاء والفتوى

وبذلك ظهر الاختلاف في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله، كما هو المعلوم بالرجوع لمصادره، وقد تضمنه الحديث السابق عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في بيان أسباب اختلاف الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله[١].

كما شاع الاختلاف بين القضاة والمفتين مع قربهم من عهد النبي صلى الله عليه وآله[٢]، بل كثيراً ما تختلف فتاوى أو قضاء الشخص الواحد في المسألة الواحدة[٣].

من دون التزام ـ مع كل ذلك ـ برفع الاختلاف وتصحيح الخطأ، لعدم الاعتراف بالمرجع المعصوم من جهة، وعدم الاهتمام بتوحيد الفتوى وتصحيح الخطأ من جهة أخرى، بل مع إقرار كل على ما يقول، بنحو يوحي باحترام أشخاص المفتين والقضاة المنسجمين مع السلطة على حساب الحق والحكم الشرعي الواحد.

---

(١) تقدم في ص: ١٩١ـ١٩٣.

(٢) ومن مفردات ذلك ما تجده في صحيح مسلم ج:٥ ص:١٢٥ كتاب الحدود: باب حد الخمر، ومسند أحمد ج:٣ ص:١١٥ مسند أنس بن مالك، وسنن الدارمي ج:٢ ص:٣٥٤ كتاب الفرائض: باب قول عمر في الجد، والسنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٢٤٧ كتاب الفرائض: باب من ورث الإخوة للأب والأم أو الأب مع الجد، ومسند أبي يعلى ج:٥ ص:٣٦٨ ح:٣٠١٥، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) ومن مفردات ذلك ما تجده في السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٢٥٥ كتاب الفرائض: باب المشركة، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٣٣٤ كتاب الفرائض، ومعرفة السنن والآثار ج:٥ ص:٧١ كتاب الفرائض: باب المشركة. المصنف لعبد الرزاق ج:١٠ ص:٢٦٢ كتاب الفرائض: باب فرض الجد، وغيرها من المصادر.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول اختلاف القضاء

يقول أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام): «ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه. ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلافه. ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً. وإلههم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد.

أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟! أم نهاهم عنه فعصوه؟! أم أنزل ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟! أو كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه. والله سبحانه يقول: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾...»[1].

وبالمناسبة روي عن حفص بن عمر، قال: «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كثر عليه الخصوم صرفهم إلى زيد. فلقي رجلاً ممن صرفه إلى زيد، فقال له: ما صنعت؟ قال: قضى عليّ يا أمير المؤمنين. قال: لو كنت أنا لقضيت لك. قال: فما يمنعك وأنت أولى بالأمر؟ قال: لو كنت أردّك إلى كتاب الله أو سنة نبيه فعلت. ولكني إنما أردك إلى رأي، والرأي مشير»[2].

بل ربما انتهى الأمر ببعضهم أن يرى عدم نقض حكم الحاكم ولو في مقابل السنة النبوية. فعن الشافعي أنه قال: «أخبرني من لا أتهم عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل برأي ربيعة. فأخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف ما قضى به. فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب وهو عندي

(١) نهج البلاغة ج:١ ص:٥٤ـ٥٥.

(٢) تاريخ المدينة ج:٢ ص:٦٩٣.

ثقــة يحدث عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت بــه. فقال له ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك. فقال سعد: واعجباً أنفذ قضاء سعد بن أم سعد، وأرد قضاء رســول الله ﷺ! بل أرد قضاء سعد بن أم ســعد وأنفذ قضاء رسول الله ﷺ. ودعا بكتاب القضية فشقه وقضى للمقضي عليه»[١].

تحوير الاجتهاد

وبينما كان المفــترض أن يكون الرأي والاجتهاد وســيلة لفهم الحكم الشرعي من أدلته، في محاولة للوصول إليه ثم العمل عليه، وإذا به يصير مبرراً للخروج على الحكــم الشرعي الواضح ومخالفته، كــما يتضح بأدنى مراجعة لمصادر الحديث والتاريخ.

ومن الطريف ما رواه البلاذري حــول الجفوة التي كانت من أبي بكرة لأخيه زياد واســتنكاره لموبقاته وموبقــات معاوية، مع وصفــه له بالتدين والصلاح، حتى روى بســنده إلى أبي عثــمان أنه قيل لأبي بكــرة: إن الناس يزعمــون أنك تجد على معاوية وزياد في أمر الدنيا. فقال: أبو بكرة: «وأية دنيا أعظم من اســتعماله عبيد الله بن بكرة على سجستان وأمور النيران، واستعماله عبد الرحمن على كذا؟! لا والله، ولكن القوم كفروا صراحية»[٢].

ومع ذلك روى بسنده عن الحسن قال: «انطلقت أنا وأنس بن مالك إلى أبي بكرة نعوده، وكان به عرق النساء، فقال له أنس: فيم تجد على أخيك زياد؟ فإن كنت تجد عليه في شــأن الدنيا فإنه يقول: قد استعملت ابنه على الديوان،

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٤٢٠ في ترجمة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. تاريخ مدينة دمشق ج:٢٠ ص:٢١٥ في ترجمة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) أنساب الأشراف ج:٢ ص:١٣٩ أخبار عبد الرحمن وعبيد الله ابني أبي بكرة.

واستعملت ابنه الآخر على كذا، واستعملت ابنه الآخر على مدينة الرزق. وما أبالي أوليت رجلاً مدينة الرزق أم فتحت له بيت مالي وقلت: خذ ما شئت. وإن كنت تجد عليه في أمر الآخرة فإنه والله مجتهد. فقال أبو بكرة: والله إنه لمجتهد؟! قال أنس: والله إنه لمجتهد. قال أبو بكرة: الحرورية أيضاً يزعمون أنهم قد اجتهدوا»[1].

ظهور الجرأة على الفتوى والقضاء

ومن الطبيعي أن يفرز ذلك الجرأة على الفتوى والحكم والتسامح فيهما، والاعتزاز بالرأي والإصرار عليه، وشيوع الاختلاف، وفقد الضوابط في التعرف على الدين وتعاليمه وأحكامه، وفي التصدي للفتوى والمرجعية فيها، وفي جميع شؤون الدين من الأصول والفروع.

ولاسيما أن الكتاب المجيد لا يتيسر لعموم الناس معرفة تفاصيل الأحكام منه. وأنه صالح للتأويل على وجوه مختلفة، ولو كانت متكلفة.

وقد يتشبث بها من يتعصب لوجهة نظر خاصة ويسير في خطها، أو يحاول الظهور ويحب السمعة، دعماً لرأيه وإصراراً عليه.

كما أن السنة الشريفة قد ابتليت بالضياع على عامة الناس ـ نتيجة ما سبق من تحجير السلطة عليها ـ وبالآفات التي سبق من أمير المؤمنين (صلوات الله

(١) أنساب الأشراف ج:٢ ص:١٣٩ أخبار عبد الرحمن وعبيد الله ابني أبي بكرة، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٩ في ترجمة أبي بكرة الثقفي الطائفي. تاريخ دمشق ج:٦٢ ص:٢١٧ في ترجمة نفيع بن الحارث. تهذيب الكمال ج:٣٠ ص:٧ في ترجمة نفيع بن الحارث بن كلدة. تهذيب التهذيب ج:١٠ ص:٤١٩ في ترجمة نفيع بن حارث بن كلدة.

عليه) التعرض لها في وجه اختلاف الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله[١].

شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من أوضاع الأمة

ويبدو تفاقم المشكلة من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، قال فيها: «وما كل ذي قلب بلبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ناظر ببصير. فيا عجبي ـ وما لي لا أعجب ـ من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب. يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات. المعروف عندهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا. مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم. كأن كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرىً ثِقات، وأسباب محكمات»[٢].

وقد حقق ذلك الأرضية الصالحة لانقسام الأمة، وظهور الفرق في الإسلام، التي بدأت بالخوارج، وتتابعت من بعدهم حتى يومنا هذا. وإنا لله وإنا إليه راجعون. والحديث في ذلك طويل نقتصر منه على ما ذكرنا.

ظهور الابتداع في الدين ومخالفة نصوصه

الأمر الثاني: ظهور الابتداع في الدين ومخالفة نصوصه وتجاوزها، كما يتضح ذلك بالرجوع لما ذكره أهل الحديث وعلماء الكلام والمؤرخون.

والناس على دين ملوكهم يأخذونه منهم. بل كثيراً ما لا يهتمون بمعرفة

---

(١) الكافي ج:١ ص:٦٢-٦٤. وتقدم كلامه عليه السلام مع بقية مصادره في أواخر الكلام في تحجير السلطة على السنة النبوية.

(٢) نهج البلاغة ج:١ ص:١٥٥ـ١٥٦.

دينهـــم والتقيد به، أو يقدمون طاعتهم على مـــا يعرفون من دينهم. وقد تقدم عند التعرض لتركيز السلطة على وجوب الطاعة بعض مفردات ذلك.

ويأتي إن شـــاء الله تعالى في المقام الأول من المبحـــث الثاني كلام لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يتعرض فيه لبعض تلك المخالفات والبدع[1].

تشويه الحقائق في التاريخ والمناقب والمثالب

الأمر الثالث: تشويه الحقائق في التاريخ والسيرة، وفي المناقب والمثالب، كما أشرنا إلى بعضه عند الـــكلام في ألقاب التشريف التي أطلقت على الحكام ومن سار على خطهم، وفي التحجير على السنة النبوية الشريفة، وغير ذلك مما تقدم. وقد يأتي ما ينفع في المقام.

ظهور حجم الخطر بملاحظة ثقافة الأمويين

ويمكن أن نعرف خطورة ما كانـــت تصل إليه الأمور لو بقيت الأمور على ذلك ـ من دون إصلاح في مسار الســـلطة، أو معارضة تقف في وجهها، وإنكار يكبح جماحها ـ مما انتهى إليه الأمر أيام الحكم الأموي.

حيـــث صفت للأمويين ـ ولاءً وتثقيفاً ـ الشـــام، التـــي هي مركز ثقل قوتهم، ولم تكن لهم فيها معارضة ظاهرة. واستطاعوا أن يعمموا ثقافتهم فيها للمناطق النائية عن مواقع المعارضة وتأثيرها. كما تقدم شيء منه عند التعرض لموقف أهل إفريقية.

---

(١) الـــكافي ج:٨ ص:٥٨-٦٣. ويأتي كلامه هذا عند الكلام في جهود أمير المؤمنين عليه السلام في إيضاح كثير من الحقائق وأن احترام الأولين كان هو العقبة الكؤود أمام ذلك.

نماذج من التحريف في العهد الأموي

فإنه يبدو مدى تشويه المفاهيم، والتحريف في الدين والتعتيم على الحقائق وتجاهلها، وقلبها، من أفعالهم وتصريحاتهم وتصريحات عمالهم وأتباعهم حتى في بقية بلاد المسلمين، استهواناً بالمعارضة، وتحدياً لشعور المسلمين فيها.

١ـ فقد كان عثمان بن مظعون من أوائل من توفي من المهاجرين في المدينة. وفي حديث المطلب قال: «لما دفن النبي ﷺ عثمان بن مظعون قال لرجل: هلم تيك الصخـــرة أضعها على قبر أخي أتعلمه بها، أدفن إليه من دفنت من أهلي، فقام الرجل إليها فلم يســـتطعها. قال المخبر: فكأني أنظر إلى بياض ســـاعدي رســـول الله ﷺ احتملها حتى وضعها عند قبره»[١]. وهناك أحاديث أخر قد تضمنت أن النبي ﷺ وضع حجراً عند قبر عثمان بن مظعون.

لكن مروان بن الحكم لما ولي المدينة مرّ على ذلك الحجر فأمر به فرمي به وقال: «والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به» فأتته بنو أمية فقالوا: «بئس ما صنعت، عدت إلى حجر وضعه النبي ﷺ فرميت به. بئس ما عملت به. فأمر به فليرد» فقال: «أم والله إذ رميت به فلا يرد»[٢].

٢ـ وقد ســـبق أن معاوية حين كان أميراً على الشام قبل أن يستولي على الخلافة والســـلطة يبيع سقاية من ذهب أو ورِق بأكثر من وزنها، فيقول له أبو الدرداء: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل» فيقول: «ما أرى بهذا بأساً»[٣].

---

(١) تاريخ المدينة ج:١ ص:١٠٢، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:١ ص:١٥٤ في ترجمة عثمان بن مظعون.

(٢) تاريخ المدينة ج:١ ص:١٠١، ١٠٢.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج:٥ ص:٢٨٠ كتاب البيوع باب من قال الربا في الزيادة. وقد سبق مع بقية

٣ـ وقد سبق منه قوله بعد أن استولى على السلطة: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبفضل مني»[١].

٤ـ ولما دخل معاوية الكوفة بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام معه، وبايعه الناس دخل عليه هاني بن الخطاب الهمداني أو سعيد بن الأسود بن جبلة الكندي، فقال: «أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه». فقال له معاوية: «ولا شرط لك». لكن الرجل قال له: «وأنت أيضاً فلا بيعة لك». فتراجع معاوية وقال: «إذاً فبايع. فما خير شيء ليس فيه كتاب الله وسنة نبيه»[٢].

٥ـ كما صلى معاوية صلاة الجمعة يوم الأربعاء[٣].

٦ـ واتخذ لعن أمير المؤمنين عليه السلام سنّة في الدين. حتى ورد أنه إذا تركها بعضهم صاح الناس تركت السنة[٤].

وقال محمد بن عقيل: «أجمع أهل حمص في زمن مّا على أن الجمعة لا تصح بغير لعن أبي تراب عليه السلام»[٥].

ولما رفع عمر بن عبد العزيز لعنه عليه السلام، وجعل بدله: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ**

مصادره عند التعرض لظهور الاستهتار من المنافقين في عهد الأولين وذكر نماذج من ذلك.

(١) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٥ وأما معاوية بن أبي سفيان. وقد تقدم مع بقية مصادره عند الكلام في استغلال السلطة الألقاب المناسبة لشرعيتها.

(٢) أنساب الأشراف ج:٣ ص:٢٨٨ـ٢٨٩ أمر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٥٢ ص:٣٨٠ في ترجمة محمد بن خالد بن أمة.

(٣) مروج الذهب ج:٣ ص:٤١ ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان. النصائح الكافية ص:١١٦. العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ص:٥٦.

(٤) النصائح الكافية ص:١١٦.

(٥) النصائح الكافية ص:١١٦.

بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى...﴾[١] قال عمرو بن شعيب ـ بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ: «ويل للأمة. رفعت الجمعة، وتركت اللعنة، وذهبت السنة»[٢].

ولما خطب الخطيب بذلك في جامع صنعاء قام إليه ابن محفوظ، وقال: «قطعت السنة» قال: «بل هي البدعة» فقال: «لأنهضن إلى الشام، فإن وجدت الخليفة قد عزم على قطعها لأضرمن الشام عليه ناراً». لكنه لما خرج تبعه أهل صنعاء فرجموه بالحجارة حتى غمروه وبغلته بها[٣].

٧ـ واستلحق معاوية زياد بن سمية المولود على فراش عبد ثقيف بشهادة أبي مريم السلولي بزنا أبي سفيان بسمية[٤]، تحدياً لسنة النبي صلى الله عليه وآله المتفق عليها بين المسلمين ـ حيث قال صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[٥] ـ ونزعاً

---

(١) سورة النحل الآية: ٩٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج:٣ ص:٢٢.

وقال الشجري: «لما أسقط عمر بن عبد العزيز (رحمه الله تعالى) من الخطب على المنابر لعن أمير المؤمنين عليه السلام قام إليه عمرو بن شعيب وقد بلغ إلى الموضع الذي كانت بنو أمية تلعن فيه علياً عليه السلام فقرأ مكانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ فقام إليه عمرو بن شعيب (لعنه الله)، فقال يا أمير المؤمنين: السنة السنة، يحرضه على لعنه [كذا في المصدر] علي عليه السلام. فقال عمر: اسكت. قبحك الله. تلك البدعة لا السنة. وتمم خطبته». الأمالي للشجري ج:١ ص:١٥٣ الحديث السابع: فضل أهل البيت عليهم السلام كافة وما يتصل بذلك.

(٣) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ص:١١٧ في أحداث سنة ٩٩ من الهجرة.

(٤) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٤٤ أحداث سنة أربع وأربعين من الهجرة: ذكر استلحاق معاوية زياداً. شرح نهج البلاغة ج:١٦ ص:١٨٧. مروج الذهب ج:٣ ص:١٦ ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان: إلحاق زياد بأبي سفيان. خزانة الأدب ج:٦ ص:٥٠. النصائح الكافية ص:٨١.

(٥) صحيح البخاري ج:٣ كتاب البيوع ص:٥ باب الحلال بين والحرام بين، ص:٣٩ باب شراء

للحياء، واستهتاراً بالقيم والمثل، كما أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

ألا أبلغ معاويــة بن حرب مغلغلة مــن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانِ[1]

٨ـ وعــن المدائني عن حماد بن ســلمة عن علي بن زيد عن الحســن أن الأحنف قال: «استشــارني زياد في قتل الموالي من العجم، فقال: إني أريد قتل هذه الحمراء. فقلت: أنشدك الله بهم، فإنهم قد تحرموا بالإسلام، وشاركناهم في الأولاد، وخالطونا وخالطناهم. فترك ذلك»[2].

المملوك من الحربي وهبته وعتقه، ص:١٨٧ كتاب الوصايا: باب قول الموصي لوصيه تعاهد ولدي ومــا يجوز للوصي من الدعوى، ج:٥ ص:٩٦ كتاب المغازي: باب غزوة الفتح، ج:٨ ص:٩ كتاب الفرائــض: باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة، وغيرها. صحيح مســلم ج:٤ ص:١٧١ كتاب الرضاع: باب الولد للفراش وتوقي الشــبهات. سنن ابن ماجة ج:١ ص:٦٤٦ باب الولد للفراش وللعاهر الحجر. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٣٥ أحداث ســنة تســع وخمســين من الهجرة، واللفــظ له. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٥٢٣ أحداث سنة تسع وخمسين من الهجرة: ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري. الاســتيعاب ج:٢ ص:٥٢٧ في ترجمة زياد بن أبي سفيان. تاريخ دمشق ج:٣٤ ص:٣١٤ في ترجمة عبــد الرحمن بن الحكم بــن أبي العاص، ج:٦٥ ص:١٨٠ـ١٨١ في ترجمة يزيــد بن زياد بن ربيعة. وفيات الأعيان ج:٦ ص:٣٥٠ في ترجمــة يزيد بن مفرغ الحميري. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٠٣ أحداث سنة تسع وخمسين من الهجرة: قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري. وغيرها من المصادر.

(٢) أنساب الأشراف ج:١٢ ص:٣٣٦ ترجمة الأحنف بن قيس.

قال سليم بن قيس في كتابه: «كان لزياد بن سمية كاتب يتشيع، وكان لي صديقاً، فأقرأني كتاباً كتبه معاويــة إلى زياد جواب كتابه إليه...» وذكر كتاباً طويلاً جاء في جملته: «وحدثني ابن أبي معيط أنك أخبرته أنك قرأت كتاب عمر إلى أبي موســى الأشعري وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار، وقال له: اعرض من قِبَلك من أهل البصرة، فمن وجدت من الموالي ومن أســلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشــبار فقدمه فاضرب عنقه. فشاورك أبو موسى في ذلك فنهيته وأمرته أن يراجــع. فراجعه، وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر. وإنما صنعت ما صنعت

. . . . . .

تعصباً للموالي، وأنت يومئذٍ تحسب أنك ابن عبد ثقيف، فلم تزل تلتمس حتى رددته عن رأيه وخوفته فرقة الناس، فرجع... وخبّرني أن الذي صرفت به عن رأيه في قتلهم أنك قلت: إنك سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: لتضربنكم الأعاجم على هذا الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً. وقال: ليملأن الله أيديكم من الأعاجم. وليصيرن أسداً لا يفرون، فليضربن أعناقكم، وليغلبنكم على فيئكم. فقال لك ـ وقد سمع ذلك من علي يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ: فذلك الذي دعاني إلى الكتاب إلى صاحبك في قتلهم. وقد كنت عزمت أن أكتب إلى عمالي في سائر الأمصار. فقلت لعمر: لا تفعل يا أمير المؤمنين. فإني لست آمن أن يدعوهم علي إلى نصرته، وهم كثير، وقد علمت شجاعة علي وعداوته لك ولصاحبك، فرددته عن ذلك... فلو كنت يا أخي لم ترد عمر عن ذلك لجرت سنة، ولاستأصلهم الله وقطع أصلهم. وإذاً لانتست [لائتست.ظ] به الخلفاء بعده حتى لا يبقى منهم شعر ولا ظفر ولا نافخ نار، فإنهم آفة الدين... فما أكثر ما قد سن عمر في هذه الأمة بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فتابعه الناس عليها وأخذوا بها، فتكون هذه مثل واحدة منهن...». كتاب سليم بن قيس الهلالي ص:٢٨١ وما بعدها.

ويناسب ذلك ما رواه سليم أيضاً في حديث لأمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيه أحداث عمر وبدعه. وفيه: «وإرساله إلى عماله بالبصرة بحبل [طوله] خمسة أشبار وقوله: من أخذتموه من الأعاجم فبلغ طول هذا الحبل فاضربوا عنقه». كتاب سليم ص:٢٣٢.

وما ذكره أبو سعيد يعقوب العصفري الرواجني الكوفي عن سفيان الحريري عن أبيه عن أبي صادق قال: «بعث عمر بن الخطاب إلى عامله قدامة بمقدار لا يجوزها أحد من الموالي إلا قتل. قال: فجاء الرسول وعند قدامة رجل من موالي الأزد جصاص فقدمه وضرب عنقه».

وعن سفيان الحريري عن عبد الرحمن بن سالم الأشل قال: «سألت عبد الملك بن عمر عن أحاديث، فأبى أن يحدثني، فقلت له: كم كان المقياس الذي بعث به عمر؟ قال: خمسة أشبار مختوم برصاص قتل فيه رجلين». الأصول الستة عشر كتاب أبي سعيد عباد العصفري ص:٤٢، ٤٣.

وبناءً على هذه النصوص فما تضمنه حديث الأحنف بن قيس محاولة من معاوية لتنفيذ ما حاوله عمر قبل أكثر من عقدين من الزمن يوم كان الموالي قليلين والعرب متماسكين موحدي الاتجاه تحت ظل السلطة.

٩ـ وورد أن المغيرة بن شـــعبة قال لمعاوية: «إنك قد بلغت ســـناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبســـطت خيراً، فإنك قد كبرت. ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه».

فقال له: «هيهات أي ذكر أرجو بقاءه؟! ملك أخو تيم، فعدل وفعل ما فعل. فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر.

ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشـــمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر.

وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله. فـــأي عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبـــاً لك؟!. لا والله إلا دفناً دفناً»[1].

وقـــال ابن أبي الحديد: «وروى أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار الملوك أن معاوية سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله. فقالها ثلاثاً. فقال: أشهد أن محمداً رســـول الله. فقال: لله أبوك يا ابن عبـــد الله لقد كنت عالي الهمة. ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين»[2].

لكنه خشي من مغبة ذلك، لكثرة الموالي وانشـــقاق العرب وتعدد اتجاهاتهم، فاستشـــار الأحنف فصرفه عن ذلك. وربما استشار غيره فلم يجد مشجعاً، فأحجم وتراجع، كما تراجع عمر من قبل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ وهو العالم بحقيقة الحال.

(١) شرح نهـــج البلاغة ج:٥ ص:١٣٠. النصائح الكافية ص:١٢٤. مروج الذهب ج:٤ ص:٤٤ـ٤٥ ذكر خلافة المأمون وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه: المأمون وحديث معاوية.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١٠ ص:١٠١.

١٠ـ وأمر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وآله أن يحمل من المدينة إلى الشام، وقال: «لا يترك وعصا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان» فحُرّك المنبر، فكسفت الشمس، حتى رؤيت النجوم بادية. فأعظم الناس ذلك، فتركه[١].

١١ـ ولما ولي عبد الملك همّ بنقله أيضاً، فذكر له ذلك فتركه[٢].

١٢ـ وكذلك الوليد بن عبد الملك[٣].

١٣ـ وفي حديث عباد بن عبد الله بن الزبير قال: «لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة، قال: فصلى بنا الظهر ركعتين، ثم انصرف إلى دار الندوة. وقال: وكان عثمان حين أتم الصلاة، إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً. فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة. فلما صلى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان، فقالا له: ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به. فقال لهما: وما ذاك؟ قال: فقالا له: ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة؟ قال: فقال لهما: ويحكما وهل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قالا: فإن ابن عمك قد كان أتمها،

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٦٣ـ٤٦٤ أحداث سنة خمسين من الهجرة: ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:١٧٧ أحداث سنة خمسين من الهجرة. إمتاع الأسماع ج:١٠ ص:١٠٨ فصل في ذكر منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:١٧٧ـ١٧٨ أحداث سنة خمسين من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٦٤ أحداث سنة خمسين من الهجرة: ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة. إمتاع الأسماع ج:١٠ ص:١٠٩ فصل في ذكر منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وغيرها من المصادر.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٦٤ أحداث سنة خمسين من الهجرة: ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٤ ص:١٧٧ـ١٧٨ أحداث سنة خمسين من الهجرة. إمتاع الأسماع ج:١٠ ص:١٠٩ فصل في ذكر منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وغيرها من المصادر.

وإن خلافك إياه له عيب. قال: فخرج معاوية فصلاها بنا أربعاً»[١].

حيث يبدو مدى استهوانه بأحكام الإسلام وبالمسلمين من تبدل موقفه السريع، وتفريقه في القصر والإتمام بين صلاتين ليس بينهما فارق زمني طويل.

١٤ـ ومعاوية أول من اتخذ المقصورة في الصلاة[٢].

١٥ـ وهو أول من قعد في الخطبة[٣]. وعن ابن أبي رؤبة الدباس أن بني أمية كانوا يقعدون في إحدى خطبتي العيد والجمعة ويقومون في الأخرى[٤].

١٦ـ وقد سبق من ابنه يزيد وهو في أوج الابتهاج بقتل الإمام الحسين عليه السلام أن أنشد أبيات ابن الزبعرى، وفيها:

---

(١) مسند أحمد ج:٤ ص:٩٤ حديث معاوية بن أبي سفيان، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٢ ص: ١٥٦ـ١٥٧ كتاب الصلاة: باب في من أتم الصلاة في السفر. وذكر بعضه في فتح الباري ج:٢ ص:٤٧١، وعمدة القاريء ج:٧ ص:١٣٤، وتحفة الأحوذي ج:٣ ص:٨٧، ونيل الأوطار ج:٣ ص:٢٥٩، وغيرها من المصادر.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٤٦ أحداث سنة أربع وأربعين من الهجرة. البداية والنهاية ج:٧ ص:٣٦٥ أحداث سنة أربعين من الهجرة: صفة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المعارف لابن قتيبة ص:٥٥٣. أنساب الأشراف ج:٣ ص:٢٥٢ أمر ابن ملجم وأمر أصحابه ومقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وغيرها من المصادر.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج:٣ ص:١٩٧ كتاب الجمعة: باب الخطبة قائماً. المصنف لابن أبي شيبة ج:٢ ص:٢١ كتاب الجمعة: من كان يخطب قائماً. فتح الباري ج:٣ ص:٣٣٣. عمدة القاريء ج:٦ ص:٢١٩. عون المعبود ج:٣ ص:٣١٠. نيل الأوطار ج:٣ ص:٣٣٠. سبل السلام ج:٢ ص:٤٧. فقه السنة ج:١ ص:٣١١. الدر المنثور ج:٦ ص:٢٢٢. تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:٢٠٢ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٤٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ترجمة معاوية بن أبي سفيان. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٤) شرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤٠.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[١]

١٧ـ ولما غنى ابن عائشة بهذه الأبيات الوليد بن يزيد قال له: «أحسنت والله. إني لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر»[٢]. كما أنشد أبياتاً تناسبها في المضمون والمعنى لا نطيل بذكرها[٣].

١٨ـ ولما أراد عمرو بن سعيد الأشدق عامل يزيد بن معاوية على المدينة أن يبعث جيشاً إلى عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة قال له أبو شريح: «لا تغزُ مكة. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما أذن لي في القتال بمكة ساعة من نهار، ثم عادت كحرمتها». فأبى عمرو أن يسمع قوله، وقال: «نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ»[٤].

١٩ـ ولما استولى عبد الله بن الزبير على السلطة في الحجاز منع عبد الملك بن

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص:١٠٥، وتقدمت الأبيات مع بقية مصادره عند الكلام في أبعاد فاجعة الطف وفي ثأر الأمويين لأسلافهم.

(٢) تاريخ الطبري ج:٦ ص:٣٣٧ في أحداث سنة ١٥٨ هـ، واللفظ له. تاريخ مدينة دمشق ج:٥٢ ص:٢٣٥ في ترجمة ابن عائشة.

(٣) لاحظ مروج الذهب ج:٣ ص:٢٢٥ـ٢٢٦ ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذكر لمع من أخباره وسيره، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ص:١٦٩ في أحداث سنة ١٢٦ هـ.

(٤) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٥٧ أحداث سنة ستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٨ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد. تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:٢١ عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد. ونحوه في مسند أحمد ج:٤ ص:٣٢ حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، وشرح معاني الآثار ج:٣ ص:٣٢٧، والسيرة النبوية لابن هشام ج:٤ ص:٨٧٣، وتاريخ دمشق ج:٤٦ ص:٣٨ في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص، والبداية والنهاية ج:٤ ص:٣٥٠، وغيرها من المصادر الكثيرة.

مروان أهل الشام من حج بيت الله الحرام، واستبدله بحج بيت المقدس[١].

٢٠ـ وكان الوليد بن يزيد يصلي ـ إذا صلى أوقات إفاقته من السكر ـ إلى غير القبلة، فقيل له في ذلك. فقرأ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾»[٢].

٢١ـ وكان الحجاج ـ عامل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ـ مستهتراً بالدين والمسلمين. وهو الذي سمى المدينة المنورة: أم نتن، وأساء إلى أهلها، وقال: «أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان...»[٣].

وذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «تباً لهم. إنما يطوفون بأعواد ورِمة بالية. هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك. ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله»[٤].

---

(١) البداية والنهاية ج:٨ ص:٣٠٨ أحداث سنة ستة وستين من الهجرة. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٦١ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير. وفيات الأعيان ج:٣ ص:٧٢ في ترجمة عبد الله بن الزبير. حياة الحيوان ص:١١٩ في مادة أوز: خلافة الوليد بن عبد الملك. وغيرها من المصادر.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤٢.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٣٥٨ـ٣٥٩ أحداث سنة ثلاث وسبعين من الهجرة: ذكر قتل ابن الزبير. أنساب الأشراف ج:٧ ص:١٣٦ أمر عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك ومقتله. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:٢١ ص:٨٩ أحداث سنة ثلاث وسبعين من الهجرة: ذكر مبايعة أهل مكة عبد الملك بن مروان وما فعله الحجاج من هدم الكعبة وبنائها ومسيره إلى المدينة وما فعله فيها بالصحابة رضي الله عنهم.

(٤) شرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤٢، واللفظ له. النصائح الكافية ص:١٠٦. وقد روي المقطع الأول من قوله: «إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية» في إمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢٥٩، والعقد الفريد ج:٥ ص:٥١ كتاب اليتيمة الثانية: فرش كتاب أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة: أخبار الحجاج: من زعم أن الحجاج كان كافراً، وحياة الحيوان ص:١١٩ في مادة أوز: خلافة الوليد بن عبد الملك، ونثر الدر ج:٥ ص:٢٣ الباب الثاني: كلام الحجاج، وغيرها من المصادر.

وقد روي ما يقرب من المقطع الأخير من كلامه: «خليفة المرء خير من رسوله» في سنن أبي داود

وعن ابن سيرين أنه قال: «ما ذكرت من قتل مع ابن الأشعث إلا قلت: ليتهم لم يخرجوا. فإذا ذكرت قول الحجاج قلت: ما حل لهم إلا ما صنعوا. قال: يقول المنافقون: إن خبر السماء انقطع. وكذبوا. إن خبر السماء عند خليفة الله، وقد أنبأه الله أنه قاتلهم ومشردهم. يقول هذا لأهل الشام»[١].

٢٢ـ وكذلك خالد بن عبد الله القسري عامل سليمان بن عبد الملك. حيث أجرى الماء العذب لأهل مكة من أجل أن يستبدلوا بها عن زمزم، وخطب الناس فقال: «أيها الناس أيهما أعظم أخليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحاً أجاجاً، واستسقاه الخليفة فسقاه عذباً فراتاً»[٢].

وخطب أيضاً فقال: «قد جئتكم بماء الغادية لا يشبه ماء أم الخنافس» يعني: زمزم[٣]. وكان يقول: «والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من

ج:٢ ص:٤٠٠ كتاب السنة: باب في الخلفاء، وعون المعبود ج:١٢ ص:٢٥٦، وتاريخ دمشق ج:١٢ ص:١٥٨ في ترجم الحجاج بن يوسف، والبداية والنهاية ج:٩ ص:١٥١ أحداث سنة خمس وتسعين من الهجرة: في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي. وغيرها من المصادر.

(١) أنساب الأشراف ج:١٣ ص:٤١٦، واللفظ له، ص:٣٦٣ في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٢) تاريخ الطبري ج:٥ ص:٢٢٥ أحداث سنة تسع وثمانين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٥٣٦ أحداث سنة تسع وثمانين من الهجرة: ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة. البداية والنهاية ج:٩ ص:٩٢ أحداث سنة تسع وثمانين من الهجرة. تاريخ الإسلام ج:٦ ص:٣٥ أحداث سنة تسع وثمانين من الهجرة. أخبار مكة ج:٣ ص:٦٠ ذكر منبر مكة وأول من جعله وكيف كانوا يخطبون بمكة قبل أن يتخذ المنبر ومن خطب عليه. الأغاني ج:٢٢ ص:١٧ في أخبار خالد بن عبد الله: يتطاول على مقام النبوة. وغيرها من المصادر.

(٣) أنساب الأشراف ج:٩ ص:٥٨ في أمر خالد بن عبد الله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:١٦ ص:١٦١ في ترجمة خالد بن عبد الله بن يزيد. سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٤٢٩ في ترجمة القسري. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٧ ص:٣٠٨٥ في ترجمة

أنبيائه»[١]. وقال: «أيما أكرم عندكم على الرجل، رسوله في حاجته، أو خليفته في أهله» يعرض بأن هشاماً خير من النبي صلى الله عليه وآله[٢].

وكان يقول حين أخذ سعيد بن جبير وطلق بن حبيب بمكة: «كأنكم أنكرتم ما صنعت. والله لو كتب إلي أمير المؤمنين أن أنقضها حجراً حجراً لفعلت» يعني: الكعبة المعظمة[٣].

وأمر خالد ببناء بيعة لأمه، فكلم في ذلك. فقال: نعم يبنونها. فلعنهم الله إن كان دينها شراً من دينكم[٤]. واتخذ كنيسة لأمه في قصر الإمارة... وأمر المؤذنين أن لا يؤذنوا حتى يضرب النصارى بنواقيسهم[٥]... إلى غير ذلك مما

خالد بن عبد الله بن يزيد. وقريب منه في الروض المعطار في خبر الأقطار ج:١ ص:٢٩٣ في الكلام عن زمزم.

(١) الأغاني ج:٢٢ ص:١٧ في أخبار خالد بن عبد الله: يتطاول على مقام النبوة.

(٢) الأغاني ج:٢٢ ص:١٧ـ١٨ في أخبار خالد بن عبد الله: يتطاول على مقام النبوة. وقريب منه في الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٢٨٠ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة: ذكر قتل خالد بن عبد الله القسري.

(٣) أنساب الأشراف ج:٩ ص:٥٩ في أمر خالد بن عبد الله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:١٦ ص:١٦١ في ترجمة خالد بن عبد الله بن يزيد. سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٤٢٩ في ترجمة القسري. بغية الطلب في تاريخ حلب ج:٧ ص:٣٠٨٥ في ترجمة خالد بن عبد الله بن يزيد. الأغاني ج:٢٢ ص:١٧ في أخبار خالد بن عبد الله: يتطاول على مقام النبوة. وغيرها من المصادر.

(٤) أنساب الأشراف ج:٩ ص:٦٠ في أمر خالد بن عبد الله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام. ونظيره في الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٢٨٠ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة: ذكر قتل خالد بن عبد الله القسري.

(٥) أنساب الأشراف ج:٩ ص:٦٣ في أمر خالد بن عبد الله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام. وقريب منه في الأغاني ج:٢٢ ص:١٤ في أخبار خالد بن عبد الله: يتطاول على مقام النبوة.

يدل على استخفافه بالدين.

٢٣ـ وذكر ابن عائشة أن خالد بن سلمة بن العاص بن هشام المخزومي المعروف بالفأفاء كان ينشد بني مروان الأشعار التي هجي بها النبي صلى الله عليه وآله[١].

٢٤ـ وفي حديث جابر الجعفي عن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام في أمر خروجه قال: «يا جابر لا يسعني أن أسكن وقد خولف كتاب الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت. وذلك أني شهدت هشاماً ورجل عنده يسب رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت للساب: ويلك يا كافر. أما إني لو تمكنت منك لاختطفت روحك وعجلتك إلى النار. فقال لي هشام: مه عن جليسنا يا زيد...»[٢].

٢٥ـ وكان بنو أمية في ملكهم يؤذنون ويقيمون في صلاة العيد[٣]. وروي أن أول من أحدثه منهم معاوية[٤].

٢٦ـ وقد قدموا الخطبة في صلاة العيد أيضاً. وأول من قام بذلك عثمان[٥]،

---

(١) تهذيب التهذيب ج:٣ ص:٨٤ في ترجمة خالد بن سلمة بن العاص. العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ص:٩٣ باب تعديل الفساق.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:١١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤٠. المحلى ج:٥ ص:٨٢ صلاة العيدين: مسألة ٥٤٣. الاستذكار لابن عبد البر ج:٢ ص:٣٧٨ كتاب العيدين: باب العمل في غسل العيدين والنداء فيهما والإقامة. تاريخ الطبري ج:٦ ص:٢٦ أحداث سنة تسع وعشرين ومائة من الهجرة. الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٣٥٩ أحداث سنة تسع وعشرين ومائة من الهجرة. وغيرها من المصادر.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ج:٢ ص:٧٥ كتاب صلاة العيدين: من قال ليس في العيدين أذان ولا إقامة، ج:٨ ص:٣٢٨ كتاب الأوائل: باب أول ما فعل ومن فعله. نيل الأوطار ج:٣ ص:٣٦٤. عمدة القاريء ج:٦ ص:٢٨٢. فيض القدير ج:٥ ص:٢٦٨. سبل السلام ج:٢ ص:٦٧. تحفة الأحوذي ج:٣ ص:٦٢. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٥) المصنف لعبد الرزاق ج:٣ ص:٢٨٤ كتاب صلاة العيدين: باب أول من خطب ثم صلى. نيل الأوطار

أو معاويــة[١]، أو مروان[٢]. وروي أنه ســبقهم إلى ذلك عمر بن الخطاب[٣].

٢٧ـ كما كان الأمويون يأخذون الجزية ممن أسلم[٤].

٢٨ـ كــما كان بنو أمية يبيعون الرجل في الدين يلزمه، وعقوبة على جرم منه، ويرون أنه يصير رقيقاً. قــال البلاذري: «وحدثني المدائني عن خلاد بن عبيدة قال: عشق ابن مفرغ الحميري امرأة بالأهواز، فكان يدّان وينفق عليها، فأخذه غرماؤه غير مرة. فقال له عبيد الله بن زياد: لئن أعادوك إلي بعتك لهم. فعاد غرماؤه إلى تقديمه. فقال ابن زياد: بيعوه. فقال لهم أبوه: والله ما له ثمن.

ج:٣ ص:٣٦٢ كتاب العيديــن: باب صلاة العيد قبل الخطبة بغــير أذان ولا إقامة وما يقرأ فيها.

(١) المصنف لعبد الــرزاق ج:٣ ص:٢٨٤ كتاب صلاة العيدين: بــاب أول من خطب ثم صلى. فتح البــاري ج:٢ ص:٣٧٦. نيل الأوطار ج:٣ ص:٣٦٣ كتاب العيدين: باب صلاة العيد قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة وما يقرأ فيها. ســبل السلام ج:٢ ص:٦٦ كتاب الصلاة: باب صلاة العيدين. وغيرها من المصادر.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ج:٣ ص:٢٨٥ كتاب صلاة العيدين: باب أول من خطب ثم صلى. المصنف لابن أبي شيبة ج:٢ ص:٧٧ كتاب صلاة العيدين: من رخص أن يخطب قبل الصلاة. نيل الأوطار ج:٣ ص:٣٦٣ كتاب العيديــن: باب صلاة العيد قبل الخطبة بغــير أذان ولا إقامة وما يقرأ فيها. وغيرها من المصادر.

(٣) **فقد روي عن يوســف بن عبد الله بن ســلام أنه قال: «أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة يوم الفطر عمر بن الخطاب لما رأى الناس ينقصون، فلما صلى حبســهم في الخطبة»** المصنف لعبد الرزاق ج:٣ ص:٢٨٣ كتاب صلاة العيدين: باب أول من خطب ثم صلى. وقريب منه في المصنف لابن أبي شــيبة ج:٢ ص:٧٧ كتاب صلاة العيدين: من رخص أن يخطب قبل الصلاة. وقد نبه إلى ذلــك في نيل الأوطار ج:٣ ص:٣٦٣ كتاب العيدين: باب صــلاة العيد قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة وما يقرأ فيها.

(٤) لاحــظ أنســاب الأشراف ج:١٣ ص:٣٣٠ في ترجمة المنصــور بن المعتمر بــن غالب، وأحكام القــرآن للجصاص ج:٣ ص:١٣١، وفتوح مصر وأخبارها ص:٢٧٢، وشرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤١.

ولكنا نسأل الناس. فأقعدوه على الطريق. فجعل الرجل يمر به، فيضمن عنه الألف والألفين...»[١].

وقال البلاذري: «ولم يزل سليم كثير الضيافة والإجارة حتى جاء الحجاج وأخذ الناس بالموانيذ، ولم يكن عنده مال فباعه، واشتراه عتاب بن ورقاء الرياحي بسبعين ألفاً وفكه»[٢].

وقال ابن أبي رؤبة الدباس في كتاب افتراق هاشم وعبد شمس: «كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حراً مولى لبني العنبر، فبيع في دين عليه، فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكي، وباع الحجاج علي بن بشير بن الماحوز ـ لكونه قتل رسول المهلب ـ على رجل من الأزد»[٣].

بل ربما نسب القول باسترقاق الرجل في الدين لبعض فقهاء العصر الأموي، فعن المدائني عن عمر بن ميمون أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز في الرجل يفلس بالمال العظيم أنه كان بعض الفقهاء يرى بيعه، فكتب إليه عمر: «قد فهمت كتابك في أمر المفلس، فلا يباعن حر وإن فلس»[٤].

٢٩ـ وكانوا يسبون ذراري الخوارج وغيرهم، ويسترقونهم كما تسترق الكفار. قال البلاذري عن زياد عند ذكر مقتل زحاف وقريب الخارجيين: «ووهب امرأة زحاف لشقيق بن ثور وامرأة قريب لعباد بن الحصين. فردّها

---

(١) أنساب الأشراف ج:٢ ص:١٤٧ أخبار عبد الرحمن وعبيد الله ابني أبي بكرة. ونحوه في التذكرة الحمدونية ج:٢ ص:١١٥.

(٢) أنساب الأشراف ج:١٣ ص:١٣ في ترجمة سليم بن سعد بن جابر.

(٣) شرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤٢.

(٤) أنساب الأشراف ج:٨ ص:١٦٥ في ترجمة عمر بن عبد العزيز.

عباد إلى أهلها وكساها»[١].

وقال ابن أبي رؤبة الدباس في كتابه المذكور: «لما قتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما. فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما، وأعطى عباد بن حصين الأخرى.

وسُبيت بنت لعبيدة بن هلال اليشكري، وبنت لقطري بن فجاءة المازني. فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك. واسمها أم سلمة، فوطئها بملك اليمين على رأيهم، فولدت له المؤمل ومحمداً وإبراهيم وأحمد وحصيناً بني عباس بن الوليد بن عبد الملك.

وسُبي واصل بن عمرو القنا، واسترق. وسُبي سعيد الصغير الحروري، واسترق. وأم يزيد بن عمر بن هبيرة، وكانت من سبي عمان الذين سباهم مجاعة»[٢].

وقال ابن أعثم عن واقعة العقر، حيث حارب بنو مروان بني المهلب بقيادة مسلمة بن عبد الملك: «ثم حلف مسلمة أنه يبيع نساءهم وأولادهم بيع العبيد والإماء. فقام إليه الجراح بن عبد الله الحكمي. فقال: أصلح الله الأمير فإني قد اشتريتهم منك بمائة ألف درهم، تبرئة ليمينك. فقال مسلمة أخزاه الله: قد بعتك إياهم. قال: ثم استحى مسلمة أن يبيع قوماً أحراراً. فقال

---

(١) أنساب الأشراف ج:٥ ص:١٨٤ أمر قريب بن مرة وزحاف بن زحر الطائي.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١٥ ص:٢٤١ـ٢٤٢.

وقد ذكر البلاذري قصة سبي بنت قطري وأشار بالمناسبة إلى سبايا الأزارقة بنحو يظهر في شيوع ذلك وكثرته، حيث قال: «فلما ولي عمر بن عبد العزيز، وأمر برد سبايا الأزارقة، قال للعباس: خل سبيلها أو تزوجها إن رضيت. فتزوجها برضى منها...». أنساب الأشراف ج:٧ ص:٤٤٣ ولاية خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد عند التعرض لمقتل قطري بن الفجاءة.

للجراح: أقلني من بيعتي. قال: قد أقلتك أيها الأمير. فأعتقهم مسلمة وخلى سبيلهم، وألحقهم بقومهم بالبصرة»[١].

ويناسب ذلك من معاوية ـ مضافاً إلى ما تقدم من عامله زياد ـ أمران:

الأول: أنه في حرب صفين نذر في سبي نساء ربيعة وقتل المقاتلة، فقال في ذلك خالد بن المعمر:

تمنى ابن حرب نذرة في نسائنا
ودون الذي ينوي سيوف قواضب
ونمنح ملكاً أنت حاولت خلعه
بني هاشم قول امرئ غير كاذب[٢]

الثاني: أنه بعد التحكيم بعث بسر بن أرطاة مغيراً على الحرمين واليمن، فأغار على همدان وسبى نساءهم، فكنّ أول نساء مسبيات في الإسلام[٣].

وعن أبي رباب وصاحب له أنهما سمعا أبا ذر رضي الله عنه يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها، أطال قيامها وركوعها وسجودها. قال: «فسألناه ممَّ تعوذت وفيمَ دعوت؟ فقال: تعوذت بالله من يوم البلاء ويوم العورة. فقلنا: وما ذاك؟ قال: أما يوم البلاء فتلتقي فتيان [فئتان] من المسلمين فيقتل بعضهم بعضاً. وأما يوم العورة فإن نساء من المسلمات ليسبين، فيكشف عن سوقهن، فأيتهن

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج:٨ ص:٢٥٧ خلافة يزيد بن عبد الملك: ذكر فتنة يزيد بالبصرة ومبايعة يزيد ابن المهلب.

(٢) وقعة صفين ص:٢٩٤.

(٣) الاستيعاب ج:١ ص:١٦١ في ترجمة بسر بن أرطأة. أسد الغابة ج:١ ص:١٨٠ في ترجمة بسر بن أرطأة. الوافي بالوفيات ج:١٠ ص:٨١ في ترجمة بسر بن أرطأة.

كانت أعظم ساقاً اشـــتريت على عظم ساقها. فدعوت الله أن لا يدركني هذا الزمان. ولعلكما تدركانه. قال: فقتل عثمان. ثم أرســـل معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن، فسبى نساء مسلمات، فأقمن في السوق»[1].

كما يناسب ذلك أيضاً من ابنه يزيد أمران:

الأول: ما جرى منه مع عائلة الإمام الحســـين (صلوات الله عليه). فعن فاطمة بنت الإمام الحســـين عليها السلام أنها قالت: «لما أدخلنا على يزيد ساءه ما رأى من ســـوء حالنا... قالت: فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، وقال له: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجاريـــة. يعنيني... فارتعدت وفرقت، وظننت أن ذلك يجوز لهـــم، فأخذت بثياب أختي وعمتي زينـــب. فقالت عمتي: كذبت والله ولؤمـــت، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: بل أنت كذبت إن ذلك لي، ولو شـــئت فعلته. قالت: كلا والله ما جعل لك ذلك، إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا.

فقال: إياي تســـتقبلين بهذا؟! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. قالت زينـــب: بدين الله ودين أبي وجدي اهتديت إن كنت مســـلماً. فقال: كذبت يا عدوة الله. قالت زينب: أمير مســـلط يشتم ظالماً، ويقهر بسلطانه. اللهم إليك أشكو دون غيرك. فاستحيى يزيد، وندم وسكت مطرقاً.

وعاد الشـــامي إلى مثل كلامه... فقال لـــه يزيد: اعزب عني لعنك الله، ووهب لك حتفاً قاضياً. ويلك لا تقـــل ذلك. فهذه بنت علي وفاطمة. وهم

---

(١) الاســـتيعاب ج:١ ص:١٦١ في ترجمـــة بسر بن أرطـــأة، واللفظ له. المصنف لابن أبي شـــيبة ج:٨ ص:٦٧٢ كتـــاب المغازي: ما ذكر في فتنة الدجال. الـــوافي بالوفيات ج:١٠ ص:٨١ـ٨٢ في ترجمة بسر بن أرطأة. ونحوه مختصراً في تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٣٦٩ في ترجمة بسر بن أبي أرطأة.

أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا»[١].

الثاني: ما حصل من قائد جيشه في المدينة المنورة بعد واقعة الحرة، حيث أخذ الناس بالبيعة على أنهم عبيد ليزيد[٢].

وقد سبقهم إلى ذلك خالد بن الوليد، حيث سبى في أول خلافة أبي بكر بني حنيفة قوم مالك بن نويرة بعد أن قتله في قضية مشهورة.

لكن ذلك أحدث لغطاً بين المسلمين. فلما قدم متمم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يرد عليهم سبيهم، ودى أبو بكر مالكاً من بيت المال وأمر برد السبي[٣].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج:٢ ص:٦٢، واللفظ له. الإرشاد ج:٢ ص:١٢١. إعلام الورى بأعلام الهدى ج:١ ص:٤٧٤ـ٤٧٥ الباب الثاني: الفصل الرابع. مثير الأحزان ص:٨٠. وغيرها من المصادر.

وأسندت الحادثة لفاطمة بنت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الأمالي للصدوق ص:٢٣١ المجلس الحادي والثلاثون، وتاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٣ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والكامل في التاريخ ج:٤ ص:٨٦ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والبداية والنهاية ج:٨ ص:٢١١ـ٢١٢ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، وتاريخ دمشق ج:٦٩ ص:١٧٦ـ١٧٧ في ترجمة زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب، وغيرها من المصادر.

(٢) الإصابة ج:٦ ص:٢٣٢. وتقدمت بقية مصادره عند الكلام في أبعاد فاجعة الطف ومحاولة يزيد التنصل من الجريمة واستنكاره لها.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٣٥٩ أحداث سنة إحدى عشرة من الهجرة: ذكر مالك بن نويرة. إمتاع الأسماع ج:١٤ ص:٢٤٠. تاريخ دمشق ج:١٦ ص:٢٥٧ في ترجمة خالد بن الوليد. تاريخ الإسلام ج:١ ص:٣٧ مقتل مالك بن نويرة، ص:٣٧٧ في ترجمة خالد بن الوليد. الإصابة ج:٥ ص:٥٦٠ في ترجمة مالك بن نويرة. تاريخ الطبري ج:٢ ص:٥٠٣ أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة: ذكر البطاح وخبره. شرح نهج البلاغة ج:١٧ ص:٢٠٦ـ٢٠٧. سير أعلام النبلاء ج:١ ص:٣٧٧ في ترجمة خالد بن الوليد. وغيرها من المصادر الكثيرة.

هــذا وربما يجد المتتبــع كثيراً من مفــردات تحكم الأمويــين في الدين وتحريفهم له. ولا يسعنا فعلاً استقصاء ذلك.

٣٠ـ ومن شــواهد تعتيمهم على الحقائق وتشــويهها وقلبها كذبهم في أمور كثيرة منها على أمير المؤمنين عليه السلام قتل عثمان، فقد روي أن ابن عباس قال لمعاويــة في حديث له طويل: «فبقيت لي حاجة هي أهم الحوائج إلي، وهو لك دوني. قال: فأي حاجة هي لنا دونك، إنا نخاف أن نسارع إليها؟ قال: علي بن أبي طالب، قد كفاك مؤنته ومضى لســبيله. وقد عرفت منزلته وقرابته، فكفّ عن شــتمه على المنابر. قال: هيهات، ليس إلى ذلك ســبيل يا ابن عباس. هذا موضع دين. إنه غشّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وســّم أبا بكر، وذمّ عمر، وقتل عثمان. فليس إلى الكفّ عنه سبيل»[1].

وعن المدائني عن شريك عن محمد بن إســحاق عن عمر بن علي قال: «قال مروان لعلي بن الحســين: ما كان أحد أكف عن صاحبنا من صاحبكم. قال: فلمَ تشتمونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم لنا هذا إلا بهذا»[2].

٣١ـ ومــا روي من أن عمر بن عبــد العزيز كان يلعــن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فســمعه معلمه مرة فقال له: «متى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟!» فقــال له عمر: «وهل كان علي من أهل

وقريب منه في أسد الغابة ج:٤ ص:٢٩٦ في ترجمة مالك بن نويرة، وتاريخ خليفة بن خياط ص:٦٨ أحداث ســنة إحدى عشر من الهجرة: الردة، وتاريخ دمشــق ج:١٦ ص:٢٥٦ في ترجمة خالد بن الوليد. وغيرها من المصادر.

(١) الحدائق الوردية ج:١ ص:١٨٦.

(٢) أنساب الأشراف ج:٢ ص:٤٠٧ في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

بدر؟» قال: «ويحك، وهل كانت بدر كلها إلا له؟!»[١].

وعـــن المدائني عن حباب قال: قال عمر بن عبد العزيز: «نشـــأت على بغض علي لا أعرف غـــيره، وكان أبي يخطب، فإذا ذكر علياً نال منه، فلجلج. فقلـــت: يا أبه إنك تمـــضي في خطبتك، فإذا أتيت على ذكـــر علي عرفت منك

(١) شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٥٨ـ٥٩. وقد ذكر مختصراً في تاريخ دمشق ج:٤٥ ص:١٣٦ في ترجمة عمر بن عبد العزيز، وســير أعـــلام النبلاء ج:٥ ص:١١٧ في ترجمة عمر بـــن عبد العزيز، وتاريخ الإسلام ج:٧ ص:١٨٨ في ترجمة عمر بن عبد العزيز، والوافي بالوفيات ج:٢٢ ص:٣١٢ في ترجمة عمر بن عبد العزيـــز، والبداية والنهاية ج:٩ ص:٢١٨ أحداث ســـنة إحدى ومائة من الهجرة: في ترجمة عمر بن عبد العزيز، والسيرة الحلبية ج:٢ ص:٤٧٠، وغيرها من المصادر.

وما ذكره هذا المعلم من أن واقعة بدر كلها كانت لأمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) وإن حـــاول كثير من المؤرخين تجاهله، إلا أن من أقوى الشـــواهد عليه أبيات أســـيد بن أبي إياس، حيث قال يحرض مشركي قريش عليه عليه السلام:

فـــي كل مجمـــع غايـــة أخزاكـــم ... جـــذع أبـــر علـــى المذاكـــي القرّح
لله دركـــم ألمـــا تنكـــروا؟ ... قـــد ينكر الحـــر الكريم ويســـتحي
هـــذا ابـــن فاطمـــة الـــذي أفناكم ... ذبحـــاً وقِتلـــة قعصـــة لـــم تذبـــح
أعطـــوه خرجـــاً واتقـــوا بضريبـــة ... فعـــل الذليـــل وبيعـــة لـــم تربـــح
أيـــن الكهـــول؟ وأيـــن كل دعامة ... في المعضلات؟ وأين زين الأبطح؟
أفناهـــم قعصـــا وضربـــا يفـــري ... بالســـيف يعمل حـــده لـــم يصفح

أسد الغابة ج:٤ ص:٢٠، ٢١ في ترجمة علي بن أبي طالب، واللفظ له. الإصابة في تمييز الصحابة ج:٤ ص:٤٦٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. تاريخ مدينة دمشق ج:٤٢ ص:٨ـ٩ في ترجمة علي بن أبي طالب. الفصول المختارة ص:٢٣٦. الإرشاد ج:١ ص:٧٨. مناقب آل أبي طالب ج:٣ ص:١٢١، وغيرها من المصادر. وفي أنساب الأشراف ج:٢ ص:٤١٠ اقتصر على بعضها مصرحاً بأنها أكثر.

فإن هذا الشـــاعر قد عاصر الواقعة وأثارت حفيظته وحقده، وعيّر قريش ليثير حفيظتها وتثأر لكرامتها. ولا داعي له أن ينســـب ما نزل بهم من الفجائع والهوان لشـــاب من شباب المسلمين هو أصغر الهاشميين ســـناً لو لم يكن له الأثر الأكبر في الواقعة، بحيث لا يعتد معه بما قام به غيره.

تقصيراً. قــال: أفطِنتَ لذلك؟ قلت: نعم. قال: يا بني إن الذين من حولنا لو نعلمهم من حال علي ما نعلم تفرقوا عنا»[١].

٣٢ـ وحين حضرت وفود الأنصار بباب معاوية، وخرج إليهم حاجبه سعد أبو درة، قال له: استأذن لنا. فدخل، وقال لمعاوية: الأنصار بالباب، وكان عنــده عمرو بن العاص، فضاق بهذا اللقب الــذي عرفوا به نتيجة جهودهم العظيمة في نصر الإسلام، وثبت لهم في الكتاب المجيد والسنة الشريفة، وقال لمعاوية: ما هذا اللقب الذي جعلوه نسباً؟! أرددهم إلى نسبهم.

فقال معاوية: إن علينا في ذلك شناعة. قال: وما في ذلك؟! إنما هي كلمة مكان كلمة، ولا مــرد لها. فقال له معاوية: اخرج فنــاد: من بالباب من ولد عمرو بن عامــر فليدخل. فخرج فنادى بذلك. فدخــل من كان هناك منهم ســوى الأنصار. فقال له: اخــرج فناد: من كان ههنا مــن الأوس والخزرج فليدخل، فخرج فنادى ذلك. فوثب النعمان بن بشير فأنشأ يقول:

يا ســعد لا تُعِدِ الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصارِ
نســب تخيّــرَه الإلــه لقومنا ... أثقِل بــه نســباً علــى الكفارِ
إن الذيــن ثــووا ببــدر منكم ... يوم القليــب هم وقــود النارِ

وقــام مغضباً فانصرف. فبعث معاوية فــردّه وترضاه، وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار[٢].

٣٣ـ ومرّ ســليمان بن عبد الملك بالمدينة ـ وهو ولي عهد ـ فأمر أبان بن

---

(١) أنســاب الأشراف ج:٨ ص:١٩٥ أمر عبد العزيز بن مروان وولده، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٥٩.

(٢) الأغاني ج:١٦ ص:٤٨ أخبار النعمان بن بشير ونسبه: الأنصار خير ألقاب أهل المدينة.

عثمان أن يكتب له سيرة النبي صلى الله عليه وآله ومغازيه، فقال أبان: «هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به». فأمر بنسخها، وألقى فيها إلى عشرة من الكتاب، فكتبوها في رق. فلما صارت إليه نظر، فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر، فقال: «ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل. فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا... ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه؟!» فأمر بذلك الكتاب فخرق.

ولما رجع إلى أبيه أخبره، فقال عبد الملك: «وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟! تريد أن تُعرِّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها؟!». قال سليمان: «فلذلك يا أمير المؤمنين أمرت بتخريق ما كنت نسخته...» فصوب رأيه[1].

٣٤ـ وقال إسماعيل بن عياش: «سمعت حريز بن عثمان يقول: هذا الذي يرويه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى حق، ولكن أخطأ السامع. قلت: فما هو؟ قال: إنما هو أنت مني بمنزلة قارون من موسى. قلت: عمن ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر»[2].

٣٥ـ وحكى الأزدي في الضعفاء أن حريزاً هذا روى أن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد

---

(١) الأخبار الموفقيات ص:٣٣١ـ٣٣٣ خبر أبان بن عثمان يكتب سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه.

(٢) تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٢٠٩ في ترجمة حريز بن عثمان، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٥ ص:٥٧٧ في ترجمة حريز بن عثمان. تاريخ بغداد ج:٨ ص:٢٦٢ في ترجمة حريز بن عثمان. تاريخ دمشق ج:١٢ ص:٣٤٩ في ترجمة حريز بن عثمان. تاريخ الإسلام ج:١٠ ص:١٢٢ في ترجمة حريز بن عثمان. النصائح الكافية ص:١١٧. وغيرها من المصادر.

أن يركب بغلته جاء علي بن أبي طالب، فحلّ حزام البغلة، ليقع النبي صلى الله عليه وآله[١].

٣٦ـ وقال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن موسى قال: أخبرنا شداد الجعفي عن جدته أرجوانة قالت: «أقبل الحسن بن علي وبنو هاشم خلفه، وجليس لبني أمية من أهل الشام، فقال: من هؤلاء المقبلون؟ ما أحسن هيئتهم. فاستقبل الحسن بن علي، فقال: أنت الحسن بن علي؟ قال: نعم. قال: أتحب أن يدخلك الله مدخل أبيك؟ فقال: ويحك! ومن أين وقد كانت له من السوابق ما قد سبق؟ قال الرجل: أدخلك الله مدخله، فإنه كافر وأنت. فتناوله محمد بن علي من خلف الحسن، فلطمه لطمة لزم بالأرض. فنشر الحسن عليه رداءه، وقال: عزمة مني عليكم يا بني هاشم، لتدخلن المسجد ولتصلن. وأخذ بيد الرجل فانطلق به إلى منزله، فكساه حلة، وخلى عنه»[٢].

٣٧ـ وعن المدائني أنه قال: «لما مات الحجاج وقف على قبره رجل من أهل الشام فقال: اللهم إنا لا نخافك على تعذيب الحجاج فلا تحرمنا شفاعته»[٣].

٣٨ـ وعن عيسى بن يونس أنه قال: «سمعت الأوزاعي يقول: ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علي بالنفاق، وتبرأنا منه. وأخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق وأيمان البيعة...»[٤].

---

(١) تهذيب التهذيب ج:٢ ص:٢٠٩ـ٢١٠ في ترجمة حريز بن عثمان، واللفظ له. الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج:١ ص:١٩٧ في ترجمة حريز بن عثمان. النصائح الكافية ص:١١٧. وغيرها من المصادر.

(٢) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ص:٦٠.

(٣) أنساب الأشراف ج:١٣ ص:٣٩٢ في نسب ثقيف في ذكر الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٤) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:١٣١ في ترجمة الأوزاعي. تاريخ الإسلام ج:٩ ص:٤٩٧ في ترجمة الأوزاعي.

٣٩ـ وعن الشـــافعي قال في حديث الإفك: «حدثنا عمي، قال: دخل ســـليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم؟ قال: عبد الله بن أبي بن سلول. قال كذبت. هو علي. فدخل ابن شهاب، فسأله هشام فقال: هو عبد الله بن أبي، قال: كذبت. هو علي...»[١].

٤٠ـ وعن أبي يحيى الســـكرى قال: «دخلت مســـجد دمشق فرأيت في مســـجدها خلقاً. فقلت: هذا بلد قد دخله جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليهم، وملت إلى حلقة في المســـجد في صدرها شيخ جالس، فجلست إليه، فســـأله رجل ممن بين يديه، فقال: يا أبـــا المهلب من علي بن أبي طالب؟! قال: خناق، كان بالعراق، اجتمعت إليه جميعة، فقصد أمير المؤمنين يحاربه، فنصره الله عليه.

قال: فاستعظمت ذلك، وقمت. فرأيت في جانب المسجد شيخاً يصلي إلى سارية، حسن السمت والصلاة والهيئة، فقعدت إليه. فقلت له: يا شيخ أنا رجل من أهل العراق، جلست إلى تلك الحلقة، وقصصت عليه القصة. فقال لي: في هذا المسجد عجائب. بلغني أن بعضهم يطعن على أبي محمد حجاج بن يوسف. فعلي بن أبي طالب من هو؟!»[٢].

٤١ـ وعن معمر أنه قال: «دخلت مسجد حمص، فإذا أنا بقوم لهم رواء، فظننت بهم الخير، فجلســـت إليهـــم، فإذا هم ينتقصون عـــلي بن أبي طالب، ويقعون فيه، فقمت من عندهم، فإذا شـــيخ يصلي ظننت به خيراً، فجلســـت

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٣٣٩ في ترجمة الزهري. تاريخ مدينة دمشق ج:٥٥ ص:٣٧١ في ترجمة الزهري. تاريخ الإسلام ج:٨ ص:٢٤٦ في ترجمة الزهري.

(٢) تاريخ دمشق ج:١ ص:٣٦٥ باب ذكر ما ورد في ذم أهل الشام وبيان بطلانه عند ذوي الأفهام.

إليه. فلما حس بي جلس وسـّلم، فقلت له: يا عبـد الله، ما ترى هؤلاء القوم يشـتمون علي بن أبي طالب وينتقصونه! وجعلت أحدثه بمناقب علي بن أبي طالب، وأنه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبو الحسن والحسين، وابن عم رسول الله ﷺ. فقال: يا عبد الله ما لقي الناس من الناس. لو أن أحداً نجا من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله، هو ذا يشـتم وينتقص. قلت: ومن أبو محمد؟! قال: الحجاج بن يوسف رحمه الله. وجعل يبكي. فقمت عنه، وقلت: لا أستحل أن أبيت بها، فخرجت من يومي»[1].

٤٢ـ ولما انقرضت الدولة الأموية أرسـل عبد الله بن علي مشـيخة من أهل الشام لأبي العباس السـفاح، فحلفوا له أنهم لا يعرفون للنبي صلى الله عليه وآله قرابة غير بني أمية[2].

ومن الطريف ما ذكره المسـعودي. قال: «رأيت في سـنة: ٣٢٤ بمدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشـام عند بعض موالي بني أمية ممن ينتحل العلم والأدب ويتحيز إلى العثمانية كتاباً فيه نحو من ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم بكتاب (البراهـين في إمامة الأمويين ونشر ما طـوي من فضائلهم) أبواب مترجمـة، ودلائل مفصلة، يذكر فيها خلافة عثـمان بن عفان ومعاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكـم وعبد الملك بن مروان ومن تلاه من بني مروان إلى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

---

(١) تاريخ دمشق ج:١ ص:٣٦٦ باب ذكر ما ورد في ذم أهل الشام وبيان بطلانه عند ذوي الأفهام.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٦ ص:٧٩ في ترجمة السفاح. وفيات الأعيان ج:٦ ص:١٠١ـ١٠٢ في ترجمة هلال بن المحسن الصابئ. شرح نهج البلاغة ج:٧ ص:١٥٩. ويوجد المضمون المذكور في أنساب الأشراف ج:٤ ص:٢١٠ ذكر برد رسول الله ﷺ وقضيبه وقعبه ومخضبه. وغيرها من المصادر.

ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وأن مروان نصّ عليه، وعهد بالأمر بعده إليه، وينسق سائر من تملك بالأندلس من بني أمية من ولد عبد الرحمن المقدم ذكرهم إلى سنة: ٣١٠.

ووصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وأمور استحق بها الإمامة، ونصوصاً على أسمائهم وأعيانهم. وادعى الأخبار المتواترة الجائية مجيء الاستفاضة. وعزى ذلك إلى شيعة العثمانية ورجال السفيانية وأنصار المروانية.

معارضاً لأهل الإمامة وهم جمهور الشيعة في النصوص والنقل. ومستدلاً على فساد أقاويل أصحاب الاختيار من المعتزلة والزيدية والخوارج والمرجئة والحشوية والنابتة. ومناقضاً لأصحاب النص على أبي بكر من أصحاب الحديث والبيهسية من الخوارج والبكرية من أصحاب بكر ابن أخت عبد الواحد وغيرهم. وأتى بمسائل ومعارضات على ما ذكرنا وإلزامات.

وذكر من بعد ذلك أخباراً من أخبار الملاحم الآتية والأنباء الكائنة مما يحدث في المستقبل من الزمان والآتي من الأيام من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشام في غسان وقضاعة ولخم وجذام، وغاراته وحروبه.

ومسير الأمويين من بلاد الأندلس إلى الشام، وأنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر، وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف...»[1].

وهذا الكتاب وإن كان متأخراً عن سقوط الدولة الأموية الكبرى، إلا

(١) التنبيه والإشراف ص:٢٩١، ٢٩٢ ذكر ما جرت عليه أحوال بني أمية بعد قول مروان.

أنه يكشـــف عن جذور ثقافية منحرفة يصل بها الحـــال إلى دعوى النص على بني أمية وأن أول الخلفاء المنصوص عليهم من النبي صلى الله عليه وآله هو عثمان، وانتحال الفضائل والمناقب لهم، المناسبة لأهليتهم للإمامة.

٤٣ـ ومن ذلك رفعهم من شـــأن الخلفاء، وأن الله عز وجل لا يحاسبهم على أعمالهم ولا يؤاخذهم بها.

مثل ما يأتي في حديث أبي عبيد الله، قال: «دخلت على أبي جعفر المنصور يومـــاً، فقال: إني أريد أن أســـألك عن شيء، فاحلف بـــالله أنك تصدقني... فحلفت، فقال: ما قولك في خلفاء بني أمية؟ فقلت: وما عسيت أن أقول فيهم. إنه من كان منهم لله مطيعاً، وبكتابه عاملاً، ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم متبعاً، فإنه إمام يجب طاعته ومناصحته، ومن منهم على غير ذلك فلا. فقال: جئت بها ـ والذي نفسي بيده ـ عراقية. هكذا أدركت أشـــياخك من أهل الشـــام يقولون؟ قلت: لا، أدركتهم يقولون: إن الخليفة إذا استخلف غفر الله له ما مضى من ذنوبه. فقال لي المنصور: إي والله، وما تأخر من ذنوبه...»[1].

وعن أبي حصين قال: «دخل عبد الله [بن خالد] بن أسيد على معاوية في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جزعاً، فقال: ما جزعك يا أمير المؤمنين؟! إن مت دخلت الجنة، وإن حييت فقد علم الله حاجة الناس إليك. فقال: رحم الله أباك، إن كان لنا ناصحاً، نهاني عن قتل ابن الأدبر وأصحابه»[2].

---

(١) تاريخ دمشق ج:٥٧ ص:٣٣٣ في ترجمة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. ويأتي تمام الحديث مع بقية مصادره عند الكلام في اعتراف المنصور بشرعية خلافة الأمويين.

(٢) أنســـاب الأشراف ج:٥ ص:٢٧٥ أمر حجر بن عدي الكندي ومقتله، واللفظ له. الإصابة في تمييز الصحابة ج:٦ ص:٥٠٧ في ترجمة يزيد بن أسد بن كرز. تاريخ مدينة دمشق ج:٦٥ ص:١٠٦ـ١٠٧ في ترجمة يزيد بن أسد بن كرز بن عامر.

وفي حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: «لما توفي عمر بن عبد العزيز وولي يزيد بن عبد الملك قال: سيروا بسيرة عمر. قال: فأتي بأربعين شيخاً فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب»[١].

وعن المدائني عن إسماعيل بن إبراهيم قال: «سمعت شيخناً يقول: خطب هشام حين ولي، فقال: الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام...»[٢].

وقال البلاذري: «قالوا: قال هشام لنسطاس أبي الزبير: أترى الناس يرضون بعدي بالوليد بن يزيد؟ قال: قلت: يطيل الله عمرك، ويبقيك بعده. قال: لابد من الموت، أفترى الناس يرضون به؟ قلت: يا أمير المؤمنين البيعة له في أعناق الناس. قال: لئن رضي الناس بالوليد إن الحديث الذي روي: إن من ولي الخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار. باطل»[٣].

وأما وضع الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله وغيره في عهدهم فهو أشهر من أن يحتاج إلى بيان. ويأتي التعرض لطرف منه في المقام الثاني من المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

ولا ينبغي أن يستغرب شيء من ذلك بعد فتح هذا الباب من اليوم الأول، كما سبق، وبعد النظر لواقع الحكام واهتماماتهم، والقياس على بقية

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج:٦٥ ص:٣٠٤ في ترجمة يزيد بن عبد الملك بن مروان، واللفظ له. تاريخ الإسلام ج:٧ ص:٢٨٠ في ترجمة يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. تاريخ الخلفاء ص:٢٤٦ في ترجمة يزيد بن عبد الملك بن مروان. وغيرها من المصادر.

(٢) أنساب الأشراف ج:٨ ص:٤٠٥ أمر هشام بن عبد الملك بن مروان، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:١٥٧. التذكرة الحمدونية ج:٧ ص:٢٦٩. المستطرف في كل فن مستظرف ج:١ ص:١٢٣.

(٣) أنساب الأشراف ج:٨ ص:٣٨٠ أمر هشام بن عبد الملك بن مروان.

الأديان السماوية الحقة التي انطمست معالمها وتاريخها الصحيح نتيجة تحكم السلطة فيها، أو تحكم المؤسسات التي تنسق مع السلطة.

هذا ما تيسر لنا التعرض له في بيان ما من شأنه أن يترتب على انحراف أمر السلطة في الإسلام لو لم تكن هناك معارضة وجهود تقف في وجه الانحراف وتكبح جماحه.

والظاهر أنا لم نعطِ الموضوع حقه، ولم نستوف ما حصل. وبمزيد من الفحص تتضح كثير من الشواهد والمؤيدات لما سبق. ومن الله عز وجل نستمد العون والتوفيق.

المبحث الثاني

في جهود أهل البيت عليهم السلام في كبح جماح الانحراف

وما كسبه الإسلام بكيانه العام من ذلك

والــكلام.. **تارة**: في جهود أمير المؤمنين الإمام علي (صلوات الله عليه) وجهود الخاصة من الصحابة والتابعين الذين كانوا معه.

وأُخرى: في مواجهة معاوية لجهود أمير المؤمنين عليه السلام حين استيلائه على السلطة، بعد مقتل أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) وصلح الإمام الحسن عليه السلام معه.

وثالثة: في نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي ختمت بفاجعة الطف، وأثرها في الإسلام بكيانه العام.

فهنا مقامات ثلاثة:

المقام الأول
في جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)
وجهود الخاصة من الصحابة
والتابعين الذين كانوا معه

أشرنا آنفاً إلى أن قيام السلطة بعد انحرافها عن خط أهل البيت بالفتوح الكبرى ـ وما استتبعها من الغنائم العظيمة ـ كان هو السبب في نشر الإسلام بواقعه المنحرف.

كما أن له أعظم الأثر في احترام الإسلام المذكور، واحترام رموزه في نفوس عامة المسلمين، خصوصاً بعد ما سبق من التحجير على السنة النبوية، ومنع الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله إلا بما يتناسب مع نهج السلطة وتوجهاتها، ولو بوضع الأحاديث، والكذب على النبي صلى الله عليه وآله لصالحها.

إلا أن الانحراف لما ابتنى على عدم نظام للسلطة، فقد صارت السلطة معرضة لأن تكون مطمعاً لكل أحد من قريش قبيلة النبي صلى الله عليه وآله ـ التي ابتنى الانحراف في الإسلام الفاتح على اختصاص حق الخلافة بها، من دون فرق بين قبائلها ـ مهما كان حال الشخص ومقامه في الإسلام.

وقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال لما بويع أبو بكر: «كرديد

نكرديد. أما والله لقد فعلتم فعلة أطمعتم فيها الطلقاء ولعناء رسول الله»[١].

تخوف عمر بن الخطاب من أطماع قريش

كما أن شـــدة عمر بن الخطاب وضيق بعض الصحابة من ذلك ـ على ما سبق في حديث طلحة وغيره[٢] ـ جعلته يخشى من محاولة قريش التخلص منه، أو الخروج عليه.

حتى إنه لما طعن لم يبرئ الصحابة من التآمر عليه، بل سألهم فقال: «عن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني؟». فتبرؤوا من ذلك وحلفوا[٣].

وقد أدرك أن عامة المســلمين المنتشريــن في أقطار الأرض، ما داموا في ســكرة الفتوح والغنائم والانتصارات، فهم في غفلــة عن كل تغيير، بل هم يستنكرون ذلك، لما للسلطة ورموزها من الاحترام في نفوسهم.

تحجير عمر على كبار الصحابة

ومن أجل إبقائهم على غفلتهم رأى أن اللازم الحجر على كبار الصحابة وذوي الشــأن منهم، وحبســهم في المدينة المنورة، وجعلهم تحت ســيطرته، بحيث لا يخــرج منهم خارج عنها إلا تحت رقابة مشــددة، من أجل الالتزام

---

(١) الإيضاح ص:٤٥٧ـ٤٥٨.

(٢) تقدم عند الكلام في تحجير السلطة على السنة النبوية وقسوتها في تنفيذ مشروعها.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ج:١٠ ص:٣٥٧ كتاب أهل الكتابين: باب هل يدخل المشرك الحرم. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٨١ـ٥٨٢ كتاب المغازي: ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب. الاستيعاب ج:٣ ص:١١٥٣ـ١١٥٤ في ترجمــة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. الطبقــات الكبرى ج:٣ ص:٣٤٨ ذكر استخلاف عمر رحمه الله. تاريخ دمشــق ج:٤٤ ص:٤٢٠ في ترجمة عمر بن الخطاب. تاريخ المدينة ج:٣ ص:٩٠٤ دعاء عمر عند طعنه. شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:١٨٧. وغيرها من المصادر.

بتعاليمه والسير على خطه. ولا أقل من عدم الخروج عنه، وزرع بذور الخلاف والانشقاق.

لأن صحبتهم للنبي صلى الله عليه وآله، وقدمهم في الإسلام، واشتراكهم في حروبه الأولى، تجعل لهم حرمة في نفوس عامة المسلمين، قد يستثمرونها من أجل كشف الحقيقة، وإيضاح واقع الإسلام الحق، أو من أجل تثبيت مراكز قوة ونفوذ لهم في مقابل السلطة، لتحقيق أطماعهم الشخصية، أو نحو ذلك مما قد يؤدي إلى تعدد الاتجاهات داخل الكيان الإسلامي، وظهور الخلافات أو حصول الشقاق.

وهذا بخلاف حديثي الإسلام والمنافقين، فلم يقف منهم هذا الموقف، بل استعان بهم، على ما تقدم توضيحه عند التعرض للخطوات التي قامت بها السلطة من أجل تثبيت شرعيتها.

وقد تقدم منه أنه لما سئل عن توليته المؤلفة قلوبهم والطلقاء وأبناءهم، وترك أمير المؤمنين عليه السلام والعباس والزبير وطلحة، قال: «أما علي فأنبه من ذلك. وأما هؤلاء النفر من قريش فإني أخاف أن ينتشروا في البلاد، فيكثروا فيها الفساد»[1].

وعن قيس بن حازم قال: «جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو، فقال عمر: اجلس في بيتك، فقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فردد ذلك عليه، فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها: اقعد في بيتك. فوالله إني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٢٩ـ٣٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٢٠ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي

وفي رواية أخرى: «فانطلق الزبير وهو يتذمر، فقال عمر: من يعذرني من أصحاب محمدﷺ. لولا أني أمسك بفم هذا الشغب لأهلك أمة محمدﷺ»[١].

وفي رواية ابن عساكر: «من يعذرني من أصحاب محمدﷺ لولا أني أمسك بفمي هذا الشِعب لأهدموا أمة محمدﷺ»[٢].

قال اليعقوبي: «واستأذن قوم من قريش عمر في الخروج للجهاد. فقال: قد تقدم لكم مع رسول الله. قال: إني آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرة، لا تخرجوا فتسللوا بالناس يميناً وشمالاً. قال عبد الرحمن بن عوف: فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. ولِمَ تَمنعنا من الجهاد؟ فقال: لأن أسكت عنك فلا أجيبك خير لك من أن أجيبك. ثم اندفع يحدث عن أبي بكر، حتى قال: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها. فمن عاد لمثلها فاقتلوه»[٣].

وعن الشعبي أنه قال: «لم يمت عمر رضي الله عنه حتى ملته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم، وقال: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد. فإن كان الرجل يستأذنه في الغزو ـ وهو ممن حبس في المدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ـ فيقول: قد كان لك في غزوك مع رسول اللهﷺ ما يبلغك. وخير لك من الغزو اليوم أن لا ترى الدنيا ولا تراك. فلما ولي عثمان خلى عنهم، فاضطربوا في البلاد، وانقطع

طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه، واللفظ له. عون المعبود ج:١١ ص:٢٤٦ـ٢٤٧. كنز العمال ج:١١ ص:٢٦٧ ح:٣١٤٧٦.

(١) تاريخ بغداد ج:٧ ص:٤٦٤ في ترجمة الحسن بن يزيد بن ماجة بن محمد القزويني.

(٢) تاريخ دمشق ج:١٨ ص:٤٠٣ في ترجمة الزبير بن العوام.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٥٧ـ١٥٨ في أيام عمر بن الخطاب.

إليهم الناس[١].

قال محمد بن طلحة: فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة، ليس إلا ذلك»[٢].

توقف أهل البيت عليهم السلام عن تنبيه عامة المسلمين لحقهم في الخلافة

ونتيجة لجميع ما سبق لابد أن يتوقف أهل البيت (صلوات الله عليهم) والخاصة من شيعتهم عن تنبيه عامة الناس لحقهم عليهم السلام في الخلافة، ولحصول التشويه والتحريف في كثير من الحقائق الدينية، لعدم حصول الأرضية المناسبة لذلك. ويقتصر نشاطهم على الخاصة من أجل إعدادهم للعمل في الوقت المناسب.

ولاسيما أن أخلاقياتهم ومثلهم واهتمامهم بفرض احترامهم على المسلمين قد تمنعهم من أن يعرف عنهم أنهم السبب في شق كلمة المسلمين، وزرع بذور الخلاف والشقاق بينهم، وكانوا يرون أن الأنسب لهم أن تظهر أسباب الخلاف والشقاق والفتنة من غيرهم. وهو ما يتوقع حصوله في القريب العاجل بسبب تداعيات الانحراف الذي حصل في السلطة.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٣ ص:٤٢٦ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٨٠ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر بعض سيرة عثمان. تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٣٠٢ـ٣٠٣ في ترجمة عثمان بن عفان. كنز العمال ج:١٤ ص:٧٦ ح:٣٧٩٧٨. شرح نهج البلاغة ج:١١ ص:١٢ـ١٣. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ الطبري ج:٣ ص:٤٢٦ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه، واللفظ له. كنز العمال ج:١٤ ص:٧٦ ح:٣٧٩٧٨. تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٣٠٢ في ترجمة عثمان بن عفان. وغيرها من المصادر.

إحساس عمر بأن الاستقرار على وشك النهاية

وكان عمر بن الخطاب قد أدرك ذلك، وعرف أن زمان الاستقرار على وشك النهاية. قال ابن أبي الحديد: «وروى أبو جعفر الطبري في تاريخه، قال: كان عمر قد حجّر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن وأجل، فشَكَوه. فبلغه، فقام فخطب فقال: ألا إني قد سننت الإسلام سن البعير، يبدأ فيكون جذعاً، ثم ثنياً، ثم يكون رباعياً، ثم سديساً، ثم بازلاً. ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان.

ألا وإن الإسلام قد صار بازلاً. وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات على ما في أنفسهم. ألا إن في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة. أما وابن الخطاب حيّ فلا. إني قائم دون شعب الحرة، آخذ بحلاقيم قريش وحُجَزها أن يتهافتوا في النار»[1]. ولعل ذلك هو المنشأ لما سبق من شكه في الصحابة، واحتماله تآمرهم عليه لما طعن.

تنبؤ الصديقة الزهراء عليها السلام باضطراب أوضاع المسلمين

وهو ما توقعته الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) للأمة في مبدأ انحراف مسار السلطة وخروجها عن موضعها الذي جعلها الله عز وجل فيه، حيث قالت عليها السلام في ختام خطبتها الصغيرة:

«أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١١ ص:١٢. وقريب منه في تاريخ الطبري ج:٣ ص:٤٢٦ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٣٠٢ في ترجمة عثمان بن عفان، وكنز العمال ج:١٤ ص:٧٥ ح:٣٧٩٧٧، وغيرها من المصادر إلا أنه قد حذفت منها: «إن في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة».

عبيطاً، وزعافاً مبيداً. هنالك ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾، ويعرف البطالون غبّ ما أسس الأولون. ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً...»[1].

مجمل الأوضاع في أوائل عهد عثمان

وأخيراً انتهى عهد عمر وجاء عهد عثمان، وعامة المسلمين بعد في غفلتهم، قد غلبت عليهم سكرة الفتوح والغنائم، و توسع رقعة الإسلام، ودخول الناس فيه أفواجاً، وما استتبع ذلك من تمجيد الحكام الذين حصلت الفتوح على عهدهم، وظهرت الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله والألقاب المنتحلة التي ترفع من شأنهم، على ما سبق.

غفلة العامة عن ابتناء بيعة عثمان على الانحراف

وقد أذهلهم ذلك كله عن تمادي السلطة في الانحراف عن الخط السليم في الإسلام، نتيجة المخالفات الكثيرة، ومنها ما تمت على أساسه بيعة عثمان، وهو أخذ سيرة أبي بكر وعمر شرطاً في البيعة يضاف إلى موافقة كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وجعلها في مرتبة واحدة. من أجل إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يعلم الخاصة الذين بيدهم الحلّ والعقد ومن سار في خطهم أنه كما قال له عمر: «أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء»[2]، وكما قال عنه لابن عباس: «ولئن وليهم ليأخذنهم بمرّ الحق لا

(١) راجع ملحق رقم (٢).

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٨٦، واللفظ له. ويوجد هذا المعنى بألفاظ مختلفة في شرح نهج البلاغة

يجدون عنده رخصة...»[١].

وفي حديث عبد الرحمن بن عبد القـــاري في حوار بين عمر وبين رجل من الأنصار: «ثم قال عمر للأنصاري: من ترى الناس يقولون يكون الخليفة بعدي؟ قـــال: فعدد رجالاً من المهاجرين، ولم يســـم علياً. فقال عمر: فما لهم من أبي الحســـن؟ فوالله إنه لأحراهم إن كان عليهم أن يقيمهم على طريقة من الحق»[٢].

وفي حديـــث عمر بن ميمون الأودي قال: «كنت عند عمر بن الخطاب حين ولى الســـتة الأمر. فلما جازوا أتبعهم بصره، ثم قال: لئن ولوها الأجيلح ليركبن بهم الطريق. يريد علياً»[٣].

ج:٦ ص:٣٢٧، ج:١٢ ص:٥٢، ٢٥٩ـ٢٦٠، والمستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:٩٥ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والاستيعاب ج:٣ ص:١١٣٠ في ترجمة علي بن أبي طالـــب، والمصنف لعبـــد الـــرزاق ج:٥ ص:٤٤٦ـ٤٤٧ كتاب المغازي: بيعـــة أبي بكر رضي الله عنه في ســـقيفة بني ســـاعدة، والطبقات الكبرى ج:٣ ص:٣٤٢ في ترجمة عمر: ذكر استخلاف عمر رحمه الله، والأدب المفرد ص:١٢٨ البغي، وكنز العمال ج:٥ ص:٧٣٤ ح:١٤٢٥٤، ص:٧٣٦ ح:١٤٢٥٨، ص:٧٣٦ـ٧٣٧ ح:١٣٢٦٠، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٥٩ أيام عمر بن الخطاب.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ج:٥ ص:٤٤٦ كتاب المغازي: بيعة أبي بكر (رضي الله تعالى عنه) في ســـقيفة بني ساعدة، واللفظ له. الأدب المفرد للبخاري ص:١٢٨ البغي. كنز العمال ج:٥ ص:٧٣٦ـ٧٣٧ ح:١٤٢٦٠. وغيرها من المصادر. وقريب منه في أنســـاب الأشراف ج:٣ ص:١٤ـ١٥ بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) المصنـــف لعبد الـــرزاق ج:٥ ص:٤٤٦ـ٤٤٧ كتاب المغازي: بيعة أبي بكـــر (رضي الله تعالى عنه) في ســـقيفة بني ســـاعدة، واللفظ له. أنســـاب الأشراف ج:٢ ص:٣٥٣ وأما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. تاريخ دمشـــق ج:٤٢ ص:٤٢٧ـ٤٢٨ في ترجمـــة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٣٩٩ أحداث سنة أربعين من الهجرة: ذكر بعض سيرته (أمير المؤمنين علي بن أبي

وفي حديث أبي مجلز في مثل ذلك: «قال عمر: من تستخلفون بعدي؟... فقال رجل من القوم: نستخلف علياً. فقال: إنكم لعمري لا تستخلفونه. والذي نفسي بيده لو استخلفتموه لأقامكم على الحق وإن كرهتم...»[1].

كما يعلمون أنه عليه السلام لو ولي الخلافة لوسعه أن يظهر الحقيقة، ثم لم تخرج الخلافة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم).

والأمر الحقيق بالانتباه أنه إذا كان مقام أمير المؤمنين عليه السلام مجهولاً عند عامة المسلمين ـ نتيجة ما سبق ـ فالمفترض أن لا يخفى عليهم مقام الكتاب المجيد والسنة الشريفة، وانحصار المرجعية في العلم والعمل بهما، لولا الذهول والاندفاع في تمجيد الحكام والتبعية لهم في الدين. الأمر الذي سبق الكلام فيه في المبحث الأول.

واكتفى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بالامتناع عن قبول الشرط المذكور ـ وإن أدى ذلك إلى إقصائه عن الخلافة ـ التزاماً منه بمبادئه، وإقامة للحجة على عدم شرعية هذا الشرط.

ولم يكن في وسعه عليه السلام حينئذ أن يشنع على ذلك الشرط، ويحمل العامة على الإنكار والتغيير، لعدم وجود الأرضية الصالحة لذلك، بعدما سبق من اندفاع الناس مع أولياء الأمور. مع أنه ربما كان لا يرى الصلاح في أن يبدأ هو بشق كلمة المسلمين، وزرع بذور الخلاف بينهم. على ما أشرنا إليه آنفاً.

طالب عليه السلام). شرح نهج البلاغة ج:١٢ ص:١٠٨. وغيرها من المصادر.

(١) كنز العمال ج:٥ ص:٧٣٥ـ٧٣٦ ح:١٤٢٥٨.

مدى اندفاع العامة مع السلطة في تلك الفترة

ويمكن أن نعرف مدى اندفاع الناس مع أولياء الأمور في ذلك الوقت، وعدم اهتمامهم بمعرفة الحقيقة، والدفاع عنها، مما تقدم في قصة صبيغ بن عسل[١] من امتناع الناس عن مجالسته ومخالطته لمنع عمر عن ذلك، من دون أن يذكروا جرمه أو يقيّموه.

وما رواه جندب بن عبد الله الأزدي عند تعرضه للمشادة بين المقداد وعبد الرحمن بن عوف من أجل إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الشورى، وما تقدم من قول المقداد: «أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد»[٢].

قال جندب: «فاتبعته، وقلت له: يا عبد الله أنا من أعوانك. فقال: رحمك الله إن هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة».

قال: «فدخلت من فوري ذلك على علي عليه السلام فقلت: يا أبا الحسن، والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك. فقال: صبر جميل. والله المستعان. فقلت: والله إنك لصبور. قال: فإن لم أصبر فماذا أصنع؟... فقلت: تقوم في الناس فتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنك أولى بالنبي صلى الله عليه وآله، وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك. فإن أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقين. فإن دانوا لك فذاك، وإلا قاتلتهم، وكنت أولى بالعذر قتلت أو بقيت، وكنت أعلى عند الله حجة.

---

(١) تقدم عند الكلام في تحجير السلطة على السنة النبوية وقسوتها في تنفيذ مشروعها.

(٢) تقدم في أوائل الكلام في تأكيد السلطة على أهمية الطاعة ولزوم الجماعة.

فقال: أترجو يا جنـــدب أن يبايعني من كل عشرة واحد؟ قلت: أرجو ذلك. قال: لكني لا أرجو ذلك. لا والله، ولا من المائة واحد...».

هذا في المدينة المنورة التي هي موطن المهاجرين والأنصار، والتي يعرف الكثير من أهلها أو جميعهم مقام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وحقه، وما حصل من الظلم عليه خاصة، وعلى أهل البيت عموماً، نتيجة الإنحراف.

أما في غيرها من أمصار المسلمين فمن الطبيعي أن يكون الحال أشـــدّ، والناس أبعد عن معرفة الحقيقة والاهتمام بأمرها.

قال جندب بعد أن ذكر حديث أمير المؤمنين عليه السلام الســـابق حول موقف الناس معه: «فقلت: جعلت فداك يا ابن عم رســـول الله، لقد صدعت قلبي بهذا القول. أفلا أرجع إلى المصر، فأوذن الناس بمقالتك، وأدعو الناس إليك؟ فقال: يا جندب ليس هذا زمان ذاك. قال: فانصرفت إلى العراق، فكنت أذكر فضل علي على الناس، فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره. وأحســـن ما أســـمعه قـــول من يقول: دع عنك هذا، وخذ فيما ينفعـــك. فأقول: إن هذا مما ينفعني. فيقوم عني ويدعني»[1].

وعـــن أبي الطفيل، قال: «خرجت أنا وعمـــرو بن صليع المحاربي حتى دخلنا على حذيفة... فقال: حدثنا يا حذيفـــة. فقال: عما أحدثكم؟ فقال: لو أني أحدثكم بكل ما أعلم قتلتموني، أو قال: لم تصدقوني. قالوا: وحق ذلك؟ قال: نعم. قالوا: فلا حاجـــة لنا في حق تحدثناه فنقتلك عليه. ولكن حدثنا بما ينفعنا ولا يضرك. فقال: أرأيتم لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم إذاً صدقتموني؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٥٨.

قالــوا: وحق ذلك؟!...»[١]. وقريب منه حديــث خيثمة بن عبد الرحمن عن حذيفة[٢].

وهي تدل على أن عامة المســلمين قد تمســكوا بثقافة خاصة لا يقبلون بغيرها. حتى إن حذيفة ـ مع ما له من مقام رفيع ـ لو حدثهم بخلافها لكذبوه، بل قد يقتلونه.

اختلاف عثمان عن عمر في الحزم والسلوك

ولكن تداعيات الانحراف في أمر الســلطة بــدأت تظهر للناس، لأن عثمان يختلف عن عمر بأمرين:

الأول: ضعف الإدارة وفقد الحزم، وسوء التعامل مع الأحداث.

الثاني: أنه توســع في إنفــاق المال، وظهرت عليه وعــلى زمرته مظاهر التسامح والترف، وقرّب بني أمية، ومكنهم في البلاد، وولاهم الأمصار، مع مــا عرف عنهم من العداء للنبي صلى الله عليه وآله وللإســلام، والكيد لهما في بدء الدعوة، ثم النفاق بعد أن اضطروا للدخول في الإسلام. ولم يمنعه ذلك من تقريبهم، وتحكيمهم، فاتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً، وانتهكوا حرماتهم وحرمات دينهم، بتخالع واستهتار، بنحو لم يعهده عامة المسلمين من قبل.

ظهور الإنكار على عثمان من عامة المسلمين

وقــد أضرّ ذلك بمصالــح الخاصة والعامة. فأثــار حفيظتهم. كما أثار

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ج:١١ ص:٥٢ـ٥٣ باب القبائل.

(٢) المســتدرك على الصحيحين ج:٤ ص:٤٧١ كتاب الفتن والملاحم، وقال بعد إيراد الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

حفيظة أهل الدين، وكل من يهمه الصالح العام.

وبذلك بدأ الإنكار على عثمان والتشنيع عليه، وإثارة مشاعر الناس ضده، وتهييج الرأي العام عليه. وظهرت بوادر التغيير.

تحقق الجو المناسب لإظهار مقام أمير المؤمنين عليه السلام وبيان ظلامته

وحينئذٍ تحققت الأرضية الصالحة لتعريف العامة بمقام الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ونشر فضائله. وهو الذي كان في الشورى الطرف الوحيد المقابل لعثمان، والذي أقصته المصالح الضيقة، وقدمت عليه عثمان، تجاهلاً لمصلحة الإسلام العليا، وتجاوزاً عليها.

وهو عليه السلام يحظى بأعظم رصيد من الفضائل والمناقب، وبالمؤهلات المميزة في قيادة الأمة، والسير بها على الطريق الواضح والصراط المستقيم.

ولاسيما أن خاصة شيعته المتفانين في الدعوة له قد كانت لهم المكانة السامية من بين الصحابة والتابعين، بحيث يسمع منهم جمهور المسلمين، ويتفاعل بتوجيهاتهم وإرشاداتهم في خضم الهيجان والصراع.

جهود الخاصة في التعريف بمقامه عليه السلام وكشف الحقيقة

وهنا جاء دورهم ليقوموا بمهمتهم الكبرى التي أعدوا لها، وذلك ببيان الحقيقة والدعوة لها، من أجل أن يكون التغيير المتوقع لصالحها، لا للأسوأ، أو من أجل إقامة الحجة على الناس لو لم يتقبلوها، ويؤدوا وظيفتهم إزاءها.

ولا يتيسر لنا فعلًا الاطلاع الكافي على مفردات ما حصل، إلا أن خير شاهد على ما ذكرنا هو هتاف الجماهير باسم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في

أواخر أيام عثمان عند ظهور النقمة عليه، مع أنه عليه السلام كان أخفّ النفر على عثمان.

نعم من المظنون قوياً أن الأمر مع عامة الناس لم يكن يتجاوز بيان الفضائل التي تقتضي تقديمه على غيره من الموجودين. بل ربما على جميع المسلمين حتى على الشيخين. لكن من دون تركيز على النص القاضي باختصاص الحق به وبذريته، وعدم شرعية خلافة من سبق، كما هو مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم). لعدم تهيؤ عامة المسلمين نفسياً لذلك، وعدم تقبلهم له.

ولاسيما أن سيرة عثمان، وتدهور الأوضاع في عهده، وظهور الخلاف والشقاق في الكيان الإسلامي بعد استقراره، قد أكدت في نفوسهم ما سبق من احترام الشيخين أو تقديسهما، نتيجة انتشار الإسلام في عهدهما، وما استتبعه من الغنائم التي لم تكن العرب تحلم بها، وألقاب التمجيد والأحاديث التي وضعت في تلك الفترة، كما سبق.

مضافاً إلى أن في المعارضة لعثمان عناصر مهمة هي على خلاف خط أهل البيت، والاعتراف بالنص يفوّت عليها أطماعها. كما أنها تهتم بالتركيز على سيرة الشيخين وتمجيدهما، من أجل التنفير من عثمان، والتهريج عليه.

وإذا كان النص قد ذكر وركز عليه فمن القريب أن يكون ذلك مقتصراً على القليل من ذوي التعقل والدين، ممن يهمه معرفة الحقيقة والوصول إليها.

وعلى كل حال فقد أدت الخاصة من شيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ فيما يظهر ـ دورها الذي أعدت له، وحققت خدمة كبرى للحقيقة المضطهدة، التي عُتّم عليها في الفترة السابقة.

وبالمناسبة يقول ابن قتيبة عند عرض أحداث واقعة الجمل: «فلما قدم

علي طيء أقبل شيخ من طيء قد هرم من الكبر، فرفع له من حاجبيه، فنظر إلى علي، فقال له: أنت ابن أبي طالب؟ قال: نعم.

قال: مرحبـــاً وأهلاً... لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك، لقرابتك من رســـول الله ﷺ، وأيامك الصالحة. ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقاً إن في أمرك وأمر قريش لعجباً، إذ أخرجوك وقدّموا غيرك...»[1].

وبذلك ظهرت ثمرة الصبر والموادعة مـــن أجل الحفاظ على هذه الثلة الصالحة، وعدم التفريط بها في مبدأ الانحراف في السلطة، عند ارتحال النبي ﷺ للرفيق الأعلى.

توجهات المعارضة لعثمان

هذا ويبدو أن المعارضين لعثمان على قسمين:

الأول: النفعيون والانتهازيون الذين يريدون القضاء على عثمان، لتضرر مصالحهم، أو بأمل الحصول على مكاسب مادية، أو تبوء مراكز قيادية. من دون رؤية واضحة للنتائج المترتبة على ذلك، أو لعدم الاهتمام بها من أجل أهدافهم.

وقد كشفتهم الأحداث بعد مقتل عثمان، والتداعيات التي ترتبت عليه، مما يسهل التعرف عليه بالرجوع لتاريخ تلك الفترة.

الثاني: الناقمون من ســـوء الأوضاع، الذين يريدون تحســـنها، وتحقيق الســـلطة للعدالة والتزامهـــا بها. من دون أن يكون لهـــم مشروع خاص لحلّ المشكلة. وهم الأكثرية.

---

(١) الإمامة والسياسة ج:١ ص:٥٢ استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة علي عليه السلام.

مقتل عثمان بعد فشل مساعي أمير المؤمنين عليه السلام لحل الأزمة

أما أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقد بذل جهده من أجل إصلاح الأمور، وحلّ المشكلة بين عثمان والناس. وقد سبق عن مروان بن الحكم أنه قال للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «ما كان أحد أكف عن صاحبنا من صاحبكم»[١] وإن كان الأمر أظهر من ذلك.

ومن أهم دواعيه عليه السلام لذلك تجنب الفتنة، حيث يعلم عليه السلام بما يترتب عليها من تداعيات وسلبيات على الإسلام والمسلمين.

ويشير إلى ذلك كلامه عليه السلام مع عثمان حينما دخل عليه بعد أن شكاه الناس له، حيث قال في جملته: «وإني أنشدك الله أن لا تكون إمام هذه الأمة المقتول. فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة. ويلبس أمورها عليها، ويبث الفتن عليها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً»[٢].

وقد كاد أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) يستوعب الخلاف، ويحلّ الأزمة بسلام، لولا سوء إدارة عثمان، وفساد بطانته، وضعف شخصيته، وتأرجح موقفه.

وانتهى الأمر بحصار عثمان، ثم قتله. بل المنع من دفنه، لولا استنجاد

---

(١) تقدم في أواسط شواهد التحريف في العهد الأموي.

(٢) نهج البلاغة ج:٢ ص:٦٩، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٣٧٦ أحداث سنة أربع وثلاثين من الهجرة: ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرعة. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٥١ أحداث سنة أربع وثلاثين من الهجرة: ذكر ابتداء قتل عثمان. البداية والنهاية ج:٧ ص:١٨٨ـ١٨٩ أحداث سنة أربع وثلاثين من الهجرة. إمتاع الأسماع ج:١٣ ص:٢٠٨. وغيرها من المصادر.

ذويه بأمير المؤمنين عليه السلام[١].

مطالبة الجماهير ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام

واندفعت بعد ذلك الجماهير من خاصة المسلمين وعامتهم تريد بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه الشخصية الأولى ـ ولو في عصره ـ بنظرهم، ولما يتميز به من مؤهلات ـ وعمدتها عندهم العلم، والاستقامة، والسابقة، والأثر الحميد في الإسلام، والقرابة من النبي صلى الله عليه وآله ـ بأمل تحقق الإصلاح على يديه، وسير عجلة الإسلام في الطريق الصحيح، وفي مأمن من الاستئثار والفساد.

وربما كان هدف كثير ممن يعرف حق أهل البيت (صلوات الله عليهم) تعديل مسار السلطة في الإسلام بذلك، ورجوع الحق إلى أهله، في مأمن من الزيغ والانحراف.

إباء أمير المؤمنين عليه السلام البيعة وتنبؤه بالمستقبل القاتم

وكيف كان فقد امتنع (صلوات الله عليه) من القبول بالبيعة، لعلمه بأنه لا يتم لهم ما أرادوا، لأن الناس ـ ولاسيما الخاصة ـ لا تطيق عدله، والتزامه بنصوص الدين، بعد أن تعودت على التسامح، وفتحت عيونها على الدنيا، وراقهم زبرجها.

وكان فيما قال إيضاحاً للحال، وكبحاً لجماح التفاؤل والآمال: «دعوني

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:١٥٨، ج:١٠ ص:٦. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٤٣٨ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه .. . الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٨٠ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه. وغيرها من المصادر.

والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم به القلوب، ولا تثبت عليه العقول»[١]. وقد أشار (عليه أفضل الصلاة والسلام) إلى ما توقعته الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في كلامها السابق، وهما يأخذان من أصل واحد.

ولما أصروا عليه قال عليه السلام إقامة للحجة: «قد أجبتكم. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه»[٢].

بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وما استتبعها من تداعيات

وأخيراً تمت البيعة. وتوالت الفتن والأحداث على النحو المعلوم تاريخياً. وكان آخرها مقتل أمير المؤمنين، وصلح الإمام الحسن (صلوات الله عليهما)، واستيلاء معاوية على السلطة، والقضاء على مشروع الإصلاح، حيث لم يكتب له الاستمرار ست سنين، رغم الجهود الجبارة والتضحيات الكبرى من أجل المحافظة عليه، وتنفيذه.

---

(١) نهج البلاغة ج:١ ص:١٨١، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٤٥٦ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٩٣ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. الفتوح لابن أعثم ج:٢ ص:٤٣١ ذكر بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وغيرها من المصادر.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٩٣ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، واللفظ له. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٤٥٦ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. نهج البلاغة ج:١ ص:١٨٢. وغيرها من المصادر.

قد يبدو فشل أمير المؤمنين عليه السلام في تسلمه للسلطة

وبذلك يبدو لأول وهلة فشل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في تسلمه السلطة، وأنه لم يحقق نجاحاً، بل زادت الأمور سوءاً، لأنه عليه السلام اضطر لمباشرة حروب ثلاثة ذهب ضحيتها كثير من المسلمين، وزادت بسببها مشاكلهم وخلافاتهم، ثم تسنم السلطة معاوية ومن بعده من الأمويين وغيرهم، وكانت عهودهم أسوأ بكثير بحسب المنظور العام من عهد عثمان ومن قبله.

علمه عليه السلام بفشل مشروع الإصلاح الجذري

لكن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يعلم من أول الأمر بفشل مشروع الإصلاح الذي طلبوا منه البيعة من أجله، كما يشير إلى ذلك ما تقدم من قوله عليه السلام: «فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم به القلوب، ولا تثبت عليه العقول». وما يأتي من خطبته حين بويع.

وقد عهد له النبي صلى الله عليه وآله ـ بل للأمة عامة ـ بخروج الناكثين والقاسطين والمارقين عليه[1]، وبكثير من تفاصيل ذلك، ومنها إرغامه على

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٤٠، ١٣٩ كتاب معرفة الصحابة: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل علي. مجمع الزوائد ج:٥ ص:١٨٦ كتاب الخلافة: باب الخلفاء الأربعة، ج:٦ ص:٢٣٥ كتاب قتال أهل البغي: باب ما جاء في ذي الثدية وأهل النهروان، ج:٧ ص:٢٣٨ كتاب الفتن: باب فيما كان بينهم في صفين. السنة لعمرو بن أبي عاصم ص:٤٢٥. مسند أبي يعلى ج:١ ص:٣٩٧ مسند علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ج:٣ ص:١٩٤ـ١٩٥ مسند عمار بن ياسر. المعجم الكبير ج:٤ ص:١٧٢ فيما رواه محنف بن سليم عن أبي أيوب، ج:١٠ ص:٩١، ٩٢ باب من روى عن ابن مسعود. المعجم الأوسط ج:٨ ص:٢١٣، ج:٩ ص:١٦٥. الاستيعاب ج:٣ ص:١١١٧ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

التحكيم[١]، وما استتبعه من فتنة الخوارج[٢]، ثم قتله عليه السلام بعد أن يتجرع الغيظ[٣]، وبقيام دولة بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن[٤].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج:٥ ص:١٦٧ كتاب الخصائص: ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذكر ما خص به علي من قتال المارقين: ذكر الأخبار المؤيدة لما تقدم وصفه. فتح الباري ج:٧ ص:٣٨٦. شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٣٢. تاريخ الإسلام ج:٢ ص:٣٩١ قصة غزوة الحديبية. السيرة الحلبية ج:٢ ص:٧٠٧ غزوة الحديبية. مجمع البيان للطبرسي ج:٩ ص:١٩٩. وغيرها من المصادر.

(٢) مجمع الزوائد ج:٦ ص:٢٤١ كتاب قتال أهل البغي: باب منه في الخوارج. فتح الباري ج:١٢ ص:٢٦٤، ٢٦٥. مسند أبي يعلى ج:١ ص:٣٧٠ـ٣٧١ مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المصنف لعبد الرزاق ج:٣ ص:٣٥٨ كتاب فضائل القرآن: باب سجود الرجل شكراً. السنة لعمرو بن أبي عاصم ص:٥٨٥. السنن الكبرى ج:٥ ص:١٦٣ كتاب الخصائص: ثواب من قاتلهم (الخوارج). المعجم الأوسط ج:٤ ص:٢٢٤. تاريخ بغداد ج:١٢ ص:٤٤٨ في ترجمة قيس بن أبي حازم، ج:١٣ ص:٩٧ في ترجمة مسلم بن أبي مسلم، ص:٢٢٣ في ترجمة ميسرة أبي صالح. كنز العمال ج:١١ ص: ٢٨٩ـ٢٩٠ ح:٣١٥٤٨. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٣٩ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٤٢٢، ٥٣٦ في ترجمة علي بن أبي طالب. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٣٨٨ أحداث سنة أربعن من الهجرة: ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ذكر أخبار أصبهان ج:٢ ص:١٤٧ في ترجمة عطاء بن السائب. كنز العمال ج:١١ ص:٦١٨ ح:٣٢٩٩٩. الفصول المهمة ج:١ ص:٦٠٩ الفصل الأول في ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): فصل في مقتله ومدة عمره وخلافته عليه السلام. وغيرها من المصادر.

(٤) سنن الترمذي ج:٥ ص:١١٥ كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله: باب سورة القدر. المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٧٠ـ١٧١ كتاب معرفة الصحابة: ومن فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وذكر مولده ومقتله. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٢٧٢ في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب. المعجم الكبير ج:٣ ص:٨٩ـ٩٠ فيما رواه يوسف بن مازن الراسبي عن الحسن بن علي رضي الله عنه. مسند الشاميين ج:٢ ص:١٥٢. فضائل الأوقات للبيهقي ص:٢١١ باب فضل ليلة القدر. تاريخ دمشق ج:١٣ ص:٢٧٨ـ٢٧٩ في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب. أسد الغابة ج:٢ ص:١٤ في ترجمة الحسن بن

وهو القائل: «أتاني عبد الله بن سلام، وقد وضعت رجلي في الغرز، وأنا أريد العراق، فقال: لا تأتي [كذا في المصدر] العراق، فإنك إن أتيته أصابك به ذباب السيف». قال أبو الأسود الدؤلي: «قال علي: وأيم الله لقد قالها لي رسول الله صلى الله عليه وآله قبلك»[١].

والقائل في حرب صفين، وهو في أوج قوته العسكرية: «ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها»[٢]، والقائل في الكوفة: «إني أقاتل على حق ليقوم. ولن يقوم. والأمر لهم»[٣].

كما قال عليه السلام أيضاً: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه. ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني...»[٤]... إلى غير ذلك مما يجده الناظر في تاريخ تلك الحقبة وما يتعلق بها. ولا سيما ما ورد في أخبار أهل البيت (صلوات الله عليهم).

علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) المستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:١٤٠ كتاب معرفة الصحابة: ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما لم يخرجاه: ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واللفظ له. صحيح ابن حبان ج:١٥ ص:١٢٧ باب إخباره صلى الله عليه وآله عما يكون في أمته من الفتن والحوادث: ذكر الإخبار عن خروج علي بن أبي طالب (رضوان الله عليه) إلى العراق. مسند الحميدي ج:١ ص:٣٠. الآحاد والمثاني ج:١ ص:١٤٤. موارد الظمآن ج:٧ ص:١٤٨. تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٥٤٥ في ترجمة علي بن أبي طالب. أسد الغابة ج:٤ ص:٣٤ في ترجمة علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) وقعة صفين ص:٢٢٤. شرح نهج البلاغة ج:٥ ص:١٨١. الأمالي للمفيد ص:٢٣٥. الأمالي للطوسي ص:١١.

(٣) الفتن لابن حماد ص:٧٠ ما يذكر في ملك بني أمية وتسمية أسمائهم بعد عمر رضي الله عنه، واللفظ له. إمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢١١ إخباره صلى الله عليه وآله بملك معاوية. الملاحم والفتن لابن طاووس ص:٣٣٩ الباب:٣٧.

(٤) نهج البلاغة ج:١ ص:١٠٥ـ١٠٦.

أهداف أمير المؤمنين عليه السلام من تسلمه للسلطة

ومن هنا لابد أن يكون هدفه (صلوات الله عليه) من تسنم السلطة ليس هو مـــا اندفعت الجماهير له، وتخيلته ممكناً، من إصـــلاح الأوضاع العامة، أو تعديل مسار السلطة في الإسلام. وإنما الدافع المهم له عهد النبي صلى الله عليه وآله له بالقيام بالأمر إذا وجد أنصاراً، حيث يأتي منه عليه السلام التصريح حين بويع بأنه قد نبئ بهذا المقام وهذا اليوم.

وهو عليه السلام القائل في الخطبة الشقشقية: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكـــم هذه أزهد عندي من عفطة عَنز»[1]... إلى غير ذلك مما يشهد بأنه عليه السلام ينفذ عهداً عُهِد له وأمراً فرض عليه. وربما يأتي بعض كلامه عليه السلام في ذلك.

وعلم الله تعالى ما هي المصالح والأهداف التي ألزمته عليه السلام بذلك. لكن الـــذي يظهر لنا أمور مهمة جداً في صالح الإســـلام ودعـــوة الحق بعد تحقق الانحراف في مسيرته، وفرضه عليه كواقع لا يمكن التخلص منه.

تجسيد النموذج الصالح لخلافة النبوة

الأمر الأول: تجســـيد النموذج الصالح لخلافة النبوة في العدل والزهد، والارتباط بالله عز وجل والفناء في ذاته، والخلق الرفيع والتواضع، والاهتمام

---

(١) نهـــج البلاغـــة ج:١ ص:٣٦ـ٣٧، واللفظ لـــه. علل الشرائـــع ج:١ ص:١٥١. الإفصاح للمفيد ص:٤٦. ينابيع المودة ج:١ ص:٤٣٨. وغيرها من المصادر.

بعامة الرعية وحفظ كرامتهم وإشعارهم بعزتهم، وحسن الإدارة ورعاية مكارم الأخلاق حتى مع الأعداء، والحفاظ على حرفية التشريع والعلم المستوعب له، والاستغناء عن الغير فيه وفي جميع جهات الثقافة والمعرفة الإلهية وغيرها، والكرامات الباهرة والإخبارات الغيبية الكثيرة الصادقة.

ثم الإصرار على المواقف والمبادئ الشريفة، والبعد عن الاستئثار، والإباء عن طلب النصر بالجور وإن انتهى الأمر إلى التضحية بالسلطة. والتأكيد على أن السلطة وسيلة لإقامة الحق، وليست غاية له عليه السلام يضحي من أجلها به.

كل ذلك مع التأكيد على الارتباط بالنبي صلى الله عليه وآله والأخذ منه والجري على عهده له عليه السلام بنحو يناسب ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وشاع بين المسلمين من أنه عليه السلام وصيه وباب مدينة علمه وحكمته وصاحب عهده وسره والمبلغ عنه وخليفته في أمته وولي الأمر من بعده بعهد من الله عز وجل.

وقد أثبت (صلوات الله عليه) بذلك أن خلافة النبوة والاستقامة في طريق الحق والحفاظ على حدود الدين ليست مجرد تنظير غير صالح للتطبيق، أو قابل لأن يتراجع عنه أو عن بعض حدوده في مقام العمل اكتفاء بالتسميات وإعلان الانتساب للكيان الديني الذي قامت عليه السلطة وكسبت شرعيتها منه. كما جرت عليه كثير من الكيانات والدعوات المختلفة الدينية وغيرها، حيث تنازلت في مقام التطبيق والعمل عن كثير من حدود مبادئ كياناتها التي ابتنت عليها شرعيتها.

وبذلك كان عليه السلام مثالاً حياً حجة لله تعالى على عباده، يطلب الاقتداء به على امتداد عصور الإسلام المختلفة، ومذكراً بالحق الذي يفترض فيمن يحكم

باســـم الدين مراعاته والجري عليه. لئلا تضيـــع معالم الحق والدين في خضم المبررات المختلفة التي يتشبث بها المنحرفون حفاظاً على سلطانهم، أو إشباعاً لشهواتهم ونزواتهم، أو إمعاناً في جبروتهم وطغيانهم.

اصطفاء أهل البيت عليهم السلام وتميزهم عن غيرهم

الأمر الثاني: أن جمهور المســـلمين كانوا في غفلة عـــن مقام أهل البيت (صلوات الله عليهم) كما أشـــار لذلك أمير المؤمنـــين عليه السلام في كلامه المتقدم في تقييم الأوضاع في أوائل المطلب الأول فحاول (صلوات الله عليه) في مناسبات مختلفة وكلام كثير كشف الحقيقة والتأكيد على رفعة مقامهم وتميزهم عن عامة الناس بما يناســـب اصطفاء الله سبحانه وتعالى لهم وقدسيتهم وعصمتهم وقد تضمن كتاب نهج البلاغة الذي يســـهل الرجوع له نـــماذج منه تلفت النظر، كقوله عليه السلام في بيان حال عامة المســـلمين: «قد خاضوا بحـــار الفتن، وأخذوا بالبدع دون الســـنن، وأرَز المؤمنون، ونطق الضالون المكذبون. نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب. لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها ســـمي سارقاً...» إلى أن قال في حق أهل البيت عليهم السلام: «فيهم كرائم القرآن، وكنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يُسبَقوا...»[1].

وقـــال في كتاب لـــه إلى معاوية جواباً على كتابـــه: «وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلمته... وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد. ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدث أن قوماً استشـــهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى إذا استشـــهد شهيدنا قيل: ســـيد الشهداء، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) نهج البلاغة ج:٢ ص:٤٣، ٤٤.

بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه. أو لا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: الطيار في الجنة، وذو الجناحين؟ ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين. فدع عنك من مالت به الرمية، فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا...»[١].

وقال عليه السلام في خطبة له يذكر فيها أهل البيت عليهم السلام: «هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخافون الحق ولا يختلفون فيه. هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام. بهم عاد الحق إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل»[٢].

وقال عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي»[٣].

وقال عليه السلام: «الزموا الأرض واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه، وهو على معرفة من ربه وحق رسوله وحق أهل بيته، مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله،

---

(١) نهج البلاغة ج:٣ ص:٣٠-٣٣. قال في لسان العرب: «وفلان صنيعة فلان وصنيع فلان: إذا اصطنعه وأدبه وخرجه ورباه».

(٢) نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٣٢.

(٣) نهج البلاغة ج:٤ ص:٢٦.

وقامت النية مقام إصلاته لسيفه. وإن لكل شيء مدة وأجلاً»[١].

بل قد يعرض عليه السلام بمن يحاول تجاهل مقامهم وادعاء بعض منازل الكمال لغيرهم، كقوله عليه السلام: «قد زرعوا الفجور وحصدوا الثبور. لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله»[٢].

وقوله عليه السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم»[٣].

قال ابن أبي الحديد: «قوله عليه السلام: أين الذين زعموا. هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل. فمنهم من كان يدعى له أنه أفرض، ومنهم من كان يدعى له أنه أقرأ، ومنهم من كان يدعى له أنه أعلم بالحلال والحرام. هذا مع تسليم هؤلاء له أنه عليه السلام أقضى الأمة، والقضاء يحتاج إلى كل هذه الفضائل، وكل واحدة منها لا تحتاج إلى غيرها، فهو إذن أجمع للفقه وأكثرهم احتواءً عليه. إلا أنه عليه السلام لم يرض بذلك، ولم يصدق الخبر الذي قيل: أفرضكم فلان، إلى آخره، فقال: إنه كذب وافتراء، حمل قوماً على

---

(١) نهج البلاغة ج:٢ ص:١٣٢، ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة ج:١ ص:٣٠.

(٣) نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٧.

وضعه الحسد لهذا الحي من بني هاشم، أن رفعهم الله على غيرهم، واختصهم دون من سواهم»[١].

بل تعرض (صلوات الله عليه) لقضية لها أهميتها في العقيدة الحقة، وهي عدم خلوّ الأرض من إمام حجة على الناس، ولو كان خائفاً مجهولاً، بنحو يناسب عقيدة الشيعة الإمامية الاثنى عشرية في الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) يقول عليه السلام في ضمن كلام له طويل مع كميل بن زياد في شأن العلم: «كذلك يموت العلم بموت حامليه. اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم له بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفا مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته».

وكلامه عليه السلام في التنبيه لضياع الحقيقة في الفترة السابقة على استلامه عليه السلام للسلطة أو تعمد تضييعها، والشكوى من ذلك كثير لا مجال لاستيعابه، وفيما ذكرناه كفاية لتنبيه الباحث عن الحقيقة التي لابد من معرفتها والاهتمام بالوصول لها.

سعيه عليه السلام لإيضاح الحقائق الدينية

الأمر الثالث: ما أشرنا إليه آنفاً من أن جمهور المسلمين كانوا في غفلة عن انحراف مسار السلطة في الإسلام، وتحكمها في الدين. بحيث كان معرضاً للضياع والتشويه. فإبقاؤهم على غفلتهم يضيع عليهم معالم الحق، ويعرض الدين للتحريف التدريجي بتعاقب السلطات غير المشروعة، حتى يمسخ، كما مسخت بقية الأديان، نتيجة تحكم غير المعصوم فيها.

فكان الهدف من تسنمه (صلوات الله عليه) للسلطة أن يُفسح المجال له

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٨٦.

ولمن يعرف حقه من الصحابة لكشف حقيقة الحال، وتنبيه الأمة من غفلتها، وتعريفها بدعوة الحق، وإيضاح معالمها، ليحملها ـ بل قد يدعو لها ـ من يوفقه الله تعالى لذلك.

وذلك من أجل أن تظهر هذه الدعوة الشريفة في المجتمع الإسلامي والإنساني على الصعيد العام، بحيث يسمع صوتها، لتقوم الحجة على الناس حتى لو عاد مسار السلطة للانحراف، كما هو المتوقع لهعليه السلام، والذي حصل فعلاً.

وقد يشير إلى ذلك ما ورد عنه (صلوات الله عليه) في بيان ما دعاه لقبول الخلافة من قوله: «والله ما تقدمت عليها إلا خوفاً من أن ينزو على الأمر تيس من بني أمية، فيلعب بكتاب الله عز وجل»[1].

إصحارهعليه السلام بالحقيقة وبحقه في الخلافة وبظلامته

وعلى كل حال فقد تحقق له ذلك، حيث وجد الأرضية الصالحة، خصوصاً في الكوفة، فأصحرعليه السلام هو ومن يعرف حقه من الصحابة بالحقيقة، وبمقامه ومقام أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والتأكيد على استحقاقهم الخلافة، واختصاص الإمامة الحقة بهم، وأنهمعليهم السلام المرجع للأمة في دينها يعصمونها من الزيغ والضلال. مع الاستدلال على ذلك بالكتاب المجيد، والنصوص النبوية الشريفة التي هي أكثر من أن تحصى.

ثم أصحر بالشكوى من الانحراف الذي حصل، وسلب الشرعية عنه،

---

(١) أنساب الأشراف ج:٢ ص:٣٥٣ في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام. ونحوه في بحار الأنوار ج:٣٤ ص:٣٥٨.

وشجب من قام به، وغير ذلك مما سجله التاريخ، واستوعبته كتب الكلام، واشتمل على كثير منه كتاب نهج البلاغة.

إيضاحه عليه السلام للمراد من الجماعة التي يجب لزومها

كما أنه (عليه أفضل الصلاة والسلام) أوضح أن المراد بالجماعة التي لا يجوز الخروج عنها هي جماعة الحق التي تعتصم بأئمة الحق (صلوات الله عليهم)، وهو عليه السلام أولهم.

ففي حديث عبد الله بن الحسن قال: «كان علي يخطب، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة؟ ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل السنة؟ ومن أهل البدعة؟ فقال: ويحك أما إذ سألتني فافهم عني، ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدي. فأما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلوا. وذلك الحق عن أمر الله وأمر رسوله. فأما أهل الفرقة فالمخالفون لي ومن اتبعهم وإن كثروا...»[1].

وهو كالصريح من قول النبي صلى الله عليه وآله عندما خطب في مسجد الخيف: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم. فإن دعوتهم محيطة من ورائهم...»[2]. إذ بعد أن

(١) كنز العمال ج:١٦ ص:١٨٣ـ١٨٤ ح:٤٤٢١٦، واللفظ له. الاحتجاج ج:١ ص:٢٤٦.

(٢) تقدمت مصادره في أوائل المبحث الأول عند الكلام في وجوب طاعة الإمام وموالاته والنصيحة له.

ويحسن إثبات ما رواه في الكافي ج:١ ص:٤٠٣:

قال: «محمد بن الحسن عن بعض أصحابنا عن علي بن الحكم عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثوري: اذهب بنا إلى جعفر بن محمد. قال: فذهبت معه إليه، فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف... قال: فنزل، فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس،

كانت الإمامة الحقة في أهل البيت (صلوات الله عليهم) ـ على ما ثبت في محله ـ فجماعة أئمة المسلمين هم جماعة أئمة أهل البيت، دون غيرهم من الفرق.

ويناسبه ما عن الثعلبي بسنده عن عبد الله البجلي قال: «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات على حب آل محمد مات شهيداً... ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة...»[1].

حتى أثبته، فدعا به، ثم قال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه...: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم...» فكتبه سفيان، ثم عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام.

وجئت أنا وسفيان، فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتى أنظر في هذا الحديث. فقلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً. فقال: وأي شيء ذلك؟

فقلت له: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين. من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟! معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وكل من لا تجوز شهادته عندنا، ولا تجوز الصلاة خلفهم؟!.

وقوله: واللزوم لجماعتهم. فأي الجماعة؟! مرجئ يقول: من لم يصلّ ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل؟! أو قدري يقول: لا يكون ما شاء الله عز وجل، ويكون ما شاء إبليس؟! أو حروري يتبرأ من علي بن أبي طالب وشهد عليه بالكفر؟! أو جهمي يقول: إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها؟! قال: ويحك وأي شيء يقولون؟ قلت: يقولون إن علي بن أبي طالب والله الإمام الذي يجب علينا نصيحته، ولزوم جماعتهم أهل بيته. قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثم قال: لا تخبر بها أحداً».

(١) العمدة لابن البطريق ص:٥٤. تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج:٣ ص:٢٣٨. تفسير الكشاف ج:٣ ص:٤٦٧ في تفسير قوله تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾. تفسير الرازي ج:٢٧ ص:١٦٦ في تفسير الآية المتقدمة. تفسير القرطبي ج:١٦ ص:٢٣ في تفسير الآية المتقدمة. ينابيع المودة ج:١ ص:٩١، ج:٢ ص:٣٣٣، ج:٣ ص:١٤٠. الطرائف في معرفة مذاهب

كما أنه الأنسب بما عن النبي صلى الله عليه وآله حينما سأله رجل عن جماعة أمته، فأجابه بقوله: «جماعة أمتي أهل الحق وإن قلوا»[١].

وما عن عمرو بن ميمون قال: «صحبت معاذاً باليمن... ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ويرغّب في الجماعة. ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها. فصلوا الصلاة لميقاتها، فهو الفريضة، وصلوا معهم، فإنها لكم نافلة. قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثوا. قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك... قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك أفقه أهل هذه القرية. تدري ما الجماعة؟ قال: قلت: لا. قال: إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة. الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك». وفي طريق للحديث آخر: «الجماعة ما وافق طاعة وإن كنت وحدك»[٢].

وبالجملة: قد أوضح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في أيام حكمه القليلة كثيراً من الحقائق الدينية التي كان عامة المسلمين في غفلة عنها.

مميزاته الشخصية ساعدت على تأثيره وسماع دعوته

وقد ساعد على تأثيره عليه السلام في رفع غفلتهم مميزاته الشخصية، من السبق

الطوائف ص:١٥٩ـ١٦٠. سعد السعود ص:١٤١. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) المحاسن للبرقي ج:١ ص:٢٢٠. معاني الأخبار ص:١٥٤. تحف العقول عن آل الرسول ص:٣٤ مواعظ النبي صلى الله عليه وآله وحكمه.

(٢) تاريخ دمشق ج:٤٦ ص:٤٠٩ في ترجمة عمرو بن ميمون، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٢٢ ص:٢٦٤ـ٢٦٥ في ترجمة عمرو بن ميمون. النصائح الكافية ص:٢١٩.

للإيـــمان، والقرابة القريبة من النبي صلى الله عليه وآله، وعظيم الأثر في رفع منار الإســـلام بجهاده الفريد في ســـبيل الله تعالى، والعدل بين الرعيـــة، والفناء في ذات الله تعالى، والشـــجاعة الخارقة، والتحبب للعامة أخلاقاً وســـلوكاً، وما ظهر منه (صلـــوات الله عليه) من فنون العلم والمعرفة والكرامـــات الباهرة والأخبار الغيبية الصادقة... إلى غير ذلك مما يشهد بتميزه عن عامة الناس، بنحو يناسب اختياره عليه السلام واختيار أهل بيته لخلافة النبوة من قبل الله عز وجل.

كما أن ذلك من شأنه أن يوجب إعجاب كثير من الناس به وانشدادهم له عاطفياً، وتعلقهم به، وموالاتهم له، وحبهم إياه حباً قد يبلغ العشق.

وبعبارة أخرى: إن شجرة التشـــيع التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقام الحجة عليها، وثبت عليها الخاصة من أصحابه رضي الله عنهم، قد استطاع أمير المؤمنين (صلـــوات الله عليه) في فترة حكمـــه القصيرة المليئة بالمتاعب والمشـــاكل أن يســـقيها وينميها، ويعمق جذورها، وينشر فروعها، بعـــد أن ذبلت وكادت تموت، نتيجة جهود الأولين، وسياستهم التي سبق التعرض لها.

وإن النظر في كتاب نهج البلاغة ـ الواســـع الانتشـــار ـ بتروٍ واستيعاب ومقارنة، وبموضوعية بعيدة عن التكلف والتعســـف، يكفي في اســـتيضاح ذلك. فهو يصلح لأن يكون أطروحة مســـتوفية لأبعاد العقيدة الشيعية التي توارثتها الأجيال حتى عصرنـــا الحاضر. أما التراث والجهود الواردة عنه عليه السلام في غير نهج البلاغة فالأمر فيها أظهر.

إيمان ثلة من الخاصة بدعوته عليه السلام وتضحيتهم في سبيلها

ووجد (صلوات الله عليه) من ذوي المقام الرفيع في العقل والدين وقوة

الشخصية، والذين فرضوا احترامهم على المسلمين ـ بورعهم وأثرهم الحميد في الإسـلام ـ من تقبلها بتفهم وتبصر وإخلاص وإصرار، وتبنى حمل رايتها والدعوة لها متحدياً قوى الشر والطغيان.

وتحمل في سبيل ذلك ضروب المصائب والمحن، ومختلف أنواع التنكيل من السـجن والتشريد والقتل والتمثيل والصلب وتشويه السمعة والتشنيع غير المسؤول، وانتهاك الحرمات العظام بوحشية مسرفة.

ثم تعاهد شجرتها من بعده بقية الأئمة من ولده (صلوات الله عليهم)، كما يظهر مما يأتي إن شاء الله تعالى. ودعمها الإمداد والتسديد الإلهي على طول الخط.

وبذلك بقيت هذه الدعوة الشريفة وانتشرت بين المسلمين، بل في جميع أنحاء العـالم. وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، مرفوعة الراية، مسـموعة الصوت. على طول المدة، وشدة المحنة، وتتابع الفتن.

بل لم يشـهد التاريخ ـ فيما نعلم ـ دعـوة حافظت على أصالتها ونقائها، واستمرت في مسيرتها وتوسعها وانتشـارها ـ رغم المعوقات الكثيرة ـ كهذه الدعوة الشريفة.

العقبة الكؤود في طريق الدعوة التقديس المفرط للأولين

نعم كانت العقبة الكؤود التـي تقف في طريقه عليه السلام وطريق دعوته هذه هي إعجاب كثير من المسلمين بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر، وحبهم لهما حباً قد يبلغ حدّ التقديس، نتيجة العوامل التي سـبق التعرض لها، بحيث اضطر (صلوات الله عليه) إلى ترك بعض ما سنّاه في الدين على حاله مداراة لهم.

حتى إنه ربما اتخذ البعض ذلك شاهداً على إقراره لها وشرعيتها عنده عليه السلام، وهو يجهل أو يتجاهل الظروف الحرجة التي كان (صلوات الله عليه) يمرّ بها، ويعيشها، والتصريحات الكثيرة منه ومن الأئمة من ولده (صلوات الله عليهم) بعدم شرعيتها. والحديث في ذلك طويل لا يسعنا استيعابه.

خطبة له عليه السلام يستعرض فيها كثيراً من البدع

إلا أنه يحسن بنا أن نذكر خطبة له (صلوات الله عليه) رواها الكليني بطريق معتبر قال عليه السلام فيها:

«وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالَف فيها حكم الله، يتولى فيها رجال رجالاً. ألا إن الحق لو خلص لم يكن اختلاف. ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى. لكنه يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان، فيجللان معاً. فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه. ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير. يجري الناس عليها، ويتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة، وقد أتى الناس منكراً. ثم تشتد البلية، وتسبى الذرية[1]، وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرحا بثفالها، ويتفقهون لغير الله، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة».

ثم أقبل بوجهه، وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته، فقال:

---

(١) لعله إشارة إلى ما حدث بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام من سبي عوائل وذراري أهل البيت (صلوات الله عليهم).

«قد عمل الـولاة قبلي أعـمالاً خالفوا فيها رسـول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيرين لسنته. ولو حملت الناس على تركها، وحولتها إلى مواضعها، وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرق عني جندي، حتى أبقى وحدي، أو قليل من شـيعتي الذين عرفوا فضـلي، وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أرأيتـم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله[1]، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام،

---

(١) **فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «كان المقام لازقاً بالبيت فحوله عمر»**. راجع تهذيب الأحكام ج:٥ ص:٤٥٤.

روى الفاكهي عن عائشـة أن المقام كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله سـقع البيت. أخبار مكة ج:١ ص:٤٥٥ ذكر موضع المقام من أول مرة. **وروى أيضاً عن عبد الله بن سـلام: أن النبي صلى الله عليه وآله قدم مكة مـن المدينة فكان يصلي إلى المقام وهو ملصق بالكعبة حتى توفي رسـول الله صلى الله عليه وآله**. أخبار مكة ج:١ ص:٤٤٣ ذكر المقام وفضله. شـفاء الغرام ج:١ ص:٣٩٣ ذكر موضع المقام في الجاهلية والإسلام.

وقد نص غير واحد على أن عمر هو الذي أخر المقام بعد أن كان ملصقاً بالبيت. الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٢٨٤ ذكر اسـتخلاف عمر رحمه الله. أنسـاب الأشراف ج:١٠ ص:٣٢٤ ترجمة عمر بن الخطاب. تاريخ اليعقـوبي ج:٢ ص:١٣٧ في أيام عمر بن الخطـاب. الثقات لابن حبان ج:٢ ص:٢١٨. الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٥٦٢ أحداث سنة ثمان عشرة من الهجرة. فتح الباري ج:٨ ص:١٢٩. تفسـير ابن كثير ج:١ ص:١٧٦. عمدة القاري ج:٤ ص:٢٤١. التمهيد لابن عبد البر ج:١٣ ص:١٠٠. وغيرها من المصادر.

وقد روي عن عائشـة أنها قالـت: «إن المقام كان في زمن رسـول الله صلى الله عليه وآله وفي زمن أبي ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر». فتح الباري ج:٨ ص:١٢٩، وتفسـير ابن كثير ج:١ ص:١٧٦، وكنز العمال ج:١٤ ص:١١٧ ح:٣٨١٠٢. الـدر المنثور ج:١ ص:١٢٠، وعلل الحديث لابن أبي حاتم ج:١ ص:٢٩٨ علل أخبار رويت في مناسك الحج وأدائه وثوابه ونحو ذلك.

وقال سفيان بن عيينة: «كان المقام في سقع البيت على عهد النبي صلى الله عليه وآله فحوله عمر إلى مكانه

ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان[1]،

بعد النبي صلى الله عليه وآله». تفسير ابن أبي حاتم ج:١ ص:٢٢٦، واللفظ له. تفسير ابن كثير ج:١ ص:١٧٦.

وروي عن ابن جريج أنه قال: «سمعت عطاء وغيره من أصحابنا يزعمون أن عمر أول من رفع المقام فوضعه موضعه الآن، وإنما كان في قبل الكعبة». المصنف لعبد الرزاق ج:٥ ص:٤٨ كتاب المناسك: باب المقام. أخبار مكة للفاكهي ج:١ ص:٤٥٤ ذكر موضع المقام من أول مرة . . . شفاء الغرام ج:١ ص:٣٩٣ ذكر موضع المقام في الجاهلية والإسلام . . .

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: «كان المقام في وجه الكعبة، وإنما قام إبراهيم حين ارتفع البنيان فأراد أن يشرف على البناء. قال: فلما كثر الناس خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه **أن يطأوه بأقدامهم فأخرجه إلى موضعه هذا الذي هو به اليوم حذاء موضعه الذي كان به قدام الكعبة»**. أخبار مكة ج:١ ص:٤٥٤ ذكر موضع المقام من أول مرة . . . شفاء الغرام ج:١ ص:٣٩٣ ذكر موضع المقام في الجاهلية والإسلام.

وقد فصل الكلام في ذلك محمد طاهر الكردي ذاكراً جميع الروايات والأقوال في ذلك، وقد انتهى إلى أن الأصح كون عمر هو الذي أخرّ المقام إلى موضعه اليوم. راجع التاريخ القويم ج:٤ ص:٢٤ موضع المقام.

(١) **قال الفضل بن شاذان: «ورويتم أن عمر بن الخطاب زاد في مد النبي** صلى الله عليه وآله **ثم زعمتم ذلك فضيلة لعمر»**. الإيضاح ص:١٩٨.

وقد ورد في أحاديث الجمهور أن لعمر صاعاً يختلف مقداره عن مقدار صاع رسول الله صلى الله عليه وآله**، فقد ورد أن مقدار صاع رسول الله** صلى الله عليه وآله **خمسة أرطال وثلث، بينما كان صاع عمر ثمانية أرطال. ولهذا وقع الخلاف بين فقهاء الجمهور في تحديد الصاع.**

روى البيهقي عن الحسين بن الوليد قال: «قدم علينا أبو يوسف من الحج، فأتيناه، فقال: إني أريد أن افتح عليكم باباً من العلم همني، تفحصت عنه. فقدمت المدينة فسألت عن الصاع، فقالوا: صاعنا هذا صاع رسول الله صلى الله عليه وآله**. قلت لهم: ما حجتكم في ذلك؟ فقالوا: نأتيك بالحجة غداً. فلما أصبحت أتاني نحو من خمسين شيخاً من أبناء المهاجرين والأنصار، مع كل رجل منهم الصاع تحت ردائه، كل رجل منهم يخبر عن أبيه أو أهل بيته أن هذا صاع رسول الله** صلى الله عليه وآله**، فنظرت فإذا هي سواء. قال: فعايرته، فإذا هو خمسة أرطال وثلث بنقصان معه يسير. فرأيت أمراً قوياً، فقد تركت قول أبي حنيفة في الصاع، وأخذت بقول أهل المدينة...»**.

قال الحسين: فحججت من عامي ذلك، فلقيت مالك بن انس، فسألته عن الصاع. فقال:

. . . . . .

صاعنا هذا صاع رسول الله ﷺ. فقلت: كم رطلاً هو؟ قال: إن المكيال لا يرطل. هو هذا.

قال الحسين: فلقيت عبد الله بن زيد بن أسلم، فقال: حدثني أبي عن جدي أن هذا صاع عمر رضي الله عنه. السنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:١٧١ كتاب الزكاة: جماع أبواب زكاة الفطرة: باب ما دل على أن صاع النبي ﷺ كان عياره خمسة أرطال وثلث.

وقال السمرقندي: «ثم مقدار الصاع ثمانية أرطال عندنا. وقال أبو يوسف والشافعي: خمسة أرطال وثلث رطل، لأن صاع أهل المدينة كذلك، وتوارثوه خلفاً عن سلف . لكنا نقول : ما ذكرنا صاع عمر، ومالك من فقهاء المدينة. قال: إن صاع المدينة أخرجه عبد الملك بن مروان، فأما قبله كان ثمانية أرطال فكان العمل بصاع عمر أولى». تحفة الفقهاء ج:١ ص:٣٣٨ـ٣٣٩. ومثله ما قاله أبو بكر الكاشاني. بدائع الصنائع ج:٢ ص:٧٣.

وقد روى البخاري عن السائب أنه قال: «كان الصاع على عهد رسول الله ﷺ مداً وثلثاً بمدكم اليوم، وقد زيد فيه». صحيح البخاري ج:٨ ص:١٥٣ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. وقد رواه بهذا اللفظ النسائي. السنن الكبرى ج:٢ ص:٢٩ كتاب الزكاة: باب كم الصاع.

وقد كان للحجاج صاع يسمى بالصاع الحجّاجي. وقد روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: «وضع الحجاج قفيزه على صاع عمر». شرح معاني الآثار ج:٢ ص:٥٢ كتاب الزكاة: باب وزن الصاع. نصب الراية ج:٢ ص:٥٢٠ أحاديث وآثار في مقدار الصاع.

وهذا الصاع يختلف عن مقدار الصاع عند أهل المدينة الذي تقدم مقداره، قال ابن أبي ليلى: «عيرنا صاع المدينة فوجدناه يزيد مكيالاً على الحجاجي». المصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٩٤ كتاب الزكاة: قوله تعالى: ﴿**وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ**﴾.

وقد روي عن موسى بن طلحة أنه قال: «الحجاجي صاع عمر بن الخطاب». المصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٩٤ كتاب الزكاة: قوله تعالى: ﴿**وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ**﴾. مسند ابن الجعد ص:٣٧٠. شرح معاني الآثار ج:٢ ص:٥١ـ٥٢.

وكان الحجاج يمن بهذا الصاع على أهل العراق ويقول: «ألم أخرج لكم صاع عمر؟». المبسوط للسرخسي ج:٣ ص:٩٠.

وقال البيهقي: «والصاع أربعة أمداد بمد رسول الله ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ. قال في القديم : والصاع خمسة أرطال وثلث وزيادة شيء أو نقصانه. وقال قائل: الصاع ثمانية أرطال. فكانت حجته أن قال: قال إبراهيم: وجدنا صاع عمر حجاجياً. قال: وقد عير المكيال على عهد

وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ[١]، ورددت

عمر فأراد رده فكأنه نسيه .. وصاع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه والمهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين قد رأينا عند أهل الثقة يتوارثونه لا يختلف فيه ويحمل على أطراف الأصابع. فهو كما وصفنا. فكيف جاز لأحد ـ وقلّ بيت إلا وهو فيه ـ أن يدخل علينا في علمه التوهم؟! ولأن جاز هذا أن يدخل ليجوزن أن يقول ليس ذو الحليفة حيث زعمتم، ولا الجحفة ولا قرن. وإن علم المكيال بالمدينة لأعم من بعض علم هذا. فرجع بعضهم وقال: ما ينبغي أن يدخل على أهل المدينة في علم هذا». معرفة السنن والآثار ج:٣ ص: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

وقال ابن حزم بعد ذكر الخلاف في الصاع: «إننا لم ننازعهم في صاع عمر رضي الله عنه ولا في قفيزه، إنما نازعناهم في صاع النبي ﷺ. ولسنا ندفع أن يكون لعمر صاع وقفيز ومد رتبه لأهل العراق لنفقاتهم وأرزاقهم، كما بمصر الويبة والأردب، وبالشأم المدى. وكما كان لمروان بالمدينة مد اخترعه، ولهشام بن إسماعيل مد اخترعه، ولا حجة في شيء من ذلك... ولو كان صاع عمر بن الخطاب هو صاع النبي ﷺ لما نسب إلى عمر أصلاً دون ان ينسب إلى أبي بكر، ولا إلى أبي بكر أيضاً دون ان يضاف إلى رسول الله ﷺ. فصح بلا شك أن مدّ هشام إنما رتبه هشام، وأن صاع عمر إنما رتبه عمر. وهذا إن صح أنه كان هنالك صاع يقال له: (صاع عمر) فان صاع رسول الله ﷺ ومده منسوبان إليه لا إلى غيره، باقيان بحسبهما.

وأما حقيقة الصاع الحجاجي الذي عولوا عليه فإننا روينا من طريق إسماعيل بن إسحاق عن مسدد عن المعتمر بن سليمان عن الحجاج بن أرطاة قال حدثني من سمع الحجاج بن يوسف يقول: صاعي هذا صاع عمر أعطتنيه عجوز بالمدينة .. وهذا أصل صاع الحجاج، فلا كثر ولا طيب، ولا بورك في الحجاج ولا في صاعه». المحلى ج:٥ ص:٢٤٣.

وحديث الجمهور عن الصاع كثير أثبتنا منه ما يناسب كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) روى ابن خزيمة عن الحارث بن بلال عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ أخذ من معادن القبيلة الصدقة، وأنه أقطع بلال بن الحارث العقيق أجمع. فلما كان عمر قال لبلال: إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحجزه عن الناس، لم يقطعك إلا لتعمل. قال: فقطع عمر بن الخطاب للناس العقيق». صحيح ابن خزيمة ج:٤ ص:٤٤ كتاب الزكاة: باب ذكر أخذ الصدق من المعادن. ومثله في السنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:١٥٢ كتاب الزكاة: باب زكاة المعدن ومن قال المعدن ليس بركاز، ج:٦ ص:١٤٩ كتاب إحياء الموات: باب من أقطع قطيعة أو تحجر أرضاً ثم لم يعمرها أو لم يعمر بعضها، والمستدرك على الصحيحين ج:١ ص:٤٠٤ كتاب الزكاة.

دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد[1]، ورددت قضايا من الجور قضي

وروي عن عبد الله بن أبي بكر قال: «جاء بلال بن الحارث المزني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستقطعه أرضاً. فقطعها له طويلة عريضة. فلما ولي عمر قال له: يا بلال انك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرضاً طويلة عريضة. قطعها لك. وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليمنع شيئاً يسأله. وإنك لا تطيق ما في يديك. فقال: أجل. قال: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق فادفعه إلينا، نقسمه بين المسلمين. فقال: لا افعل والله شيء أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عمر: والله لتفعلن. فأخذ منه ما عجز عن عمرته، فقسمه بين المسلمين». السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:١٤٩ كتاب إحياء الموات: باب من أقطع قطيعة أو تحجر أرضاً ثم لم يعمرها أو لم يعمر بعضها، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:١٠ ص:٤٢٦ ـ٤٢٧ في ترجمة بلال بن الحارث. تاريخ المدينة ج:١ ص:١٥٠ ـ١٥١.

وروى ابن طاوس عن أبيه عن رجل من أهل المدينة قال: «قطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم العقيق رجلاً واحداً. فلما كان عمر رضي الله عنه كثر عليه، فأعطاه بعضه وقطع سائره الناس». السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:١٤٩ كتاب إحياء الموات: باب من أقطع قطيعة أو تحجر أرضاً ثم لم يعمرها أو لم يعمر بعضها.

(١) **روي في غير واحد من المصادر أن عمر بن الخطاب وسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أبى جماعة ممن كانت دورهم في ضمن التوسعة، فهدمت وأدخلت فيه على غير رضى منهم. وروي أن عثمان فعل ذلك أيضاً.**

فقد روى الفاكهي أن المسجد كان محاطاً بالدور على عهد النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر، فضاق على الناس، فوسعه عمر واشترى دوراً، فهدمها، وأعطى من أبى أن يبيع ثمن داره. فتح الباري ج:٧ ص:١١٢.

وقد شملت التوسعة دار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه التي خطها النبي صلى الله عليه وآله وهو بأرض الحبشة. راجع وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج:٢ ص:٧٦ الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي: الفصل الثاني عشر في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد.

وقد حدث نظير ذلك في المسجد الحرام فعن ابن جريج قال: «كان المسجد الحرام ليس عليه جدران محيطة، إنما كانت الدور محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبواباً يدخل منها الناس من كل نواحيه، فضاق على الناس، فاشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوراً فهدمها، وهدم على قرب من المسجد. وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنع من البيع،

بها[١]، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق، فرددتهن إلى أزواجهن، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأرحام[٢]، وسبيت ذراري بني تغلب[٣]، ورددت ما

فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد. ثم أحاط عليه جداراً قصيراً.

ثم كثر الناس في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه فوسع المسجد، فاشترى من قوم، وأبى آخرون أن يبيعوا، فهدم عليهم، فصيحوا به، فدعاهم فقال: إنما جرأكم عليّ حلمي عنكم. فقد فعل بكم عمر هذا، فلم يصح به أحد. فأحدثت على مثاله، فصحتم بي. ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد». تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ص:١٥١ الباب الأول: تاريخ مكة المشرفة: ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان رضي الله عنهما. ومثله في فتوح البلدان ج:١ ص:٥٣ مكة.

(١) راجع كتاب الغدير في الكتاب والسنة والأدب ج:٦ ص:١٥٧، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦، وغيرها.

(٢) **ربما يشير عليه السلام إلى السبي غير الشرعي الذي حدث في عهد الخلفاء أو ما شرعه عمر من إمضاء الطلاق الثلاث في مجلس واحد، ورد سبي العرب وغير ذلك مما يذكره الفقهاء.**

(٣) **بنو تغلب من نصارى العرب، قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب. فصالحهم رسول الله على أن يقرهم على دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم على النصرانية. وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.** الطبقات الكبرى ج:١ ص:٣١٦ وفد تغلب. البداية والنهاية ج:٥ ص:١٠٨ وفد بني تغلب. السيرة النبوية ج:٤ ص:١٧٨ وفد تغلب.

ولم يفوا بهذا الشرط، قال داود بن كردوس: «ليس لبني تغلب ذمة قد صبغوا دينهم». المحلى ج:٦ ص:١١٢ المسألة ٧٠١. السنن الكبرى للبيهقي ج:٩ ص:٢١٦ كتاب الجزية: باب نصارى العرب تضعف عليهم الصدقة.

وقد أبوا أن يدفعوا الجزية في زمن عمر، وقالوا: «نحن عرب ولا نؤدي ما تؤدي العجم، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض» يعنون الصدقة. فقال عمر: «لا. هذا فرض على المسلمين». فقالوا: «فزد ما شئت بهذا الاسم، لا باسم الجزية». ففعل. فتراضى هو وهم على أن ضعف عليهم الصدقة. السنن الكبرى للبيهقي ج:٩ ص:٢١٦ كتاب الجزية: باب نصارى العرب تضعف عليهم الصدقة، وكتاب الأم ج:٤ ص:٣٠٠.

وروى زياد بن حدير الأسدي قال: «قال علي رضي الله عنه: لئن بقيت لنصارى بني تغلب

قســـم من أرض خيبر[١]، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رســـول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسوية، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء[٢]،

لأقتلن المقاتلة، ولأســـبين الذرية. فاني كتبت الكتاب بين النبي صلى الله عليه وآله وبينهم على أن لا ينصروا أبناءهم». راجع السنن الكبرى للبيهقي ج:٩ ص:٢١٧ كتاب الجزية: باب نصارى العرب تضعف عليهم الصدقة، وسنن أبي داود ج:٢ ص:٤٢ كتاب الخراج والإمارة: باب في أخذ الجزية، وتهذيب الكمال ج:٩ ص:٤٥٠ في ترجمة زياد بن حدير الأسدي، وكنز العمال ج:٤ ص:٦١٤ ح:١١٧٧٣، وغيرها من المصادر.

وعن علي بن أبي طالب أنـــه قال: «لئن تفرغت لبني تغلب لأقتلن مقاتلتهم ولأســـبين ذراريهم، فقد نقضوا، وبرئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم». راجع المحلى ج:٦ ص:١١٢ المســـألة:٧٠١، واللفـــظ له. المغنـــي لابن قدامـــة ج:١٠ ص:٥٩١. كنز العـــمال ج:٤ ص:٥١٠ ح:١١٥٠٧. فتـــوح البلدان للبلاذري ج:١ ص:٢١٨ أمر نصارى بنـــي تغلب بن وائل. الأموال للقاسم بن سلام ص:٥٣٩ باب العشر على بني تغلب وتضعيف الصدقة عليهم.

(١) **قال ابن جريج: «أخبرني عامر بن عبد الله بن نسطاس عن خيبر، قال: فتحها رسول الله صلى الله عليه وآله وكانـــت جمعاً له حرثها ونخلها. قال: فلم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه رقيق. فصالح رســـول الله صلى الله عليه وآله يهوداً على أنكم تكفونا العمل، ولكم شـــطر التمر، على أني أقركم ما بدا لله ورسوله. فذلك حين بعث النبي صلى الله عليه وآله ابن رواحة يخرص بينهم. فلما خيرهم أخذت اليهود التمر.**

فلم تزل خيبر بأيـــدي اليهود على صلح النبي صلى الله عليه وآله حتى كان عمـــر، فأخرجهم. فقالت اليهود: أليـــس قد صالحنا النبـــي صلى الله عليه وآله على كذا وكذا؟! فقـــال: بل على أنـــه يقركم فيها ما بدا لله ورســـوله، فهذا حين بدا لي أن أخرجكم، فأخرجهم. ثم قســـمها بين المسلمين الذين افتتحوها مع النبي صلى الله عليه وآله، ولم يعط منها أحداً لم يحضر افتتاحها».

قال ابن جريـــج: «وأخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير عـــن مقاضاة النبي صلى الله عليه وآله يهود أهل خيـــبر على أن لنا نصف التمر ولكم نصفه، وتكفونا العمل». راجع المصنف لعبد الرزاق ج:٨ ص:١٠٢ـ١٠٣ كتاب البيوع: باب ضمن البذر إذا جاءت المشـــاركة. ومثله في مجمع الزوائد ج:٤ ص:١٢٣ كتاب البيوع: باب المزارعة.

(٢) **كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم بين المسلمين بالسواء، كما روي ذلك في قسمة الأنفال ببدر**. السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٤٨ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب التسوية بين الناس بالقسمة.

ولكن عمر فاضل في العطاء بين المســـلمين. فقد روى علي بـــن زيد عن أنس بن مالك

. . . . . .

وسعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب كتب المهاجرين على خمسة آلاف، والأنصار على أربعة آلاف، ومن لم يشهد بدراً من أولاد المهاجرين على أربعة آلاف. المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٦١٨ كتاب الجهاد: ما قالوا في الفروض وتدوين الدواوين، والسنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٥٠ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب التفضيل على السابقة والنسب.

وقد فرق في العطاء بين زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد روى أبو الحويرث أن عمر فرض لعائشة وحفصة عشرة آلاف، ولأم سلمة وأم حبيبة وميمونة وسودة ثمانية آلاف ثمانية آلاف، وفرض لجويرية وصفية ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لصفية بنت عبد المطلب نصف ما فرض لهن.

فأرسلت أم سلمة وصواحبها إلى عثمان بن عفان فقلن له: كلم عمر فينا، فإنه قد فضل علينا عائشة وحفصة، فجاء عثمان إلى عمر فقال: «إن أمهاتك يقلن لك: سو بيننا، لا تفضل بعضنا على بعض». فقال: «إن عشت إلى العام القابل زدتهن لقابل ألفين ألفين». فلما كان العام القابل جعل عائشة وحفصة في اثني عشر ألفاً اثني عشر ألفاً، وجعل أم سلمة وأم حبيبة في عشرة آلاف عشرة آلاف، وجعل صفية وجويرية في ثمانية آلاف ثمانية آلاف. المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٦١٧ كتاب الجهاد: ما قالوا في الفروض وتدوين الدواوين.

وقال ابن قدامة: «إن أبا بكر سوى بين الناس في العطاء وأعطى العبيد. وخالفه عمر ففاضل بين الناس». المغني لابن قدامة ج:١١ ص:٤٠٥.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه أمر عمار بن ياسر وعبيد الله بن أبي رافع وأبا الهيثم ابن تيهان أن يقسموا فيئاً بين المسلمين، وقال لهم: «اعدلوا فيه، ولا تفضلوا أحداً على أحد». فحسبوا، فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا الناس. فأقبل إليهم طلحة والزبير، ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير. فقال طلحة والزبير: «ليس هكذا كان يعطينا عمر. فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟» قالوا: «بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام».

فمضيا إليه فوجداه في بعض أمواله قائماً في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا: «ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟» قال: «نعم». فقالا له: «إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفيء، فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس». قال: «وما تريدان؟» قالا: «ليس كذلك كان يعطينا عمر». قال: «فما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيكما؟» فسكتا. فقال: «أليس كان صلى الله عليه وآله

وألقيت المساحة[١]، وسويت بين المناكح[٢]، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل فرضه[٣]،

يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة؟» قالا: «نعم». قال: «أفسنة رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالاتباع عندكما أم سنة عمر؟» قالا: «سنة رسول الله صلى الله عليه وآله». دعائم الإسلام ج:١ ص:٣٨٤.

(١) **والظاهر أن مراده عليه السلام الإشارة إلى جعل الخراج على الأرض نفسها بعد أن كان يؤخذ بالنسبة على ما تنتجه من الغلة، كما سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله في أرض خيبر. فقد ورد أن عمر جعل الخراج على الأرضين التي تغل من ذوات الحب والثمار والتي تصلح للغلة من العام والعامر وعطل منها المساكن والدور التي هي منازلهم**. تاريخ دمشق ج:٢ ص:٢١٢ في ترجمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب ذكر بعض ما ورد من الملاحم والفتن.

قال أبو عبيد: «وفي تأويل قول عمر أيضاً حين وضع الخراج ووظفه على أهله من العلم أنه جعله عاملاً عاماً على كل من لزمته المساحة وصارت الأرض في يده من رجل أو امرأة أو صبي أو مكاتب أو عبد، فصاروا متساويين فيها لم يستثن أحد دون أحد». تاريخ دمشق ج:٢ ص:٢١٢ في ترجمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب ذكر بعض ما ورد من الملاحم والفتن.

وعن أبي عون محمد بن عبيد الله الثقفي قال: «وضع عمر بن الخطاب على أهل السواد على كل جريب يبلغه الماء عامراً وغامراً درهماً وقفيزاً من طعام، وعلى البساتين على كل جريب عشرة دراهم، وعشرة أقفزة من طعام. وعلى الكروم على كل جريب أرض عشرة دراهم وعشرة أقفزة من طعام. وعلى الرطاب على كل جريب أرض خمسة دراهم وخمسة أقفزة طعام. ولم يضع على النخل شيئاً وجعله تبعاً للأرض. وعلى رؤوس الرجال على الغني ثمانية وأربعين درهماً، وعلى الوسط أربعة وعشرين درهماً، وعلى الفقير اثني عشرة درهماً». المصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:١٠٦ كتاب الزكاة: ما يؤخذ من الكروم والرطاب والنخل وما يوضع على الأرض.

(٢) **الظاهر أنه تعريض بما ورد عن عمر من أنه منع من تزويج ذوات الأحساب إلا من ذوي الحسب**. راجع المصنف لعبد الرزاق ج:٦ ص:١٥٢، ١٥٤ كتاب النكاح: باب الأكفاء، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٤٦٦ كتاب النكاح: ما قالوا في الأكفاء في النكاح، والجرح والتعديل ج:٢ ص:١٢٤ في ذكر إبراهيم بن محمد بن طلحة، والمغني لابن قدامه ج:٧ ص:٣٧٥. ونهى عن يتزوج العربي الأمة، المصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٤٦٦ كتاب النكاح: ما قالوا في الأكفاء في النكاح.

(٣) **روى جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى سهم ذوي القربى إلى بني هاشم وبني المطلب.**

. . . . . .

المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٦٩٩ كتاب الجهاد: سهم ذوي القربى لمن هو؟. السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٦٥ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية. فتح الباري ج:٦ ص:١٧٤.

وقد اختلف الحال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى جبير بن مطعم: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقسم لعبد شمس ولا لبنى نوفل من الخمس شيئاً كما كان يقسم لبني هاشم وبني المطلب وأن أبا بكر كان يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير أنه لم يكن يعطي قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم، وكان عمر رضي الله عنه يعطيهم وعثمان من بعده منه». مسند احمد ج:٤ ص:٨٣ حديث جبير بن مطعم (رضي الله تعالى عنه)، واللفظ له. سنن أبي داود ج:٢ ص:٢٦ كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى. السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٤٢ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب سهم ذوي القربى من الخمس. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٣٤١ كتاب الجهاد: باب قسم الغنيمة. وغيرها من المصادر الكثيرة.

وعن عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث عن الحسن في هذه الآية ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: «لم يعط أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخمس ولا عمر ولا غيرهما، فكانوا يرون أن ذلك إلى الإمام يضعه في سبيل الله وفي الفقراء حيث أراده الله». المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٧٠٠ كتاب الجهاد: سهم ذوي القربى لمن هو؟.

وعن سعيد المقبري قال: «كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربى فكتب إليه ابن عباس: إنا كنا نزعم أنا نحن هم فأبى ذلك علينا قومنا». المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٧٠٠ كتاب الجهاد: سهم ذوي القربى لمن هو؟، واللفظ له. مسند أحمد ج:١ ص:٢٤٨ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (رضي الله تعالى عنه). صحيح مسلم ج:٥ ص:١٩٨ كتاب الجهاد والسير: باب النساء الغازيات يرضخ لهن. السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٤٥ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب ما جاء في مصرف أربعة أخماس الفيء. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

وروى يزيد بن هرمز أن نجدة الحروري ـ حين حج في فتنة ابن الزبير ـ أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى، ويقول: لمن تراه؟ قال ابن عباس: «لقربي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقنا فرددناه عليه وأبينا أن نقبله». سنن أبي داود ج:٢ ص:٢٦ كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب في بيان

ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه[١]، وسددت ما فتح فيه من الأبواب وفتحت ما سدّ منه[٢]،

مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى، واللفظ له. السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٤٥ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب ما جاء في مصرف أربعة أخماس الفيء. مسند أبي يعلى ج:٥ ص:١٢٣.

وقال ابن عباس: «إن عمر بن الخطاب دعانا إلى أن تنكح منه أيمنا ونخدم منه عائلنا ونقضي منه عن غارمنا، فأبينا ذلك إلا أن يسلمه لنا جميعاً، فأبى أن يفعل، فتركناه عليه». المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٦٩٩ كتاب الجهاد: سهم ذوي القربى لمن هو؟، واللفظ له. مسند أبي يعلى ج:٤ ص:٤٢٤. شرح معاني الآثار ج:٣ ص:٣٠٣. وغيرها من المصادر.

وعن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد ابن الحنفية قال: «اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قائلون: سهم ذوي القربى لقرابة النبي صلى الله عليه وآله. وقال قائلون: لقرابة الخليفة. وقال قائلون: سهم النبي صلى الله عليه وآله للخليفة من بعده. فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما». السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٣٤٢ـ٣٤٣ كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب سهم ذوي القربى من الخمس، واللفظ له. المستدرك على الصحيحين ج:٢ ص:١٢٨ كتاب قسم الفيء. المصنف لعبد الرزاق ج:٥ ص:٢٣٨ كتاب الجهاد: باب ذكر الخمس وسهم ذي القربى. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) **فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله بنى مسجده مربعاً طوله وعرضه مائة ذراع، أو أقل من ذلك.** وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج:١ ص:٢٦٢ الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي: الفصل الثاني في ذرعه وحدوده التي يتميز بها عن سائر المسجد اليوم.

فزاد فيه عمر بن الخطاب فصار طوله أربعين ومائة ذراع وعرضه عشرين ومائة ذراع. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج:٢ ص:٧٥ـ٧٦ الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي: الفصل الثاني عشر في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد.

ثم زاد عثمان فيه أيضاً فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج:٢ ص:٨٥ الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي: الفصل الرابع عشر في زيادة عثمان رضي الله عنه.

(٢) **كان لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده ثلاثة أبواب.** وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي ج:١ ص:٢٥٩ الفصل الأول في أخذه صلى الله عليه وآله لموضع

وحرمت المسح على الخفين[١]،

مسجده الشريف وكيفية بنائه، ج:٢ ص:٢١٢ الفصل الثاني والثلاثون في أبواب المسجد وما سد منها وما بقي وما يحاذيها من الدور قديماً وحديثاً: أبواب المسجد.

فقد أحدث عمر بن الخطاب فيه باباً رابعاً فيه سُمي بباب النساء. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج:٢ ص:٧٨ الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي: الفصل الثاني عشر في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد.

كما روي أنه فتح باباً عند دار مروان بن الحكم، وبابين في مؤخر المسجد. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج:٢ الباب الرابع في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي ص:٧٧ الفصل الثاني عشر في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد، ص:٢١٢ الفصل الثاني والثلاثون في أبواب المسجد وما سد منها وما بقي وما يحاذيها من الدور قديماً وحديثاً: أبواب المسجد.

(١) **روي جواز المسح على الخفين عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وابن عمر وأبو أيوب، بل نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. ولكن الثابت عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا يجوز ذلك.**

ففي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «جمع عمر بن الخطاب أصحاب النبي عليه السلام وفيهم علي عليه السلام، وقال: ما تقولون في المسح على الخفين؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال: رأيت يا رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح على الخفين. فقال علي عليه السلام: قبل المائدة أو بعدها؟ فقال: لا أدري. فقال علي عليه السلام: سبق الكتاب الخفين. إنما أنزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة». تهذيب الأحكام ج:١ ص:٣٦١.

وعن ابن عباس قال: «إنا عند عمر رضي الله عنه حين سأله سعد وابن عمر عن المسح على الخفين، فقضى عمر لسعد. فقال ابن عباس: فقلت: يا سعد قد علمنا أن النبي صلى الله عليه وآله مسح على خفيه، ولكن أقبل المائدة أم بعدها؟ قال: لا يخبرك أحد أن النبي صلى الله عليه وآله مسح عليهما بعد ما أنزلت المائدة. فسكت عمر رضي الله عنه». مسند أحمد ج:١ ص:٣٦٦ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، واللفظ له. السنن الكبرى للبيهقي ج:١ ص:٢٧٣ كتاب الطهارة: باب الرخصة في المسح على الخفين.

ولكن عمر مع ذلك تمسك به وكتب به، فقد روي عن يزيد بن وهب أنه قال: «كتب إلينا عمر بن الخطاب في المسح على الخفين ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم». شرح معاني الآثار ج:١ ص:٨٤ كتاب الطهارة: باب المسح على الخفين كم وقته للمقيم والمسافر،

وحددت على النبيذ[١]،

واللفظ له. المصنف لابن أبي شيبة ج:١ ص:٢٠٦ كتاب الطهارات: في المسح على الخفين. كنز العمال ج:٩ ص:٦٠٠ ح:٢٧٥٨٥.

روى رقية بن مقصلة قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام فسألته عن أشياء... فقلت له: ما تقول في المسح على الخفين؟ فقال: كان عمر يراه ثلاثاً للمسافر ويوماً وليلة للمقيم، وكان أبي لا يراه لا في سفر ولا حضر. فلما خرجت من عنده فقمت على عتبة الباب، فقال لي: أقبل فأقبلت عليه. فقال: إن القوم كانوا يقولون برأيهم، فيخطئون ويصيبون، وكان أبي لا يقول برأيه». وسائل الشيعة ج:١ ص:٣٢٣.

وعن زاذان قال: «قال علي بن أبي طالب لأبي مسعود: أنت فقيه! أنت المحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله مسح على الخفين؟ قال: أوليس كذلك؟ قال: أقبل المائدة أو بعدها؟ قال: لا أدري. قال: لا دريت. إنه من كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». كنز العمال ج:٩ ص:٦٠٧ح:٢٧٦١٤، واللفظ له. ضعفاء العقيلي ج:٢ ص:٨٦ في ترجمة زكريا بن يحيى الكسائي. ميزان الاعتدال ج:٢ ص:٧٦ في ترجمة زكريا بن يحيى الكسائي الكوفي. لسان الميزان ج:٢ ص:٤٨٤ في ترجمة زكريا بن يحيى الكسائي.

(١) **وقد أحل عمر بن الخطاب النبيذ، فقد ورد عن عمرو بن ميمون قال: «قال عمر رضي الله عنه: إنا لنشرب من النبيذ نبيذاً يقطع لحوم الإبل في بطوننا من أن تؤذينا»**. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:٢٩٩ كتاب الأشربة: باب ما جاء في وصف نبيذهم الذي كانوا يشربونه.

بل ورد عن نافع بن عبد الحارث أنه قال: قال عمر: «اشربوا هذا النبيذ في هذه الأسقية، فإنه يقيم الصلب، ويهضم ما في البطن، وإنه لن يغلبكم ما وجدتم الماء». المصنف لابن أبي شيبة ج:٥ ص:٥٢٦ كتاب الأشربة: من كان يقول إذا اشتد عليك فاكسره بالماء، واللفظ له. كنز العمال ج:٥ ص:٥٢٢ ح:١٣٧٩٥.

وعن ابن عون قال: «أتى عمر قوماً من ثقيف قد حضر طعامهم. فقال: كلوا الثريد قبل اللحم، فإنه يسد مكان الخلل، وإذا اشتد نبيذكم فاكسروه بالماء، ولا تسقوه الأعراب». المصنف لابن أبي شيبة ج:٥ ص:٥٢٦ كتاب الأشربة: من كان يقول إذا اشتد عليك فاكسره بالماء. ومراده من ذلك منع إسكاره بخلطه بالماء.

ومن الطريف ما رواه الشعبي عن سعيد وعلقمة: أن أعرابياً شرب من شراب عمر، فجلده عمر الحد. فقال الأعرابي: «إنما شربت من شرابك!» فدعا عمر شرابه فكسره بالماء،

وأمرت بإحلال المتعتين[1]،

ثـــم شرب منه وقال: «من رابه من شرابه شيء فليكسره بالماء». أحكام القرآن للجصاص ج:٢ ص:٥٨١.

وجاء رجل قد ظمئ إلى خازن عمر، فاستســقاه فلم يسقه، فأتي بسطيحة لعمر، فشرب منها، فســكر. فأتي به عمر، فاعتذر إليه، وقال: إنما شربت من ســطيحتك. فقال عمر: إنما أضربك على الســكر. فضربه عمر. شرح معاني الآثار ج:٤ ص:٢١٨، واللفظ له. المحلى ج:٧ ص:٤٨٦. فتح الباري ج:١٠ ص:٣٤.

وعن ســعيد بن ذي لعوة قال: «أتي عمر برجل ســكران، فجلده. فقال: إنما شربت من شرابك. فقال: وإن كان». شرح معاني الآثار ج:٤ ص:٢١٨.

وقد ورد تحريمه في روايات الجمهور عن رسول الله. فقد روى ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الحنتمة». قيل: «وما الحنتمة؟» قال: «الجرة». يعني النبيذ. مسند احمد ج:٢ ص:٢٧ مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وقال عبد الله بن إدريس الكوفي: «قلت لأهل الكوفة: يا أهل الكوفة، إنما حديثكم الذي تحدثونه في الرخصة في النبيذ عن العميان والعوران والعمشان. أين أنتم عن أبناء المهاجرين والأنصار؟!». السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:٣٠٦ كتاب الأشربة: باب ما جاء في الكسر بالماء.

(١) **وقد تواتر منع عمر عن المتعتين: متعة الحج ومتعة النســاء. فقد قال في خطبة له: «إن رسول الله هذا الرسول. وإن هذا القرآن هذا القرآن. وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله ﷺ، وأنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما. إحداهما متعة النســاء. ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيبته بالحجارة. والأخرى متعــة الحج، افصلوا حجكم من عمرتكم .فإنه أتم لحجكم، وأتم لعمرتكم»**. السنن الكبرى للبيهقي ج:٧ ص:٢٠٦ كتاب النكاح: باب نكاح المتعة، واللفظ له. مســند أحمد ج:١ ص:٥٢ مســند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. معرفة السنن والآثار ج:٥ ص:٣٤٥. شرح معاني الآثار ج:٢ ص:١٤٦ كتاب مناســك الحج: باب الإحرام النبــوي بالحج أو العمرة، وغيرها من المصادر الكثيرة.

وقال جابر بن عبد الله: «تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله، فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله، وابتوا نكاح هذه النســاء. فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة». صحيح مســلم ج:٤ ص:٣٨ كتاب الحج: بــاب في المتعة بالحج والعمرة، واللفظ له. أحــكام القرآن للجصاص ج:٢

وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات[1]،

ص:١٩٣. تاريخ المدينة ج:٢ ص:٧٢٠. وغيرها من المصادر.

وسأل رجل شامي عبد الله بن عمر عن متعة الحج، فقال: «هي حلال». فقال له الشامي: «إن أباك قد نهى عنها». فقال: «أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أمر أبي يتبع أم أمر رسول الله ﷺ؟» فقال الرجل: «بل أمر رسول الله ﷺ». فقال: «لقد صنعها رسول الله ﷺ». سنن الترمذي ج:٢ ص:١٥٩ أبواب الحج: باب ما جاء في التمتع، واللفظ له. وقال بعد ذكر الحديث: هذا حديث حسن صحيح. مسند أبي يعلى ج:٩ ص:٣٤٢. تفسير القرطبي ج:٢ ص:٣٨٨. وغيرها من المصادر.

(١) **فقد روي عن رسول الله ﷺ أن التكبير على الجنازة خمساً.**

قال عبد الأعلى: «صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة، فكبر خمساً. فقام إليه أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى فأخذ بيده فقال: نسيت؟ قال: لا. ولكن صليت خلف أبي القاسم خليلي ﷺ، فكبر خمساً. فلا أتركها أبداً». مسند أحمد ج:٤ ص:٣٧٠ حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، واللفظ له. شرح معاني الآثار ج:١ ص:٤٩٤ كتاب الصلاة: باب التكبير على الجنائز كم هو. المعجم الأوسط ج:٢ ص:٢٢٨. وغيرها من المصادر.

وعن عبد العزيز بن حكيم قال: «صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة، فكبر خمساً، ثم التفت فقال: هكذا كبر رسول الله ﷺ أو نبيكم ﷺ». مسند أحمد ج:٤ ص:٣٧١ حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وحدث أيوب بن سعيد بن حمزة قال: «صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمساً ثم قال: صليت خلف رسول الله ﷺ على جنازة فكبر خمساً فلن ندعها لأحد». سنن الدارقطني ج:٢ ص:٦٠ كتاب الجنائز: باب التسليم في الجنازة واحد والتكبير أربعاً وخمساً وقراءة الفاتحة.

وقال يحيى بن عبد الله التيمي: «صليت خلف عيسى مولى لحذيفة في المدائن على جنازة فكبر خمساً، ثم التفت إلينا فقال: ما وهمت ولا نسيت، ولكن كبرت كما كبر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان، صلى على جنازة وكبر خمساً، ثم التفت إلينا فقال: ما نسيت ولا وهمت، ولكن كبرت كما كبر رسول الله ﷺ صلى على جنازة فكبر خمساً». مسند أحمد ج:٥ ص:٤٠٦ حديث حذيفة بن اليمان، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:٣ ص:٣٤ كتاب الجنائز: باب التكبير على الجنازة. سنن الدارقطني ج:٢ ص:٦٠ كتاب الجنائز: باب التسليم في الجنازة واحد

وألزمت الناس الجهر ببســم الله الرحمن الرحيم[1]، وأخرجت من أدخل مع

والتكبير أربعاً وخمساً وقراءة الفاتحة. تاريخ بغداد ج:١١ ص:١٤٣ في ترجمة عيسى البزاز المدائني. وغيرها من المصادر.

فلما ولي عمر جعل التكبيرات أربعاً. الســنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:٣٧ كتاب الجنائز: باب ما يستدل به على أن أكثر الصحابة اجتمعوا على أربع ورأي بعضهم الزيادة منسوخة. المصنف لعبد الرزاق ج:٣ ص:٤٧٩ـ٤٨٠ كتاب الجنائز باب التكبير على الجنازة. المصنف لابن أبي شــيبة ج:٣ ص:١٨٦ كتاب الجنائز: من كان يكبر على الجنازة خمســاً. فتح الباري ج:٣ ص:١٦٢. عون المعبود ج:٨ ص:٣٤٣. وغيرها من المصادر.

(١) **روى الجمهور أن رســول الله صلى الله عليه وآله كان يجهر في الصلاة بـ(بســم الله الرحمن الرحيم)**. راجع الســنن الكبرى للبيهقــي ج:٢ ص:٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ كتــاب الصلاة: باب افتتــاح القراءة في الصلاة ببســم الله الرحمن الرحيم والجهر بها إذا جهر بالفاتحة، وســنن الدارقطني ج:١ ص:٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨ كتــاب الصلاة: باب وجوب قراءة بســم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختــلاف الروايات، ونصب الرايــة ص:٤٤٢، ٤٤٤، والدراية لابن حجر ج:١ ص:١٣١، وغيرها من المصادر الكثيرة.

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله لم يزل يجهر في الســورتين ببســم الله الرحمن الرحيم حتى قبض. راجع ســنن الدارقطني ج:١ ص:٣٠٣ كتاب الصلاة: باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيــم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات، وعمدة القارئ ج:٥ ص:٢٨٨، ونصب الراية ص:٤٦٩، ٤٨٦، والدراية لابن حجر ج:١ ص:١٣٤، ١٣٦، وغيرها من المصادر.

وقال أبو هريرة: «كان رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر في الصلاة ببســم الله الرحمن الرحيم، فترك الناس ذلك». الســنن الكبرى للبيهقي ج:٢ ص:٤٧ كتاب الصلاة: باب افتتاح القراءة في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها إذا جهر بالفاتحة.

وروي عن الأســود أنه قال: «صليت خلف عمر ســبعين صلاة فلم يجهر فيها ببسم الله الرحمــن الرحيم». راجع المصنف لابن أبي شــيبة ج:١ ص:٤٤٩ كتاب الصلاة: من كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ونيل الأوطار للشوكاني ج:٢ ص:٢١٧.

بل روى حميد: أن أبا بكر كان يفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين. المصنف لابن أبي شيبة ج:١ ص:٤٤٨ كتاب الصلاة: من كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

وروى أنس أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا يســتفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين.

رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدخله[١]، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة[٢]، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها[٣]، ورددت الوضوء، والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها

المصنف لابن أبي شيبة ج:١ ص:٤٤٧ كتاب الصلاة: من كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

(١) **قال الفيض: «وأخرجت من أدخل» لعل المراد به أبو بكر وعمر، حيث دفنا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله. «أخرجه» والمراد بإخراج الرسول إياهما سد بابهما عن المسجد. «وأدخلت من أخرج» لعل المراد به نفسه عليه السلام وبإخراجه سد بابه وبإدخاله فتحه.** الوافي ج:١٤ ص:١٦ أبواب الخطب والرسائل.

(٢) **فقد روي عن ابن عباس أنه قال: «كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة. فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم».** صحيح مسلم ج:٤ ص:١٨٣ـ١٨٤ كتاب الطلاق: باب طلاق الثلاث. المستدرك على الصحيحين ج:٢ ص:١٩٦ كتاب الطلاق. السنن الكبرى للبيهقي ج:٧ ص:٣٣٦ كتاب القسم والنشوز: باب من جعل الثلاث واحدة وما ورد في خلاف ذلك. المصنف لعبد الرزاق ج:٦ ص:٣٩٢ كتاب الطلاق: باب المطلق ثلاثاً. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

وقال أبو الصهباء لابن عباس: «أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟» فقال ابن عباس: «نعم». صحيح مسلم ج:٤ ص:١٨٤ كتاب الطلاق: باب طلاق الثلاث. السنن الكبرى للبيهقي ج:٧ ص:٣٣٦ كتاب القسم والنشوز: باب من جعل الثلاث واحدة وما ورد في خلاف ذلك. المصنف لعبد الرزاق ج:٦ ص:٣٩٢ كتاب الطلاق: باب المطلق ثلاثاً. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٣) **فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجعل الزكاة على الخيل، بل نهى عن ذلك.** راجع المصنف لعبد الرزاق ج:٤ ص:٣٣، ٣٤ كتاب الزكاة: باب الخيل. التمهيد لابن عبد البر ج:٤ ص:٢١٥.

مع أن عمر فرض الزكاة عليها، قال حي بن يعلى أنه سمع يعلى قال: «ابتاع عبد الرحمن بن أمية ـ أخو يعلى ـ من رجل فرساً أنثى بمائة قلوص، فبدا له، فندم البائع، فأتى عمر رضي الله عنه، فقال: إن يعلى وأخاه غصباني فرسي، فكتب عمر إلى يعلى بن أمية: أن الحق بي. فأتاه، فأخبره.

ومواضعها، ورددت أهـــل نجران إلى مواضعهم[1]، ورددت ســـبايا فارس

فقال: إن الخيل لتبلغ هذا عندكم؟! قال: ما علمت فرساً قبل هذه بلغ هذا. قال عمر: فنأخذ من كل أربعين شاة شاة ولا نأخذ من الخيل شيئاً، خذ من كل فرس ديناراً. قال: فضرب على الخيل ديناراً ديناراً». راجع الســـنن الكبرى للبيهقي ج:٤ ص:١١٩ـ١٢٠ كتاب الزكاة: باب من رأى في الخيل صدقة، واللفظ له، والمصنف لعبـــد الرزاق ج:٤ ص:٣٦ كتاب الزكاة: باب الخيل، والاستذكار لابن عبد البر ج:٣ ص:٢٣٨، والتمهيد لابن عبد البر ج:٤ ص:٢١٦، ونصب الراية ج:٢ ص:٤٢٢ـ٤٢٣، والمبسوط للسرخسي ج:٢ ص:١٨٨، وغيرها من المصادر الكثيرة.

كما فـــرض الزكاة على القطنية، وهي العدس والحمص وأشـــباههما. راجع المصنف لعبد الـــرزاق ج:٤ ص:١٢٠ كتـــاب الزكاة: باب الخـــضر، ج:٦ ص:٩٩ كتاب الجهـــاد: صدقة أهل الكتاب، والسنن الكبرى للبيهقي ج:٩ ص:٢١٠ كتاب الجزية: باب ما يؤخذ من الذمي إذا اتجر في غير بلده والحربي إذا دخل بلاد الإسلام بأمان، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٨٨ كتاب الزكاة: في نصارى بني تغلب ما يؤخذ منهم، ومعرفة السنن والآثار ج:٧ ص:١٣٣، والاستذكار لابن عبد البر ج:٣ ص:٢٣١، ٢٥١، والتمهيد لابن عبد البر ج:٢ ص:١٢٦، وغيرها من المصادر الكثيرة.

وفرضها أيضاً على عسل النحل. راجع المصنف لعبد الرزاق ج:٤ ص:٦٢ كتاب الزكاة: باب صدقة العسل، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٣٣ كتاب الزكاة: في العسل هل فيه زكاة أم لا؟.

وكذا على الزيتون. راجع المصنف لابن أبي شـــيبة ج:٣ ص:٣٣ كتاب الزكاة: في الزيتون فيه الزكاة أم لا؟.

وفرضها أيضاً على حلي النساء. راجع المصنف لابن أبي شيبة ج:٣ ص:٤٤ كتاب الزكاة: في الحلي، وتلخيص الحبير ج:٦ ص:١٩. كنز العمال ج:٦ ص:٥٤٢ ح:١٦٨٧٥.

(١) **روي أن النبـــي صلى الله عليه وآله صالح أهل نجران على أن لا يجليهم من أرضهم، وأخذ منهم الجزية من المال الواســـع**. سبل السلام ج:٤ ص:٦٣.، وكتب لهم بذلك كتاباً. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٦٤ كتاب المغازي: ما ذكروا في أهل نجران.

ولما ولي عمر أجلاهم من أرضهم. السنن الكبرى ج:٩ ص:٢٠٩ كتاب الجزية: باب ما جاء في تفســـير أرض الحجاز وجزيرة العرب. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٥٦٤ كتاب المغازي: ما ذكروا في أهل نجران. سبل السلام ج:٤ ص:٦٣. فتح الباري ج:٥ ص:٩.

وقد استنجد أهل نجران بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فجاؤوا إليه ومعهم قطعة أيدم [...كذا] فيه كتاب عليه خاتم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له: «ننشـــدك الله كتابك بيدك، وشـــفاعتك

وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله[١]، إذاً لتفرقوا عني.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غُيّرَت سنة عمر[٢]. ينهانا عن الصلاة في شهر

بلسانك، إلا ما رددتنا إلى نجران». فلم يفعل عليه السلام شيئاً. تفسير مقاتل بن سليمان ج:١ ص:٢١٢. ونحوه في المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٤٨٣ كتاب الفضائل: ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه. تاريخ دمشق ج:٤٤ ص:٣٦٤ في ترجمة عمر بن الخطاب. المغني لابن قدامة ج:١١ ص:٤٠٥. وقد كانت حادثة المباهلة المعروفة معهم.

(١) **لعله إشارة إلى منع عمر من سبي مشركي العرب.**

قال اليعقوبي: «وكان أول ما عمل به عمر أن رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم، وقال: إني كرهت أن يصير السبي سنة على العرب». تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٣٩ أيام عمر بن الخطاب.

وقال ابن الأثير: «لما ولي عمر بن الخطاب قال: إنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً، وقد وسع الله عز وجل وفتح الأعاجم، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام...». الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٣٨٢ أحداث سنة إحدى عشر من الهجرة: ذكر ردة حضرموت وكندة. ومثله في تاريخ الطبري ج:٢ ص:٥٤٩ أحداث سنة إحدى عشر من الهجرة: ذكر خبر حضرموت في ردتهم، وإمتاع الأسماع ج:١٤ ص:٢٥٠، وغيرهما من المصادر.

وقال الشعبي: «لما قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ليس على عربي ملك...». السنن الكبرى للبيهقي ج:٩ ص:٧٤ كتاب السير: باب من يجري عليه الرق، واللفظ له. المصنف لعبد الرزاق ج:٧ ص:٢٧٨ باب الأمة تغر الحرة بنفسها. المصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٥٨٠ كتاب الجهاد: ما قالوا في سبي الجاهلية والقرابة. كنز العمال ج:٦ ص:٥٤٥ ح:١٦٨٨٤، وغيرها من المصادر.

(٢) **فقد استفاضت النصوص بأن عمر شرّع الجماعة في نافلة شهر رمضان وهي المعروفة بالتراويح.** راجع صحيح البخاري ج:٢ ص:٢٥٢ كتاب الصوم: كتاب صلاة التراويح: باب فضل من قام رمضان، والسنن الكبرى للبيهقي ج:٢ ص:٤٩٣ كتاب الصلاة: باب قيام شهر رمضان، والمصنف لعبد الرزاق ج:٤ ص:٢٥٩ كتاب الصيام: باب قيام رمضان، وصحيح ابن خزيمة ج:٢ ص:١٥٥ كتاب الصلاة: باب في بيان وتره صلى الله عليه وآله في الليلة التي بات ابن عباس عنده، ومعرفة السنن والآثار ج:٢ ص:٣٠٤، ونصب الراية ج:٢ ص:١٧٤، وغيرها من المصادر الكثيرة.

رمضان تطوعاً. ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري...»[١].

ويبدو من هذا الحديث أنه (صلوات الله عليه) لم يكن يصحر بكل ما عنده، لعدم تقبل العامّة لبعضه، بسبب استحكام ولائهم للأولين، وحسن اعتقادهم بهم، نتيجة ما قاموا به من التعتيم الثقافي وغير ذلك مما تقدم الكلام فيه، بل يخص به الخاصّة من أهل بيته وشيعته.

وربما أجمل عليه السلام في حديثه حذراً من ردود الفعل التي يخشى أن تعيقه عن أداء وظيفته. ففي حديث سفيان: «عن فضيل بن الزبير قال: حدثني نقيع عن أبي كدينة الأزدي قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله عن قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ فيمن نزلت؟ قال: ما تريد؟ أتريد أن تغري بي الناس؟! قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكن أحب أن أعلم. قال: اجلس، فجلس. فقال: اكتب: عامراً. اكتب: معمراً. اكتب: عمراً. اكتب: عماراً. اكتب: معتمراً. في أحد الخمسة نزلت. قال سفيان: قلت لفضيل: أتراه عمر؟ قال: فمن هو غيره»[٢].

فإذا كان مثل هذا الأمر الذي ظهر بعد ذلك حتى رواه الجمهور[٣] لا يسع أمير المؤمنين عليه السلام الإصحار به في تلك الظروف الحرجة، فكيف يكون

---

(١) الكافي ج:٨ ص:٥٨ـ٦٣.

(٢) تقريب المعارف ص:٢٤٣.

(٣) صحيح البخاري ج:٦ ص:٤٦ كتاب تفسير القرآن: سورة الحجرات، ج:٨ ص:١٤٥ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب مايكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع لقوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾. مسند أحمد ج:٤ ص:٦ حديث عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما. سنن الترمذي ج:٥ ص:٦٣ أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله: سورة الحجرات. وغيرها من المصادر.

الحال في غيره مما هو أشد وأقسى؟

وربما أحرج فأفصح بما عنده متضايقاً من إحراج السائل له لحساسية الموضوع، فقد روى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان قدس سره بسنده عن أبي علي الهمداني، قال: «إن عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدثنا عن أمرك هذا أكان بعهد [من] رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما قبلناه عنك وسمعناه من فيك. إنا كنا نقول: لو رجعت إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول؟! أزعم أن القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلت ذلك، فعلى م نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حجة الوداع، فقال: أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه، وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلى م نتولاهم؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس مني بقميصي هذا، وقد كان من نبي الله إلي عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعاً لله وطاعة، وإن أول ما انتقصنا [ه] بعده إبطال حقنا في الخمس، فلما رق أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا، وقد كان لي على الناس حق لو ردوه إلي عفواً قبلته وقمت به وكان إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على الناس حق إلى أجل فإن عجلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخروه أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون، وإنما يعرف الهدى بقلة من يأخذه من الناس، فإذا سكت فاعفوني فإنه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم، فكفوا عني

ما كففت عنكم.

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين فأنت لعمرك كما قال الأول:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان»[1]

ولذا حاول (صلوات الله عليه) أن يختار جماعة من خاصة أصحابه يلقي إليهم تلك الحقائق ويحملهم إياها في مجالس له خاصّة معهم أشبه بمجالس التدريس، لتبقى مخزونة في صدورهم، ويبثوها في الناس في الوقت المناسب وعندما يجدون الأرضية الصالحة لتقبلها.

ففي صحيح صالح بن ميثم التمار رحمه الله قال: «وجدت في كتاب ميثم رضي الله عنه يقول: تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا: ليس من عبد امتحن الله قلبه بالإيمان إلا أصبح يجد مودتنا على قلبه، ولا أصبح عبد ممن سخط الله عليه إلا يجد بغضنا على قلبه، فأصبحنا نفرح بحب المؤمن لنا، ونعرف بغض المبغض لنا.

وأصبح محبنا مغتبطاً بحبنا برحمة من الله ينتظرها كل يوم، وأصبح مبغضنا يؤسس بنيانه على شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم. وكأن أبواب الرحمة قد فتحت لأصحاب الرحمة. فهنيئاً لأصحاب الرحمة رحمتهم، وتعساً لأهل النار مثواهم. إن عبداً لن يقصر في حبنا لخير جعله الله في قلبه.

ولن يحبنا من يحب مبغضنا، إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد و﴿**ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ يحب بهذا قوماً، ويحب بالآخر عدوهم،

---

(١) الأمالي ص: ٢٢٣، المجلس السادس والعشرون.

والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه.

نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصي الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله عليه السلام. والفئة الباغية حزب الشيطان.

فمن أحب أن يعلم حاله في حبنا فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حب من ألّب علينا فليعلم أن الله عدوه وجبرئيل وميكائيل، والله عدو الكافرين»[1].

ومن الظاهر أن مجالس التثقيف مساءً وفي بيت الإمام عليه السلام نفسه تختص بالخاصّة، ولا تكون مع العامّة. ولاسيما في تلك العصور.

وعن إبراهيم بن شيبة الأنصاري قال: «جلست عند الأصبغ بن نباتة، قال: ألا أقرئك ما أملاه علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فأخرج صحيفة فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى به محمد صلى الله عليه وآله أهل بيته وأمته. وأوصى أهل بيته بتقوى الله ولزوم طاعته، وأوصى أمته بلزوم أهل بيته. وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم صلى الله عليه وآله، وإن شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة. وإنهم لن يدخلوكم باب ضلالة، ولن يخرجوكم من باب هدى»[2].

ومن ثم عرف جماعة من ذوي المقام الرفيع بأنهم من خواص أصحابه الحاملين لتعاليمه وأسراره التي لا يسهل تقبلها على العامّة.

نعم يبدو أن أمير المؤمنين (صوات الله عليه) أعلن بالحقيقة. ولعله لإقامة الحجة على العامة لعلمه باقتراب أجله. فعن كتاب الرسائل للكليني أنه عليه السلام

---

(١) الأمالي للطوسي ص: ١٤٨ـ١٤٩.

(٢) ينابيع المودة ج:٢ ص:٣٦٥، واللفظ له. نظم درر السمطين ص: ٢٤٠. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ج:٢ ص:١٦٦.

بعد النهروان سئل عمن قبله من الولاة فأخرج للناس كتاباً طويلاً تضمن التصريح بحقه في الخلافة وشرح فيه كيف سارت الأمور بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وكيف غلب على حقه، وأمر أن يقرأ الكتاب كل يوم جمعة على الناس بمحضر جماعة من خواصه وأهل ثقته. ولا يسعنا ذكره، فليرجع إليه من أراد الاطلاع عليه[1]. ومن الطبيعي أن ينتهي الإعلان به بعد وفاته عليه السلام واستيلاء معاوية على السلطة، ويبقى مكتوماً عند الخاصة. وإن تضمنت بعض المصادر فقرات قليلة متفرقة منه، أو مشابهة لمضمونه.

ومن الطريف ما رواه البلاذري. قال: «وأما حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني وعبد الله بن وهب الهمداني ـ وهو ابن سبأ ـ [فإنهم أتوا علياً] عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فقال: أو قد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت، وكتب كتاباً يقرأ كل أيام، فلم ينتفع بذلك الكتاب وكان عند عبد الله بن سبأ منه نسخة حرفها»[2].

ومن الظاهر أن هذا الكتاب لو كان قد تضمن الثناء على الشيخين كما هو مقصود البلاذري لكان موافقاً لسياسة السلطة التي خلفت أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن هناك داعٍ لاختفائه ولا مجال لتحريفه بعد أن كان يقرأ على الناس كل يوم، ولتيسر حفظ نسخته الحقيقية.

وعلى كل حال فباختفاء الكتاب المذكور بسبب مباينته لثقافة السلطة التي قامت بعد أمير المؤمنين عليه السلام ظهر أهمية الخاصة الذين أشرنا إليهم.

---

(١) بحار الأنوار ج:٣٠ ص:٧ـ٢٦.

(٢) أنساب الأشراف ج:٣ ص:١٥٥.

وكيف كان فقد بقي ولاء الأولين حاجزاً للكثيرين عن تقبل ما أوضحه (صلوات الله عليه) من حق أهل البيت عليهم السلام[١]. بل سبباً للتشنيع والتشهير بشيعتهم، ومبرراً لانتهاك حرماتهم في دمائهم وأموالهم وكرامتهم. إلا أن إيمان الشيعة بقضيتهم كان أقوى من أن يقف ذلك في طريقه.

جهود الشيعة في نشر الحق

فمنهم من أصحر بالحقيقة، وتحمل في سبيل ذلك ما تحمل من تشنيع

---

(١) **وربما صار ذلك عقدة بينه عليه السلام وبين بعض من كان في طاعته، بحيث كانوا في أزمة نفسية انفجرت في التحكيم، لتتشبث به كمبرر لتكفيره (صلوات الله عليه) والخروج عليه، وظهور فرقة الخوارج. كما يناسب ذلك..**

أولاً: ضعف شبهتهم وظهور وهنها، لولا العقد التي تتحقق بها الأرضية الصالحة للتشبث بالشبه الضعيفة.

وثانياً: تقديسهم الشديد لأبي بكر وعمر، وعدم محاولتهم النظر في سلبياتهما. ولاسيما مع ما ورد من عناية عمر ببعضهم، كعبد الرحمن بن ملجم، حيث كتب لعامله على مصر عمرو بن العاص أن قرّب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه فوسع له. راجع لسان الميزان ج:٣ ص:٤٤٠ في ترجمة عبد الرحمن بن ملجم المرادي، والأنساب للسمعاني ج:١ ص:٤٥١ في التدؤلي، وتاريخ الإسلام ج:٣ ص:٦٥٣ في أحداث سنة أربعين من الهجرة، والوافي بالوفيات ج:١٨ ص:١٧٢ في ترجمة عبد الرحمن بن ملجم، وغيرها من المصادر.

وثالثاً: تميزهم بقراءة القرآن المجيد وتشبثهم بظواهر بعض آياته الكريمة، من دون تعريج على السنة النبوية الشريفة، التي كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يركز عليها في إثبات حقه وحق أهل البيت عليهم السلام، وفي توجيه كثير من مواقفه.

حيث قد يوحي ذلك بعدم ألفتهم التعريج على السنة في الخروج عن ظواهر القرآن البدوية والجمع بينها، تأثراً بمواقف الأولين من السنة، وتركيزهم على القرآن وحده، حتى اشتهر عنهم قولهم: «حسبنا كتاب الله».

نعم لا يزيد ذلك على الاحتمال أو الظن، ويحتاج لمزيد من الفحص والتأمل قد يتيسر للباحثين، من أجل التعرف على التراكمات التي انفجرت لتتجسد في هذه الدعوة.

وتهريـــج وتكذيب. بل كثيراً مـــا يصل الأمر لانتهاك حرمـــة العرض والمال والدم، مثل حجر بن عدي وأصحابه وميثم التمار وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم ممن سجل التاريخ مواقفهم ومواقف خصومهم معهم، وغيرهم ممن أهمل التاريخ أمرهم أو لم يركز عليهم، وهم كثير.

ومنهم مـــن لم يصحر بالحقيقة، ولكن حـــاول نشرها بوجه غير ملفت للنظر، حيث اســـتطاع فـــرض احترامه على الجمهور بتدينـــه وصدق حديثه وأمانته، ثم بمجاراة الجمهور وعدم إعلان ما يستفزهم من أحاديث وعقائد.

واقتـــصر في بيان الحقيقة ونشرها تدريجاً وسراً على من يتقبلها، بنحو لا يســـتفز الخط الآخر، ولا يتعرض لرد الفعل مـــن جهته، حتى انتشر كثير من الأحاديـــث الدالة على رفعة مقام أهل البيـــت (صلوات الله عليهم)، وثبوت حقهم، وجريمة خصومهم وعدوانهـــم، بنحو تقوم به الحجة ويرتفع به عذر الجهل والغفلة.

ومـــن الطريف ما ذكروه في ترجمة أبي الأزهـــر أحمد بن الأزهر العبدي النيسابوري. قال الذهبي: «وهو ثقة بلا تردد. غاية ما نقموا عليه ذاك الحديث في فضل علي رضي الله عنه. ولا ذنب له فيه... وقـــال ابن عدي: أبو الأزهر هذا كتب الحديث فأكثر، ومن أكثر لابد من أن يقع في حديثه الواحد والاثنان والعشرة مما ينكر... .

قال الحاكم: حدثنا أبو علي محمد بن علي بن عمر المذكر: حدثنا أحمد بن الأزهر: حدثنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، قال: نظر رســـول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب فقال: أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة. حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك

عدوي وعدوي عدو الله. فالويل لمن أبغضك بعدي.

قال الحاكم: حدث به ببغداد فأنكره من أنكره حتى تبين للجماعة أن أبا الأزهر بريء الساحة منه، فإن محله محل الصادقين. وقد توبع عليه عن عبد الرزاق، فحدثني عبد الله بن سعد: حدثنا محمد بن حمدون: حدثنا محمد بن علي بن سفيان النجار: حدثنا عبد الرزاق. فذكره.

وسمعت أبا علي الحافظ سمعت أحمد بن يحيى بن زهير يقول: لما حدث أبو الأزهر بحديثه عن عبد الرزاق في الفضائل أخبر يحيى بن معين بذلك، فبينما هو عند يحيى في جماعة أهل الحديث إذ قال يحيى: من هذا الكذاب النيسابوري الذي حدث بهذا عن عبد الرزاق؟! فقام أبو الأزهر فقال: هو ذا أنا. فتبسم يحيى بن معين وقال: أما إنك لست بكذاب. وتعجب من سلامته، وقال: الذنب لغيرك فيه».

قال الذهبي: «سمعت أبا أحمد الحافظ يقول: سمعت أبا أحمد ابن الشرقي وسئل عن حديث ابن الأزهر عن عبد الرزاق في فضل علي، فقال: هذا حديث باطل. ثم قال: والسبب فيه أن معمراً كان له ابن أخ رافضي، وكان معمراً يمكنه من كتبه، فأدخل هذا عليه. وكان معمر رجلاً مهيباً لا يقدر عليه أحد في السؤال والمراجعة، فسمعه عبد الرزاق في كتاب ابن أخي معمر. قلت: ولتشيع عبد الرزاق سرّ بالحديث وكتبه... ولكنه ما جسر أن يحدث به لمثل أحمد بن معين وعلي، بل ولا خرّجه في تصانيفه، وحدث به وهو خائف يترقب.

قال الحاكم: سمعت أحمد بن حامد البزاز: سمعت مكي بن عبدان: سمعت أبا الأزهر يقول: خرج عبد الرزاق إلى قريته، فبكّرت إليه يوماً حتى

خشيت على نفسي من البكور. قال: فوصلت إليه قبل أن يخرج لصلاة الصبح، فلما خـــرج رآني. فقال: كنـــت البارحة ههنا؟ قلـــت: لا، ولكني خرجت في الليل، فأعجبه ذلك. فلما فرغ من صلاة الصبح دعاني وقرأ عليّ هذا الحديث، وخصني به دون أصحابي.

وقـــال أبو محمد بن الشرقي: حدثنا أبو الأزهـــر. قال: كان عبد الرزاق يخرج إلى قرية. فذهبت خلفه فرآني اشـــتد، فقال: تعـــال، فأركبني خلفه على البغل. ثم قال لي: ألا أحدثك بحديث غريب؟ قلت: بلى، فحدثني بالحديث. فذكره. قال: فلما رجعت إلى بغداد أنكر عليّ يحيى بن معين وهؤلاء. فحلفت أني لا أحدث به حتى أتصدق بدرهم[١].

وهذا نموذج يكشف عن محنة الشيعة في تلك العصور. وإذا كان الموقف هكذا في مثل هذا الحديث الذي لا يتضمن طعناً صريحاً في الأولين، ومن مثل عبد الرزاق الصنعاني الذي فرض احترامه على الجمهور. فكيف يكون الحال في غيرهما؟![٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:١٢ ص:٣٦٤-٣٦٨. وذكر بعض ما تقدم في تاريخ بغداد ج:٤ ص:٤٢، وفي تهذيب الكمال ص:٢٦٠.

(٢) **من الجدير بالذكر أن عبد الرزاق الصنعاني شـــيعي إمامي يكتم إيمانه. قال النجاشي في ترجمة محمد بن أبي بكر همام بن ســـهيل الكاتب: «شيخ أصحابنا ومتقدمهم. له منزلة عظيمة كثير الحديث. قـــال أو محمد هارون بن موســـى رحمه الله: حدثنا محمد بن همام قـــال: حدثنا محمد بن مابنداذ. قال: أســـلم أبي أول من أســـلم من أهله وخرج عن دين المجوســـية، وهداه الله إلى الحـــق. فكان يدعو أخاه ســـهيلاً إلى مذهبه. فيقول له: يا أخي أعلـــم أنك لا تألوني نصحاً، ولكن الناس مختلفون، فكل يدعي أن الحق فيه، ولست أختار أن أدخل في شيء إلا على يقين.**

فمضت لذلك مدة. وحج ســـهيل فلما صدر من الحج قـــال لأخيه: الذي كنت تدعوني إليه هو الحق. قال: وكيف علمت ذاك؟ قال: لقيت في حجي عبد الرزاق بن همام الصنعاني.

وبالجملة: كانت نتيجة جهود أمير المؤمنين عليه السلام وخاصة أصحابه ظهور دعوة التشيع لأهل البيت (صلوات الله عليهم) المبتنية على أن الإمامة والخلافة حق يختص بهم. تبعاً للنص عليهم من الله عز وجل ورسوله الأمين صلى الله عليه وآله. وهي تعتمد على الاستدلال والبرهان.

وذلك في مقابل ما كان عليه الجمهور من عدم اختصاص الإمامة والخلافة بأهل البيت (صلوات الله عليهم). وهو مدعوم باحترام الأولين احتراماً قد يبلغ حدّ التقديس، بحيث يكون ديناً يتدين به، نتيجة العوامل التي سبق ويأتي إن شاء الله تعالى التعرض لها.

إيضاحه عليه السلام لأحكام حرب أهل القبلة

الأمر الرابع من ثمرات استلامه عليه السلام للسلطة: أن مقتل عثمان كان مفتاحاً للصراع الدموي على السلطة في الإسلام، ولظهور الانقسام في الأمة وظهور الفرق فيها.

وقد تنبأ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بذلك في أحداث الشورى، نتيجة لما عنده من مكنون العلم. فقد روي عنه عليه السلام أنه قال لجماعة الشورى بعد أن ذكر حق أهل البيت (صلوات الله عليهم):

وما رأيت أحداً مثله. فقلت له على خلوة: نحن قوم من أولاد الأعاجم، وعهدنا في الإسلام قريب. وأرى أهله مختلفين في مذاهبهم. وقد جعلك الله من العلم بما لا نظير لك فيه في عصرك ولا مثل. وأريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله عز وجل. فإن رأيت أن تبين لي ما ترضاه لنفسك من دين، لأتبعك فيه وأقلدك. فأظهر لي محبة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمهم والبراءة من عدوهم، والقول بإمامتهم. رجال النجاشي ص:٣٧٩ رقم الترجمة:١٠٣٢.

وهكذا كانت محنة أهل الحق. فجزى الله تعالى هذا الرجل وأمثاله خير الجزاء عن الحق وأهله. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

«اسمعوا كلامي وعوا منطقي. عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف، وتخان فيه العهود، حتى لا يكون لكم جماعة، وحتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة»[١].

وقد سبق أنه عليه السلام قال لعثمان: «وإني أنشدك الله أن لا تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة...»[٢].

ومن الظاهر أن المسلمين لا عهد لهم بهذه الحروب ولا يعرفون أحكامها، وإنما يعهدون حرب الكفار من المشركين وأهل الكتاب. فتتحكم فيها اجتهادات السلطة ونزواتها من دون تحديد للحق والباطل، والعدل والجور.

وفي الحقيقة قد سبقت الحرب للمسلمين من أجل السلطة قبل ذلك عند ارتحال النبي صلى الله عليه وآله للرفيق الأعلى. فإن بعض الحروب التي أطلق عليها حروب الردة لم تكن في الحقيقة حروب ردة، بل كانت من أجل تثبيت سلطة أبي بكر، على ما ذكرناه في جواب السؤال الرابع من الجزء الثاني من كتابنا (**في رحاب العقيدة**).

إلا أن السلطة قد حاولت تشويه موقف المعارضة بإطلاق حروب الردة عليها. كما أنها تخبطت في التعامل مع المعارضة عن عمد أو جهل، كما أشرنا لشيء من ذلك في المبحث الأول عند عرض نماذج من الانحراف في العهد

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٩٥، واللفظ له. نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٣. تاريخ الطبري ج:٣ ص:٣٠٠ أحداث سنة ثلاث وعشرين من الهجرة: قصة الشورى. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٧٤ أحداث سنة ثلاث وعشرين من الهجرة: ذكر قصة الشورى.

(٢) نهج البلاغة ج:٢ ص:٦٩، وتقدمت بقية مصادره عند التعرض لمقتل عثمان.

الأموي. ومن ثم لم يعرف المسلمون شيئاً عن التعامل الإسلامي الحق في حرب أهل القبلة.

سيرته عليه السلام في حروبه صارت سنّة للمسلمين

فكانت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وتوليه السلطة ومباشرته لتلك الحروب التي ترتبت على بيعته سبباً في وضوح أحكامها. وصارت سيرته عليه السلام فيها علماً للمسلمين.

حتى قال أبو حنيفة: «ما قاتل أحد علياً إلا وعلي أولى بالحق منه. ولولا ما سار علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين»[١]. وسئل عن يوم الجمل. فقال: «سار علي فيه بالعدل، وهو علّم المسلمين السنّة في قتال أهل البغي»[٢].

وقال تلميذه محمد بن الحسن: «لو لم يقاتل معاوية علياً ظالماً له متعدياً باغياً كنا لا نهتدي لقتال أهل البغي»[٣].

وقال الشافعي: «لولا علي لما عُرف شيء من أحكام أهل البغي»[٤].

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ج:١ ص:٢٩١ باب في ذكر صفين...: الفصل الثاني في بيان أن علياً عليه السلام على الحق في قتاله معاوية رحمه الله، واللفظ له. مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ج:٢ ص:٨٣ الباب الرابع والعشرون في ذكر ألفاظ جرت على لسانه فصارت أمثالاً بين الناس. مناقب أبي حنيفة للكردري ج:٢ ص:٧١.

(٢) مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ج:٢ ص:٨٤ الباب الرابع والعشرون في ذكر ألفاظ جرت على لسانه فصارت أمثالاً بين الناس. مناقب أبي حنيفة للكردري ج:٢ ص:٧٢.

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج:٢ ص:٢٦ في ترجمة محمد بن أحمد بن موسى بن داود الرازي البرزالي.

(٤) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٣٣١.

ولما أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في قتال البغاة، وقال: «أيجعل طلحة والزبير بغاة؟!» ردّ عليه أحمد بن حنبل وقال: «ويحك! وأي شيء يسعه أن يضع في هذا المقام؟!». وقال ابن تيمية: «يعني: إن لم يقتد بسيرة علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة»[١].

وقد أوضح أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بسيرته وأقواله في تلك الحروب أمرين:

إسلام الباغي يعصمه من الرق ويعصم ماله

أولهما: أن الباغي وإن هدر دمه دفعاً لشره، إلا أن إسلامه يعصمه من الرق، ويعصم ماله الذي لم يقاتل به[٢]، أو جميع ماله حتى ما قاتل به[٣]. وليس هو كالكافر في ذلك.

وقد سبب ذلك له عليه السلام إحراجاً في واقعة الجمل، لأن المسلمين لم يعهدوا التفريق بين الأمرين في حروبهم. إلا أنه استطاع أن يقنعهم حينما قال: «فأقرعوا على عائشة، لأدفعها إلى من تصيبه القرعة». فعرفوا خطأهم، وقالوا: «نستغفر

---

(١) مجموع الفتاوى ج:٤ ص:٤٣٨ مفصل اعتقاد السلف: فصل في أعداء الخلفاء الراشدين والأئمة الراشدين.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:٢٥٠. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج:٢ ص:١٠٥. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٧١٠ كتاب الجمل: مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير. الدراية لابن حجر ج:٢ ص:١٣٩ باب البغاة. المحلى ج:١١ ص:١٠٣ حكم قتل أهل البغي. كنز العمال ج:١١ ص:٣٣٦ ح:٣١٦٧٦، ٣١٦٧٧. وغيرها من المصادر.

(٣) جواهر الكلام ج:٢١ ص:٣٣٩ـ٣٤١.

الله يا أمير المؤمنين»[١].

وهـــذا من مظاهر أمانته (صلوات الله عليه) واهتمامه بتطبيق أحكام الله عز وجل. فهو لم يندفع في الانتقام من محاربيه شـــفاءً لغيظه وتحكيماً لعاطفته، بل وقف عند الحكم الشرعي، لا من أجل مجاراة الناس، فإنهم يجهلون الحكم المذكـــور، بل قياماً بوظيفته الشرعيـــة، وأداء لأمانته وما عهد إليه من تعريف الأمة بدينها، وإن سبّب ذلك إحراجاً له مع عسكره.

كما أنه صار ســـبباً لزهد الناس في الجهاد معه في تلك الحروب التي بها تقرير مصير حكمه وتثبيت ســـلطته، لأن من أهمّ دواعـــي الجهاد عند عامة الناس هو الفوز بالغنائم والاستكثار منها.

والســـلطة من بعده عليه السلام وإن خرجت عن ذلك بسبب انحرافها، كما هو المعلـــوم بأدنى مراجعة للتاريخ، وأشرنا إلى بعض ذلك في المبحث الأول عند عرض نماذج من الانحراف في العهد الأموي، إلا أن سيرته عليه السلام صارت سبباً لظهور جور الســـلطة في سيرتها، وهو مكسب عظيم للإسلام، حيث ظهرت براءته من تلك السيرة الجائرة.

سقوط حرمة الباغي وانقطاع العصمة معه

ثانيهما: التأكيد عـــلى بغي الخارج على الإمام الحق، وســـقوط حرمته،

---

(١) شرح نهـــج البلاغـــة ج:١ ص:٢٥١، واللفظ له. جامـــع بيان العلم وفضله لابـــن عبد البر ج:٢ ص:١٠٥. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٧١٠ كتاب الجمل: مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير. الدرايـــة لابن حجر ج:٢ ص:١٣٩ باب البغاة. المحلى ج:١١ ص:١٠٣ حكم قتل أهل البغي. كنز العمال ج:١١ ص:٣٣٦ ح:٣١٦٧٦، ٣١٦٧٧. نصب الرايـــة ج:٤ ص:٣٦٣ باب البغاة: وصية سيدنا علي (كرم الله وجهه) يوم الجمل والحديث في ذلك. وغيرها من المصادر.

وخروجه عن ضوابط الإيمان والإسلام الحق، مهما كان شأنه الديني والاجتماعي، كما يشير إلى ذلك ما يأتي عن النبي صلى الله عليه وآله في الفتنة.

وقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «أنا فقأت عين الفتنة. لم يكن ليجترئ عليها غيري. ولو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان...»[١].

وفي كتاب له عليه السلام إلى معاوية: «وإن طلحة والزبير بايعاني، ثم نقضا بيعتي. وكان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون...»[٢].

ولما أرادوا كتابة عهد التحكيم بعد حرب صفين قيل له عليه السلام: «أتقر أنهم مؤمنون مسلمون؟» فقال (صلوات الله عليه): «ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه

---

(١) بحار الأنوار ج:٣٣ ص:٣٦٦، واللفظ له. كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ج:٢ ص:٦٢٧. حلية الأولياء ج:٤ ص:١٨٦ في ترجمة علي بن أبي طالب. السنن الكبرى للنسائي ج:٥ ص:١٦٥ كتاب المناقب: ذكر ما خص به علي من قتال المارقين: ثواب من قاتلهم، إلا إنه ذكر أهل النهروان ولم يذكر أهل الجمل بينما ذكرهم في كتاب خصائص أمير المؤمنين ص:١٤٦ ما خص به علي من قتال المارقين. المصنف لابن أبي شيبة ج:٨ ص:٦٩٨ كتاب المغازي: ما ذكر في عثمان، إلا إنه كنى عن عائشة وطلحة والزبير بـ: (فلان وفلان وفلان). كنز العمال ج:١١ ص:٢٩٨ ح:٣١٥٦٥. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٩٣ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. كتاب سليم بن قيس ص:٢٥٦. وغيرها من المصادر.

وروي مبتوراً في علل الدارقطني ج:٤ ص:٢٣ مسند علي بن أبي طالب، تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٤٧٤ في ترجمة علي بن أبي طالب.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:٣ ص:٧٥، واللفظ له، ج:١٤ ص:٣٦. الإمامة والسياسة ج:١ ص:٨٠ كتاب علي إلى معاوية مرة ثانية. تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:٢٨ في ترجمة معاوية بن صخر أبي سفيان. العقد الفريد ج:٤ ص:٣٠٦ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخبار علي ومعاوية. وقعة صفين ص:٢٩. المناقب للخوارزمي ص:٢٠٢. وغيرها من المصادر.

أنهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء لنفسه وأصحابه، ويسمي نفسه وأصحابه ما شاء»[١].

بل ليس سقوط حرمة الباغي بهدر دمه فقط، كالزاني المحصن، بل ورد عنه عليه السلام ما يناسب انقطاع العصمة بين الباغي وأهل الحق، فلا تجري عليه أحكام المسلمين بعد القتل مراسيم التجهيز الشرعية[٢]، كما تجري على المسلمين.

وعلى هذا يبتني حديث الإمام الحسين (صلوات الله عليه) مع معاوية. قال اليعقوبي بعد أن ذكر مقتل حجر بن عدي الكندي وجماعته (رضوان الله عليهم): «وقال معاوية للحسين بن علي عليهما السلام: يا أبا عبد الله علمت أنا قتلنا شيعة أبيك، فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم. فقال الحسين: حججتك ورب الكعبة. لكنا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا حنطناهم، ولا صلينا عليهم ولا دفناهم»[٣].

وقيل: «ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال: أصلوا عليهم، وكفنوهم، ودفنوهم، واستقبلوا بهم القبلة؟ قالوا: نعم. قال: حجوهم ورب

---

(١) وقعة صفين ص:٥٠٩ـ٥١٠، واللفظ له. شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٣٣. ينابيع المودة ج:٢ ص:٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٦٦ أحداث سنة سبع وثلاثين من الهجرة: ذكر ما كان من خبر الخوارج. الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٣٤٨ أحداث سنة سبع وثلاثين من الهجرة: ذكر مقتل ذي الثدية. تاريخ ابن خلدون ج:٢ ق:٢ ص:١٨١ أمر الخوارج وقتالهم.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٣١ وفاة الحسن بن علي، واللفظ له. الاحتجاج ج:٢ ص:١٩. وسائل الشيعة ج:٢ ص:٧٠٤ باب:١٨ من أبواب تغسيل الميت ح:٣.

الكعبة»[١].

حيث يظهر من ذلك أن إجراء السلطان أحكام الإسلام على من يقتله ممن لا يعترف بشرعية سلطته يكون حجة للمقتول على السلطان، لأنه لا يجتمع مع شرعية قتله له، وأن القتل والقتال من الإمام لمناوئيه متى كان بحق ولم يكن تعدياً أوجب انقطاع العصمة بينهما، وسقوط الحرمة.

وقد صرّح بذلك زهير بن القين (رضوان الله عليه) في خطبته على عسكر الأمويين قبيل معركة الطف، حيث قال: «يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار. إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم. ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل. فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة...»[٢].

وبذلك يظهر موقف أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) من جميع من قاتله في حروبه، ونظرته إليهم، وتقييمه لهم.

الخلاصة في هدفه عليه السلام من تولي السلطة

والمتحصل من جميع ما سبق: أن أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) لم يقبل بالبيعة من أجل أن يَرجِع الحق إلى أهله، وتبقى السلطة في

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٤٨٦ أحدث سنة إحدى وخمسين من الهجرة: ذكر مقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٨ ص:٢٧ في ترجمة أرقم بن عبد الله الكندي. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٠٧ أحدث سنة إحدى وخمسين من الهجرة: تسمية من قتل من أصحاب حجر رحمه الله.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٢٣، ٣٢٤. وتقدمت مصادره في أوائل الفصل الأول من المقصد الثاني فيما جناه الدين من ثمرات فاجعة الطف.

الإسلام في مسارها الذي أراده الله تعالى لها. لأنه عليه السلام كان على يقين من عدم تيسر ذلك، وأنه لابد من عود السلطة إلى الانحراف في مسارها.

وإنما كانت الثمرة المهمة لتوليه عليه السلام الخلافة تنبيه الأمة لانحراف مسار السلطة في الإسلام، وظهور كثير من الأحكام الشرعية والحقائق التي يتوقف عليها بقاء دعوة الإسلام الحق، وسماع صوتها، إقامة للحجة، حتى مع عود السلطة للانحراف الذي فرض على الإسلام بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله للرفيق الأعلى.

قيامه عليه السلام بالأمر بعد عثمان بعهد من الله تعالى

ومن الطبيعي أن ذلك كله كان بعهد إليه من النبي صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[1].

قال عليه السلام في خطبته لما بويع: «ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله. والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة، ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم. وليسبقن سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا. والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة. ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم... حق وباطل. ولكل أهل. فلئن أمر الباطل لقديماً فعل. ولئن قلّ الحق فلربما ولعل. ولقلما أدبر شيء فأقبل»[2].

وذيل هذا الكلام مشعر ببأسه عليه السلام من تعديل مسار السلطة في الإسلام، وبقاء الخلافة في موضعها الذي وضعها الله عز وجل فيه بعد أن خرجت

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

(٢) نهج البلاغة ج:١ ص:٤٧ـ٤٨، واللفظ له. الكافي ج:٨ ص:٦٧ـ٦٨.

عنه وأدبرت.

كلام للنبي صلى الله عليه وآله في الفتنة

وقال ابن أبي الحديد في التعقيب على كلام لأمير المؤمنين في الفتنة مذكور في نهج البلاغة: «وهذا الخبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين. قال: فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنة. فقلت: يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر... فقلت: يا رسول الله لو بينت لي قليلاً.

فقال: إن أمتي ستفتن من بعدي، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي، وتستحل الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرف الكتاب عن مواضعه، وتغلب كلمة الضلال. فكن جليس بيتك حتى تقلَّدها. فإذا قلِّدتها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأمور. تقاتل حينئذ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله. فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى.

فقلت: يا رسول الله فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك، أبمنزلة فتنة أم بمنزلة رِدّة؟ فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل...»[1]... إلى غير ذلك مما ورد عنهم (صلوات الله عليهم).

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٩ ص:٢٠٦.

المقام الثاني
في مواجهة السلطة لجهود
أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته

بعد أن استولى معاوية على السلطة، وصفت له الأمور، وظّف قدراتِ الإسلام المعنوية والمادية لصالح حكمه، وتثبيت أركانه وإرساء قواعده، بأمل قيام دولة أموية أو سفيانية تتولى قيادة المسلمين، وتتحكم في الإسلام لصالحها وصالح أصولها الجاهلية، مهما كانت الوسائل والنتائج.

اهتمام معاوية بالقضاء على خط أهل البيت عليهم السلام

وكان همه الأكبر القضاء على خط أهل البيت (صلوات الله عليهم) الذي يمثل الإسلام الصحيح، ويذكر به، ويدعو له.

ويبدو أنه كان يرى في بدء الأمر أن سياسة الترغيب والترهيب تكفي في نجاح الخط الأموي، وفشل خط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وأن أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) إنما نصره من نصره رغبة ورهبة حينما كان له السلطان، وكان بمقدوره أن يضر وينفع.

أما بعد أن قتل عليه السلام وخرج السلطان عنه وعن أهل بيته ـ بحيث لا يُخافون ولا يُرجَون ـ فسوف يُنسى هو وأهل البيت من بعده، وتنسى معهم دعوة الحق ـ المتمثلة بخطهم عليهم السلام ـ وتموت بموته، وينفرد معاوية في الساحة،

ولا يعيقه عن تحقيق هدفه شيء.

إدراك معاوية قوة خط أهل البيت عليهم السلام عقائدياً

لكنه فوجئ بأن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد أخذ موقعه من قلوب كثير من الناس، وتعلقوا به، وثبتوا على موالاته، والإيمان بدعوته، والتمسك بها. حتى قال معاوية عنه عليه السلام: «والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته»[1].

وأدرك أن أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) قد أرسى دعوة ذات بعد عقائدي، تهدد مشروعه، وتقف حجر عثرة في طريقه، حيث ترتفع الأصوات من حملتها بالإنكار عليه وفضحه.

ولاسيما أن خط أهل البيت (صلوات الله عليهم) بما له من بُعد عقائدي يعتمد على أمور لها أهميتها في تركيز العقيدة وإرسائها وتجذرها.

دعم العقل والدليل لخط أهل البيت عليهم السلام

الأول: العقل والبرهان. حيث يملك الدليل الكافي على إثبات حقهم عليهم السلام. وقد نبّه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الناس إلى ذلك في فترة حكمه القصيرة.

ومن الأحاديث المهمة التي ذكرها عليه السلام حديث الدار عند إنذار النبي صلى الله عليه وآله عشيرته الأقربين في بدء الدعوة، حيث أعلن النبي صلى الله عليه وآله عن أخوّة أمير المؤمنين

---

(١) العقد الفريد ج:٢ ص:٨٣ فرش كتاب الجمانة في الوفود: الوافدات على معاوية: وفود الزرقاء على معاوية، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٦٩ ص:١٦٧ في ترجمة زرقاء بنت عدي بن مرة الهمدانية. بلاغات النساء ص:٣٤ في كلام الزرقاء بنت عدي.

له صلى الله عليه وآله ووصيته وخلافته فيهم، وأمرَهم بأن يسمعوا له ويطيعوا[١].

ومنها حديث الغدير في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله فقد روى أحمد بن حنبل عن حسين بن محمد وأبي نعيم المعني قالا: حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: «جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة. ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام. فقام ثلاثون من الناس. وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فهذا مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فخرجت وكأن في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً رضي الله عنه يقول كذا وكذا. قال: فما تنكر؟! قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك له»[٢].

وهذه المناشدة للناس مشهورة بين رجال الحديث تعرضنا لبعض الكلام فيها في جواب السؤال السابع من الجزء الأول من كتابنا (**في رحاب العقيدة**).

وقد دعم جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في ذلك جماعة من

---

(١) تاريخ الطبري ج:٢ ص:٦٣ـ٦٤ ذكر الخبر عما كان من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبرئيل عليه السلام إليه بوحيه. الكامل في التاريخ ج:٢ ص:٦٣ ذكر أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإظهار دعوته. تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٤٩، ٥٠ في ترجمة علي بن أبي طالب. شرح نهج البلاغة ج:١٣ ص:٢١٠ـ٢١١. كنز العمال ج:١٣ ص:١١٤ ح:٣٦٣٧١، ص:١٣١ـ١٣٣ ح:٣٦٤١٩. وغيرها من المصادر.

وقد أبدل ابن كثير في تفسيره (ج:٣ ص:٣٦٤) وصيي وخليفتي بـ(كذا وكذا)، وكذا فعل في كتابه البداية والنهاية (ج:٣ ص:٥٣) باب الأمر بإبلاغ الرسالة. وقد سبقه في ذلك الطبري في تفسيره (ج:١٩ ص:١٤٩) مع أنه رواه في تاريخه بدون تصرف.

(٢) مسند أحمد ج:٤ ص:٣٧٠ حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

أكابر الصحابة ممن كان معه سواءً كان ذلك منهم أيام عثمان ـ كما ذكرناه آنفاً ـ أم بعده في عهد أمير المؤمنين عليه السلام. ومن ذلك استجابتهم له في مناشدة الرحبة.

بل دعمه بعد ذلك بعض مـــن لم يكن معه ولا على خطه من الصحابة، بعد أن أصيبوا بالإحباط، واستشـــعروا الوهن، لتـــولي معاوية الأمر وتقدمه عليهـــم، فنشروا كثيراً من مناقب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الشـــاهدة بحقه وحق أهل بيته عليهم السلام، كرد فعل على ابتزاز معاوية للخلافة.

وأحد هؤلاء ســـعد بن أبي وقاص الذي كان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام في عهد رســـول الله صلى الله عليه وآله[1]، وامتنع من بيعته حينما بايعه المســـلمون بعد مقتل عثمان[2]، وكان ثالث ثلاثة تظاهروا عليه عليه السلام في الشورى لصالح عثمان الذي صارت خلافته ســـبباً لنفوذ الأمويين. حتى انتهى الأمـــر إلى خلافة معاوية وتقدمه عليه وعلى غـــيره من المهاجرين والأنصار، ورأى بعينه ســـوء عاقبة مواقفه، فروى كثيراً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام. كما يظهر بالرجوع للمصادر

---

(١) الأحاديـــث المختارة ج:٣ ص:٢٦٧ فيما رواه مصعب بن ســـعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه. مجمع الزوائـــد ج:٩ ص:١٢٩ كتاب المناقب: باب مناقب علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه: باب منه جامع فيمن يحبه ومن يبغضه. مســـند أبي يعلى ج:٢ ص:١٠٩ مســـند سعد بن أبي وقاص. تاريخ دمشق ج:٤٢ ص:٢٠٤ في ترجمـــة علي بـــن أبي طالب. البداية والنهاية ج:٧ ص:٣٨٣ أحداث ســـنة أربعين من الهجرة: شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريـــخ الطبري ج:٣ ص:٤٥٤ أحداث ســـنة خمس وثلاثـــين من الهجرة: خلافـــة أمير المؤمنين عـــلي بـــن أبي طالـــب. أنســـاب الأشراف ج:٣ ص:٧ بيعة علي بـــن أبي طالـــب عليه السلام. الكامل في التاريـــخ ج:٣ ص:١٩١ أحداث ســـنة خمـــس وثلاثين من الهجـــرة: ذكر بيعة أمـــير المؤمنين علي بـــن أبي طالـــب. البداية والنهايـــة ج:٧ ص:٢٥٣ أحداث ســـنة خمس وثلاثين مـــن الهجرة: ذكر بيعـــة علي رضي الله عنه بالخلافة. تاريخ ابن خلـــدون ج:١ ص:٢١٤. الفتوح لابـــن أعثم ج:٤ ص:٤٤٠ ذكر من فشـــل عـــن البيعة وقعد عنهـــا. شرح نهج البلاغـــة ج:٤ ص:٩. وغيرها مـــن المصادر.

الكثيرة[١].

انشداد الناس عاطفياً لخط أهل البيت عليهم السلام

الثاني: العاطفة، لما لأهل البيت (صلوات الله عليهم) من المكانة السامية في نفوس المسلمين، لقربهم من النبي صلى الله عليه وآله، ولمؤهلاتهم الشخصية، ومثاليتهم العالية، الموجبة لانشداد الناس لهم.

خصوصاً بعد مرور تجربة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الحكم، وما استتبعها من أسباب تعلق الناس به التي تقدم التعرض لها.

ويزيد في ذلك ابتناء حكم معاوية على التجبر والطغيان والظلم والاستئثار، حيث يذكّر ذلك بعدل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، بنحو يوجب انشداد الناس له ولنهجه، والتنفر من معاوية ونهجه، ويتجلى به الفرق بين النهجين. (والضد يظهر حسنه الضد).

---

(١) راجع صحيح مسلم ج:٧ ص:١٢٠ كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي رضي الله عنه، ومسند أحمد ج:١ ص:١٨٢ في مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، والمستدرك على الصحيحين ج:٣ ص:٤٩٩ـ٥٠٠ كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم: مناقب سعد بن أبي وقاص، والسنن الكبرى ج:٥ كتاب الخصائص ص:١٠٨ ذكر منزلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص:١١٨، ١١٩ ذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنا أدخلته وأخرجتكم بل الله أدخله وأخرجكم، وسنن ابن ماجة ج:١ ص:٤٥ باب اتباع سنة رسول صلى الله عليه وآله وسلم: فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومجمع الزوائد ج:٩ ص:١٠٧ كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب: باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٤٩٦ كتاب الفضائل: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص:٥٩٥، ٥٩٦، ٦١٠، ومسند أبي يعلى ج:٢ ص:١٠٩، ١٣٢ مسند سعد بن أبي وقاص، والدر المنثور ج:٢ ص:٣٩، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

ظهور فشل نظرية عدم النص في الخلافة

الثالث: ظهور فشل نظرية عدم النص في الخلافة. فقد ظهر للعيان تردي الأوضاع حتى انتهت الخلافة إلى معاوية، وهو من الطلقاء، واستولى الأمويون ذوو الأثر السيء في الإسلام في عهده وعهد عثمان ـ من قبله ـ على مقدرات الإسلام والمسلمين، وانتهكوا من الحرمات ما لا يحصى.

كل ذلك بسبب انفراط أمر الخلافة، وعدم تحديد ضوابطها بعد خروجها بالقوة عن موضعها الذي جعله الله عز وجل فيه.

تنبؤ سيدة النساء فاطمة عليها السلام وغيرها بنتائج الانحراف

وسبق من سيدة النساء فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) أن قالت في مبدأ الانحراف، بعد التحاق النبي صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى، وافتتان الأمة، وخروج الخلافة عن موضعها الذي وضعها الله تعالى فيه: «أما لعمرُ الله لقد لَقِحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع القعب دماً عبيطاً وذعافاً ممقراً. هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأولون. ثم طيبوا عن دنياكم نفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً...»[1].

وعن عبد الله بن عمر أنه قال: «لما بايع الناس أبا بكر سمعت سلمان الفارسي يقول: كرديد ونكرديد. أما والله لقد فعلتم فعلة أطمعتم فيها الطلقاء ولعناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فلما سمعت سلمان يقول ذلك أبغضته، وقلت: لم يقل هذا إلا بغضاً منه لأبي بكر». قال: «فأبقاني الله حتى رأيت مروان بن

---

(١) راجع ملحق رقم (٢).

الحكم يخطب على منبر رسول الله. فقلت: رحم الله أبا عبد الله. لقد قال ما قال بعلم كان عنده»[١].

وفي حديث أبي الأشعث الصنعاني أن ثمامة كان على صنعاء، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما جاء نعي عثمان بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: «هذا حين انتزعت خلافة النبوة من آل محمد وصارت ملكاً وجبرية، من غلب على كل شيء أكله»[٢].

فإن ذلك يؤكد صدق مدعي النص. ولاسيما بعد كون المنصوص عليه هم أهل البيت (صلوات الله عليهم)، الذين هم أولى الناس بالنبي ﷺ، وأخصهم به، وأعلمهم بالدين، وأحرصهم عليه، وأكملهم تطبيقاً له وعملاً به، وتفاعلاً معه.

وأولهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي رأوا في تجربته الحفاظ على الضوابط الدينية، والعدل والمثالية، ونشر المعارف الدينية، وظهور المعاجز والكرامات على يديه، ودعم التسديدات الإلهية له... إلى غير ذلك، بحيث يصلح عهده لأن يكون امتداداً للعهد النبوي الشريف.

انتشار التشيع إذا لم تزرع الألغام في طريقه

وهذه الأمور بمجموعها تقتضي تقبل المسلمين لدعوة التشيع وانتشارها بينهم إذا لم تزرع الألغام في طريقها وتوضع المعوقات أمامها.

---

(١) الإيضاح ص:٤٥٧ـ٤٥٨.

(٢) تاريخ دمشق ج:١١ ص:١٥٨ في ترجمة ثمامة بن عدي القرشي. وقريب منه في أنساب الأشراف ج:٦ ص:٢٢٦ إلا أنه قال: «هذا حين انتزعت خلافة النبوة، وصار الأمر ملكاً وجبرية، من غلب على شيء أكله».

وكأنه لذلك قال الإمام الصادق (صلوات الله عليه) ـ في حديث سليمان بن خالد ـ: «إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء، فجال القلب يطلب الحق، ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره»[١]. وقريب منه غيره.

الألغام التي زرعها معاوية في طريق التشيع

وبعد أن أدرك معاوية ذلك، وعرف حجم المشكلة التي تواجهه بأبعادها المتقدمة، فقد سلك في سبيل تنفيذ مخططه، والقضاء على خط أهل البيت (صلوات الله عليهم) والوقوف في وجه دعوتهم وتطويقها طريقين:

التنكيل بالشيعة

الأول: التنكيل بالشيعة وإسقاط حرمتهم كمسلمين، بحرمانهم من العطاء، وقتلهم، والتمثيل بهم، وسجنهم، وتشريدهم، وهدم دورهم... إلى غير ذلك مما تعرض له المؤرخون والباحثون عن سيرة معاوية والأمويين عموماً. وقد أغرقوا في ذلك، حتى ورد عن أبي عبد الرحمن المقرئ أنه قال: «كانت بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه»[٢]. وهو من الشيوع والوضوح بحيث لا ينبغي إطالة الكلام هنا في ذكر مفرداته. ولاسيما أنها أكثر من أن تستقصى.

---

(١) المحاسن ص: ٢٠١، واللفظ له. بحار الأنوار ج:٥ ص:٢٠٤.

(٢) تاريخ دمشق ج:٤١ ص:٤٨١ في ترجمة علي بن رباح، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٢٠ ص:٤٢٩ في ترجمة علي بن رباح بن قصير. سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:١٠٢ في ترجمة علي بن رباح. تاريخ الإسلام ج:٧ ص:٤٢٧ في ترجمة علي بن رباح. تهذيب التهذيب ج:٧ ص:٢٨١ في ترجمة علي بن رباح. الوافي بالوفيات ج:٢١ ص:٧٢ في ترجمة اللخمي المصري علي بن رباح. وغيرها من المصادر.

أثر التنكيل بالشيعة على التشيع

وهذا وإن عاق نشر مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم) مؤقتاً، إلا أنه حيث لم يقض عليه، لكثرة الشيعة وإصرارهم، فقد خدمه على الأمد البعيد. لأن الظلامة والتضحيات تمنح دعوة الحق قوة ورسوخاً وفخراً، وتوجب تعاطف الناس معها. خصوصاً إذا صدرت الظلامة من مثل الأمويين الذين عمّ ظلمهم، واستهتروا بالدين، فأبغضهم عامة المسلمين.

عود التحجير على السنة النبوية

الثاني: ما جرى عليه الأولون من التحجير على السنة النبوية. فعن عبد الله بن عامر اليحصبي قال: «سمعت معاوية على المنبر بدمشق يقول: أيها الناس إياكم وأحاديث رسول الله ﷺ إلا حديث كان يذكر على عهد عمر. فإن عمر رضي الله عنه كان رجلاً يخيف الناس في الله...»[1].

ومن كلامه: «يا أيها الناس أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ. وأنتم متحدثون لا محالة، فتحدثوا بما كان يتحدث به في عهد عمر...»[2].

---

(١) المعجم الكبير ج:١٩ ص:٣٧٠ في ما رواه عبد الله بن عامر اليحصبي القارئ عن معاوية، واللفظ له. مسند أحمد ج:٤ ص:٩٩ حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. صحيح ابن حبان ج:٨ ص:١٩٤ كتاب الزكاة: باب المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر: ذكر الزجر عن أن يأخذ المرء شيئاً من حطام هذه الدنيا. تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة ج:١ ص:١٤٣ ح:١٢٩. وكذا في صحيح مسلم ج:٣ ص:٩٥ كتاب الزكاة: باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له، مع تصرف. ونحوه في أنساب الأشراف ج:١٠ ص:٣٣١ ترجمة عمر بن الخطاب.

(٢) مسند الشاميين ج:٣ ص:٢٥١ فيما رواه يونس بن ميسرة عن معاوية، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٢٦ ص:٣٨٢ في ترجمة العباس بن عثمان بن محمد أبي الفضل البجلي. الكامل لابن عدي ج:١ ص:٥. كنز العمال ج:١٠ ص:٢٩١ ح:٢٩٤٧٣.

وليس معنى التحجير المذكور الاقتصار على عدم رواية الأحاديث عنه صلى الله عليه وآله، كما تضمنه هذا الحديث، بل جعل رواية الحديث عنه صلى الله عليه وآله في خدمة مخطط معاوية ولو كان كذباً وافتراءً على رسول الله صلى الله عليه وآله. نظير ما حصل قبل ذلك، على ما سبق التعرض له. بل ربما يزيد عليه.

وذلك بأمور:

المنع من رواية الأحاديث المؤيدة لخط أهل البيت عليهم السلام

أولها: المنع من رواية الأحاديث التي تخدم خط أهل البيت عليهم السلام، بذكر مناقبهم وفضائلهم، أو مثالب أعدائهم وسلبياتهم، كما يأتي في كلام المدائني ونفطويه وغيرهما.

بل بلغ الحال أن معاوية حاول بالترهيب والترغيب منع ابن عباس ـ مع ما له من مكانة علمية واجتماعية ـ من الحديث وتفسير القرآن المجيد على ما يناسب تفسير أهل البيت (صلوات الله عليهم) له.

محاورة معاوية مع ابن عباس

ففي حديث سليم بن قيس عن حوار بين معاوية وابن عباس قال: «قال معاوية: فإنا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكفّ لسانك يا ابن عباس، وأربع على نفسك.

فقال له ابن عباس: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا. قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم. قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به؟! قال: نعم. قال: فأيما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به. قال: فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟! قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير

مـــا تتأوله أنت وأهل بيتك. قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي، فأســـأل عنه آل أبي سفيان، أو أسأل عنه آل أبي معيط، أو اليهود والنصارى والمجوس؟!.

قـــال له معاوية: فقـــد عدلتنا بهم، وصيرتنا منهم. قـــال له ابن عباس: لعمـــري ما أعدلك بهم. غير أنك نهيتنا أن نعبـــد الله بالقرآن، وبما فيه من أمر ونهي، أو حلال أو حرام، أو ناسخ أو منسوخ، أو عام أو خاص، أو محكم أو متشابه. وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا.

قال معاوية: فاقرؤوا القرآن وتأولوه. ولا تروووا شيئاً مما أنزل الله فيكم من تفسيره، وما قاله رسول الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك. قال ابن عباس: قال الله في القرآن: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾.

قال معاوية: يا ابن عباس، اكفني نفسك، وكف عني لسانك. وإن كنت لابد فاعلاً فليكن ذلك سراً، ولا يسمعه أحد منك علانية. ثم رجع إلى منزله، فبعث إليه بخمسين ألف درهم»[1].

وقد تقدم عند الكلام في ردود الفعل لفاجعة الطف التعرض لشكوى الإمام الحســـين (صلوات الله عليه) من ذلك في المؤتمر الذي عقده في الحج في أواخر أيام معاوية، ومحاولته عليه السلام الرد عليه ببيان فضائل أهل البيت (صلوات الله عليهـــم)، ثم طلب روايتهـــا ونشرها ممن حضر المؤتمر مـــن مختلف بلاد المسلمين.

وقـــد تمّ على الأمد البعيد التغلب على هذه المشـــكلة، لأن فضائل أهل

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص:٣١٥ـ٣١٦، واللفظ له. بحار الأنوار ج:٤٤ ص:١٢٤ـ١٢٥.

البيت عموماً وأمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً، من الكثرة والظهور بحيث يتعذر إخفاؤها، ومقامهم (صلوات الله عليهم) من الرفعة والجلالة بحيث لا يمكن تجاهله أو الحط منه.

وإن لم يبعد أن يكون قد ضاع من فضائلهم عليهم السلام ومناقبهم ومثالب أعدائهم الكثير. خصوصاً على الجمهور، بحكم المعايير التي جروا عليها أخيراً في انتقاء الحديث، ولإعراضهم عن ثقافة أهل البيت (صلوات الله عليهم).

افتراء الأحاديث القادحة في أهل البيت عليهم السلام

ثانيها: افتراء الأحاديث القادحة في أهل البيت (صلوات الله عليهم)، خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام. وقد ظهر من ذلك حديث موضوع كثير.

قال ابن أبي الحديد: «وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي (رحمه الله تعالى) ـ وكان من المتحققين بموالاة علي عليه السلام ... ـ أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله. فاختلقوا ما أرضاه. منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير...» ثم ذكر بعض النماذج من ذلك[1].

موقف الجمهور من الأحاديث المذكورة

لكن الظاهر أن رفعة مقام أهل البيت (صلوات الله عليهم) حملت الجمهور على ترك روايتها وتدارسها، لأنها صارت عاراً على أحاديث الجمهور، ونقطة ضعف فيها، تستغل ضدها، وتكون سبباً للتشنيع عليها.

(١) شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٦٣ وما بعدها.

ولاسيما مع التزام الجمهور بعد ذلك بعدالة جميع الصحابة ـ بمعنى كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين وسمع حديثه ـ وتوثيقهم لكثير ممن روى تلك الأحاديث من التابعين.

لظهور أن تلك الأحاديث تكشف عن كذب الراوي لها من الصحابة، أو كذب الراوي لها من التابعين ممن ذهب الجمهور إلى توثيقه والاعتماد على حديثه، فأهملت تلك الروايات نوعاً في كتب الحديث.

ولم يبق منها إلا ما قد يعثر عليه المتتبع في بعض كتب التاريخ أو الاحتجاج أو التراجم أو غيرها مما تضمن ذكرها، لا من أجل الاهتمام بروايتها وتدارسها، بل لغرض آخر. ولا يوجد منها في كتب الحديث إلا ما ندر.

قال ابن أبي الحديد: «وأما عمرو بن العاص فروي عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء. إنما وليي الله وصالح المؤمنين»[1].

نعم يبدو أن بشاعة الحديث، وذهاب الجمهور أخيراً إلى عدالة جميع الصحابة، وتعظيمهم للصحيحين، وحكمهم بصحة جميع رواياتهما، كل ذلك اضطر المتأخرين إلى حذف كلمة (طالب) وجعل موضعها بياضاً[2]، أو إثبات (فلان) بدلها[3]. ولابن حجر كلام طويل حول ذلك. فليراجع[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٤ ص:٦٤.

(٢) كما في صحيح البخاري ج:٧ ص:٧٣ كتاب الأدب.

(٣) صحيح مسلم ج:١ ص:١٣٦ كتاب الإيمان: باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

(٤) فتح الباري ج:١٠ ص:٣٥٢.

ومن هنا لم يكن لهذه المحاولة أثر مهمّ يمنع من انتشـــار التشـــيع، إلا في مثل بلاد الشام أيام الأمويين، حيث كانت معزولة عن العالم الإسلامي ثقافياً، أو في البلاد البعيدة عن عواصم الثقافة الإســـلامية في ظروف اشتداد الضغط الأموي، بحيث يمنع من انتشار ثقافة غير الأمويين بين عامة الناس، من دون أن يمنع من انتشار التشيع على الأمد البعيد.

افتراء الأحاديث في فضل الصحابة والخلفاء الأولين

ثالثها: افـــتراء الأحاديث في فضل الصحابة الذين هم على خلاف خط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وخصوصاً الخلفاء الأولين.

ففي حديـــث للإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه أفضل الصلاة والســـلام) بعد أن أكد على نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حق أهل البيت (صلوات الله عليهم) في الخلافة، واســـتعرض ما جرى عليهم وعلى شيعتهم ومواليهم من الظلم وانتهاك الحرمات حتى قتل الإمام الحسين عليه السلام، قال:

«ثم لم نزل ـ أهل البيت ـ نســـتذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل ونخـــاف، ولا نأمن عـــلى دمائنا ودمـــاء أوليائنا. ووجـــد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغضونا إلى الناس.

وكان عظـــم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحســـن عليه السلام... وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد ســـلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى

شـــيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حق، لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب، ولا بقلة ورع»[١].

وقال ابن أبي الحديد: «وروى أبو الحســـن علي بن محمد بن أبي ســـيف المدائني في كتاب (الأحداث)، قال: كتب معاوية نســـخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنـــون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته... وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شـــيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذيـــن يرون [يـــروون.ظ] فضائله ومناقبـــه، فأدنوا مجالســـهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم، واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائـــل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكســـاء والحباء والقطائـــع، ويفيضه في العرب منهم والموالي. فكثر ذلك في كل مصر. وتنافسوا في المنازل والدنيا. فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشـــا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية. فإذا جاءكم كتـــابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١١ ص:٤٣، ٤٤. النصائح الكافية ص:١٥٢ـ١٥٣.

ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في فضل أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة. فإن هذا أحـــب إلي وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم، من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها. وجـــّد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر. وألقـــي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم. فلبثوا بذلك ما شاء الله... فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر. ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمســـتضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث، ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل.

حتـــى انتقلت تلك الأخبـــار والأحاديث إلى أيـــدي الديانين الذين لا يســـتحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهـــم يظنون أنها حق. ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها...».

قال ابـــن أبي الحديد بعد أن ذكر كلام المدائنـــي بطوله: «وقد روى ابن عرفة المعـــروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدثـــين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناســـب هذا الخبر. وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنـــي أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنهـــم يرغمون به أنوف بني هاشم»[1].

(١) شرح نهج البلاغة ج:١١ ص:٤٤ـ٤٦.

ويبدو أن بعض رجال الجمهور قد أدرك ذلك. فهذا الفيروزآبادي صاحب القاموس يقول: «باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أشهر المشهورات من الموضوعات. إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة، وحديث: ما صبّ الله في صدري شيئاً إلا وصبّه في صدر أبي بكر، وحديث: كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتاق الجنة قبل شيبة أبي بكر، وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان، وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر. وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل»[1]. وذكر نحوه العجلوني[2].

كما ذكر السيوطي ما يقرب من ثلاثين حديثاً في فضائل أبي بكر وحكم فيها بالوضع[3].

ومن الطبيعي أن ذلك من معاوية يستتبع كتمان أحاديث المثالب في الصحابة والامتناع أو المنع من تدارسها ونشرها، بل تكذيبها واستهجانها.

كما أن من المعلوم أن المراد بالصحابة هم الذين على خلاف خط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ممن قاد عملية الانقلاب عليهم، وحرف مسار السلطة في الإسلام ومن سار في ركابهم. وفيهم جماعة كبيرة من المنافقين والمؤلفة قلوبهم وممن لم يسلم إلا رغبة أو رهبة.

وقد ذكرنا آنفاً أن وضع الأحاديث لصالح هذه الفئة قد بدأ في العهود الأولى، كما يظهر من كلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ـ المتقدم في أوائل المبحث الأول ـ وغيره.

---

(١) سفر السعادة ص:١٤٣ خاتمة الكتاب.

(٢) كشف الخفاء ج:٢ ص:٤١٩ـ٤٢٠.

(٣) اللآلي المصنوعة ج:١ ص:٢٦١ـ٢٧٥ مناقب الخلفاء الأربعة.

وكان له أعظم الأثر في احترام هذه الفئة، بل تقديسها والتدين بموالاتها، والتغاضي عن سلبياتها وتجاهلها، أو تكذيبها، أو تكلف توجيهها، بحيث لا يمنع من احترام الفئة المذكورة وتقديسها.

وقد أدرك معاوية أهمية ذلك في مقاومة دعوة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، كما يظهر من كلامه المتقدم، لأن مقاومة الدين بالدين أشدّ تأثيراً عليه، وصداً له، من مقاومته بالدنيا. فحاول تأكيد ذلك وتركيزه، بحمل الناس على الإكثار من وضع الأحاديث في الاتجاه المذكور. ولاسيما مع وجود الأرضية الصالحة لتقبلها، بسبب كثرة الفتوح في عهد الأولين وتدهور الأوضاع بعد ذلك، كما سبق.

بل كلما تعاقبت الأجيال وامتدّ الزمن زادت أهمية الموروثات العقائدية، وتجذرت في النفوس، واشتد التعصب لها، والإصرار على تجاهل سلبياتها، والتغاضي عن الأدلة المضادة لها.

وهذه الخطوة من معاوية في غاية الأهمية والخطورة من جهتين:

تقديس الأولين يقف حاجزاً دون تقبل النص

الجهة الأولى: أنها تقف حاجزاً دون تقبل النص في الإمامة واستحقاق أهل البيت (صلوات الله عليهم) لها، كما سبق.

وقد كان معاوية ـ قبل رواية هذه الأحاديث وتأثيرها في تأكيد قدسية الأولين، وشرعية نظام الخلافة الذي جروا عليه عند جمهور المسلمين ـ يحاول أن يشنع على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كتبه إليه لموقفه من الأولين. كما ذكرنا بعض مفردات ذلك في جواب السؤال الثالث من الجزء الثاني من

كتابنا (**في رحاب العقيدة**).

وكذلك فعل مع الإمام الحسن عليه السلام حينما أشار (صلوات الله عليه) في كتابه إليه إلى تظاهر قريش على أهل البيت، والشكوى من ذلك، فقد كتب إليه معاوية في جوابه: «وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر وأبي عبيدة وصلحاء المهاجرين، فكرهت لك ذلك...»[١].

وكتب إليه في جواب كتاب آخر له عليه السلام يتضمن أيضاً الشكوى من تظاهر قريش: «وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وصلحاء المهاجرين والأنصار. فكرهت ذلك لك. إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسيء ولا اللئيم. وأنا أحب لك القول السديد والذكر الجميل»[٢].

وإذا كان الرد هكذا مع أمير المؤمنين والإمام الحسن (صلوات الله عليهما) قبل ظهور هذه الروايات المفتعلة، ومع علم جميع الأطراف كيف جرت الأمور، فكيف يكون الرد على شيعتهم ـ الذين أُسقطت حرمتهم، واتهموا بالتآمر على الدين، والخروج عن جماعة المسلمين في دعوتهم ـ مع البعد الزمني عن الأحداث، ومحاولة تحريفها عن حقيقتها، وبعد ظهور الكمّ الهائل من الروايات المفتعلة التي كثفت هالة الإجلال والتقديس للأولين وخلافتهم، حتى صارت خلافتهم وتقديسهم ديناً يتدين به؟!.

وكيف يسهل مع ذلك على جمهور المسلمين التجرد عن التراكمات

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١٦ ص:٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ج:١٦ ص:٣٥، واللفظ له. مقاتل الطالبيين ص:٣٦.

والموروثات، والنظـــر بموضوعية في النصوص الدالة على اختصاص الإمامة بأئمـــة أهل البيت (صلـــوات الله عليهم)، وبقية الشـــواهد والقرائن المؤيدة لذلك، وفي السلبيات المترتبة على تركه؟!.

ضعف غلواء تقديس الشيخين في أواخر العهد الأموي

نعـــم، لا يبعد أن تكون غلواء التقديس للشـــيخين قد خفّت في أواخر العهد الأموي، لأن ظلم الأمويين وطغيانهم وســـوء سلطانهم، واستهتارهم بالدين والقيم، كل ذلك بغّضهم للناس، وكان سبباً في تخفيف احترام المبادئ التي يتبنونها، ومنها هذا التقديس الذي أكدوا عليه.

كـــما أن ظلمهم لأهل البيت (صلوات الله عليهم) ولشـــيعتهم أوجب تعاطف الناس معهم، وسماعهم منهم، وتفاعلهم بوجهة نظرهم.

ولذا ظهر جماعة من العلماء والرواة في هذه الفترة ممن يحترمهم الجمهور ـ في الجملة ـ يعرفون بالتشـــيع. بل قد ينسب لجماعة منهم النيل من الصحابة. ولبعضهم القدح بالشيخين خاصة.

قـــال أحمد بن يونس: «رأيت زهير بن معاوية جـــاء إلى زائدة فكلمه في رجل يحدثه، فقال: أمن أهل الســـنة هو؟ قال: ما أعرفه ببدعة. فقال: من أهل الســـنة هو؟ فقال زهير: متى كان الناس هكذا؟! فقال زائدة: متى كان الناس يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؟»[1].

وقد ذكرنا جماعة منهم في جواب الســـؤال الثـــاني من الجزء الأول من

---

(١) ســـير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٣٧٧. في ترجمة زائدة بن قدامـــة، واللفظ له. تهذيب التهذيب ج:٣ ص:٢٦٤ في ترجمة زائدة بن قدامة.

كتابنا (**في رحاب العقيدة**).

مهاجمة العباسيين للأولين في بدء الدعوة

ولــولا ذلك لما اســتطاع العباســيون أن يقيموا أســاس دعوتهم على اســتحقاقهم الخلافة بالقرابــة، وعلى الطعن في الشــيخين، ويصرحوا بعدم شرعية خلافة الأولين في بدء قيام دولتهم.

فقد دخل محمد المهدي بن المنصور العباسي على أبي عون عبد الملك بن يزيــد عائداً له في مرضه ـ وكان من قدماء شــيعة بني العباس وحملة دعوتهم والمشاركين في تشييد دولتهم ـ فأعجبه ما رآه منه وسمعه.

قال أبو جعفر الطبري: «وقال: أوصني بحاجتك، وســلني ما أردت، واحتكم في حياتك ومماتك... فشكر له أبو عون ودعا، وقال: يا أمير المؤمنين حاجتــي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون، وتدعو به، فقد طالت موجدتك عليــه. قال: فقال: يا أبا عون إنه على غير الطريق، وعلى خلاف رأينا ورأيك. إنه يقع في الشيخين أبي بكر وعمر، يسيء القول فيهما. قال: فقال أبو عون: هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه، ودعونا إليه. فإن كان قد بدا لكم فمرونا بما أحببتم، حتى نطيعكم»[1].

ولما انتصر جيش الدعوة العباســية، ودخل الكوفة، وبويع أبو العباس الســفاح، تكلم داود بن علي ـ وهو على المنبر أســفل من أبي العباس بثلاث درجــات ـ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى عــلى النبي ﷺ ثم قال: «أيها الناس

(١) تاريخ الطبري ج:٦ ص:٤٠١ أحداث ســنة تسع وستين ومائة من الهجرة: ذكر بعض سير المهدي وأخباره، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٣٧ ص:١٨١ في ترجمة عبد الملك بن يزيد أبي عون الأزدي.

إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله ﷺ خليفة إلا علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي»[١].

وذكر الأوزاعي في حديث عبد الله بن علي معه لما استولى على الشام وفيه: «قال: ما تقول في دماء بني أمية؟ فسأل مسألة رجل يريد أن يقتل رجلاً. فقلت: قد كان بينك وبينهم عهود. فقال: ويحك. اجعلني وإياهم لا عهد بيننا. فأجهشت نفسي، وكرهت القتل. فذكرت مقامي بين يدي الله عز وجل، فلفظتها فقلت: دماؤهم عليك حرام. فغضب وانتفخت أوداجه. فقال لي: ويحك ولمَ؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه. فقال: ويحك. أو ليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى إلى علي؟ قلت: لو أوصى إليه ما حكّم الحكمين. فسكت وقد اجتمع غضباً...»[٢].

وخطب أبو مسلم الخراساني في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح خطبة طويلة، ومنها قوله: «ثم جعل الحق بعد محمد عليه السلام في أهل بيته، فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه على اللأواء والشدة، وأغضى على الاستبداد والأثرة... والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه

---

(١) تاريخ الطبري ج:٦ ص:٨٧ أحداث سنة مائة واثنين وثلاثين من الهجرة: خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٤١٦ أحداث سنة مائة واثنين وثلاثين من الهجرة: ذكر ابتداء الدولة العباسية وبيعة أبي العباس. أنساب الأشراف ج:٤ ص:١٨٦ أمر قحطبة. عيون الأخبار ج:٢ ص:٢٥٢ كتاب العلم والبيان: الخطب: خطبة لداود بن علي. مروج الذهب ج:٣ ص:٢٤٨ـ٢٤٩ ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره: قول الراوندية في الخلافة. شرح نهج البلاغة ج:٧ ص:١٥٥. وغيرها من المصادر.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:١٢٩ في ترجمة الأوزاعي. تاريخ الإسلام ج:٩ ص:٤٩٤ في ترجمة الأوزاعي.

ســـاعة قط. ومازلتم بعد نبيه تختارون تيمياً مرة، وعدويـــاً مرة، وأموياً مرة، وأسدياً مرة، وسفيانياً مرة، ومروانياً مرة... ألا إن آل محمد أئمة الهدى ومنار سبيل التقى...»[1].

تراجع المنصور وتقديمه للشيخين

إلا أن المنصور الدوانيقي ـ الذي اشتدّ في القسوة مع العلويين ـ هو أول من تراجع منهم عن ذلك، فأقرّ خلافة الشيخين وتقديمهما. وإن كان ذلك لا يتناسب مع أسس الدعوة العباسية، كما هو ظاهر.

ويبدو أن إقدام المنصور على ذلك ليس من أجل ضغط الجمهور، لقوة ولائهم للأولين، بل من أجل ثورات الحسنيين، بحجة أنهم الأقرب للنبي صلى الله عليه وآله، وأنهم من ذرية أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أول الخلفاء من الهاشميين، وظهور دعوى النص القاضي بإمامة خصوص أهل البيت من بني هاشم، وغير ذلك.

فرأى المنصور أنه بتقديم الشـــيخين، وإقـــرار خلافتهما، والتركيز على تقديســـهما ـ كما صنع معاوية ـ يحيي دعوة الخط الموالي لهما، ويستقطبها، لتقف في وجه العلويين. كما تقـــف حجر عثرة أمام دعوى النص المذكور، فقد قال: «والله لأرغمن أنفي وأنوفهم وأرفع عليهم بني تيم وعدي»[2].

وبذلك تأكدت شرعية خلافة الشـــيخين واحترامهما وتقديسهما. وبدأ عهد تدوين الســـنة النبويـــة على الصعيد العام، وظهـــرت المقالات والفرق. واشـــتد الضغط على أئمة أهل البيت (صلـــوات الله عليهم)، وعلى الطالبيين

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:٧ ص:١٦١ـ١٦٢.

(٢) منهاج الكرامة ص:٦٩، واللفظ له. الصراط المستقيم ج:٣ ص:٢٠٤.

عموماً، وعلى شيعتهم من قبل السلطة العباسية.

اعتراف المنصور ومن بعده بشرعية خلافة الأمويين

بل يبدو إغراق المنصور ومن بعده من حكام العباسيين في ذلك، فأخذوا يعترفون بشرعية خلافة الأمويين، بعد أن أمنوا منازعتهم لهم في السلطة. وذلك لتأكيد شرعية الخلافة بالقوة من أجل إضعاف موقف العلويين.

فعن منصور بن أبي مزاحم أنه قال: «سمعت أبا عبيد الله يقول: دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً، فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء، فاحلف بالله أنك تصدقني. قال: فرماني بأمر عظيم. فقلت: يا أمير المؤمنين، وأدين الله بغير طاعتك وصدقك؟! أو أستحل أن أكتمك شيئاً علمته؟! فقال: دعني من هذا. والله لتحلفن. قال: فأشار إليّ المهدي أن أفعل. فحلفت.

فقال: ما قولك في خلفاء بني أمية؟ فقلت: وما عسيت أن أقول فيهم. إنه من كان منهم لله مطيعاً، وبكتابه عاملاً، ولسنة نبيه ﷺ متبعاً، فإنه إمام يجب طاعته ومناصحته، ومن منهم على غير ذلك فلا.

فقال: جئت بها ـ والذي نفسي بيده ـ عراقية. هكذا أدركت أشياخك من أهل الشام يقولون؟ قلت: لا. أدركتهم يقولون: إن الخليفة إذا استخلف غفر الله له ما مضى من ذنوبه. فقال لي المنصور: إي والله، وما تأخر من ذنوبه.

أتدري ما الخليفة؟ سبيله ما يقام به من الصلاة، ويحج به البيت، ويجاهد به العدو. قال: فعدد من مناقب الخليفة ما لم أسمع أحداً ذكر مثله.

ثم قال: لو عرفت من حق[1] الخلافة في دهر بني أمية ما أعرف اليوم

(١) أثبتنا هذه العبارة من تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء لوجود خلل في هذا الموضع من النص

لرأيت من الحق أن آتي الرجل منهم حتى أضع يدي في يده، ثم أقول: مرني بما شئت.

فقال له المهدي: فكان الوليد منهم؟ فقال: قبح الله الوليد ومن أقعد الوليد خليفة. قال: فكان مروان منهم؟ فقال أبو جعفر: مروان؟ لله در مروان. ما كان أحزمه وأمرسه وأعفه عن الفيء. قال: فلِمَ لمتموه وقتلتموه؟ فقال: للأمر الذي سبق في علم الله»[1].

ومراد المهدي بالوليد هو الوليد بن يزيد الخليع الماجن، والذي برر ابن عمه يزيد بن الوليد قتله بإلحاده وأفعاله[2].

لكن قال شبيب بن شيبة: «كنا جلوساً عند المهدي، فذكروا الوليد، فقال المهدي: كان زنديقاً. فقام أبو علاثة الفقيه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقاً. لقد أخبرني

المطبوع من تاريخ دمشق.

(١) تاريخ دمشق ج:٥٧ ص:٣٣٣ في ترجمة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٦ ص:٧٦ في ترجمة مروان بن محمد بن عبد الملك بن الحكم بن أبي العاص. تاريخ الإسلام ج:٨ ص:٥٣٥ـ٥٣٦ في ترجمة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص وج:١٠ ص:٥٥٠ في ترجمة أبي عبيد الله وزير المهدي وكاتبه، إلا أنه لم يذكر كلام المهدي. وغيرها من المصادر.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٢٩١ـ٢٩٢ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة: ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص. تاريخ الطبري ج:٥ ص:٥٧٠ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة. البداية والنهاية ج:١٠ ص:١٥ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة: خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك. تاريخ خليفة بن خياط ص:٢٩٠ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة: خطبة يزيد بن الوليد طلباً للبيعة. تاريخ الإسلام ج:٨ ص:٣١١ـ٣١٢ في ترجمة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. وغيرها من المصادر.

من كان يشـــهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليها المطايب المصبغة، ثم يتوضأ... فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب، فلبســـها، واشـــتغل بشربه ولهوه. فهذا فعال من لا يؤمن بالله؟! فقال المهدي: بارك الله عليك يا أبا علاثة»[١].

ويبدو أن المهدي قد أقنع نفسه بذلك، وجرى عليه. فقد قال البلاذري: «وقال أمـــير المؤمنين المهدي وذكر الوليد: رحمه الله، ولا رحم قاتله، فإنه كان إمامـــاً مجتمعاً عليه. وقيل له: إن الوليـــد كان زنديقاً. فقال: إن خلافة الله أعز وأجل من أن يوليها من لا يؤمن به»[٢].

وقد دخل على الرشـــيد ابن للغمر بن يزيد أخي الوليد بن يزيد الأموي المتقدم. ولما عرّف نفســـه للرشيد قال له: «رحم الله عمك الوليد، ولعن يزيد الناقص، فإنه قتل خليفة مجمعاً عليه. ارفع حوائجك» فرفعها. فقضاها[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٢٩١ أحداث ســـنة ســـت وعشرين ومائة من الهجـــرة، واللفظ له. تاريخ ابن خلـــدون ج:٣ ص:١٠٦ مقتل الوليد وبيعة يزيد. الأغـــاني ج:٧ ص:٨٣ أخبار الوليد بن يزيد ونســـبه وكنيته: دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:٢١ ص:٢٩٥ـ٢٩٦ أحداث سنة (١٢٦) هـ: ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وشيء من أخباره. وغيرها من المصادر.

(٢) أنســـاب الأشراف ج:٩ ص:١٨٤ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان: عند ذكر مقتله. وقريب منه في البداية والنهاية ج:١٠ ص:٩ أحداث ســـنة ســـت وعشرين ومائة من الهجرة: مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وســـير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٣٧٢ في ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وتاريخ الإســـلام ج:٨ ص:٢٩١ في ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة الفاسق، وغيرها من المصادر.

(٣) الكامل في التاريخ ج:٥ ص:٢٩١ أحداث سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة، واللفظ له. تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:١٠٦ مقتل الوليد وبيعـــة يزيد. الأغاني ج:٧ ص:٨٢ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه: لعن الرشيد قاتليه (يزيد الناقص).

ويبدو أن ثقافة السلطة العباسية أخذت بهذا الاتجاه وفسح المجال لتمجيد الأمويين في محاولة تعميم هذه الثقافة في الجمهور، كردّ فعل على موقف أهل البيت (صلوات الله عليهم) وشيعتهم السلبي من الأمويين، خصوصاً بعد فاجعة الطف، واستغلال الخلاف المذهبي ـ في أمر الخلافة واحترام الأولين ـ بين الشيعة والجمهور لتأكيد ولاء الجمهور للأمويين واحترامهم، مضادة للشيعة.

تراجع المأمون عن موقف آبائه

ولما جاء عهد المأمون أدرك أن ظلامة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بلغت حداً أوجب تعاطف الناس معهم، ونقمتهم على العباسيين من أجل ذلك، ومن أجل ظلمهم وطغيانهم، فحاول امتصاص النقمة بالبيعة للإمام الرضا (صلوات الله عليه). على ما أوضحناه في أواخر الجزء الثالث من كتابنا (**في رحاب العقيدة**).

وخفّ الضغط على الشيعة نسبياً، فانتشرت ثقافة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وقام للشيعة كيانهم كأمر واقع مفروض في المجتمع، وأخذ بالظهور والاتساع.

إلا أن الأمر لم يتجاوز ذلك، ليصل إلى القدح في الخط الآخر. بل بقي احترام الخط المخالف لأهل البيت عليهم السلام والتزام نهجه الفقهي ومعالمه المميزة هو السمة العامة في الدولة العباسية وثقافتها، إما لقناعة السلطة بذلك، أو مجاراة للجمهور الذي أخذت تلك الثقافة موقعها منه.

حتى إن المأمون لما رأى في معاوية ما استوجب اللعن نادى مناديه: «برئت

الذمة من أحد من الناس ذكر معاويــة بخير، أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ...»[١]. وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر.

فأعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت العامة منه. فأشــير عليه بترك ذلك، فأعرض عما هم به[٢].

تأكد عدالة الصحابة وتقديس الشيخين في عهد المتوكل

ثــم جاء عهد المتوكل الذي يبدو من الجمهــور تعظيمه وتبجيله، حتى قيل إنه أحيى الســنة وأمات البدعة![٣] فأعلن النصب والعداء لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولذريته، وفعل الأفاعيل في ســبيل ذلك. ونشط في عهده الفقهاء والرواة ممن هم على خلاف خط أهل البيت عليهم السلام. وبذلك عاد مســار ثقافة السلطة إلى ما كان عليه في عهد المنصور ومن بعده.

ودونت في قرنه ـ وهو القرن الثالث ـ أصول كتب الحديث عند الجمهور وصحاحهم، وشيدت عقيدتهم في تقديم الأولين، وفي عدالة الصحابة عموماً،

---

(١) مــروج الذهب ج:٤ ص:٤٤ ذكر خلافة المأمون: المأمــون وحديث معاوية. وقريب منه في تاريخ الطبري ج:٧ ص:١٨٧ في أحداث سنة إحدى عشرة ومائتين، والكامل في التاريخ ج:٦ ص:٤٠٦ في أحداث ســنة إحدى عشرة ومائتين، وتاريخ الإســلام ج:١٥ ص:٦ـ٧ في أحداث سنة إحدى عشرة ومائتين: تشيع المأمون.

(٢) مروج الذهب ج:٤ ص:٤٤ـ٤٥ ذكر خلافة المأمون: المأمون وحديث معاوية.

(٣) راجع تاريخ الإسلام ج:١٧ ص:١٣ أحداث سنة أربع وثلاثين ومائتين من الهجرة: إظهار المتوكل للســنة، والبداية والنهاية ج:١٠ ص:٣٨٧ أحداث سنة سبع وأربعين ومائتين من الهجرة: في ترجمة المتوكل على الله، وتاريخ بغداد ج:٧ ص:١٨٠ في ترجمة جعفر أمير المؤمنين المتوكل على الله، والوافي بالوفيات ج:١١ ص:١٠١ في ترجمة المتــوكل على الله جعفر بن محمد أبي الفضل، وفوات الوفيات ج:١ ص:٢٨٩ في ترجمة المتوكل العباسي، وغيرها من المصادر.

بما في ذلك معاوية وأمثاله.

وتأكــد ذلك عند العامة على مرّ الزمن وتجذر فيهم، بل أغرقوا فيه حتى ربما ضاقت السلطة ببعض مواقفهم وممارساتهم.

ففي سنة مائتين وسبعين للهجرة قضت السلطة على صاحب الزنج. قال العلاء بن صاعد بن مخلد: «لما حمل رأس صاحب الزنج، ودخل به المعتضد إلى بغداد، دخل في جيش لم يرَ مثلُه، واشــتق أسواق بغداد والرأس بين يديه. فلما صرنــا بباب الطاق صاح قوم من درب من تلــك الدروب: رحم الله معاوية وزاد. حتى علت أصوات العامة بذلك، فتغير وجه المعتضد، وقال: ألا تسمع يا أبا عيسى؟! ما أعجب هذا! وما الذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت؟!.

والله لقد بلــغ أبي إلى الموت، ومــا أفلَتّ أنا إلا بعد مشــارفته، ولقينا كل جهــد وبلاء، حتى أنجينا هؤلاء الكلاب مــن عدوهم، وحصّنا حرمهم وأولادهم.

فتركــوا أن يترحموا عــلى العباس وعبد الله ابنه ومــن ولد من الخلفاء، وتركوا الترحم على علي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن والحسين!.

والله لا برحت أو أؤثر في تأديب هؤلاء أثراً لا يعاودون بعد هذا الفعل مثله. ثم أمر بجمع النفاطين، ليحرق الناحية.

فقلت له: أيها الأمير. أطال الله بقاءك. إن هذا اليوم من أشرف أيام الإسلام، فلا تفسده بجهل عامة لا خلاق لهم. ولم أزل أداريه، وأرفق به حتى سار»[1].

---

(١) شرح نهــج البلاغة ج:٨ ص:٢١٢ـ٢١٣، واللفظ له. نثر الــدرج:٣ ص:٩٥ـ٩٦ الباب الثالث: كلام الخلفاء من بني هاشم: المعتضد.

ويبدو أن ذلك بقي في نفس المعتضد رغم إغراق الجمهور في تقديس الصحابة الأولين ومن سار على نهجهم في نظام الخلافة، نتيجة تأكيد السلطة العباسية وثقافتها العامة عليه في مواجهة أهل البيت (صلوات الله عليهم) وشيعتهم، وخصوصاً معاوية الذي صار رمز العداء الظاهر لهم. وربما كان لإغراق الجمهور هذا بعض الأثر في إثارة حفيظة المعتضد.

فعزم في سنة مائتين وأربع وثمانين على لعن معاوية على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس، فخوفه وزيره عبيد الله بن سليمان اضطراب العامة، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله، وصمم على ما عزم عليه.

وبدأ ـ في أواخر جمادى الأولى وأوائل جمادى الثانية من السنة المذكورة ـ بخطوات تمهيدية لمنع العامة من التجمع والشغب وإثارة المشاكل والفتن. وآخر تلك الخطوات منع السقائين الذين يسقون الماء في الجامعين من الترحم على معاوية وذكره بخير.

وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر. فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب. فلم يقرأ.

قال الطبري ـ بعد أن ذكر ذلك ـ: «فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله...» وذكر كتاباً طويلاً يقرب من سبع صفحات يتضمن كثيراً من مثالب الأمويين، وخصوصاً معاوية، مما تضمنته

الأحاديث الشريفة والأحداث التاريخية.

ثم قال الطبري بعد أن أنهى الكتاب: «وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي، وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد. فمضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في ذلك، وقال له: يا أمير المؤمنين، إني أخاف أن تضطرب العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة. فقال: إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها.

فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون، ويميل إليهم كثير من الناس، لقرابتهم من الرسول، ومآثرهم؟! وفي هذا الكتاب إطراؤهم، أو كما قال. وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل. وكانوا في أبسط ألسنة وأثبت حجة منهم اليوم. فأمسك المعتضد، فلم يرد عليه جواباً. ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء»[1].

وهكذا يكون الموقف السلبي من الطالبيين وأهل البيت (صلوات الله عليهم) حاجزاً دون بيان الحقائق، ومحفزاً على تحريفها وتشويهها.

كما يتزامن تأكيد السلطة على احترام الأولين ومن هو على خطهم مع ارتفاع مستوى نصبها وعدائها لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، بحيث تكون إحدى الظاهرتين قرينة للأخرى، ليتم بهما هدف واحد.

وبذلك تأكد وتركز ما بدأه الأولون، وزاد فيه معاوية، من تفعيل احترام الخط المخالف لأهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام). ومن أهم أسبابه افتعال الأحاديث في تقديم الأولين، وفي فضائل الصحابة الذين هم على خطهم.

---

(١) تاريخ الطبري ج:٨ ص:١٨٢ـ١٩٠ في أحداث سنة ٢٨٤هـ.

وعلى كل حال صارت النصوص الكثيرة التي وضعت في عهد معاوية عاضدة لما وضع في العهد الأول، ومشيدة لمضامينه وأهدافه.

وكانت نتيجة ذلك تدين الجمهور بشرعية خلافة الأولين، واحترام رموز الخط المخالف لأهل البيت (صلوات الله عليهم) احتراماً يبلغ حدّ التقديس.

وقد كان لذلك أعظم الأثر في مواجهة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والوقوف في وجه دعوتهم، كما توقعه معاوية، على ما يظهر من كلامه السابق.

وقد صار هذا التدين والتقديس هما العقبة الكؤود أمام دعوى النص، تمنع الجمهور ـ نوعاً ـ من مصداقية الرؤية، ومن الموضوعية في البحث عن الحقيقة، ثم الوصول إليها.

بل صارت سبباً للتشنيع على شيعة أهل البيت تشنيعاً قد يصل حدّ التكفير، واستحلت به دماؤهم، وانتهكت حرماتهم ومقدساتهم، على طول التاريخ وإلى يومنا هذا.

وكل ذلك بعين الله تعالى. وإليه يرجع الأمر كله.

ويأتي في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى أثر فاجعة الطف في مواجهة هذا الاحترام والتقديس، واقتحام هذه العقبة.

قوة خط الخلافة عند الجمهور يفضي إلى تحكيم السلطة في الدين

الجهة الثانية: أنه بعد أن كان المفروغ عنه عند المسلمين، على اختلاف توجهاتهم ـ عدا الشاذ الذي لا يعتد به ـ واستفاضت به النصوص، هو لزوم الإمامة، فالصراع الظاهر لما كان منحصراً بين خطّ أهل البيت القاضي بإمامتهم، تبعاً للنص، والخط الآخر القاضي بعدم انضباط أمر الإمامة، وأن من تغلب

فهو الإمام، فانحسار خط أهل البيت عليهم السلام عقائدياً ـ نتيجة النصوص التي وضعت في عهد معاوية وما سبقها مما ظهر في عهد الخلفاء الأولين ـ مستلزم لقوة الخط الثاني، وإضفاء الشرعية على إمامة المتغلب وخلافته، بغض النظر عن شخصه وسلوكه.

ومن الطبيعي حينئذ أن يكون له التحكم في الدين، جرياً على سنن الماضين واقتداءً بهم، حيث يألف الناس ذلك، ويتأقلمون معه كأمر واقع. وقد تقدم أن ذلك هو السبب في تحريف الأديان ومسخها.

وقد يقول قائل: إن احترام الجمهور للأولين، بل تقديسهم لهم هو الذي جعلهم يقبلون منهم ما شرّعوه من الأحكام، ولا يتعدى ذلك لغيرهم ممن تأخر عنهم، ولا يحظى بمثل ذلك الاحترام والتقديس.

لكنه يندفع: بأن قبول الجمهور لأحكام الأولين ليس من أجل احترامهم بأشخاصهم، بل من أجل منصبهم، حيث ابتنى المنصب في الصدر الأول على أن الخليفة هو المرجع للمسلمين في دينهم وفي إدارة أمور دنياهم. وذلك يجري فيمن بعدهم بعد فرض شرعية منصبهم.

ولذا جرى من بعدهم على سنتهم في كيفية اختيار الخليفة، وبقي العمل عليها مادامت الخلافة قائمة كأمر واقع، تبعاً لسنة الأولين بعد فرض شرعيتها عند الجمهور.

ولم تقتصر على الأولين لتميزهم بمزيد من الاحترام والتقديس بالرغم من اعتراف الشيخين نفسهما بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة[1]، وتحذير عمر من

(١) فقد روي ذلك عن الخليفة الأول في أنساب الأشراف ج:٢ ص:٢٧٤ أمر السقيفة، وكتاب

مثلها[١] وأمره بقتل من يعود إلى ذلك[٢]. إلا أن ذلك لما لم يسلب الشرعية عنها عندهم لم يمنعهم من الجري على سننها.

وببيان آخر: كما يكون تمتع الأولين بمزيد من الاحترام والتقديس سبباً للتمسك بشرعية نظام الخلافة الذي جروا عليه، كذلك يكون سبباً لتحديد صلاحيات الخليفة، وحيث ابتنى المنصب عند الأولين على مرجعية الخليفة للمسلمين في الدين والدنيا معاً، يبقى ذلك مادام العمل على نظام تلك الخلافة قائماً، وكانت تلك الخلافة مشروعة عندهم، إلا أن تكون هناك محاولة للحد من اندفاع السلطة وفضحها.

أما التدهور في شخص الحاكم وسلوكه فعلى الإسلام والمسلمين قبوله كأمر واقع تقتضيه طبيعة الاستمرارية في المجتمعات التي يقودها غير المعصوم، من دون أن يخل بالشرعية لأصل الخلافة، ولا بصلاحيات الحاكم.

فهذا أبو بكر يقول في خطبته: «أما والله ما أنا بخيركم. ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً. ولوددت أن فيكم من يكفيني. فتظنون أني أعمل فيكم

العثمانية ص:٢٣١، وسبل الهدى والرشاد ج:١٢ ص:٣١٥، وشرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٥٠، ج:٦ ص:٤٧، وغيرها من المصادر.

وروي عن الخليفة الثاني في صحيح البخاري ج:٨ ص:٢٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة: باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، والسنن الكبرى للنسائي ج:٤ ص:٢٧٢ كتاب الرجم: تثبيت الرجم، ومسند أحمد ج:١ ص:٥٥ مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حديث السقيفة، وصحيح ابن حبان ج:٢ ص:١٤٨ كتاب البر والإحسان: باب حق الوالدين: ذكر الزجر عن أن يرغب المرء عن آبائه إذ استعمال ذلك ضرب من الكفر، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(١) تقدمت مصادره في الهامش السابق في ما روي عن الخليفة الثاني.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٥٨ أيام عمر بن الخطاب. شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:٢٦، ٢٩، ٥٠، ج:٦ ص:٤٧، ج:٢٠ ص:٢١. المواقف ج:٣ ص:٦٠٠. وغيرها من المصادر.

سنة رسول الله ﷺ! إذاً لا أقوم لها. إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك. وإني لي شيطاناً يعتريني. فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم. ألا فراعوني، فإن استقمت فأعينوني، إن زغت فقوموني»[١].

ويقول في خطبة له أخرى فيها: «... وإنكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة. وسترون بعدي ملكاً عضوضاً، وأمة شعاعاً، ودماً مفاحاً. فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة يعفو لها الأثر، وتموت السنن. فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة...»[٢].

وعمر يقول لابن عباس: «والله يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكن قريشاً لا تحتمله. ولئن وليهم ليأخذنهم بمرّ الحق لا يجدون عنده رخصة...»[٣]. يشير بذلك إلى أنه لابد للحاكم أن يخرج عن الحق ويفسح لنفسه في الرخص بما يتناسب مع رغبة الناس وإرضائهم، جمعاً للكلمة.

وقدم معاوية المدينة فخطبهم، فقال: «إني رمت سيرة أبي بكر وعمر فلم أطقها، فسلكت طريقة لكم فيها حظ ونفع، على بعض الأثرة، فارضوا بما أتاكم مني وإن قلّ، فإن الخير إذا تتابع ـ وإن قلّ ـ أغنى، وإن السخطة يكدر

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ج:١١ ص:٣٣٦ باب لا طاعة في معصية، واللفظ له. تخريج الأحاديث والآثار ج:١ ص:٤٨٢. المطالب العالية ج:٩ ص:٦٢٥ كتاب الخلافة والإمارة: باب كراهية أن يحكم الحاكم وهو غضبان. تاريخ دمشق ج:٣٠ ص:٣٠٤ في ترجمة أبي بكر الصديق. كنز العمال ج:٥ ص:٥٩٠ ح:١٤٠٥٠، ص:٦٣٦ ح:١٤١١٨. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) عيون الأخبار ج:٢ ص:٢٣٣ كتاب العلم والبيان، الخطب. وتقدمت بقية مصادره في أوائل الكلام في تأكيد السلطة على الطاعة ولزوم الجماعة.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:١٥٩ أيام عمر بن الخطاب.

المعيشة...»[١].

وخطب يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه، فقال: «إن معاوية كان حبلاً من حبال الله، مدّه ما شاء أن يمدّه، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه. وكان دون من قبله، وهو خير ممن بعده... وقد وليت الأمر بعده، ولست أعتذر من جهل، ولا أشتغل بطلب علم. وعلى رسلكم، إذا كره الله أمراً غيّره»[٢]... إلى غير ذلك.

وكما لم يؤثر ذلك على شرعية السلطة والخلافة لا يؤثر في تحديد صلاحيات الخليفة، بل يبقى هو المرجع للمسلمين في دينهم، كما كان الأولون.

ولاسيما أن السلطة يتيسر لها اختلاق النصوص النبوية المؤكدة لسيرة الأولين في مرجعية الخليفة في الدين، بالتعاون مع علماء السوء ورجال الحديث الذين ينسقون معها ويعيشون على مائدتها، كما سبق نظيره في وجوب الطاعة ولزوم الجماعة، وكما حصل في بعض الأديان السابقة.

أضف إلى ذلك أن ظهور التدهور والتسافل في شخص الحاكم وسلوكه للجمهور وإيمانهم به إنما كان بجهود المعارضة وتنبيهها وإنكارها باستمرار، فإذا كسبت السلطة الشرعية بمبايعة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وغيره من النخب، وبدأت في خنق صوت المعارضة وملاحقتها وتحجيم دورها، تيسر

---

(١) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٥٥ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان.

(٢) عيون الأخبار ج:٢ ص:٢٣٨ـ٢٣٩ كتاب العلم والبيان: الخطب، واللفظ له. العقد الفريد ج:٤ ص:٨٨ فرش كتاب الخطب، ص:٣٤٣ فرش كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم: وفاة معاوية. مروج الذهب ج:٣ ص:٧٦ ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله. جمهرة خطب العرب ج:٢ ص:١٧٨ خطب الأمويين: خطب يزيد بن معاوية. وغيرها من المصادر.

لها ـ بما تملك من قوى إعلامية وتثقيفية هائلة، وبالاستعانة بعلماء السوء والانتهازيين ـ كسب تقديس الجمهور وإغفاله عن جرائمها وتسافلها، كما حصل في الشام نتيجة غياب المعارضة. بل حتى في إفريقية، كما تقدمت بعض شواهد ذلك عند الكلام في تركيز السلطة على وجوب الطاعة، وفي ظهور حجم الخطر بملاحظة مواقف الأمويين وتشويههم للحقائق.

وبذلك تعرض دين الإسلام العظيم للخطر القاتل. بل تعرضت الحقيقة الدينية المقدسة عموماً للتشويه والضياع الأبدي، إذ الإسلام خاتم الأديان، وليس بعده دين ولا وحي يظهر الحقيقة، ويدافع عنها. ويأتي في أوائل المقام الثالث إن شاء الله تعالى ما ينفع في المقام.

تفاقم الخطر بتحويل الخلافة إلى قيصرية أموية

ويزيد في هذا الخطر أن معاوية قد عهد بالخلافة إلى ولده يزيد، حيث تحولت إلى هرقلية قيصرية في ضمن عائلة خاصة. إذ تستخدم هذه العائلة الدين حينئذ لخدمة أهدافها ذات الأمد الطويل.

ولاسيما بعد أن كانت تلك العائلة خصماً عنيداً للإسلام. لما هو المعلوم من موقفهم المناهض له في بدء ظهور دعوته. وقد وترهم الإسلام في أنفسهم، وفي موقعهم الاجتماعي.

مضافاً إلى ظهور استهتارهم بالمبادئ والقيم، بحيث لا يقفون عند حدّ، ولا يمنعهم من تحقيق أهدافهم شيء.

وقد سبق منّا عرض بعض مواقفهم وثقافتهم التي كانوا يثقفون بها أهل الشام، ويحاولون تعميمها في المسلمين، وحملهم عليها، عند التعرض لما يتوقع

أن يترتب على الانحراف الذي حصل، نتيجة الخروج بالسلطة في الإسلام عن واقعها الذي أراده الله تعالى، وقامت الأدلة والنصوص عليها.

حديث المغيرة بن شعبة عن خطر البيعة ليزيد

وكأن المغيرة بن شعبة قد أدرك ذلك. فقد بلغه أن معاوية يريد عزله عن ولاية الكوفة، فأراد أن يستميله، كي يبقيه في ولايته ولا يعزله، فأشار عليه بولاية العهد ليزيد، فقال له معاوية: «ومن لي بهذا»؟ فقال: «أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة. وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك»، فقال له معاوية: «فارجع إلى عملك، وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى، ونرى».

فودعه ورجع إلى أصحابه، فقال: «لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية [الغي] على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً»(١).

وهو المناسب لما عن الرحبي قال: «قال معاوية ليزيد ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك»(٢).

وإن النظرة الموضوعية للواقع الذي حصل بتفاصيله وتداعياته تشهد بصحة هذا التقييم لبيعة يزيد، وللنتائج المتوقعة عليها.

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٥٠٤ أحداث سنة ست وخمسين من الهجرة: ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد، واللفظ له. النصائح الكافية ص:٦٤. وقريب منه في سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٣٩ في ترجمة يزيد بن معاوية، وتاريخ الإسلام ج:٥ ص:٢٧٢ في ترجمة يزيد بن معاوية، وتاريخ دمشق ج:٣٠ ص:٢٨٧ في ترجمة أبي بكر الصديق، وج:٦٥ ص:٤١٠ في ترجمة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وتاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٢٠ أيام معاوية بن أبي سفيان. وغيرها من المصادر.

(٢) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٦٦ في أمر معاوية بن أبي سفيان.

ما حصل هو النتيجة الطبيعية لخروج السلطة عن موضعها

ومهما يعتصر قلب المسلم ألماً لذلك، فإنه لا ينبغي أن يستغرب ما حصل، إذ هو النتيجة الطبيعية للخروج عن مقتضى النص الإلهي. إذ كلما امتدّ الزمن بالانحراف في المسيرة، وفتح الباب للاجتهادات والمبررات لمواقف السلطة، وأَلِف الناس ذلك، تضاعفت التداعيات والسلبيات، وزاد السير بعداً عن الطريق المستقيم، وفقدت القيود والضوابط، بنحو يتعذر معه الرجوع إليه. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولنكتف بهذا المقدار في عرض مواقف السلطة في عهد معاوية لمواجهة جهود أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) في كبح جماح الانحراف الذي حصل، نتيجة الخروج بالسلطة في الإسلام عن موضعها، وخروج الأمة في مسيرتها عن الطريق الصحيح الذي أراده الله تعالى لها.

المقام الثالث

في أثر فاجعة الطف في الإسلام بكيانه العام

مات معاوية وقد خلف للإســلام تركة ثقيلة. حيــث أقام دولة ذات أهداف قبلية جاهلية، تتخذ من الإسلام ذريعة لتحقيق أهدافها، ولو بتحريفه عن حقيقته، كما سبق.

ولو قدر لها البقــاء والعمل كما تريد لقضت عــلى جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كبح جماح الانحراف، وتعريف المسلمين بمعالم دينهم، ليستضيء بها من يطلب الدين الحق، ويحاول التعرف عليه والتمسك به.

أحكم معاوية بناء دولة قوية

وقد أحكم معاوية بناء هذه الدولة وأرسى أركانها بالترغيب والترهيب، والإعلام الكاذب والتثقيف المنحرف، وإثــارة العصبية والنعرات الجاهلية، فكانت هي المعايير العامّة في إعلان الولاء والتأييد.

وتجاهــل ذوو النفوذ في المجتمع ما عداها مــن دواعي الدين والمبادئ والمثل والأخلاق، وتســابقوا في إرضاء الســلطة والتزلف لها والتعاون معها ودعمهــا. وأَلِفَ الجمهور ذلــك وتأقلموا معه، على أنه هــو الواقع العملي للخلافة والسلطة، وللدين الذي تمثله.

وكنموذج متميز في ذلك الأحنف بن قيس الذي يعد من النخب القليلة في العرب في الحلم والعقل وعدم الإغراق في الاهتمام بالمكاسب الشخصية، ومع ذلك يقول: «قد بلونا آل أبي طالب فلم نجد عندهم إيالة للملك ولا صيانة للمال ولا مكيدة في الحرب...»[١].

وقد أوضح معاوية إحكامه لبناء هذه الدولة في وصيته لابنه يزيد، حيث قال له في مرضه الذي توفي فيه: «يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد. وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر...»[٢].

امتعاض ذوي الدين من انحراف السلطة عن تعاليمه

وبقي هناك ثلة من المسلمين من ذوي الدين والمثل، أو ممن يتظاهرون بذلك، ينظرون لما يجري على مضض. وعمدة ما يشغل بالهم ويقلقهم، أو يظهرون القلق من أجله، هو انحراف السلطة، وخروجها عن تعاليم الدين، وظلمها وطغيانها، واستئثارها، وما يجري مجرى ذلك.

أما مسألة تحريف الدين وضياع معالمه فلا يظهر منهم التوجه له

---

(١) أنساب الأشراف ج:١٢ ص:٣٢٢، واللفظ له، ج:١٢ ص:٣٣٧ في أمر الأحنف بن قيس. جمهرة الأمثال لابي هلال العسكري ج:١ ص:١٤١ في قولهم: «أست المرأة أحق بالمجمر». البلدان لابن الفقيه الهمذاني ص:٢٤٦.

(٢) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٣٨ أحداث سنة ستين من الهجرة، واللفظ له. البداية والنهاية ج:٨ ص:١٢٣ أحداث سنة ستين من الهجرة. تاريخ ابن خلدون ج:٣ ص:١٨ وفاة معاوية. الفتوح لابن أعثم ج:٤ ص:٣٥٤ ذكر الكتاب والعهد إلى يزيد. وغيرها من المصادر.

والاهتمام بأمره والحديث حوله، فضلاً عن العمل لمنعه.

ونتيجة لذلك ينحصر الإصلاح بنظرهم بتغيير السلطة، وجعل الخلافة في موضعها المناسب لها، كسلطة دينية ترعى الدين وتعاليمه، ويهمها أمر المسلمين وصلاح أمرهم.

وقد يرشح لذلك، أو يتصدى للمطالبة به، جماعة. وعلى رأسهم الإمام الحسين (صلوات الله عليه) الذي هو الرجل الأول في المسلمين ديناً ومقاماً وقرابة من النبي صلى الله عليه وآله، كما أوضحناه عند الكلام في أبعاد فاجعة الطف.

وهؤلاء النفر القليل على قسمين:

من يرى إمكان إصلاح السلطة وتعديل مسارها

الأول: من يرى التفكير في ذلك عملياً، ويحاول السعي له، إما بمكر ودهاء، أملاً في المكاسب المادية، والوصول لمراكز النفوذ وصنع القرار بعد التغيير، وإما بحسن نيّة، نتيجة الموقف الانفعالي من الفساد الذي حصل، وبتخيل وجود الآلية الكافية للصراع مع الوضع القائم.

ومن الصنف الثاني خواص الشيعة في الكوفة الذين كانوا يستثيرون الإمام الحسين عليه السلام بعد موت الإمام الحسن عليه السلام، كما استثاروا الإمام الحسن (صلوات الله عليه) من قبل. وكانوا يرون أن في موت معاوية فرصة لا ينبغي تضييعها.

من يرى تجنب الاحتكاك بالسلطة حفاظاً على الموجود

الثاني: من يرى أن التفكير في ذلك غير عملي، وأن الموازنة بين القوى لا

تسمح به بعد ما انتهى إليه وضع المسلمين، بسبب انحراف مسار السلطة وما ترتب عليه من مضاعفات، وآخرها سياسة معاوية السابقة.

ولاسيما أن الفشل العسكري الذي منيت به تجربة الإصلاح وتعديل مسيرة السلطة في الإسلام، التي قادها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، أوجب الإحباط عند الخاصة الذين من شأنهم الموازنة بين القوى وعدم الاندفاع العاطفي في اتخاذ المواقف.

حيث لا يتوقع أن يأتي قائد أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام علماً بالدين، وإخلاصاً لقضيته، والتزاماً بالمبادئ، وشجاعة، وصلابة في الموقف، وسابقة، وأثراً في الإسلام. ولا أظهر شرعية منه عند الكل بعد تمامية بيعته باختيار عامة المسلمين.

حتى إنه لا إشكال عند أهل العلم والمعرفة أخيراً في شرعية خلافته، وبغي الخارجين عليه، ووجوب قتالهم. كما ذكرنا بعض ما يتعلق بذلك في أواخر الكلام في المقام الأول.

كما لا يتهيأ أنصار أكثر من أنصاره ولا أفضل، حيث بايعه عن قناعة تامة الكثرة الكاثرة من المسلمين، وفيهم العدد الكثير من المهاجرين والأنصار وذوي السابقة والأثر الحميد في الإسلام، ومن أهل النجدة في العرب، وذوي المقام الاجتماعي والنفوذ فيهم، والذين لهم الأثر الكبير في فتوح الإسلام. وقد قدموا من أجل دعمه عليه السلام ونجاح مشروعه أعظم التضحيات.

وأيضاً لا يتوقع ـ بمقتضى الوضع الطبيعي ـ أن يأتي زمان أفضل من زمانه عليه السلام، لقربه من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، والتعرف على تعاليمه، ووجود الكثرة الكاثرة من صحابته.

وقد أكدت الأحداث المتلاحقة ذلك، حيث لم يسجل تاريخ الإسلام نجاح حركة إصلاحية حقيقية ـ تلتزم المبادئ في أهدافها، وفي وسائل نجاحها في صراعاتها، محافظة على نقائها واستقامتها ـ وبقاءها مدة أطول من عهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ويعلم أهل المعرفة أن انهيار مشروعه (صلوات الله عليه) عسكرياً إنما تسبب عن التزامه بالمبادئ وحرفية التشريع، واستغلال خصومه ذلك، ومحاولتهم الخروج عنها، والالتفاف عليها، في وسائل صراعهم معه، وفي تثبيت سلطانهم بعده، لوجود الأرضية الصالحة لتقبل ذلك من عامة الناس، لعدم استحكام الدين والمبادئ في نفوسهم، وثقل الأمانة والاستقامة عليهم.

ولا يتوقع صلاح المجتمع الإسلامي بعد أن دخله الفساد. بل كلما زادت ألفتهم له زاد استحكامه فيهم، وتعذر تطهيرهم منه.

نعم يمكن أن يغلب الباطل بباطل مثله في المكر، وانتهاك الحرمات، والخروج عن المبادئ والقيم والالتفاف عليها. كما حصل. والدنيا دول.

ونتيجة لذلك كان توجه هؤلاء النفر إلى المحافظة على الموجودين من ذوي الدين والصلاح بتجنب الاحتكاك بالحاكم، لأن ذلك غاية الميسور.

وربما يكون ذلك هو المنظور لكثير ممن أشار على الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بترك الخروج على يزيد، ومنهم عبد الله بن جعفر، كما يظهر من كتابه للإمام الحسين عليه السلام الذي تقدم التعرض له في المقصد الأول.

بل كلما زاد الاحتكاك بالحاكم، وتحقق منه التجاوز عن الحدّ في الرد، زاد جرأة على انتهاك الحرمات، وأبعد في التجاوز عليها، وتعود الناس على

ذلك وألفوه، وخفّ استنكارهم له.

فكيف إذا كان المنتهك حرمته هو الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام) الذي هو أعظم الناس حرمة، والرجل الأول في المسلمين؟! كما يشير إلى ذلك ما تقدم منه (صلوات الله عليه) في المعركة، ومن عبد الله بن مطيع في حديثه معه عليه السلام وغير ذلك.

وربما تُدعم وجهة نظر هؤلاء بأمرين:

الأول: الحذر من شق كلمة المسلمين وتفريق جماعتهم، وإلقاح الفتنة بينهم، الذي قد يتشبث به الكثير جهلاً، أو نفاقاً ومماألأة للظالم.

الثاني: طلب العافية جبناً، أو لعدم الشعور بالمسؤولية.

موقف أهل البيت عليهم السلام إزاء المشكلة

أما أهل البيت (صلوات الله عليهم) فهم على بصيرة تامة من أن تعديل مسار السلطة في الإسلام بعد انحرافها من اليوم الأول أمر متعذر في الأمد المنظور. ويأتي توضيح ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ في المقام الثاني من الفصل الثاني في العبر التي تستخلص من فاجعة الطف.

وقد سبق أن أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) كان على علم بما يؤول إليه أمر بيعته من الفشل العسكري، وأن ما ظهر لنا من ثمرات قبوله بالخلافة هو إظهار الحقيقة، وإيضاح معالم الدين، وتشييد دعوة الحق، وإيجاد جماعة صالحة تقتنع بتلك الدعوة وتحملها وتدعو لها، وترفض دعوة الباطل وتشجب شرعيتها وشرعية السلطة التي تتبناها، وتنكر عليها الجرائم والمنكرات التي تقوم بها، وتحاول فضحها. وقد حقق ذلك بنجاح.

بيعة يزيد تعرض جهود أمير المؤمنين عليه السلام للخطر

غير أن جهوده (صلوات الله عليه) أصبحت مهددة بالخطر، نتيجة خطوات معاوية المتلاحقة، وآخرها البيعة لابنه يزيد في دولة قوية، قد أرسى قواعدها، وأحكم بنيانها، وأمة متخاذلة أنساها دينها ومثلها، وأحيى دعوة الجاهلية فيها، وسلبها شخصيتها وكرامتها، وأذلها بالترغيب والترهيب، وشوّه مفاهيمها وتعاليمها بالإعلام الكاذب والتثقيف المنحرف.

ومن الظاهر أن البيعة ليزيد كانت تدهوراً سريعاً في معيار اختيار الخليفة، وابتداعاً لأمر لم يعهده المسلمون من قبل، ولم يألفوه بعد، ولا تقبلوه.

أولاً: بلحاظ واقع يزيد التافه، وسلوكه الشخصي المشين، وظهور استهتاره بالدين والقيم، ومقارفته للموبقات، وانغماسه في الشهوات.

وثانياً: بلحاظ ابتناء اختياره على وراثة الخلافة وانحصارها بآل معاوية، وتجاهل أكابر المسلمين من بقايا الصحابة وأبنائهم. ولاسيما بعد ما عاناه الإسلام والمسلمون من حكم معاوية نفسه، وتجربته المرة التي مرت بهم.

فإذا لم يستغل ذلك في الإنكار والدعوة للتغيير، وبقيت الأمور على ما هي عليه، وبايع أكابر المسلمين ـ وعلى رأسهم الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ـ يزيد، تأكدت شرعية تلك الدولة القوية التي ينتظر منها القضاء على الدين، وعلى جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كبح جماح الانحراف.

عدم تبلور مفهوم التقية

وخصوصاً أن مفهوم التقية لم يتبلور بعد عند عامّة المسلمين، ولا يدركون أن الاستجابة للبيعة والسكوت عن إنكار المنكر نتيجة القسر

والضغوط القاهرة لا يضفي شرعية على الوضع القائم.

ولاسيما بعد تصدي مثل حجر بن عدي الكندي وجماعته وغيرهم من وجوه الشيعة وأعيان المسلمين للإنكار، ودفعهم الثمن الغالي في سبيله، وعدم أخذهم بالتقية في السكوت عن الباطل[١].

والإمام الحسين (صلوات الله عليه) أعرف منهم بالوظيفة الشرعية، وأحرى برعاية الدين، وأقوى منهم ـ بنظر عامة الناس ـ بما يملكه من مركز ديني واجتماعي رفيع. فبيعته عليه السلام ليزيد تضفي الشرعية على السلطة بنظر جمهور المسلمين، ولا تحمل على التقية.

ويناسب ما ذكرنا ـ من عدم تبلور مفهوم التقية ـ أن بسر بن أرطاة لما أغار على المدينة المنورة في أواخر عهد أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ أهلها بالبيعة لمعاوية قال لبني سلمة: «والله ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله». فلم يستوضح جابر الموقف، ولم يأخذ بالتقية حتى انطلق إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: «ماذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة، وقد خشيت أن أقتل». قالت: «أرى أن تبايع، فإني قد أمرت ابني عمر وختني ابن زمعة أن يبايعا...» فأتاه جابر فبايعه[٢].

---

(١) **لعل إصرار هؤلاء على موقفهم وعدم أخذهم بالتقية لعدم تركز المفاهيم الحقة التي كانوا يتبنوها، فأخذهم بالتقية يوجب ضياع الحق على الناس، وهو أشد محذوراً من تضحيتهم بأنفسهم. نظير موقف الإمام الحسين (صلوات الله عليه) في وقته. ولاسيما مع قرب أن تكون مواقفهم هذه قد كانت بعهد معهود من أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام)، كما يستفاد ذلك في الجملة من كثير من النصوص. وللكلام مقام آخر.**

(٢) الكامل في التاريخ ج:٣ ص:٣٨٣ أحداث سنة أربعين من الهجرة: ذكر سرية بسر بن أبي أرطأة إلى الحجاز واليمن. تاريخ الطبري ج:٤ ص:١٠٦ في أحداث سنة أربعين من الهجرة. الاستيعاب ج:١

وكذا ما ذكره المؤرخون من البيعة التي طلبها مسلم بن عقبة من أهل المدينة بعد واقعة الحرة. قال اليعقوبي: «ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يؤتى به، فيقال: بايع على أنك عبد قن ليزيد. فيقول: لا. فيضرب عنقه. فأتاه علي بن الحسين عليه السلام فقال: علام يريد يزيد أن أبايعك؟ قال: على أنك أخ وابن عم. فقال: وإن أردت ان أبايعك على أني عبد قن فعلت. فقال: ما أجشمك هذا. فلما أن رأى الناس إجابة علي بن الحسين عليه السلام قالوا: هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بايعه على ما يريد، فبايعوه على ما أراد»[1].

وقد منع (صلوات الله عليه) بذلك عملية القتل والإبادة الجماعية التي تعرضت لها الأمة المنكوبة، ونبّه لتشريع الله عز وجل التقية من أجل الحفاظ على المسلمين المضطهدين. وذلك بعد أن اتضحت معالم الحق، وفقدت السلطة شرعيتها بسبب فاجعة الطف ومضاعفاتها.

لم يخرج على سلطة الأمويين إلا الخوارج الذين سقط اعتبارهم

ويزيد في تعقد الأمور أنه لم يعرف عن أحد قبل الإمام الحسين عليه السلام الخروج على الحكم الأموي ـ مع شدة مخالفته للدين، وطول مدته ـ إلا الخوارج الذين قد سقط اعتبارهم عند المسلمين.

ص:١٦٢ في ترجمة بسر بن أرطأة. البداية والنهاية ج:٧ ص:٣٥٦ أحداث سنة أربعين من الهجرة. شرح نهج البلاغة ج:٢ ص:١٠. ونحوه في كتاب الثقات ج:٢ ص:٣٠٠، وتاريخ دمشق ج:١٠ ص:١٥٢ـ١٥٣ بسر بن أبي أرطأة، وتهذيب الكمال ج:٤ ص:٦٥ في ترجمة بسر بن أرطأة. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥٠ـ٢٥١ مقتل الحسين بن علي.

أولاً: لظهور بطلان أســس دعوتهم، خصوصاً بعد قتال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لهم، وفتكه بهم، في بــدء ظهورهم، مع ما تظافر عنه عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وآله من قبله من الطعن فيهم، والحكم بضلالهم وهلاكهم.

وثانياً: لتطرفهم وانتهاكهم للحرمات، بنحو أوجب مقت عامة المسلمين لهم. وقد استغلت السلطة ذلك كله ضدّهم، وضدّ كل من يخرج عليها، حتى الإمام الحسين (صلوات الله عليه). حيث حاولت في عنفوان اصطدامها به أن تجعله ومن معه خوارج مهدوري الدم شرعاً، كما تقدمت بعض شواهد ذلك عند الكلام على تركيز السلطة على وجوب الطاعة ولزوم الجماعة.

ومن الطريف في ذلك ما ورد من أن هاني بن عروة لما ذهب إلى ابن زياد زائراً، وطلب منه ابن زياد أن يدفع إليه مسلم بن عقيل عليه السلام، وامتنع من ذلك، معتذراً بأنه ضيفه وجاره، طلب ابن زياد أن يدنوه منه، فلما أدنوه اســتعرض وجهه بالقضيــب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخــده حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته وسالت الدماء على ثيابه حتى كسر القضيب. فلما ضاق الأمر بهاني ضرب يده إلى قائم ســيف شرطي ليدافع عن نفسه فجاذبه الشرطي ومنعه. فقال ابن زياد لهاني: «أحروري سائر اليوم؟! أحللت بنفسك قد حلّ لنا قتلك»[1].

---

(١) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٢٧٣ـ٢٧٤ أحداث سنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحســين عليه السلام ..، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:٢٩ أحداث ســنة ستين من الهجرة: ذكر الخبر عن مراســلة الكوفيين الحســين بن علي عليه السلام.. . البداية والنهاية ج:٨ ص:١٦٦ أحداث سنة ســتين من الهجرة: قصة الحســين بن علي وســبب خروجه من مكة في طلب الإمارة ومقتله. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:٢٠ ص:٢٤٧ أحداث ســنة ستين من الهجرة: ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على الكوفة وقدومه إليها وخبره مع هانئ بن عروة. وغيرها من المصادر.

فكأن المفروض على هاني أن يستسلم لابن زياد ويتركه يفعل به ما يشاء، ولا يدافع عن نفسه، وإلا كان حرورياً خارجياً يهدر دمه ويحلّ قتله!.

والحاصل: أنه لا أثر لخروج الخوارج على السلطة في سلب شرعيتها، والحدّ من غلوائها، بعد إقرار أكابر المسلمين لها، ودخولهم في طاعتها.

موقف الشيعة من الأولين يحول دون تفاعل الجمهور معهم

كما أنه لم يحمل لواء الإنكار على الأمويين وعلى تحريفهم للدين ـ بعد الخوارج ـ إلا الشيعة. وهم وإن كانوا قد فرضوا احترامهم بأشخاصهم على المسلمين، لما عرفوا به من التقوى والعلم وصدق اللهجة، حتى أخذ الجمهور بروايات محدثيهم في الصدر الأول مع علمهم بتشيعهم ومخالفتهم لهم[1]. وروي عن سفيان الثوري قوله: «هل أدركت خيار الناس إلا الشيعة؟»[2].

وفي صحيح زيد الشحام عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) في وصيته لشيعته: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة... فوالله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث. إليه وصاياهم وودائعهم. تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان؟! إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[3]... إلى غير ذلك.

إلا أن من المعلوم أن الشيعة قد تعرضوا لشتى صروف التنكيل المشار

---

(١) راجع كتاب المراجعات ص:١٠٤ـ١٩٤ المراجعة:١٦.

(٢) مقاتل الطالبيين ص:١٩٥ من خرج مع محمد بن عبد الله من أهل العلم.

(٣) الكافي ج:٢ ص:٦٣٦ باب ما يجب من المعاشرة حديث:٥. وسائل الشيعة ج:٨ ص:٣٩٨ـ٣٩٩ باب:١ من أبواب أحكام العشرة حديث:٢.

إليها آنفاً فلا يسهل إيصال إنكارهم للجمهور وتعميم دعوتهم.

مع أنهم يصطدمون مبدئياً بشرعية خلافة الأولين، ويتبنون نقد مواقفهم ومواقف من كان على خطهم، مع ما لبعض أولئك من مكانة في نفوس جمهور المسلمين قد تبلغ حدّ التقديس.

وذلك يكون حاجزاً دون السماع من الشيعة والتفاعل بحديثهم. خصوصاً إذا بايع إمامهم الحسين (صلوات الله عليه) وغيره من ذوي المكانة في المجتمع الإسلامي.

التفاف السلطة على الخاصة لإضعاف تأثيرهم على الجمهور

كما أن الخاصة من ذوي الدين والمقام الرفيع في المسلمين إذا انسجموا مع الحاكم الظالم خَفَتَ بريقهم، وسقطت هالة الاحترام والتقديس لهم، فيضعف تأثيرهم تدريجاً في إصلاح المجتمع الإسلامي، وتنبيهه من غفلته.

ولاسيما أن الحاكم ـ من أجل تثبيت شرعية حكمه ـ يحاول جرّهم للانصهار به، وجعلهم واجهة له، يتجمل بهم، أو يجعلهم آلة لقضاء مآربه.

فإن امتنعوا حجّم دورهم، أو قضى عليهم. وإن تجاوبوا معه لوّثهم بجرائمه، فيقل احترامهم في نفوس الناس تدريجاً، ويضعف تأثيرهم في إصلاح المجتمع، حتى ينتهي أخيراً وينفرد هو في الساحة.

شرعية السلطة تيسر لها التدرج في تحريف الدين

وإذا مضت مدة معتد بها، وتحقق للسلطة ما تريد، تعامل الناس معها على أنها الأمر الواقع الممثل للدين، والمفروض من قِبّل الله عز وجل.

وحينئذ يتيسر لها التلاعب به وفق أهدافها وأهوائها، وانطمست معالم الدين الحق، وكان الدين عندهم دين السلطة أو المؤسسة التي تنسق معها.

وحتى لو فرض تبدل السلطة نتيجة العوامل الخارجية، فإن السلطات المتعاقبة تبقى هي المرجع في الدين ـ جرياً على سنن الماضين ـ بعد أن انطمست معالمه، وضاعت الضوابط فيه. وهكذا يبقى الدين أداة بيد السلطة تستغله لصالحها. كما حصل ذلك في الأديان السابقة.

وببيان آخر: إن تعديل مسار السلطة وإن كان متعذراً، إلا أن السكوت عن سلطة الباطل في ذلك المنعطف التاريخي لها، والتعامل معها على أساس الاكتفاء بالميسور من التخفيف في الجريمة والمخالفة للدين والتحريف فيه، يفسح لها المجال للتدرج في تحقيق أهدافها في تحريف الدين وتحويره، بنحو يكون أداة لتركيز نفوذها وتثبيت شرعيتها، وإكمال مشروعها.

وذلك يكون بأمرين:

الأول: التدرج في المخالفات والتحريف، بنحو لا يستفز الجمهور. وكلما أَلِف الجمهور مرتبة من الانحراف انتقلت للمرتبة الأعلى، وهكذا حتى يألف الجمهور تحكم السلطة في الدين وتحويرها له.

الثاني: التدرج في إضعاف المعارضة مادياً بالتنكيل بها، ومعنوياً بجرها للانصهار بالسلطة، إلى أن تنتهي فاعليتها وقدرتها على تحريك الجمهور وتثقيفهم على خلاف ثقافة السلطة.

ونتيجة لذلك يُستغفل الجمهور، ويألف مرجعية الدولة في الدين، وأخذه منها، وتأخذ الدولة حريتها فيما تريد، وتتم لها أهدافها.

وهناك محذوران آخران يترتبان على ذلك لا يقلان أهمية عنه:

تبعية الدين للسلطة تخفف وقعه في نفوسهم

الأول: أن النـــاس إذا ألفت الدين الذي تأخـــذه من الدولة، وتعارفت عليـــه، ونسي الدين الحـــق، خفّ وقع الدين في نفوســـهم، وضعفت حيويته وفاعليته. وبقي طقوساً وشعارات فارغة. وهو ما سعى إليه معاوية من تحكيم الترهيب والترغيب، وإثـــارة النعرات الجاهلية، وعزل المبادئ والمثل، على ما سبق.

بل يتلوث الدين على الأمد البعيد بجرائم السلطة، وتتشوه صورته تبعاً لها، فتتنكر الناس له، لشعورهم بأنه جاء ليدعم الدولة، ويكون آلة بيدها تنفذ عن طريقه مشاريعها الظالمة وأهدافها العدوانية. وحينئذ يبدأ الناس بالتحلل منه والخروج عنه تدريجاً، كما حصل في الأديان السابقة.

ومن المعلوم أن من أهم أســـباب الموقف الســـلبي ـ الذي اتخذه الغرب الرأســـمالي والشـــيوعية الشرقية في العصور القريبة ـ من الدين هو ردّ الفعل لاستغلال الســـلطة للدين في العصور المظلمة، وتنسيقها مع مؤسساته لخدمة أهدافها، واستعبادها للشعوب.

قد ينتهي التحريف بتحول الدين إلى أساطير وخرافات

الثـــاني: أن التحريـــف كثيراً ما ينتهـــي بالدين إلى أســـاطير وخرافات وتناقضات تتنـــافى مع الفطـــرة، ولا يتقبلها العقل الســـليم. فإما أن يرفضه ذوو المعرفـــة والعقول المتفتحة جملة وتفصيـــلًا، أو يكتفوا في اعتناقه بمحض الانتساب تأثراً بالبيئة، أو مع التبني، تعصباً وتثبيتاً لهويتهم التي توارثوها عن

آبائهم، من دون أن يأخذ موقعه المناسب من نفوسهم.

ويتضح ذلك بالنظرة الفاحصة للتراث الذي ينسب للأديان السماوية السابقة على الإسلام، وتتبناه حتى الآن المؤسسات الدينية الناطقة باسمها.

وهكذا الحال في كثير من التراث الإسلامي المشوه الذي كان لانحراف السلطة الأثر في إقحامه في تراث الإسلام الرفيع.

وقد استغله أعداء الإسلام ـ من المستشرقين وأمثالهم ـ للنيل من الإسلام والتهريج عليه. وهم يجهلون أو يتجاهلون براءة الإسلام منه، وأنه دخيل فيه مكذوب عليه.

بل من القريب أن تكون كثير من الأديان الباطلة الوثنية وغيرها ترجع في أصولها إلى أديان سماوية حقة، قد مسختها يد التحريف والتشويه، حتى أخرجتها عن حقيقتها، وإن بقيت تحمل بعض ملامحها، أو شيئاً من تعاليمها.

ويتضح ذلك في العرب قبل الإسلام، حيث بقيت فيهم كثير من ملامح دين إبراهيم (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) كالحج والعمرة والختان وغسل الجنابة والميت وكثير من محرمات النكاح، وتعظيم البيت الحرام، واحترام إبراهيم نفسه، وغير ذلك.

ضرورة إحراج السلطة بموقف يلجئها لمغامرة سابقة لأوانها

وعلى ضوء ذلك لا علاج لمأساة الإسلام والمسلمين، في تلك المرحلة الحساسة، إلا بإحراج السلطة بموقف يستثيرها، ويفقدها توازنها، لتتخذ خطوة سابقة لأوانها، وتقوم بجريمة نكراء، تنكشف به على حقيقتها، وتستفز جمهور المسلمين، وتذكرهم بدينهم ومبادئهم السامية، وتثير غضبهم،

وتفصلهم عنها وتخسر ثقتهم بها.

وبذلك تفقد السلطة فاعليتها في التثقيف، وقدرتها على التحريف. ويكون تعامل الجمهور معها تعامل الضعيف مع القوي، والمقهور مع القاهر، لا تعامل الرعية مع الراعي، والأتباع مع القائد.

سنوح الفرصة لاتخاذ الموقف المذكور بعد معاوية

ومن الظاهر أن الفرصة قد سنحت بعد معاوية لاتخاذ الموقف المذكور للأسباب التالية:

الأول: التحول في معيار اختيار الخليفة، وفي شخص الخليفة، بالنحو غير المألوف للمسلمين، ولا المقبول عندهم في وقته.

حيث يصلح ذلك مبرراً لإعلان عدم الشرعية، والامتناع من البيعة، ثم التذكير بجرائم الأمويين عموماً، والإنكار عليهم، وفضحهم.

الثاني: طيش يزيد، واعتماده القوة والعنف في مواجهة الأزمات ومعالجة المشاكل، من دون تدبر في العواقب وحساب لها، على خلاف ما كان عليه الأمر في عهد معاوية.

الثالث: وجود جماعة كبيرة مندفعة مبدئياً وعاطفياً نحو التغيير، مقتنعة بإمكانه، واثقة بالقيادة المعصومة، وتدعوها للعمل على ذلك، وتَعِدُها النصرة. حيث تتحقق بتلك الجماعة مبررات المواجهة وآلية العمل، واتخاذ الموقف المذكور.

الرابع: أن فاجعة الطف ـ بأبعادها الدينية والعاطفية والإلهية التي تقدم تفصيل الكلام فيها ـ كانت هي الجريمة الأحرى باستفزاز جمهور المسلمين

واستثارة غضبهم، وفصلهم عن السلطة وسلب ثقتهم بها.

كما أنها الأحرى بأن تبقى عاراً على الأمويين ومن يتبنى خطهم، ويتحملوا معرتها ما بقيت الدنيا. كما صرّح بذلك الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في كتابه المتقدم لابن زياد، الذي قال فيه: «أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق. وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله. فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء، فتهيج على نفسك وقومك في هذه الدنيا ما لا يسده شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا»[1].

وربما يفسر ذلك ما تقدم في حوار الإمام الحسين (صلوات الله عليه) مع أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنه حينما سأله عن وجه تعجيله بالخروج، فقال عليه السلام: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً». فقال محمد: «إنا لله وإنا إليه راجعون. فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟» فقال: «قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»[2].

وعلى كل حال فيتم بذلك الشوط الذي بدأه أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وصالح من أجله الإمام الحسن (صلوات الله عليه) ـ على ما يأتي في المقصد الثالث إن شاء الله تعالى ـ وصارع من أجل استمراره خواص الشيعة، وتحملوا في سبيله صنوف الأذى والتنكيل.

---

(١) بحار الأنوار ج:٤٤ ص:٣٦٨. وتقدمت بقية مصادره وتحقيق الكلام في كاتبه في أواخر الكلام في موقف السلطة من الفاجعة نتيجة ردود الفعل ومحاولتها التنصل من الجريمة.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف ص:٣٩ـ٤٠ خروج الحسين من مكة إلى العراق.

اقتحام السلطة له عليه السلام يزيدها جرأة على انتهاك الحرمات

نعم اقتحام السلطة للإمام الحسين (صلوات الله عليه) وانتهاكها لحرمته يزيد في جرأتها على الحرمات، ويهون عليها كل جريمة، كما توقعه هو عليه السلام وغيره، على ما سبق. وقد حصل فعلاً.

إلا أن ذلك إنما يكون مضراً بالدين إذا حافظت السلطة على شرعيتها، كما هو المتوقع لو بايع الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وكسبت السلطة الشرعية عند جمهور المسلمين، وصفت لها الأمور.

حيث تسعى لتحقيق أهدافها، بانتهاك الحرمات والتخلص من المعارضة بصورة تدريجية متزنة، يستغفل بها الجمهور، ولا تفقدها الشرعية بنظرهم. وبذلك تنطمس معالم الدين الحق، وتخنق دعوته، ولا يسمع صوته، كما تقدم.

استهتار السلطة بعد سقوط شرعيتها يخدم بالدين

أما إذا فقدت السلطة شرعيتها وانفصلت عن الدين بنظر الجمهور، نتيجة قيامها بمثل هذه الجريمة النكراء، فتكون للتضحية ثمرتها المهمة لصالح الدين. بل تكون فتحاً عظيماً تهون دونه هذه النتائج والسلبيات.

على أنه كلما زاد الحاكم إمعاناً في الجريمة تأكد عند الناس بعده عن الشرعية. وكلما شعر هو بأن الناس لا تقتنع بشرعيته زاد استخفافاً بالدين وتجاهراً بمخالفته، لشعوره بعدم الفائدة من مجاملة الناس وستر أمره عليهم.

وذلك مكسب عظيم جداً للإسلام في تلك الظروف التي كان يمرّ بها، حيث يؤكد عدم شرعية السلطة التي تحاول أن تقنع الناس بأنها هي الممثل له.

أثر الفاجعة في حدّة الخلاف بين الشيعة وخصومهم

كما أن فاجعة الطـف قد أوجبت حدّة الخلاف بين شـيعة أهل البيت وخصومهم وتعمقه، ولو على الأمد البعيد، نتيجة تركيز السـلطات المتعاقبة المخالفة لخط أهل البيت (صلوات الله عليهم) على احترام الأولين وموالاتهم والتدين بشرعية خلافتهم، وشرعية نظام الخلافة الذي بدأ العمل عليه منهم، واهتزاز ذلك بسبب الفاجعة، على ما يأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى.

دفع محاذير الاختلاف

لكن سبق منّا أن ذكرنا أنه بعد أن تعذر اتفاق المسلمين على الحق، نتيجة الانحراف الذي حصل، فاختلافهم في الحق خير من اتفاقهم على الباطل، ثم ضياع الحق عليهم وعلى غيرهم، بحيث لا يمكن الوصول إليه[1]. ولاسيما إذا كان الاختلاف مشـفوعاً بظهور معالم الدين الحق وسماع دعوته، وقوة الحجة عليه. كما يأتي توضيحه إن شاء الله تعالى.

مواقف الأنبياء والأوصياء وجميع المصلحين

وعلى هذا جرى جميع الأنبياء والأوصيـاء (صلوات الله عليهم) وكل المصلحـين، خصوصاً الأمميـين الذين تعم دعوتهم العـالم أجمع، ولا تختص بمدينة خاصة أو قبيلة خاصة أو شعب خاص.

فإنهم بدعوتهم وتحركهم قد خالفوا المحيط الذي عاشـوا فيه، وشقوا كلمـة أهله، ولم يتيسر لهم غالبـاً ـ بل دائماً ـ توحيد كلمـة المعنيين بدعوتهم وحركتهم، وكسب اتفاقهم لصالحهم.

---

(١) تقدم في آخر الكلام في تأكيد السلطة على الطاعة ولزوم الجماعة.

وأنجحهم من استطاع أن يوحّد جماعة صالحة تتمسك بخطه وتعاليمه وتدعوا إليها في مقابل دعوة الباطل التي كان يفترض لها أن تنفرد في الساحة لولا نهضته وظهور دعوته.

ولا مبرر لهم في ذلك إلا تنبيه الغافل، وإيضاح معالم الحق الذي يدعون له، وإقامة الحجة عليه، ليتيسر لطالب الحق الوصول إليه، كما قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[2].

المقارنة بين دعوة النبي صلى الله عليه وآله وفاجعة الطف

وما الفرق بين دعوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وحركته التي تسببت عن اختلاف الناس عامة في الدين الحق، ونهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) التي عمقت الخلاف بين بعض فئات المسلمين في تعيين الإسلام الحق، وكان لها أعظم الأثر في إيضاح معالمه؟!.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد نجح في قيام أمة تعتنق الإسلام، وتستظل برايته، فإن الإمام الحسين عليه السلام قد كان له أعظم الأثر في نشاط الفرقة المحقة التي تلتزم بالإسلام الحق المتمثل بخط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والتي تهتدي بهداهم، وتستضيء بنورهم، وفي قوة هذه الفرقة وتماسكها، كما يأتي توضيحه في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الدهر الآية: ٣.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

لابد من حصول الخلاف بين المسلمين بسبب الانحراف

على أنه بعد أن لم يتفق المسلمون على التمسك بأهل البيت (صلوات الله عليهم) ليعتصموا بهم من الخلاف والضلال، وانحراف مسار السلطة، فالإسلام ـ كسائر الأديان ـ معرض للخلاف والانشقاق، تبعاً لاختلاف الاجتهادات والآراء والمصالح والمطامع التي لا تقف عن حدّ.

ولأَن يكون الخلاف بين حق واضح المعالم ظاهر الحجة، وباطل مفضوح يعتمد على السلطة والقوة ـ كالذي حصل نتيجة جهود أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وفي قمتها نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) التي ختمت بفاجعة الطف ـ خير من أن تضيع معالم الحق، ثم يكون الصراع بين القوى المختلفة من أجل تثبيت مواقعها، وتحقيق أهدافها، من دون هدى من الله عز وجل، ولا بصيرة في دينه، ومن دون مكسب للدين.

بل يأتي إن شاء الله تعالى أن لفاجعة الطف أعظم الأثر في بقاء معالم الدين، وكانت نتيجة ذلك أن اتفق المسلمون بكيانهم العام على مشتركات كثيرة تحفظ للدين صورته ووحدته، ويكون الخارج عنها معزولاً عن الكيان الإسلامي العام، بحيث قد يصل حدّ التكفير والخروج عن الدين. ولولا ذلك لانتشر الأمر واتسعت شقة الخلاف من دون حدود ولا ضوابط.

محذور إضعاف الدولة العربية والإسلامية

ومثل ذلك ما قد يقال من أن فاجعة الطف ـ بتداعياتها التي يأتي التعرض لها ـ قد أضعفت الدولة العربية، أو الدولة الإسلامية، بسبب اهتزاز الكيان العربي والإسلامي، وظهور الانقسامات والشروخ فيه.

ولعل ذلك هو الذي يحمل كثيراً مـــن الباحثين على التململ من نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، أو نقدها، أو التهجم عليها.

فإنه يندفع بوجهين:

الدولة بتركيبتها معرضة للضعف والانهيار

الأول: أن مثـــل هذه الدولة المبنية على الاســـتغلال والظلم والجبروت والقهر، وعلى عـــدم الانضباط في نظام الحكم، معرضـــة للصراع والضعف والانهيار، كما انهارت الدول بمرور الزمن مهما كانت قوتها.

ولأن يكون الـــصراع داخل الدولة بين الحـــق والباطل، وتمتاز إحدى الفئتين عن الأخرى، وتنشط دعوة الحق ويسمع صوتها، خير من ضياع الحق وموته بمرور الزمن، ثم يكون الصراع بعد ذلك بين فئات الباطل المختلفة من أجل الاستيلاء على السلطة من دون هدف ديني أو إنساني نبيل.

لا أهمية للدولة العربية في منظور الإسلام

الثـــاني: أن كون الدولـــة عربية لا أهمية له في منظور الدين الإســـلامي العظيم، بل لا يخرج ذلك عن منظور جاهلي حاربه الإسلام، وشدد في الإنكار عليه، ونبذه.

وهـــو عدوان في حقيقته على الإســـلام، الذي قام عليـــه كيان الدولة، وسرقة منه. فإن كون العرب هم الحاكمين في تلك الفترة باسم الإسلام شيء، وكون الدولة عربية شيء آخر.

فهو نظير ما ينسب لبعض الأمويين من قوله عن سواد العراق: «إنما هذا

السواد بستان لأغيلمة من قريش»[1]. وما ينسب للتعاليم اليهودية المحرفة من أن الدين اليهودي مخصص لصالح بني إسرائيل ويقر امتيازاتهم على بقية الشعوب.

لو شكر العرب النعمة

نعم لو أن العرب شكروا نعمة الله عز وجل ولم يخرجوا بالسلطة عن موضعها الذي وضعها الله تعالى فيه، ووفوا بعهد الله سبحانه الذي أخذه عليهم، لأبقى الله جلّ شأنه عزهم فيهم، ولحملوا دعوة الله عز وجل للأمم، وانتشر الإسلام بحقه وحقيقته وعدله واستقامته وخيره وبركته، بعيداً عن الانحراف والاستغلال والمحسوبيات.

ولعمّت لغة العرب الدنيا، لا لأنها لغة العرب، لتتحسس منها الشعوب الأخرى، بل لأنها لغة الدين العظيم والقرآن المجيد والسنة الشريفة ـ بما في ذلك الأدعية والزيارات الكثيرة ـ وبقية التراث الإسلامي.

وبذلك تهمل الفوارق تدريجاً، وتموت العصبيات. ويكون للعرب شرف ذلك كله، ويكسبون احترام العالم ومودّته.

لكنهم أخطأوا حظهم، وضيعوا نصيبهم، و﴿**بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً**

---

(١) الطبقات الكبرى ج:٥ ص:٣٢ في ترجمة سعيد بن العاص، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٢١ ص:١١٤، ١١٥ في ترجمة سعيد بن العاص. تاريخ الإسلام ج:٣ ص:٤٣١ أحداث سنة خمس وثلاثين من الهجرة: مقتل عثمان رضي الله عنه. ونحوه في تاريخ الطبري ج:٣ ص:٣٦٥ أحداث سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة: ذكر تسيير عثمان من سير من أهل الكوفة إلى الشام، والكامل في التاريخ ج:٣ ص:١٣٩ أحداث سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة: ذكر تسيير عثمان من سير من أهل الكوفة إلى الشام، وتاريخ ابن خلدون ج:٢ ق:٢ ص:١٤٠، وشرح نهج البلاغة ج:٣ ص:٢١، وغيرها من المصادر.

﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[١] فكان عاقبة أمرهم خسراً.

وإلى ذلك يشـــير عمار بن ياسر رضي الله عنه في كلام له يوم الشورى بعد صرف الأمـــر عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وبيعة عثمان. فقد روى الجوهري قال: «نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم: يا معشر المسلمين، إنّا كنّا وما كنّا نستطيع الكلام قلة وذلة، فأعزنا الله بدينه، وأكرمنا برسوله. فالحمد لله رب العالمين. يا معـــشر قريش، إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، تحولونه ههنا مرة، وههنا مرة؟! ما أنـــا آمن أن ينزعه منكم ويضعه في غيركم، كما نزعتموه مـــن أهله ووضعتموه في غير أهلـــه»[٢]. وإنا لله وإنا إليـــه راجعون. ولله أمر هو بالغه.

إظهار دعوة الإسلام الحق أهم من قوة دولته

أما كون الدولة إســـلامية فهو من الأهمية بمـــكان، خصوصاً في تلك الظروف، حيث تكون ســـبباً في حفظ كيان الإسلام، وإيصال دعوته الشريفة للعالم، كما حصل فعلاً. ولذا تقـــدم أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ترك الصراع مع القوم لاسترجاع حقه حفاظاً على كيان الإسلام العام.

إلا أن مـــن أهم الثمرات المطلوبة من بقاء الكيان الإســـلامي العام هو تحقيق الأرضية الصالحة لإيصال الإســـلام الحق للمســـلمين، بل للعالم عامة وتعريفهم به. فلا معنـــى للتفريط بهذه الثمرة حذراً من ضعفٍ مؤقت في قوة الدولة الإسلامية التي هي في مقام تحريف الدين وتضييع معالمه.

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٢٨.

(٢) شرح نهـــج البلاغة ج:٩ ص:٥٨. ونظيره في مـــروج الذهب ج:٢ ص:٣٤١ ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه: عمار بن ياسر.

بل يتعين إيقاف الدولة عند حدّها، والسعي لسلب شرعيتها، لتعجز عن تحريف الدين وتضييع معالمه. ثم تترك لتقوّي كيانها باسم الإسلام، من دون أن تقوى على التدخل في الدين، لحفظ معالمه، واتضاح ضوابطه، مع ظهور دعوة الدين الحق، وقوتها، وسماع صوتها في ضمن الكيان الإسلامي العام.

وهو ما حصل بجهود أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وفي قمتها نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي انتهت بفاجعة الطف المدوية الخالدة.

والحاصل: أنه قد كان لفاجعة الطف التي ختمت بها نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ـ الذي هو المسؤول الأول في المسلمين ـ في هذا المفصل التاريخي من مسار السلطة، والوضع الحرج الذي يمرّ به الإسلام، ضرورة ملحة من أجل التنفير من السلطة المنحرفة، وسلب الشرعية عنها، لدفع غائلتها عن الإسلام، ومن أجل إيضاح معالم الدين والتذكير بضوابطه.

حققت فاجعة الطف هدفها على الوجه الأكمل

وقد حققت هدفها على أكمل وجه، حيث صارت الفاجعة ـ بأبعادها المتقدمة ـ صرخة مدوية هزّت ضمير الأمة، ونبهتها من غفلتها، وأشعرتها بالخيبة والخسران، لخذلان الحق ودعم الباطل، وبالهوّة السحيقة بين الواقع الذي تعيشه والواقع الديني الذي أراد الله عز وجل منها أن تكون عليه.

ولاسيما مع قرب العهد النبوي الشريف وعهد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، حيث يتجسد الإسلام الحق على الأرض. ولا يزال المسلمون يتذكرونه ويتحدثون عنه.

وبذلك تزعزعت الأســس التي قام عليها كيان الظالمين، وابتنت عليها شرعية حكمهم، وسعة صلاحياتهم، وتأثيرهم في تثقيف الأمة وتوجيهها.

وقد سبق أن الســلطة بعد انحراف مسارها في الإسلام ـ باستيلاء غير المعصوم المنصوص عليه على الحكم ـ قد حاولت في الصدر الأول تمرير مشروع تدويل الإسلام، الذي يراد به تبعية الدين الإسلامي للدولة والسلطة، بحيث يؤخذ منها، وتكون هي المرجع فيه، ويتيــسر لها التحكم فيه لصالحها، وتبعاً لأهوائها.

وإذا كان أمــير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والســلام) في فترة حكمه القصيرة قد وقف في وجه المشروع المذكور، وأصحر بمقاومته وعدم شرعيته، واستمرّ خواص شيعته في صراع مرير ضدّه، فإن الإمام الحسين (صلوات الله عليــه) قد اغتنم الفرصة للإجهاز على المــشروع المذكور، والقضاء عليه تماماً بفاجعة الطف الدامية. حيث قامت السلطة بأفظع جريمة في تاريخ الإسلام، لا يزال صداها مدوياً حتى اليوم. وبذلك تمّ الفتح على يديه (صلوات الله عليه).

هذا وقد ســبق منّا في المقصد الأول التعــرض في تتمة الكلام في أبعاد الفاجعــة وعمقهــا إلى ردود الفعل السريعة للفاجعــة، وتأثيرها على موقف السلطة نفسها بعد شعورها بالخطأ والخيبة.

تداعيات فاجعة الطف في المراحل اللاحقة

ويحسن منّا هنا التعرض لتداعيات الفاجعة في المراحل اللاحقة، وتأثيرها على موقف جمهور المسلمين وخاصتهم من السلطة، من أجل أن يتضح كيف ســارت الأمور في اتجاه الفتح العظيم، وتحقيق أهــداف تلك الملحمة الإلهية

العظيمة. فنقول بعد الاتكال على الله عز وجل، وطلب التسديد منه:

ثورة أهل المدينة وعبد الله بن الزبير

من المعلوم أن من نتائج فاجعة الطف وتداعياتها السريعة الثورات المتلاحقة والخروج على حكم يزيد من أهل المدينة المنورة، الذي انتهى بواقعة الحرّة الفظيعة، ومن عبد الله بن الزبير، الذي أدى لانتهاك الأمويين حرمة الحرم، ورميهم مكة المكرمة بالمنجنيق، حتى أصيبت الكعبة المعظمة، واحترقت[١].

موت يزيد بن معاوية

وبعد ذلك عجّل الله تعالى على يزيد، وأهلكه وقد مقته الناس وأبغضوه، حتى إن ابن زياد لما نعاه إلى أهل البصرة نال منه وثلبه[٢]. وما ذلك إلا لإرضائهم، طمعاً في ودّهم وكسبهم لصالحه.

---

(١) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٢٤ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٨٣ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٤٧ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة. السيرة الحلبية ج:١ ص:٢٩٠. تاريخ دمشق ج:١٤ ص:٣٨٥ في ترجمة حصين بن نمير. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٣٤ حوادث سنة أربع وستين من الهجرة. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٦٦ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير. الوافي بالوفيات ج:١٣ ص:٥٧ في ترجمة حصين السكوني. تهذيب التهذيب ج:٥ ص:١٨٨ في ترجمة عبد الله بن الزبير بن العوام. فتح الباري ج:٣ ص:٣٥٤، ج:٨ ص:٢٤٥. إمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢٧٢. تعجيل المنفعة ص:٤٥٣. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٣١ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد. تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٨٩ أحداث سنة خمس وستين من الهجرة: ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد. تاريخ دمشق ج:١٠ ص:٩٥ في ترجمة أيوب بن حمران. وغيرها من المصادر.

إعلان معاوية بن يزيد عن جرائم جده وأبيه

وكان يزيد قد عهد بالخلافة من بعده لابنه معاوية، فأعلن معاوية عن جرائم جده وأبيه، بنحو يوحي بعدم شرعية خلافتهما، ثم رفض تحمل مسؤولية الخلافة، وتعيين ولي العهد له.

فقد خطب الناس، وقال في جملة ما قال: «ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الإسلام، سابق المسلمين وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين. فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتت منيته، وصار رهناً بعمله.

ثم قلّد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل. فقلّت منعته، وانقطعت مدّته، وصار في حفرته، رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه».

ثم بكى وقال: «إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه. وقد قتل عترة رسول الله، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة.

وما أنا بالمتقلد أموركم، ولا المتحمل تبعاتكم. فشأنكم أمركم. فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً. وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها».

فقال له مروان بن الحكم: «سنّها فينا عمرية». قال: «ما كنت أتقلدكم حياً وميتاً. ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر؟! ومن لي برجل مثل رجال عمر؟!».

هذا ما رواه اليعقوبي[١].

وذكر قريباً منه باختصار المقدسي[٢]. أما ما رواه الدميري[٣] وابن الدمشقي[٤] والعصامي[٥] فهو أظهر في تعظيم أمير المؤمنين وأهل البيت (صلوات الله عليهم) وبيان حقهم. بل فيه تلويح أو تصريح بظلمهم عليهم السلام حتى من قِبَل الأولين.

وقال البلاذري: «وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: لقد أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين. ثم رفع صوته فقال: من أراد أن ينظر في خالفة آل حرب فلينظر إلى هذا. فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء اخرج عني لا قَبِل الله لك عذراً يوم تلقاه»[٦].

ولم يطل عهده، بل بقي عشرين يوماً[٧]،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥٤ أيام معاوية بن يزيد بن معاوية، واللفظ له. هذا هو النص الوارد في الطبعة التي اعتمدنا عليها، ولكن ما ورد في الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م في النجف الأشرف منشورات المكتبة الحيدرية ج:٢ ص:٢٤١ هكذا: «ومتى صار ابن يزيد مثل عمر؟!». وقريب منه في النجوم الزاهرة ج:١ ص:١٦٣ـ١٦٤ ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن أبي سفيان الأموي ثالث خلفاء بني أمية ووفاته، وينابيع المودة ج:٣ ص:٣٧.

(٢) البدء والتاريخ ج:٦ ص:١٦ـ١٧ ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية.

(٣) حياة الحيوان ص:١١٢ في مادة: أوز في خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(٤) جواهر المطالب ج:٢ ص:٢٦١ـ٢٦٢ الباب الثاني والسبعون في ذكر الوافدات على معاوية بعد قتل علي عليه السلام وما خاطبوه به وما أسمعوه: خطبة معاوية بن يزيد بن معاوية.

(٥) سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:١٠٢، وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه وملكه.

(٦) أنساب الأشراف ج:٥ ص: ٣٨١ في ترجمة معاوية بن يزيد.

(٧) أنساب الأشراف ج:٥ ص: ٣٧٩ في ترجمة معاوية بن يزيد. تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:٣٠٠ في

أو أربعين يوماً[١] أو ثلاثة أشهر[٢] أو أربعة[٣]. وقيل: إنه مات مطعوناً[٤]، وقيل: مات مسموماً[٥] ولعله الأشهر.

ترجمة معاوية بن يزيد بن معاوية. البدء والتاريخ ج:٦ ص:١٧ ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية.

(١) صحيح ابن حبان ج:١٥ ص:٣٩ كتاب التاريخ: باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث: بيان سني الخلافة بعد رسول الله ﷺ. الطبقات الكبرى ج:٤ ص:١٦٩ في ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب، ج:٥ ص:٣٩ في ترجمة مروان بن الحكم. الاستيعاب ج:٣ ص:١٣٨٩ في ترجمة مروان بن الحكم. أنساب الأشراف ج:٥ ص: ٣٧٩ في ترجمة معاوية بن يزيد. تاريخ دمشق ج:٥٧ ص:٢٥٩ في ترجمة مروان بن الحكم، ج:٥٩ ص:٢٩٧ في ترجمة معاوية بن يزيد بن معاوية. حياة الحيوان ص:١١٢ في مادة: أوز في خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. تاريخ خليفة بن خياط ص:١٩٦. البدء والتاريخ ج:٦ ص:١٧ ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية. شرح نهج البلاغة ج:٦ ص:١٥٢. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) الطبقات الكبرى ج:٥ ص:٣٩ في ترجمة مروان بن الحكم. أنساب الأشراف ج:٥ ص: ٣٧٩ في ترجمة معاوية بن يزيد. تاريخ دمشق ج:٥٧ ص:٢٥٩ في ترجمة مروان بن الحكم. البدء والتاريخ ج:٦ ص:١٧ ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية. سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:١٣٩ في ترجمة معاوية بن يزيد. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٣٠ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٣) تاريخ دمشق ج:٥٩ ص:٣٠٥ في ترجمة معاوية بن يزيد بن معاوية. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٦٠ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية. تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٥٤ في أيام معاوية بن يزيد بن معاوية.

(٤) البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٦١ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية.

(٥) تاريخ الطبري ج:٤ ص:٤٠٩ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: مبايعة أهل الشام لمروان بن الحكم. البداية والنهاية ج:٨ ص:٢٦١ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية. الكامل في التاريخ ج:٤ ص:١٣٠ أحداث سنة أربع وستين من الهجرة: ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية. سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:١٠١ وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه وملكه. الفخري في الآداب السلطانية ج:١ ص:٤٣ في ترجمة معاوية بن يزيد. نهاية الأرب في فنون الأدب ج:٢٠ ص:٣١٣ أحداث سنة ثلاثة وستين من الهجرة: ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية.

انتقام الأمويين من مؤدب معاوية بن يزيد

وسواء انتقم منه الأمويون بالسم أم لم ينتقموا فإنهم قد انتقموا من مؤدبه عمر بن نعيم العنسي المعروف بالمقصوص[١] فدفنوه حياً[٢].

وقال الدميري: «ثم إن بني أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص: أنت علمته هذا ولقنته إياه، وصددته عن الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسنت له الباع، حتى نطق بما نطق، وقال ما قال. فقال: والله ما فعلته، ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي. فلم يقبلوا منه ذلك. وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات»[٣].

وذكره مختصراً ابن الدمشقي. لكنه قال: «فقال: لا والله. وإنه لمطبوع عليه. والله ما حلف قط إلا بمحمد وآل محمد. وما رأيته أفرد محمداً منذ عرفته»[٤].

انهيار دولة آل أبي سفيان

وكيف كان فالذي لاريب فيه أنه لم يعهد لأحد من بعده بالخلافة.

---

(١) جواهر المطالب ج:٢ ص:٢٦٢.

(٢) البدء والتاريخ ج:٦ ص:١٧ ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية. تاريخ مختصر الدول ص:١١١ الدولة التاسعة: معاوية بن يزيد. سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:١٠٢ وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه وملكه. تاريخ الخميس ج:٢ ص:٣٠١ خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية.

(٣) حياة الحيوان ص:١١٢ في مادة: أوز في خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، واللفظ له. سمط النجوم العوالي ج:٣ ص:١٠٢ وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه وملكه.

(٤) جواهر المطالب ج:٢ ص:٢٦١ـ٢٦٢ الباب الثاني والسبعون في ذكر الوافدات على معاوية بعد قتل علي عليه السلام وما خاطبوه به وما أسمعوه: خطبة معاوية بن يزيد بن معاوية.

وبذلك انهارت دولة آل معاوية أو آل أبي سفيان تلك الدولة العظمى التي جهد معاوية بدهائه ومكره وجرائمه وموبقاته وقوة سلطانه في إرساء قواعدها وإحكام بنيانها. وبنى عليها آمالاً طويلة عريضة ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[1].

اختلاف الأمويين وتعدد الاتجاهات في العالم الإسلامي

وقد استتبع ذلك اختلاف الأمويين فيما بينهم، وتعددت الاتجاهات في المسلمين، كما قال المساور بن هند بن قيس: «وتشعبوا شعباً، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين»[2].

حيث ظهر التوابون، ثم المختار، ونشط ابن الزبير، والخوارج، ورفع غير واحد رأسه في المناطق الإسلامية المختلفة. وقد أريق بسبب ذلك أنهار من الدماء، وانتهكت كثير من الحرمات، وعمّ الهرج والمرج.

تنبؤ الصديقة فاطمة عليها السلام بما آلت إليه الأمور

وكأنه إلى ذلك وأمثاله مما حصل للمسلمين في مفاصل تاريخية كثيرة تنظر الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في قولها المتقدم في ختام خطبتها الصغيرة تعقيباً على انحراف مسار السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله: «أما لعمري

---

(١) سورة النور الآية: ٣٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج:٢ ص:٢٦٣ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير. هذا والموجود في ديوان الحماسة لأبي تمام طبعة ١٣٢٢هـ ص:١٢٨ أبيات للمساور بن هند بن زهير في هذه الفتنة منها:

لما رأيت الناس هروا فتنة ... عمياء توقد نارها وتسعر
وتشعبوا شعباً فكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنبر

لقــد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً وزعافاً مبيداً. هنالك ﴿يَخسَــرُ المُبطِلُونَ﴾، ويعرف البطالون غبّ ما أسس الأولون. ثم طيبوا عن دنياكم أنفســاً، وأطمئنوا للفتنة جأشــاً، وأبشروا بســيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً...»[1].

أهمية الفترة الانتقالية التي استمرت عشر سنين

ولم يســتقر الأمر لعبد الملك بن مروان نســبياً إلا بعــد قتل عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين، في السنة الثالثة عشرة لفاجعة الطف، ومقتل الإمام الحسين (صلوات الله عليه).

وقد كان لهذه الفترة الانتقالية ـ التي استمرت عشر سنين تقريباً ـ أهمية كبرى من جهتين:

وضوح عزل الدين في الصراع على السلطة وفي كيانها

الجهة الأولى: وضوح تجرد الســلطة عن الدين والمبادئ في صراعها مع الآخرين، وفي سلوكها مع الرعية. وقد تجلى ذلك على أتم وجه فيمن كانت له الغلبة أخيراً. وهم آل مروان بن الحكم بن العاص، الذين هم من أبعد الناس عن واقع الإسلام، وأسوئهم أثراً فيه.

وقــد صدق فيهم قول رســول الله صلى الله عليه وآله: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً»[2].

---

(١) راجع ملحق رقم (٢).

(٢) المستدرك على الصحيحين ج:٤ ص:٤٨٠ كتاب الفتن والملاحم، واللفظ له. مسند أبي يعلى ج:١١

وقد أمعنوا في الاستهتار بالدين، والخروج على المبادئ الشريفة، وانتهاك الحرمات العظام في سبيل الاستيلاء على السلطة والاستئثار بالحكم.

كما أكدوا واقع الأمويين الأسود بسوء سلطانهم وجبروتهم وطغيانهم واستهتارهم وانتهاكهم للحرمات ومقارفتهم للموبقات واستغراقهم في الشهوات.

وقد أثار ذلك التوجس والحذر والنقد لكل سلطة تفرض، بل البغض والتنفر منها نوعاً. حتى سقطت حرمة السلطة، وفقدت قدسيتها، عند جمهور المسلمين.

فالخليفة عندهم لا يمثل الحقيقة الدينية المقدسة، وإن حاول أن يدعي لنفسه ذلك، ويطلق عليها ألقاب الاحترام والتقديس، كخليفة الله، وسلطانه في الأرض، وخليفة رسوله، وأمير المؤمنين... إلى غير ذلك.

غاية الأمر أن التعامل وتمشية الأمور يكون معه، تبعاً للقوة، رضوخاً للأمر الواقع وانسجاماً معه في شرعية مهزوزة مادامت القوة، من دون إيمان بها في الأعماق، فضلاً عن التقديس المفترض لمقام الخلافة والإمامة. وكلما زاد إجراماً وانتهاكاً للحرمات زاد في نفوسهم بعداً عن الحقيقة الدينية.

والحاصل: أنه سبق أن الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة قد أكّدا

ص:٤٠٢ ح:٦٥٢٣. مجمع الزوائد ج:٥ ص:٢٤١ كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة. المعجم الصغير ج:٢ ص:١٣٥. سير أعلام النبلاء ج:٣ ص:٤٧٨ في ترجمة مروان بن الحكم. تاريخ الإسلام ج:٥ ص:٢٣٣ في ترجمة مروان بن الحكم. تاريخ دمشق ج:٥٧ ص:٢٥٣ في ترجمة مروان بن الحكم بن أبي العاص. إمتاع الأسماع ج:١٢ ص:٢٧٦. كنز العمال ج:١١ ص:١١٧ ح:٣٠٨٤٦، ص:١٦٥ ح:٣١٠٥٧. وغيرها من المصادر.

على وجوب معرفة الأئمة، وفرض طاعتهم وموالاتهم والنصيحة لهم، ولزوم جماعتهم، وحرمة الخروج عليهم، وسقوط حرمة الخارج، بحيث يكون باغياً يجب على المسلمين قتاله... إلى غير ذلك مما يفترض أن يترتب عليه انشداد جمهور المسلمين للخلفاء وتقديسهم لهم، بحيث يكونون هم الممثلين للدين بنظرهم والقدوة التي يقتدون بها في حياتهم.

وقد حاول الأولون بمختلف الوسائل، وبجهود مكثفة استغلال ذلك كله لصالحهم، ونجحوا في ذلك نسبياً. كما يظهر مما سبق.

إلا أن الصراع الذي بدأه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، واستمر عليه خواص شيعته، وتحملوا صنوف الأذى والتنكيل من أجله، وختم بفاجعة الطف وتداعياتها، كل ذلك قد جعل من واقع الخلفاء بنظر جمهور المسلمين أمراً لا ينسجم مع شيء من ذلك.

بل هم ينظرون لهم كذئاب كاسرة، لا يؤمنون على دنيا ولا دين. وأصبح تقييمهم للخليفة منوطاً بعمله وسلوكه معهم، من دون صبغة دينية ترفع من شأنه، وتجعلهم يتفاعلون معه.

اتضاح أن بيعة الخليفة لا تقتضي شرعية خلافته

كما أن البيعة للخليفة ـ حتى من الخاصة ـ لا تعني إضفاء الشرعية على خلافة الخليفة، بل الرضوخ له والتعايش معه، دفعاً لشره، وتقية منه.

أولاً: لتبلور مفهوم التقية تدريجاً نتيجة إفراط الخلفاء في الظلم والجبروت والطغيان. نظير ما تقدم من الإمام علي بن الحسين زين العابدين (صلوات الله عليه) حول البيعة التي طلبها مسلم بن عقبة بعد واقعة

الحرة[١].

وثانياً: لتردي أمر الخلافة بتسافل وسائل الوصول إليها، وتحولها إلى سلطة قمع لتثبيت الطغاة.

وثالثاً: لانحدار ممارسات (الخلفاء)، ونزولهم للحضيض، وتوحلهم في مستنقع الجريمة والرذيلة والخلاعة والتحلل.

ومثل هذه الخلافة لا يمكن الاقتناع بشرعيتها من كل مسلم مهما كان التزامه الديني وثقافته، وإن كان يتعامل معها كأمر واقع مفروض عليه.

وإذا كان معاوية في حديثه المتقدم[٢] مع المغيرة بن شعبة قد استصعب الولاية بالعهد ليزيد لما يعرفه من واقعه المشين، ولبقاء شيء من الحرمة للخلافة، فإن الأمر بعد ذلك لم يعد صعباً، لسقوط حرمة الخلافة، وتحولها إلى أداة قمع ووسيلة للترف والاستهتار.

اتضاح أن وجوب الطاعة ولزوم الجماعة لا يعني الانصياع للسلطة

وقد اضطر ذلك رجال الدين والفقهاء ـ فيما بعد ـ إلى أن يفصحوا بحرمة طاعة السلطة في معصية الله تعالى[٣]، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(١) تقدم عند الكلام في محاذير بيعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد.

(٢) تقدم في آخر الكلام في موقف معاوية في مواجهة جهود أمير المؤمنين عليه السلام في كبح جماح الانحراف.

(٣) المغني لابن قدامة ج:٩ ص:٤٧٩. بدائع الصنائع ج:٧ ص:١٠٠. الثمر الداني ص:٢٤. كشاف القناع للبهوتي ج:٥ ص:٦١١. جواهر العقود للمنهاجي الاسيوطي ج:٢ ص:٢٨٠. فقه السنة ج:٢ ص:٦٤٣ـ٦٤٤. عمدة القاريء ج:١٤ ص:٢٢١. تحفة الأحوذي ج:٥ ص:٢٩٨. وغيرها من المصادر.

كـــما أن الجماعة التي يجب لزومها، ولا يجوز الخروج عنها، ليســـت هي جماعة الخليفة الحاكم، كما كان عليه الأمـــر في الصدر الأول، وحاول الحكام التشبث به على طول الخط، بل هي جماعة الحق أين كان، وكيف كان.

قال أبو شامة: «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا ننظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»[١]. وقد استحسن ذلك منه ابن أبي العز الحنفي[٢].

وقال أبو حاتم: «الأمر بالجماعة بلفظ العموم، والمراد منه الخاص. لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول الله ﷺ. فمن لزم ما كانوا عليه وشذّ عمن بعدهم لم يكن بشاق للجماعة، ولا مفارق لها، ومن شذّ عنهم وتبع من بعدهم كان شـــاقاً للجماعة. والجماعة بعـــد الصحابة هم أقوام اجتمـــع فيهم الدين والعقل والعلم، ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه وإن قلّت أعدادهم، لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا»[٣]. ونحوه كلام غيرهم.

بل بلغ الأمر بهم أنهم رووا تفســـير الجماعة التي يجب لزومها بالســـواد الأعظم[٤]، ومع ذلك قال إسحاق بن راهويه: «لو سألت الجهال عن السواد الأعظم قالوا: جماعة الناس. ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ.

---

(١) شرح العقيـــدة الطحاوية لابـــن أبي العز الحنفي ص:٣٠٧ـ٣٠٨، واللفظ لـــه. فيض القدير ج:٤ ص:١٣١. النصائح الكافية ص:٢١٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:٣٠٧ـ٣٠٨.

(٣) صحيح ابن حبان ج:١٤ ص:١٢٦ـ١٢٧ كتاب التاريخ: باب بدء الخلق: ذكر تشبيه المصطفى ﷺ عيسى بن مريم بعروة بن مسعود.

(٤) فتح الباري ج:١٣ ص:٣١. عمدة القاري ج:٢٤ ص:١٩٥. تحفة الأحوذي ج:٦ ص:٣٢١.

فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة، ومن خالفه فيه ترك الجماعة»[١].

تخبط الجمهور في تحديد وجوب الطاعة ولزوم الجماعة

نعم هذا منهم تخبط في تحديد وجوب الطاعة ولزوم الجماعة. لظهور أنه بعد أن وجبت عندهم البيعة للخليفة، لأن من مات من دون بيعة مات ميتة جاهلية كما تظافرت به النصوص، ولتوقف حفظ كيان الإسلام وإدارة أمور المسلمين على الخلافة والإمامة، فمن الظاهر أن الإمامة لا تؤدي وظيفتها إلا بالطاعة، وأي خليفة وإمام يستطيع حفظ كيان الإسلام وإدارة أمور المسلمين إذا كان لا يطاع؟!.

مع أن تمييز تصرفات الخليفة المحللة من المحرمة لا يتيسر لعامة الناس. وحتى الخاصة كثيراً ما يختلفون في ذلك، وفي ذلك اضطراب أمور المسلمين، وانفراط نظمهم. وهو الذي حصل فعلاً.

كما أن الجماعة فيما يبدو من نصوصها ـ ومنها خطبة النبي صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف المتقدمة في أوائل المبحث الأول عند الكلام في وجوب طاعة الإمام وموالاته والنصيحة له ـ هي جماعة الخليفة والإمام الذي يقوم به كيان الإسلام، وينتظم المجتمع الإسلامي.

وببيان آخر: لزوم الجماعة إنما ورد من أجل أن تكون الجماعة علماً على الحق، يعتصم به المسلمون. فإذا توقف وجوب لزوم الجماعة على إحراز كونها جماعة حق لم تكن الجماعة علماً على الحق يعتصم به المسلمون، بل يعتصمون بالحق الذي لابد لهم من معرفته قبل أن يعتصموا بالجماعة. كما لا يقوم بها كيان

(١) حلية الأولياء ج:٩ ص:٢٣٨ في ترجمة محمد بن أسلم.

الإسلام، لخفاء الحق على جمهور الناس، واختلاف الخاصة فيه.

تناسق مفهوم الإمامة والطاعة والجماعة عند الإمامية

ولا مخرج عن ذلك إلا بما سبق من أن المراد بالجماعة جماعة الإمام الحق، بعد الفراغ عن أن الله عز وجل قد عيّن الإمام الحق المعصوم بالنص الواضح الجلي، الذي يجب على الأمة التسليم له، كما عليه الإمامية في أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم).

والإمام المذكور هو الذي تجب طاعته ولزوم جماعته، ولا يجوز الخروج عليه. ومن لا تجب طاعته ولزوم جماعته على الإطلاق لعدم عصمته لابد أن لا يكون إماماً عند الله تعالى، بحيث تجري عليه أحكام الإمام الشرعية.

وقد تقدم بعض الكلام في ذلك عند التعرض لجهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كشف الحقيقة وبيان معالم الدين في المقام الأول من هذا المبحث.

إلا أن الجمهور حيث لم يقروا بالنص ولم يذعنوا له ـ وذهبوا إلى أن الإمامة والخلافة تكون ببيعة الناس من دون ضابط ـ ولم يمكنهم البناء على وجوب طاعة الخليفة ولزوم جماعته مطلقاً وإن كان فاسقاً جائراً ـ نتيجة ما سبق ـ اضطروا لهذا التخبط.

والمهم في المقام أن ضوابط الطاعة ولزوم الجماعة قد اهتزت، واختلفت عما كانت عليه قبل فاجعة الطف، كما يظهر بمراجعة ما سبق من الصدر الأول في التأكيد على لزوم الجماعة.

وقد اضطروا أخيراً للالتزام نظرياً بعدم وجوب الطاعة المطلقة لخليفة

الجور. وإن كانوا كثيراً ما لا يجرون على ذلك عملياً، غفلة منهم أو تغافلاً.

وترتب على ذلك أمران في غاية الأهمية:

الخروج على السلطة لم يعد يختص بالخوارج

الأول: أن الخروج على الحاكم لا يختص بالخوارج الذين تشوهت صورتهم، وسقط اعتبارهم، من أجل ما سبق، بل خرج كثير من غيرهم على السلطات المتعاقبة. وفيهم من يَكنّ له المسلمون ـ على اختلاف ميولهم وتوجهاتهم ـ الاحترام أو التقديس.

وتقييم جمهور الناس لخروج الخارج تابع لتقييمهم لشخصه، ولما يقتنعون به من مبادئه وأهدافه وسلوكه. ولا يكون الخروج على الحاكم بنفسه جريمة بنظر عموم المسلمين حسب مرتكزاتهم. كما هو الحال عند الشارع الأقدس في الخروج على الإمام الشرعي، حيث يكون الخارج عليه باغياً يجب على المسلمين قتاله، حتى يفيء لطاعته ويلزم جماعته.

غاية الأمر أن كثيراً من فقهاء الجمهور كانوا يرون حرمة الخروج على ولاة الجور، وشرعية الحضور في جمعتهم وجماعتهم، تجنباً لإزهاق دماء المسلمين، واهتماماً بكيانهم العام. كما يرون مشروعية الجهاد معهم من أجل نشر الإسلام وتعزيز قوته من دون قدسية لسلطانهم مع الاعتراف بعدم شرعية حكمهم والعمل لهم وتجنب ذلك.

بينما ظهر فريق آخر يرون عدم الاشتراك في جمعتهم وجماعتهم، وحرمة الجهاد معهم، بل جواز الخروج عليهم بالسيف.

فعن سفيان الثوري أنه قال: «الحسن بن صالح مع ما سمع من العلم

وفقه يترك الجمعة»[١]. وعنه أيضاً أنه قال: «ذاك رجل يرى السيف على أمة محمد ﷺ»[٢].

وعن ابن إدريس: «ما أنا وابن حي لا يرى جمعة ولا جهاداً»[٣]. وعن الخريبي: «شهد حسن بن صالح وأخاه وشريك معهم فاجتمعوا إليه إلى الصباح في السيف»[٤].

وقال الذهبي: «بشر وقد ذكر له أبو بكر عبد الرحمن بن عفان الصوفي فقال: سمعت حفص بن غياث يقول: هؤلاء يرون السيف، أحسب عنى ابن حي وأصحابه. ثم قال بشر: هات من لم ير السيف من أهل زمانك. كلهم إلا قليل. ولا يرون الصلاة أيضاً»[٥]... إلى غير ذلك مما يظهر للمتتبع.

نعم الخليفة نفسه حيث يفترض شرعية سلطته وجمعته وجماعته والعمل له، فهو ومرتزقته يفترضون الخارجين عليه بغاة يعاملونهم معاملتهم. بل كثيراً ما يزيدون في التنكيل بهم على حكم البغاة تعدياً وطغياناً.

إلا أن ذلك يفقد المصداقية عند جمهور المسلمين وعامتهم، فلا يعترفون للخليفة بذلك، بل يرون هدفه الدفاع عن سلطته، وإشباع شهوته في الحكم والسلطة والاستغلال والاستئثار.

غاية الأمر أنهم يستسلمون أخيراً للغالب بغض النظر عن شرعيته،

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٣٦٣ في ترجمة الحسن بن صالح بن حي.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٣٦٣ في ترجمة الحسن بن صالح بن حي.

(٣) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٣٦٣ في ترجمة الحسن بن صالح بن حي.

(٤) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٣٦٣ في ترجمة الحسن بن صالح بن حي.

(٥) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٣٦٣، ٣٦٤ في ترجمة الحسن بن صالح بن حي.

اعترافاً بالأمر الواقع، كما هو الحال في صراع الملوك فيما بينهم.

صارت الإمامة عند الجمهور دنيوية بعد أن كانت دينية ودنيوية

الثاني: من المعلوم أن الإمامة عند الشيعة الإمامية دينية ودنيوية، فكما يكون الإمام مرجعاً للمسلمين في أمور دنياهم وسياسة أمورهم، يكون مرجعاً لهم في دينهم، لأن الأئمة (صلوات الله عليهم) خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وورثة علمه، وعندهم علم الكتاب، وهم معصومون من الزلل في القول والعمل.

وبعد انحراف السلطة عن أهل البيت عليهم السلام حاول الخلفاء في الصدر الأول الجري على ذلك والتشبث به، كما تشبثوا ببقية خصائص الإمام المعصوم، على ما تقدم.

فكان الخليفة هو المرجع للمسلمين في دينهم يأخذون عنه شرائعه وفروضه، ويمضي عليهم قضاؤه وأحكامه، وجميع ما يصدر منه في أمر الدين. وهو وإن كان قد يسأل غيره، ويستعين برأيه وروايته، إلا أن له القول الفصل فيه، ومنه يأخذون وعنه يصدرون.

وعن ابن سيرين: «أن عمر قال لأبي موسى: أنا بلغني أنك تقضي ولست بأمير. قال: بلى. قال: فَوَلّ حارّها من تولّى قارّها»[1].

وعنه أيضاً: «قال عمر لأبي مسعود: نبئت أنك تفتي الناس ولست

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج:٨ ص:٣٠١ كتاب البيوع: باب هل يقضي الرجل بين الرجلين ولم يوَلّ؟ وكيف إن فعل؟، واللفظ له. كنز العمال ج:١٠ ص:٢٩٩.

بأمير! فوَلّ حارّها من تولّى قارّها»[١]. وروى بعضهم أنه قال ذلك لعبد الله بن مسعود أيضاً[٢].

وعنه أيضاً: «قال حذيفة: إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن قالوا: ومن يعلم ما نسخ من القرآن؟ قال: عمر أو أمير لا يجد بداً، أو أحمق متكلف»، ثم قال ابن سيرين: «ولست بواحد من هذين، ولا أحب أن أكون الثالث»[٣].

وعن سعيد بن سفيان القارئ قال: «توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله... فسألت عثمان، فقلت: يا أمير المؤمنين توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله... قال: هل سألت أحداً قبلي؟ قلت: لا. قال: لئن استفتيت أحداً قبلي فأفتاك غير الذي أفتيك به ضربت عنقك...»[٤].

---

(١) تاريخ دمشق ج:٤٠ ص:٥٢١ في ترجمة عقبة بن عمرو بن ثعلبة، واللفظ له. سير أعلام النبلاء ج:٢ ص:٤٩٥ في ترجمة أبي مسعود البدري. تاريخ الإسلام ج:٣ ص:٦٥٨ في ترجمة أبي مسعود البدري. جامع بيان العلم وفضله ج:٢ ص:١٤٣، ١٦٦. النهاية في غريب الحديث ج:٤ ص:٣٨.

(٢) لاحظ سنن الدارمي ج:١ ص:٦١ باب الفتيا وما فيه من الشدة، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج:١١ ص:٣٢٩ كتاب الجامع: باب القضاة، وسير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٦١٢ في ترجمة محمد بن سيرين، ولسان العرب ج:٥ ص:٨٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:٦١٢ في ترجمة محمد بن سيرين، واللفظ له. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ج:١١ ص:٢٣١.

والذي نعرفه عن حذيفة وموقفه من أهل البيت (صلوات الله عليهم) لا يناسب هذه الرواية. والظاهر أنها موضوعة ومكذوبة عليه، إلا أن ذلك يكشف عن الثقافة التي يراد الترويج لها في الصدر الأول بين المسلمين.

(٤) تاريخ دمشق ج:١ ص: ٢٤٧ـ٢٤٨ أبواب ما جاء من النصوص في فضل دمشق على الخصوص: باب ما نقل عن أهل المعرفة أن البركة فيها مضعفة، واللفظ له. كنز العمال ج:١٥ ص:٤٦٨ـ٤٦٩. حياة الصحابة (للكاند هلوي) ج:٣ ص:١٦٠.

وعن يحيى بن سعيد: «أنه بلغه أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب إلى زيد بن ثابت يسأله عن الجد. فكتب إليه زيد بن ثابت: إنك كتبت إليّ تسألني عن الجد. والله أعلم. وذلك ما لم يكن يقضي فيه إلا الأمراء. يعني: الخلفاء»[١].

وعن الشعبي قال: «جاء رجل إلى معاوية، فقال: عز الإسلام ينفعني أو يضرني؟ قال: بل ينفعك ولا يضرك. قال: إن أبي كان نصرانياً، وله ولد نصراني، وإني أسلمت، ومات أبي وترك مالاً كثيراً، فذكر إخوتي أن المال لهم دوني. فقال معاوية: أنت وهم فيه شرع سواء. وكتب إلى زياد: ورث المسلم من الكافر، ولا تورث الكافر من المسلم. فأرسل القاضي إلى شريح يأمره بذلك، وكان شريح لا يفعله قبل ذلك، ولا يرى أن يتوراثا ملتان. فكان إذا قضى به قال: هذا رأي أمير المؤمنين»[٢].

وفي كلام آخر للشعبي: «لما قضى معاوية بذلك قال عبد الله بن معقل:

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج:٦ ص:٢٤٩ كتاب الفرائض: جماع أبواب الجد: باب كيفية المقاسمة بين الجد والأخوة والأخوات، واللفظ له. موطأ مالك ج:٢ ص:٥١٠ كتاب الفرائض: باب ميراث الجد. المحلى ج:٩ ص:٢٨٥. الاستذكار لابن عبد البر ج:٥ ص:٣٤٠. كنز العمال ج:١١ ص:٦٠. وغيرها من المصادر.

(٢) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٤١ـ٢٤٢ أمر زياد بعد الدعوة.

قال الشافعي في كتاب الأم ج:٦ ص:١٨٣: «وروي عن معاوية أنه ورث المسلم من الكافر ولم يورث الكافر من المسلم، لأنه بلغه أن رجالاً منعهم من الإسلام أن يحرموا مواريث آبائهم. وأعجب مسروق بن الأجدع، وقاله غيره. فقال: نرثهم ولا يرثونا كما يحل لنا نساؤهم ولا يحل لهم نساؤنا». ومثله ما في سنن سعيد بن منصور ج:١ ص:٦٧ كتاب ولاية العصبة: باب لا يتوارث أهل ملتين، والمصنف لابن أبي شيبة ج:٧ ص:٣٨٤ كتاب الفرائض: من قال لا يرث المسلم الكافر، وتاريخ مدينة دمشق ج:٦٥ ص:٣٠٠ في ترجمة يزيد بن عبد الملك بن مروان.

ما حدث في الإسلام حديث بعد قضاء أصحاب رسول الله ﷺ أعجب إليّ منه»[١].

وعن المدائني قال: «أمر زياد شريحاً بأن يورث المسلم من الكافر، فقضى بذلك، وقال: هذا رأي زياد، فقال قوم من الفقهاء: لقد أحسن. فقال شريح: سنة رسول الله أحسن»[٢].

وعن شعبة عن حصين عن إبراهيم قال: «أول من لم يتم التكبير زياد. واستخلف شريحاً فكان لا يتم التكبير. فمشى إليه علقمة وأصحاب عبد الله بن مسعود، فقالوا: ما هذا؟! فقال: استخلفني رجل كرهت مخالفته»[٣].

وكان مما احتج به زياد على حجر بن عدي وأصحابه عند معاوية أنهم يردون عليه أحكامه وقضاءه. وذلك أن رجلاً من بني أسد قتل رجلاً من أهل الذمة قد أسلم. فقال زياد: لا أقتل عربياً بنبطي. وأمر القاتل بدفع الدية لأهل المقتول، فلم يقبلوها وقالوا: كنا نخبَر أن دماء المسلمين تتكافأ، وأن لا فضل لعربي على غيره. فقام حجر وأصحابه، فقال حجر: يقول الله عز وجل: ﴿**النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ وتقول أنت غير ذلك. والله لتقيدنه أو لأضربنك بسيفي. فما برح حتى قتل الأسدي[٤].

وقد حاول الأمويون الاستمرار على ذلك رغم سقوط قدسية الخلفاء عند جمهور المسلمين. فقد روي أنه دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن

---

(١) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٤٢ أمر زياد بعد الدعوة.

(٢) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٤٢ أمر زياد بعد الدعوة.

(٣) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٤٢ أمر زياد بعد الدعوة.

(٤) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٢٦١ـ٢٦٢ أمر حجر بن عدي الكندي ومقتله.

عبد الملك وعنده أيوب ابنه ـ وهو يومئذٍ ولي عهده قد عقد له من بعده ـ فجاء إنسان يطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء. فقال سليمان: ما أخال النساء يرثن في العقار شيئاً. فقال عمر بن عبد العزيز: سبحان الله! وأين كتاب الله؟! فقال سليمان: يا غلام اذهب فائتني بسجل عبد الملك. فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف! فقال أيوب بن سليمان: ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين فلا يشعر حتى يفارقه رأسه. فقال عمر: إذا أفضى الأمر إليك وإلى أمثالك كان ما يدخل على الإسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول! ثم قام فخرج[1].

وعن مطر قال: «ما لقيت شامياً أفقه من رجاء بن حياة، إلا أنه إذا حركته وجدته شامياً، وربما جرى الشيء فنقول [فيقول.ظ]: فعل عبد الملك بن مروان رحمه الله»[2].

ويذكر البلاذري الوليد بن يزيد الماجن المتهتك، فيقول: «المدائني وغيره قالوا: لما قام الوليد لم يكن له همّة إلا تزوج سلمى فأرسل فخطبها فتزوجها، فقيل له: قد كنت حلفت بطلاقها إذا تزوجتها ثلاثاً. فسأل عن يمينه، فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: طالق. وقال آخرون: لا طلاق إلا بعد نكاح. فهمّ أن يدخل بها، فقيل له: أنت إمام، وإن دخلت بها أخذ الناس ذلك

---

(١) شرح نهج البلاغة ج:١٨ ص:١٤٤، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:١٠ ص:١٠٥ـ١٠٦ في ترجمة أيوب بن سليمان بن عبد الملك. حلية الأولياء ج:٥ ص:٢٨٠ـ٢٨١ في ترجمة عمر بن عبد العزيز. اختلاف الأئمة العلماء ج:٢ ص:١١٨. وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ دمشق ج:١٨ ص:١٠٤ في ترجمة رجاء بن حيوية، واللفظ له. تهذيب الكمال ج:٩ ص:١٥٤ في ترجمة رجاء بن حياة. تهذيب التهذيب ج:٣ ص:٢٢٩ في ترجمة رجاء بن حياة. طبقات الفقهاء ج:١ ص:٧٥ في ترجمة رجاء بن حياة الكندي. وغيرها من المصادر.

سنة...»[١].

بل قد يبلغ ذلك حدّ الاستهتار. فعن الفرّاء قال: «تغدى الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك، فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ، فقال: يا أمير المؤمنين الحلال ما حللت، ولكني أنهى عنه أهل عملي، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾»[٢].

ويظهر أن الجمهور تقبلوا ذلك في صدر الإسلام وجروا عليه. فقد تقدم عن ابن مسعود أنه قال: «إنما نقضي بقضاء أئمتنا»[٣].

وعن أبي موسى الأشعري قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى أرض قومي، فلما حضر الحج حجّ رسول الله ﷺ وحججت، فقدمت عليه وهو نازل بالأبطح، فقال لي: بِمَ أهللت يا عبد الله بن قيس؟ قال: قلت: لبيك بحج كحج رسول الله ﷺ. قال: أحسنت. ثم قال: هل سقت هدياً؟ فقلت: ما فعلت. فقال لي: اذهب فطف بالبيت بين الصفا والمروة، ثم أحلل. فانطلقت ففعلت ما أمرني... ثم أهللت بالحج يوم التروية. فمازلت أفتي الناس بالذي أمرني رسول الله ﷺ حتى توفي، ثم زمن أبي بكر رضي الله عنه، ثم زمن عمر رضي الله عنه. فبينما أنا قائم عند الحجر الأسود أو المقام أفتي الناس بالذي أمرني رسول الله ﷺ إذ أتاني رجل فسارني، فقال: لا تعجل بفتياك، فإن أمير المؤمنين قد أحدث في المناسك شيئاً. فقلت: أيها الناس من كنّا أفتيناه في المناسك شيئاً فليتئد، فإن

---

(١) أنساب الأشراف ج:٩ ص:١٥٠ خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

(٢) تاريخ دمشق ج:١٢ ص:١٥٥ في ترجمة الحجاج بن يوسف بن الحكم.

(٣) المحلى ج:٩ ص:٢٨٣، ٢٨٦. الإيضاح ص:٣٤١.

أمير المؤمنين قادم فبه فائتموا...»[١].

وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل: «اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه»[٢].

وعن سعيد بن جبير قال: «كنت أسأل ابن عمر في صحيفة ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه. قال: فسألته عن الإيلاء. فقال: أتريد أن تقول: قال ابن عمر، وقال ابن عمر. قال: قلت: نعم، ونرضى بقولك ونقنع. قال: يقول في ذلك الأمراء»[٣].

وعن هشام بن عروة قال: «ما رأيت عروة يسأل عن شيء قط فقال فيه برأيه، إن كان عنده فيه علم قال بعلمه، وإن لم يكن عنده فيه علم قال: هذا من خالص السلطان»[٤].

وعن ابن هرمز قال: «أدركت أهل المدينة وما فيها إلا الكتاب والسنة

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج:٤ ص:٣٩٣، واللفظ له، ٣٩٦، ٤١٠ حديث أبي موسى الأشعري. صحيح مسلم ج:٤ ص:٤٤ كتاب الحج: باب في نسخ التحلل من الإحرام والأمر بالتمام. السنن الكبرى للبيهقي ج:٥ ص:٢٠ جماع أبواب الاختيار في إفراد الحج والتمتع بالعمرة: باب كراهية من كره القران والتمتع. السنن الكبرى للنسائي ج:٢ ص:٣٤٩ـ٣٥٠ كتاب مناسك الحج: التمتع. سنن الدارمي ج:٢ ص:٣٦ كتاب المناسك: باب في التمتع. مسند أبي يعلى ج:١٣ ص:٢٦٣. المحلى ج:٧ ص:١٠٢. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج:١ ص:٢٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى ج:٦ ص:٢٥٨ في ترجمة سعيد بن جبير. وقريب منه في مصنف ابن أبي شيبة ج:٤ ص:٩٨ كتاب الطلاق: في المولي يوقف وتفسير الطبري ج:٢ ص:٥٩١.

(٤) تاريخ دمشق ج:٤٠ ص:٢٥٧ في ترجمة عروة بن الزبير، واللفظ له. جامع بيان العلم وفضله ج:٢ ص:١٤٣.

والأمر ينزل فينظر فيه السلطان»[١].

وذلك هو المناسب لما سبق من تحجير الخلفاء على السنة النبوية الشريفة والتثقيف الديني بوجه عام إلا في حدود ما تسمح هي به أو تبينه[٢].

وبالجملة: فالجمهور يرجع في أمور دينه للخليفة، ولا يرجع لغير الخليفة ويأخذ منه إلا في حدود ما يسمح به. كما يظهر بأدنى ملاحظة لتاريخ الإسلام في الصدر الأول، فالخلافة عندهم كانت دينية ودنيوية، كما ذكرنا.

أما بعد أن سقطت قدسية الخلافة ـ نتيجة العوامل المتقدمة ـ فقد اقتصرت الخلافة أخيراً عند الجمهور على الأمور الدنيوية وسياسة الدولة، تدعمها في ذلك القوة والبطش بلا ضوابط. من دون أن يكون الخليفة مرجعاً في أمور الدين.

واضطر الجمهور نتيجة ذلك للالتزام بعدم تشريع إمامة الدين في الإسلام ـ على خلاف ما عليه الشيعة ـ وأن على الناس أن يرجعوا للفقهاء على اختلافهم، وأن الله عز وجل لم يجعل لهم علماً يعصمهم من الاختلاف.

بل قد يصل الأمر بهم إلى الالتزام بصواب الكل على اختلافهم، وأن الحق يتعدد في مورد الخلاف بعدد آراء المجتهدين، وأن اختلافهم رحمة للأمة، لأن فيه سعة لها.

ومهما يكن في ذلك من التخبط فهو فتح عظيم للدين، حيث حرره من تحكم السلطة غير المعصومة فيه، ومسخِه له، كما حصل نظيره في الأديان السابقة.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ج:٢ ص:١٤٣.

(٢) تقدم عند الكلام في تحجير السلطة على السنة النبوية وقسوتها في تنفيذ مشروعها.

كسر طوق الضغط الثقافي في الفترة الانتقالية

الجهة الثانية: كسر طوق الضغط الثقافي على المسلمين، وارتفاع الحجر عملياً عن الحديث النبوي الشريف، فأصحرت كل فئة بمفاهيمها التي تتبناها وثقافتها التي تحملها. وأخذت تحاول تعميم تلك المفاهيم والثقافة على المسلمين، وبدأت الاتجاهات المختلفة تتضح، وتتميز بعضها عن بعض في المجتمع الإسلامي.

مكسب التشيع نتيجة كسر طوق الضغط الثقافي

وكان لشيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم) الدور الأكبر في ذلك.

أولاً: لما يأتي ـ في المطلب الثاني ـ من أن نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) شيعية الاتجاه.

وثانياً: لأن الإمام الحسين (صلوات الله عليه) نفسه ـ الذي هو الرجل الأول عند عموم المسلمين، والذي ضحى هذه التضحية الكبرى ـ هو الإمام الثالث للشيعة.

حيث يترتب على هذين الأمرين أن يكون ردّ الفعل على العدوان الذي حصل هو نشر الثقافة الشيعية من أجل الإنكار على العدوان المذكور، وبيان بشاعته.

وثالثاً: لأصالة المفاهيم الشيعية وعقلانيتها، وارتفاع مستوى ثقافة الشيعة، تبعاً لرفعة مقام أئمتهم (صلوات الله عليهم)، الذين هم ورثة النبي صلى الله عليه وآله، وأبواب مدينة علمه.

ورابعاً: لكثرة ما تضمنه الكتاب المجيد والسنة النبوية الشريفة مما يخدم

دعوة التشيع. وعلم الله تعالى كم ظهر في هذه الفترة من الأحاديث التي تؤيد الدعـــوة المذكورة من بقية الصحابة ومن التابعين، خصوصاً بعد مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الذي ســـبق أنه قد عقده في الحج لحفظ ونشر التراث الذي يخص أهل البيت عليهم السلام ويتضمن رفعة مقامهم[1].

وخامساً: لوجود القيادة الحكيمة المعصومة الراعية للشيعة ولدعوتهم، وتسديدها ودعمها بالمدّ الإلهي غير المحدود.

ولذا كتب لدعوة التشـــيع البقاء والخلود والظهور والانتشـــار من بين جميع الدعوات التي ظهرت في مواجهة انحراف الســـلطة، رغم كل المعوقات والألغام التي زرعت في طريقها على طول التاريخ.

وبعد أن انتهى الحديث عن هذه الفترة الانتقالية وثمراتها المهمة نقول:

التوجه الديني في المجتمع الإسلامي نتيجة فاجعة الطف

من الطبيعـــي أن يكون لفاجعة الطـــف بأبعادها الســـابقة وتداعياتها السريعة أثرها العميق في المسلمين، بحيث أدت إلى يقظة كثير منهم، ورجوعهم لدينهم، واهتمامهم بالتعرف عليـــه وتحمل ثقافته، لعدة عوامل أفرزتها واقعة الطف وتداعياتها السابقة.

أولها: الشعور بتدهور المجتمع الإسلامي وابتعاده عن الدين وتقصيره في أمره، بنحو يستوجب تأنيب الضمير على ذلك.

خصوصاً بعد أن ركّز أهل البيت (صلوات الله عليهم) وشـــيعتهم على عظم الجريمة، واهتموا بإحيائها والتذكير بها، بإقامة المآتم، وزيارة قبر الإمام

(١) تقدم مفصلاً مع ذكر مصادره عند الكلام في وقع الفاجعة في أمصار المسلمين البعيدة.

الحسين (صلوات الله عليه)، ورثائه، وما يجري مجرى ذلك.

حيث يكون ردّ الفعل المناسب لذلك من كثير ممن لهم جذور دينية هو ترك السلطة ومن يتنازع عليها جانباً والرجوع للدين، والتعرف عليه، والتمسك به.

ثانيها: معاناة الناس من السلطة الجائرة، ومن تدهور الأوضاع نتيجة الصراعات والفوضى. فإن ردّ الفعل المناسب لذلك والميسور لعامة الناس ـ ممن لا حول له ولا قوة ـ هو الانكفاء على النفس، والبعد عن الفتن، واللجأ إلى الله عز وجل، وطلب رضاه بالرجوع لدينه، والتزام تعاليمه الشريفة.

ولاسيما بعد أن ظهر على السلطة الاستهتار بالدين والاستهانة به. فإن ذلك يؤكد الاندفاع نحو الدين، لكونه مظهراً إرادياً أو لا إرادياً للتحدي العملي للسلطة، والاحتجاج الصامت عليها، الذي فيه السلامة من خطر الاحتكاك بها. مع ما فيه من فضح السلطة، والتنبيه لسلبياتها.

ولعل لهذين الأمرين أعظم الأثر في الصحوة الدينية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية في أيامنا هذه بعد موجة التحلل من الدين، تبعاً للغرب والشرق الماديين. فهي ردّ فعل لظهور العدوان من الشرق والغرب، وتجاوزهما على حقوق الشعوب.

ثالثها: قوة التشيع وانتشاره بعد فاجعة الطف. حيث إن من أبرز مفاهيم التشيع وتعاليمه ضمّ العمل للعقيدة. فقد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته (صلوات الله عليهم) أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان[1]. وأكدوا (صلوات الله عليهم) على العمل كثيراً.

---

(١) نهج البلاغة ج:٤ ص:٥٠. الخصال ص:١٧٨ ح:٢٣٩، ص:١٧٩ ح:٢٤١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ج:٢ ص:٢٠٤. سنن ابن ماجة باب في الإيمان. المعجم الأوسط ج:٦ ص:٢٢٦، ج:٨ ص:٢٦٢.

وكان التدين والالتزام بالأحكام الشرعية من السمات البارزة في الشيعة. وقد سبق عن سفيان الثوري قوله: «وهل أدركت خيار الناس إلا الشيعة؟»، وسبق عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (صلوات الله عليه) ما يناسب ذلك[1].

وذلك ينضم للعاملين السابقين في تنبيه عامة المسلمين لدينهم، وتحفيزهم على العمل بأحكامه، والتعرف عليها وعلى واقع دينهم في العقائد والفقه والسلوك والأخلاق.

حاجة المجتمع الإسلامي لمتخصصين في الثقافة الدينية

وحيث تحرر الدين وخرج عن هيمنة السلطة، لسقوط شرعية الدولة، نتيجة العوامل السابقة، فمن الطبيعي أن يحقق التوجه الديني المذكور الحاجة لجمهور المسلمين ـ على اختلاف توجهاتهم ـ إلى جماعة يتوجهون للثقافة الدينية، ويتخصصون فيها، ويعرّفون بها.

وهذه الطبقة قد كان لها وجود قبل ذلك من بقايا الصحابة والتابعين، خصوصاً من أصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، إلا أنها كانت محاصرة ومعزولة عن المجتمع العام، نتيجة الحجر الثقافي الذي قوي في عهد معاوية، ولعدم حاجة المجتمع لها وعدم تبنيه لها بعد مرجعية السلطة في الدين. ومن

تفسير القرطبي ج:١ ص:٣٧٢. الدر المنثور ج:٦ ص:١٠٠. تاريخ بغداد ج:١ ص:٢٧١ في ترجمة محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الله. تهذيب الكمال ج:١٨ ص:٨٢ في ترجمة عبد السلام بن صالح. سير أعلام النبلاء ج:١٥ ص:٤٠٠ في ترجمة علي بن حمشاذ. وغيرها من المصادر الكثيرة.

(١) تقدمت مصادرهما عند الكلام في محاذير بيعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد، وأن موقف الشيعة من الأولين يحول دون تفاعل الجمهور معهم.

ثم كانت معرضة للاضمحلال لو استمرت تلك المرجعية.

أما بعد سقوط شرعية السلطة، وفصل الدين عنها فقد قويت هذه الطبقة تدريجاً نتيجة حاجة المجتمع إليها وتعلقهم بها وتبنيهم لها، وصار لها وجودها المتميز، على اختلاف توجهاتها، من حملة الحديث الشريف، والفقهاء، ومفسري القرآن المجيد، والزهاد، والمتألهين، والوعاظ، ونحوهم ممن يتميز بجانب من جوانب الدين، ويكون مرجعاً أو قدوة فيه.

أهمية دور رجال الشيعة في مجال التخصص الديني

وقد كان لشيعة أهل البيت عليهم السلام الحظ الأوفر من ذلك، لثقافتهم العالية الأصيلة، التي فتح الباب لها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وتعاهدها الأئمة من ولده عليهم السلام. ولصدق لهجتهم في الحديث وثقة الناس بهم.

وقد فرضوا أنفسهم بذلك على عموم المسلمين، حتى ذكر الذهبي ـ مع ما هو عليه من التحامل على الشيعة ـ أنه لو ردّ حديث الشيعة لذهبت جملة من الآثار النبوية[1]. وقال الجوزجاني ـ على نصبه ـ: «وكان قوم من أهل الكوفة لا يحمد الناس مذاهبهم هم رؤوس محدثي الكوفة... احتملهم الناس على صدق ألسنتهم في الحديث...»[2].

وقال جرير بن عبد الحميد: «لما قدم شعبة البصرة قالوا: حدثنا عن ثقات

---

(١) ميزان الاعتدال ج:١ ص:٥ في ترجمة أبان بن تغلب.

(٢) أحوال الرجال ص:٧٨ـ٨٠ في ترجمة فائد أبي الورقاء، واللفظ له. تاريخ دمشق ج:٤٦ ص:٢٣٣ في ترجمة عمرو بن عبد الله بن أبي شعيرة. ميزان الاعتدال ج:٢ ص:٦٦ في ترجمة زبيد بن الحارث اليامي، وقال الذهبي: «وقال أبو إسحاق الجوزجاني ـ كعوائده في فظاظة عبارته ـ كان من أهل الكوفة..». تهذيب التهذيب ج:٨ ص:٥٩ في ترجمة عمرو بن عبد الله بن عبيد. وغيرها من المصادر.

أصحابك. قال: إن حدثتكم عن ثقات أصحابي فإنما أحدثكم عن نفر يسير من هذه الشيعة: الحكم وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت ومنصور»[١]... إلى غير ذلك.

غاية الأمر أن عقدة احترام الشيخين كانت حاجزاً دون تفاعل العامة معهم. فقد روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن محمد بن إسماعيل بن رجاء قال: «بعث إلي سفيان الثوري سنة أربعين ومائة فأوصاني بحوائجه، ثم سألني عن محمد بن عبد الله بن الحسن كيف هو؟ فقلت: في عافية. فقال: إن يرد الله بهذه الأمة خيراً يجمع أمرها على هذا الرجل. قال: قلت: ما علمتك إلا قد سررتني. قال: سبحان الله! هل أدركت خيار الناس إلا الشيعة. ثم ذكر زبيداً وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت وأبا إسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر والأعمش. فقلت له: وأبو الجحاف؟ قال: ذاك الضرب ذاك الضرب، وإيش كان أبو الجحاف؟ قال: كان يكفر الشاك في الشاك. قال: ثم قال سفيان: إلا أن قوماً من هذه الرافضة وهذه المعتزلة قد بغضوا هذا الأمر إلى الناس»[٢]. ويناسبه ما عن سفيان قال: «تركتني الروافض وأنا أبغض أن أذكر فضائل علي»[٣].

عدم اقتصار الأمر على الشيعة

غير أن ذلك لا يعني اقتصار الأمر على الشيعة، فقد عمّ ذلك جميع

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:٥ ص:٢٩٩ في ترجمة سلمة بن كهيل، واللفظ له. تاريخ مدينة دمشق ج:٢٢ ص:١٢٤ في ترجمة سلمة بن كهيل. تهذيب الكمال ج:١١ ص:٣١٦ في ترجمة سلمة بن كهيل.

(٢) مقاتل الطالبيين ص:١٩٥ باب من خرج مع محمد بن عبد الله من أهل العلم.

(٣) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:٢٥٣ في ترجمة سفيان الثوري.

المسلمين على اختلاف توجهاتهم، كما هو ظاهر بأدنى ملاحظة لتاريخ تلك الفترة.

بل قد يكون ظهور ذلك في الشيعة محفزاً لغيرهم على التوجه في هذه الوجهة، ولو من أجل أن لا ينفرد الشيعة في الساحة، ويستقطبوا طلاب العلم والثقافة الدينية، فتفرض ثقافتهم على جميع المسلمين.

كما قد يناسب ذلك ما عن الزهري، كقوله: «لولا أحاديث سالت علينا من المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثاً، ولا أذنت في كتابه»[1].

ظهور طبقة الفقهاء والمحدثين

والحاصل: أن جمهور المسلمين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم بدؤوا يرجعون في دينهم لفقهائهم، فظهر الفقهاء السبعة في المدينة المنورة، وظهر غيرهم في بقية أمصار المسلمين، وصار للحديث والفقه سوق رائج.

وأخذوا يتسابقون في ذلك، إما اهتماماً بمعرفة الحقيقة، أو لدعم الوجهة التي يتوجه إليها الفقيه والمحدث ويتعصب لها، أو ليَبدو تفوقه، ويكون رأساً يرجع إليه الناس في دينهم... إلى غير ذلك من العوامل المختلفة.

الاتفاق على انحصار مرجعية الدين بالكتاب والسنة

ولهذا الأمر ـ على سلبياته الكثيرة ـ أهميته العظمى في ظهور معالم الدين، وقيام الحجة عليه، حيث كانت نتيجة ذلك الاتفاق على انحصار المرجعية في

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج:٥٥ ص:٣١٩ في ترجمة محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، واللفظ له. تقييد العلم ص:١٠٧ـ١٠٨. تهذيب الكمال ج:٢٦ ص:٤٣٣ في ترجمة محمد بن عبيد الله بن مسلم الزهري. وغيرها من المصادر.

الدين بالكتاب المجيد والسنة الشريفة، من دون أن تكون للسلطة أو غيرها حق التدخل فيه.

وحتى لو رجعوا في الدين لغير الكتاب والسنة ـ كالإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، وغيرها ـ فإنهم حاولوا بعد ذلك توجيه العمل عليها بالكتاب والسنة، لدعوى دلالة الكتاب والسنة على حجية الأمور المذكورة، أو كشف تلك الأمور عن دلالة الكتاب والسنة على ما يطابقها.

وأخذوا تدريجاً بتثبيت الضوابط لذلك، حتى تبلور الفقه عن طريق الفقهاء ـ على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ـ من دون تدخل مباشر من السلطة.

تعامل السلطة مع الواقع الجديد بتنسيق وحذر

وقد فرض هذا الأمر أخيراً في الواقع الإسلامي، نتيجة لما سبق، حتى اضطرت السلطة لغض النظر عنه، بل للاعتراف به.

وقد حاولت التعامل معه بنحو من التنسيق والحذر يخفف من وقعه عليها، وتناقضه معها. وذلك بأمرين:

إقدام السلطة على تدوين السنة

الأول: الاهتمام بتدوين السنة، ولو بالنحو الذي يعجبها ـ على خلاف ما كان عليه الأولون ـ في محاولة منها للسيطرة على مسيرة الحديث والفقه.

فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة فاكتبه، فإني

خشيت دروس العلم وذهاب أهله»[١].

وعن الزهري: «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً»[٢].

تبني الخلفاء لبعض الفقهاء لكسب الشرعية منهم

الثاني: تبني الخلفاء لبعض الفقهاء جيلاً بعد جيل، ودعمهم، من أجل تحسين صورتهم أمام الجمهور، في محاولة لإثبات شرعية سلطتهم وتصرفاتهم، وتسيير الفقه والحديث لصالحهم، بعد فرض الدين في الواقع الإسلامي، وتحرره من هيمنة السلطة.

مكسب الدين نتيجة هذين الأمرين

وباب الخطأ والتلاعب من المحدثين والفقهاء وإن كان مفتوحاً، خصوصاً من أجل إرضاء السلطة، كما يظهر بمراجعة التاريخ، إلا أن لهذين الأمرين أهميتهما في صالح الدين، لأنهما يتضمنان الاعتراف ضمناً بمرجعية الكتاب المجيد والسنة الشريفة، وأنه لا مجال لتحكم الخليفة أو غيره في الدين بالمباشرة.

غاية الأمر أنه قد يستعين بالفقهاء والمحدثين الذين يتبناهم أو ينسق

---

(١) الطبقات الكبرى ج:٨ ص:٤٨٠ في ترجمة عمرة بنت عبد الرحمن، واللفظ له. وج:٢ ص:٣٨٧ عند ذكر عمرة بنت عبد الرحمن وعروة بن الزبير. معرفة السنن والآثار ج:٦ ص:٣٨٩. التمهيد لابن عبد البر ج:١٧ ص:٢٥١. الأعلام للزركلي ج:٥ ص:٧٢. تقييد العلم ج:١ ص:٢٥٢ ح:٢١٨ الرواية عن الطبقة الثانية والثالثة من التابعين في ذلك. المعرفة والتاريخ ج:١ ص:٤٤١. وغيرها من المصادر.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج:١ ص:٧٦.

معهم لتحقيق هدفه. بل قد يشتد ويقسو في فرض ما يريد والمنع من مخالفته.

إلا أن ذلك لا يضيع معالم الحق بعد أن تسالم الجميع على أن المرجع في الدين هو الكتاب المجيد المحفوظ بين الدفتين المنتشر بين المسلمين، والسنة الشريفة المحفوظة في الصدور والمسطورة في الزبر.

موقف مالك بن أنس صاحب المذهب

ويبدو أن مالك بن أنس صاحب المذهب قد أدرك ذلك. فعن محمد بن عمر: «سمعت مالك بن أنس يقول: لما حجّ المنصور دعاني، فدخلت عليه فحادثته، وسألني فأجبته. فقال: عزمت أن آمر بكتبك هذه ـ يعني الموطأ ـ فتنسخ نسَخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث. فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم.

قلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سيقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم، وعملوا به ودانوا به، من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم. وإن ردهم عما اعتقدوه شديد. فدع الناس وما هم عليه، وما اختار كل بلد لأنفسهم. فقال: لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك»[1].

وعن ابن مسكين ومحمد بن مسلمة قالا: «سمعنا مالكاً يذكر دخوله

(١) سير أعلام النبلاء ج:٨ ص:٧٨ـ٧٩ في ترجمة مالك الإمام، واللفظ له. جامع بيان العلم وفضله ج:١ ص:١٣٢. الانتقاء من فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ص:٤١. المنتخب من ذيل المذيل ص:١٤٤ القول في تاريخ التابعين والخالفين والسلف الماضين من العلماء ونقلة الآثار: ذكر من هلك منهم في سنة ١٦١ من الهجرة.

على المنصور، وقوله في انتساخ كتبه وحمل الناس عليها، فقلت: قد رسخ في قلوب أهل كل بلد ما اعتقدوه وعملوا به، وردّ العامة عن مثل هذا عسير»[١].

وروي أن هارون الرشيد أراد من مالك الذهاب معه إلى العراق، وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال له مالك: «أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه، لأن الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) افترقوا بعد موته ﷺ في الأمصار، فعند كل أهل مصر علم، وقد قال ﷺ: اختلاف أمتي رحمة»[٢].

على أن التلاعب والخطأ محدودان نسبياً، نتيجة الصراع بين الفقهاء والمحدّثين، واختلاف الأنظار والمصالح، حيث يحاسب المخطئ والمتلاعب من قبل الآخرين على ضوء الكتاب والسنة، ويكون هدفاً لإنكارهم وتشنيعهم.

ولو فرض أن شذّ بعضهم في اختلاق الحديث، أو في آرائه الفقهية، بعيداً عما هو المألوف، كان معزولاً عن الكيان العام، ولا احترام لرأيه.

كما أنه ربما يكون انتساب الفقيه أو المحدث للسلطة نقطة ضعف فيه تقلل من احترام رأيه وحديثه، وتكون مثاراً للإنكار عليه. لما سبق من وهن شرعية السلطة، وتشوه صورتها عند جمهور المسلمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج:٨ ص:٧٩ في ترجمة مالك الإمام، واللفظ له. الانتقاء من فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ص:٤١.

(٢) فيض القدير ج:١ ص:٢٧١، واللفظ له. حياة الحيوان الكبرى ج:٢ ص:٥٧١ باب الميم: في مطية. آداب العلماء والمتعلمين ج:١ ص:٢ الفصل الأول: آداب العالم في علمه: النوع الثالث. وقد روي أن ذلك كان مع المأمون كما في تاريخ دمشق ج:٣٢ ص:٣٥٦ في ترجمة عبد الله بن محمد، وحلية الأولياء ج:٦ ص:٣٦١ـ٣٦٢ في ترجمة مالك بن أنس.

قوّة الكيان الشيعي نتيجة ما سبق

وقد ساعد على ذلك كثيراً قيام كيان معتد به لشيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، حيث يهتمون ـ بتوجيه من أئمتهم (صلوات الله عليهم) ـ بالحق ويدعون له، وينكرون على الظالمين والمنحرفين، ويتتبعون سقطاتهم ويشنعون عليهم... إلى غير ذلك مما يكبح جماح الانحراف. وإن تحملوا في سبيل ذلك ضروب المحن والمصائب.

تحول مسار الثقافة الدينية بعد الفترة الانتقالية

والمتحصل من جميع ما سبق: أنه يبدو التحول واضحاً في مسار الثقافة الدينية على الصعيد العام بالمقارنة بين ما كان الوضع عليه من الصدر الأول حتى موت معاوية، وما صارت الأمور إليه بعد الفترة الانتقالية واستيلاء المروانيين على السلطة.

وبذلك بقيت معالم الدين، وكيانه العام، واتفق المسلمون على مشتركات كثيرة تحفظ صورة الدين ووحدته. وأهمها انحصار المرجعية بالكتاب المجيد، والسنة الشريفة.

عقدة احترام سنة الشيخين

نعم، بقي أمر مرجعية سيرة الشيخين والأخذ بسنتهما، الذي بدا بصورة رسمية في الشورى عند بيعة عثمان. ثم أقر ذلك عثمان في خطبة له في أوائل بيعته، حيث قال فيما روي عنه: «مضى قبلي صاحباي رحمهما الله، فهما لي سلف وقدوة، فإنما أنا متبع...»[1].

(١) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٣١ أمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه.

وجرى الأمر على ذلك في بيعة عبد الله بن الزبير، حيث بويع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين[١]. ومقتضاه إلحاق سيرة عثمان بسيرتهما.

وربما كانت الأرضية له قد سبقت ذلك. فعن عبد الله بن عمر أنه قال: «قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأثنوا عليه. فقال: راغب وراهب. وددت أني نجوت منها كفافاً، لا لي ولا عليّ. لا أتحملها حياً وميتاً»[٢].

فإنه كالصريح في أن عمل أبي بكر سنّة تصلح لأن تتبع، كسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الوظيفة مع اختلافهما التخيير بينهما، ولا يتعين الأخذ بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن الشعبي قال: «كتب عمر إلى شريح: إذا أتاك أمر في كتاب الله فاقض به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقض به. فإن لم يكن فيهما فاقض بما قضى به أئمة الهدى. فإن لم يكن فأنت بالخيار، إن شئت تجتهد رأيك، وإن شئت تؤامرني. ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك»[٣].

---

(١) أنساب الأشراف ج:٥ ص:٣٧٣ احتراق الكعبة وبناؤها.

(٢) صحيح البخاري ج:٨ ص:١٢٦ كتاب الأحكام: باب الاستخلاف، واللفظ له. صحيح مسلم ج:٦ ص:٤ـ٥ كتاب الأمارة: باب الاستخلاف وتركه. مسند أحمد ج:١ ص:٤٣ مسند عمر بن الخطاب. السنن الكبرى للبيهقي ج:٨ ص:١٤٨ كتاب قتال أهل البغي: جماع أبواب الرعاة: باب الاستخلاف. سنن الترمذي ج:٣ ص:٣٤١ أبواب الفتن: باب ما جاء في الخلافة. وغيرها من المصادر الكثيرة جداً.

(٣) سير أعلام النبلاء ج:٤ ص:١٠١ في ترجمة شريح القاضي رقم:٣٢.

وكيف كان فنظراً لاحترام الجمهور للشيخين احتراماً يبلغ حدّ التقديس، نتيجة العوامل المتقدمة، حاول كثير منهم أن يقروا ما صدر عنهما من التشريعات، ويجعلوا سنتهما ماضية بنفسها ـ من دون نظر لموافقتها للكتاب المجيد والسنة الشريفة ـ بحيث لا يحق لأحد الخروج عنها، كما سبق في حديث أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام)[١].

وقد بقي ذلك بعده عليه السلام، مع شدة النكير عليه منه ومن الأئمة من ذريته (صلوات الله عليهم) ومن شيعتهم، وبعض من اقتنع بوجهة نظرهم.

حتى ورد في الحديث عن ابن عباس: «قال: تمتع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عرية؟! قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون. أقول: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول: نهى أبو بكر وعمر»[٢].

وفي حديث آخر أنه قال: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر»[٣].

---

(١) تقدم عند الكلام في محاولة أمير المؤمنين عليه السلام كشف الحقائق، وأن العقبة الكؤود أمامه احترام الأولين.

(٢) مسند أحمد ج:١ ص:٣٣٧ مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، واللفظ له. جامع بيان العلم وفضله ج:٢ ص:١٩٦. تذكرة الحفاظ ج:٣ ص:٨٣٧ في ترجمة محمد بن عبد الملك بن أيمن. سير أعلام النبلاء ج:١٥ ص:٢٤٣ في ترجمة ابن أيمن. المغني لابن قدامة ج:٣ ص:٢٣٩. الشرح الكبير لابن قدامة ج:٣ ص:٢٣٩. الفقيه والمتفقه ج:١ ص:٣٧٧. حجة الوداع ج:١ ص:٣٩٨ ح:٣٦٩ الباب الرابع والعشرون الأحاديث الواردة في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفسخ الحج بعمرة في حجة الوداع... وغيرها من المصادر.

(٣) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ص:١٤٩، واللفظ له. زاد المعاد ج:٢ ص:١٧٨ أعذار من لم يأخذ بفسخ الحج إلى العمرة. أضواء البيان ج:٧ ص:٣٢٨. النصائح الكافية ص:٢١٣.

وفي حديث ثالث له: «والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن النبي ﷺ، وتحدثونا عن أبي بكر وعمر...»[١].

وقال أيضاً: «أما تخافون أن يخسف الله بكم الأرض. أقول لكم: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!...»[٢].

وعن ابن عمر أنه كان يأتي بمتعة الحج، فيقال له: «إن أباك كان ينهى عنها» فيقول: «لقد خشيت أن يقع عليكم حجارة من السماء، قد فعلها رسول الله ﷺ. أفسنة رسول الله تتبع، أم سنة عمر بن الخطاب؟!»[٣].

وفي صحيح زرارة: «جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول في متعة النساء؟ فقال: أحلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله، فهي حلال إلى يوم القيامة. فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرّمها عمر، ونهى عنها! فقال: وإن كان فعل. قال: إني أعيذك بالله من ذلك، أن تحل شيئاً حرمه عمر. قال: فقال له: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله، فهلم ألاعنك أن القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الباطل ما قال صاحبك...»[٤].

وغيرها من المصادر.

(١) جامع بيان العلم وفضله ج:٢ ص:١٩٦، واللفظ له. التمهيد لابن عبد البر ج:٨ ص:٢٠٨. أضواء البيان ج:٤ ص:٣٥٢. إمتاع الأسماع ج:٩ ص:٣١ فصل في ذكر حجة رسول الله ﷺ. وغيرها من المصادر.

(٢) الإحكام لابن حزم ج:٢ ص:١٤٨، ج:٤ ص:٥٨١، ج:٥ ص:٦٥٠.

(٣) البداية والنهاية ج:٥ ص:١٥٩ في فصل لم يسمه بعد ذكر حجة من ذهب إلى أنه عليه السلام كان قارناً. وقريب منه في مسند أحمد ج:٢ ص:٩٥ في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٤) الكافي ج:٥ ص:٤٤٩ من أبواب المتعة حديث:٤.

وفي حديث أبي بصير: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد، كان عندي رهط من أهل البصرة، فسألوني عن الحج، فأخبرتهم بما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، وبما أمر به. فقالوا لي: إن عمر قد أفرد الحج. فقلت لهم: إن هذا رأي رآه عمر. وليس رأي عمر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله»[1]... إلى غير ذلك.

وقد حاول الجمهور والسلطة الجري على ذلك حتى بعد تدوين السنة، وظهور طبقة الفقهاء والمحدثين، كما يظهر مما تقدم من حديث عروة بن الزبير المعدود من فقهاء المدينة السبعة، وحديث عبد الله بن عمير الليثي مع الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه).

ونحوهما ما عن الحسن البصري مع عمر بن عبد العزيز. فعن المدائني أنه قال: «كتب عمر إلى عدي أن سل الحسن: ما بال نصارى العرب لا يؤخذ منهم الجزية؟ فسأله، فقال: اكتب إليه: إنك متبع ولست بمبتدع. إن عمر رأى في ذلك صلاحاً»[2].

بل بلغ بهم الأمر أن حاولوا نسبة ذلك للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مع ما هو المعلوم من رفضه البيعة له بشرط أن يسير بسيرة الشيخين. فرووا بإسنادهم عن حضين بن المنذر أنه شهد على الوليد بن عقبة عند عثمان بشرب الخمر، فكلم علي عثمان فيه، فقال: دونك ابن عمك، فقال علي: قم يا عبد الله بن جعفر. فقام عبد الله فجلده، وعدّ علي، فلما أتم أربعين قال: حسبك، أو قال: أمسك. جلد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر أربعين، واكتمل عمر ثمانين. وكل سنة[3].

---

(١) وسائل الشيعة ج:٨ ص:١٧٣ باب:٣ من أبواب أقسام الحج حديث:٦.

(٢) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٥٩ في ذكر عمر بن عبد العزيز.

(٣) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٤٦ أمر الوليد بن عقبة حين ولاه عثمان الكوفة.

موقف عمر بن عبد العزيز

وقد سبق في كتاب عمر بن عبد العزيز الأمر بكتابة السنة الماضية[١]. والظاهر أن المراد بها ما يعم سنة الشيخين، كما يناسبه قوله في خطبة له في خلافته: «ألا إن ما سنّ رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه. وما سنّ سواهما فإنا نرجئه»[٢].

وهو بذلك يجري على ما جرى عليه عبد الرحمن بن عوف حين أخذ اتباع سيرتهما شرطاً في بيعة الخليفة، كالعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وما جرى عليه عثمان لما أتم الصلاة بمنى، حيث ورد أنه خطب فقال: «إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه. ولكنه حدث العام من الناس فخفت أن يستنوا»[٣].

بل في كلام لعمر بن عبد العزيز آخر: «سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فيما خالفها. من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولّاه

---

(١) تقدم قريباً عند الكلام في إقدام السلطة على تدوين السنة النبوية.

(٢) تاريخ دمشق ج:١١ ص:٣٨٥ في ترجمة حاجب بن خليفة، واللفظ له. كنز العمال ج:١ ص:٣٧٠ ح:١٦٢٤. تاريخ الخلفاء ص:٢٤١ في ترجمة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج:٣ ص:١٤٤ كتاب الصلاة: جماع أبواب صلاة المسافر والجمع في السفر: باب من ترك القصر في السفر غير رغبة عن السنة، واللفظ له. معرفة السنن والآثار ج:٢ ص:٤٢٩. كنز العمال ج:٨ ص:٢٣٤ ح:٢٢٧٠١. تاريخ دمشق ج:٣٩ ص:٢٥٥ في ترجمة عثمان بن عفان. وغيرها من المصادر.

الله ما تولى وصلاه جهنم وساءت مصيراً»[١].

ونحو ذلك روي عن مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور[٢].

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: «أما بعد فقد أتاني كتابك تسأل عن القضاء بين الناس. والقضاء بين الناس باتباع ما في كتاب الله، ثم ما جاء عن رسول الله ﷺ، ثم ما حكم به أئمة الهدى، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم. فما أتاك من الحكم فلم تجده في الكتاب نصاً، ولا في السنة رواية، ولا أخبرك به مخبر عن الأئمة الأبرار، فسل عنه أهل العفة والمعرفة...»[٣].

ومقتضاهما إمضاء سنة عثمان أيضاً، كما سبق في بيعة عبد الله بن الزبير. كما جرى على ذلك معاوية، فإنه لما حجّ صلّى الظهر ركعتين. ولما دخل فسطاطه عتب عليه الأمويون لأنه خالف سنة عثمان فخرج فصلّى العصر أربعاً[٤].

إلا أنه يبدو شعور عمر بن عبد العزيز بعد ذلك بأن سنة عثمان يتعذر فرضها على المسلمين ـ بعد تحرر فقههم من سيطرة السلطة ـ لعدم احترامه في نفوسهم، فتراجع عن ذلك وأرجأه ـ كما في خطبته السابقة ـ واقتصر على سنة

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج:٤ ص:١٠٦٧، واللفظ له. الدر المنثور ج:٢ ص:٢٢٢. البداية والنهاية ج:٩ ص:٢٤٢ أحداث سنة إحدى ومائة من الهجرة. جامع بيان العلم وفضله ج:٢ ص:١٨٧. وغيرها من المصادر.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٨ ص:٩٨ في ترجمة مالك بن أنس. حلية الأولياء ج:٦ ص:٣٢٤ في ترجمة مالك بن أنس.

(٣) أنساب الأشراف ج:٦ ص:١٥٥ في ذكر عمر بن عبد العزيز.

(٤) مسند أحمد ج:٤ ص:٩٤ حديث معاوية بن أبي سفيان. وتقدمت بقية مصادره عند التعرض لنماذج من التحريف في العهد الأموي.

الشيخين، لما لهما من المكانة في نفوس الجمهور.

نعم قال ابن تيمية: «فأحمد بن حنبل وكثير من العلماء يتبعون علياً فيما سنّه كما يتبعون عمر وعثمان فيما سنّاه. وآخرون من العلماء ـ كمالك وغيره ـ لا يتبعون علياً فيما سنّه. وكلهم متفقون على اتباع عمر وعثمان فيما سنّاه»[1]. وهو أعلم بما قال.

نعم قال الذهبي: «قال إسحاق بن راهويه: إذا اجتمع الثوري والأوزاعي على أمر فهو سنة. قلت: بل السنة ما سنه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده... وإنما مراد إسحاق أنهم إذا اجتمعوا على مسألة فهو حق غالب»[2].

والظاهر أنه اعتمد في الاعتراف سنة الخلفاء الأربعة على حديث العرباض بن سارية الذي تقدم الكلام فيه في أواخر التمهيد للمطلب الأول فيما كسبه الإسلام بكيانه العام من فاجعة الطف.

التغلب أخيراً على عقدة سيرة الشيخين

وكيف كان فيظهر اتضاح الضوابط في الفقه وجميع شؤون الدين بعد ذلك، وتبلورها، نتيجة الإنكار على الظالمين وتعريتهم، والتأكيد من أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومن شيعتهم، بل من الجميع، على انحصار المرجعية في الدين بالكتاب المجيد والسنة الشريفة، وعدم جواز الأخذ من غيرهما، وأن ذلك هو الابتداع المنهي عنه عقلاً وشرعاً.

وقد اضطر ذلك الجمهور أخيراً إلى التراجع عن الموقف المذكور من

---

(١) منهاج السنة ج:٣ ص:٢٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:٧ ص:١١٧ في ترجمة الأوزاعي.

سنة الشـــيخين، والبناء على انحصار المرجعية في الدين بالكتاب والسنة، وأنه لابد أن يكون منهما الانطلاق لتحديد الأدلة في أحكام الدين وشؤونه.

نعم، تحول الخلاف بعد ذلك إلى الخلاف في الضوابط والأدلة التي يدل الكتاب المجيد والســـنة الشريفة على حجيتها في أمـــور الدين. ولذلك الأثر الكبير في اختلاف المسلمين، وظهور الفرق والمذاهب فيهم.

إلا أنه ليس بتلك الأهمية بعد الاتفاق على انحصار المرجعية في الكتاب والســـنة، لأن طالب الحق يبقى حراً في الاختيار عـــلى ضوء هذين المرجعين العظيمين. وهـــو كاف في قيام الحجة على الدين الحـــق، ووضوح معالمه، كما تكفـــل الله عز وجل بذلك. ولا يضره بعد ذلك التكلف والتعصب ضدّ الحق وأهله.

موقف الجمهور أخيراً من سنة الشيخين

أما موقف الجمهور من سيرة الشيخين فقد انحصر بين أمرين:

الأول: ترك بعض سننهما، كما حصل في متعة الحج التي حرمها عمر وغيرها.

الثاني: دعوى دعم الكتاب أو الســـنة لما سناه، كما حصل في متعة النساء وغيرها، في كلام طويل وتفاصيل كثيرة لا يهمنا التعرض لها.

وهي ترجع إما لوجود روايات في ذلك تضمنتها كتبهم. وإما لحســـن الظن بهما وتنزيههما عن الابتداع في الدين، وأنهما لا يرضيان بذلك، بل لابد أن يكونا قد اطلعا على دليل لم يصل إلينا.

فعـــن ابن حزم في التعقيب على ما تقدم من كلام عروة بن الزبير مع ابن

عباس: «إنها لعظيمة ما رضي بها قط أبو بكر وعمر رضي الله عنهما»[١].

وقال الذهبي في الدفاع عن عروة: «قلت: ما قصد عروة معارضة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهما، بل رأى أنهما ما نهيا عن المتعة إلا وقد اطلعا على ناسخ»[٢].

وهذا منهم وإن ابتنى في كثير من الموارد على التمحل غير المقبول، إلا أنه فتح عظيم للدين، حيث يستبطن الاعتراف بانحصار المرجع فيه بالكتاب المجيد والسنة الشريفة. وبذلك تتم الحجة. والتمحل لا ينفع صاحبه، ولا يكون عذراً له مع الله عز وجل. كما لا يقبله المنصف من الناس.

وبذلك اتضحت معالم الدين، وتجلت ضوابط الحق من الباطل، بنحو يتيسر لطالب الحق الوصول إليه، لظهور حجته. ويكون حائلاً دون تحريف الدين وضياعه، كما حصل في الأديان السابقة.

كل ذلك بجهود أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وفي قمتها نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي انتهت بفاجعة الطف الدامية التي هزت ضمير المسلمين، ونبهتهم من غفلتهم، وغيرت وجهتهم، وارتفعت بسببها أصوات الإنكار على الظالمين، وحفزت على نقد مواقفهم وسلوكهم وتعريتهم، بنحو قضى على مشروعهم في استغفال المسلمين، وتدويل الدين والتحكم فيه، مما يؤدي إلى ضياع معالمه على طالبيه.

فجزى الله الإمام الحسين (صلوات الله عليه) عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين. والسلام عليه وعلى المستشهدين معه، ورحمة الله وبركاته.

---

(١) تذكرة الحفاظ ج:٣ ص:٨٣٧ في ترجمة محمد بن عبد الملك بن أيمن.

(٢) سير أعلام النبلاء ج:١٥ ص:٢٤٣ في ترجمة ابن أيمن.

* الفهرست الإجمالي

* الفهرست التفصيلي

الفهرست الإجمالي

منهج البحث ٥
المقدمة ١٣
المقصد الأول: في أبعاد فاجعة الطف وعمقها وردود الفعل المباشرة لها ٦١
الفصل الأول: في أبعاد فاجعة الطف وعمقها ٦١
الفصل الثاني: في ردود الفعل المباشرة لفاجعة الطف ١١١
المقام الأول: في رد الفعل من قبل الناس ١١١
المقام الثاني: في موقف السلطة نتيجة رد الفعل المذكور وانقلاب موقفها من الحدث ومن عائلة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) ١٣٥
المقصد الثاني: في ثمرات فاجعة الطف وفوائدها ١٦١
الفصل الأول: فيما جناه الدين من ثمرات فاجعة الطف ١٦١
المطلب الأول: فيما كسبه الإسلام بكيانه العام ١٧٣
المبحث الأول: فيما من شأنه أن يترتب على انحراف مسار السلطة في الإسلام لو لم يكبح جماحه ١٨٧
المبحث الثاني: في جهود أهل البيت عليهم السلام في كبح جماح الانحراف وما كسبه الإسلام بكيانه العام من ذلك ٣١٥
المقام الأول: في جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وجهود الخاصة من الصحابة والتابعين الذين كانوا معه ٣١٧
المقام الثاني: في مواجهة السلطة لجهود أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته ٣٨٩
المقام الثالث: في أثر فاجعة الطف في الإسلام بكيانه العام ٤٢٩

الفهرست التفصيلي

منهج البحث ٥
المقدمة ١٣
الشائع عند أهل الحديث والمؤرخين اتجاهان:
أولهما: نظرية أن التخطيط لواقعة الطف بَشريّ ١٣
ثانيهما: نظرية أن التخطيط للواقعة إلهي ١٤
تأكيد النصوص على أن التخطيط لفاجعة الطف إلهي ١٥
الشواهد المؤكدة لكون التخطيط للفاجعة إلهياً ١٦
إخبار النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بالفاجعة قبل وقوعها ١٦
توقع الناس للفاجعة قبل وقوعها ١٦
رواية عائشة عن إخبار النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل ١٧
رواية ابن عباس وذكره خطبة النبي صلى الله عليه وآله وقد تيقن المهاجرون والأنصار
بأن الحسين عليه السلام مقتول ١٧
إخبار ابن عباس أن الحسين عليه السلام مقتول ١٧
إخبار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ١٨
إخبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ١٨
زعم الناس أن عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام وإنكار عمر بن سعد ذلك ١٨
إخبار عبد الله بن شريك ١٩
قصة أب العريان بن الهيثم ١٩

الإخبار بنهضة المختار فيما روي عن ميثم التمار وإخباره المختار وهاني بالسجن .. ٢٠
بعض التفاصيل المناسبة لحصول الفاجعة قبل وقوعها:
الأول: تحديد مكان مقتله وزمانه وأن قاتله يزيد وبعض من يشارك في ذلك ٢٣
ما رواه الثقفي في الغارات من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام وذكر قاتل الحسين عليه السلام
وقيام أنس النخعي وسؤاله كم شعرة في رأسي ولحيتي (هامش) ٢٤
توقع الإمام الحسين عليه السلام أن عاقبة نهضته القتل ٢٥
حديث الحسين عليه السلام مع بعض من لقيه في الطريق ٢٥
حديث الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد يوم عاشوراء ٢٦
الثاني: حثّ النبي صلى الله عليه وآله الأكرم على نصرة الحسين عليه السلام ٢٧
حديث أنس بن الحارث ٢٧
حديث زهير بن القين وقصته في غزو بلنجر ٢٨
حديث معاذ بن جبل ٢٨
قول أمير المؤمنين عليه السلام للبراء بن عازب: «أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره» . . . ٢٨
الإمام الحسين عليه السلام مأمور بنهضته عالم بمصيره ٢٩
خطبة الحسين عليه السلام في مكة «خطّ الموت على ولد آدم» ٣٠
ويؤيد ذلك أمران:
الأول: الشواهد التاريخية أنه عليه السلام لم يتحرّ مظان السلامة وحديثه مع الفرزدق
وبعد علمه بمقتل مسلم عليه السلام وبعد وصول رسالة مسلم له بيد ابن الأشعث .. ٣٠
إخباره عليه السلام لمن معه بخذلان الناس له وتفرقهم عنه ٣٣
تهيؤه عليه السلام للقاء الحر قبل ليلة من اللقاء والاستقاء في السحر ٣٣
اتفاقه عليه السلام مع الحر في الطريق ٣٥
امتناعه عليه السلام من الذهاب لجبل طيء ٣٦
تصريحه عليه السلام حين وصوله أرض كربلاء بما عهد إليه ورواية ابن الجوزي ٣٨
رواية الدينوري وسؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض ٣٨

تنبيهه عليه السلام لظلامته وتمسكه بموقفه ٣٩
خطبته عليه السلام بعد أن جمع أهل بيته وأصحابه ٣٩
الثاني: الظروف التي أحاطت بنهضته عليه السلام ٤٠
استفسار ابن عباس عن خروجه عليه السلام في حديث طويل ٤١
ظهور الإحراج عليه عليه السلام مع ناصحيه ٤٣
حديثه عليه السلام مع جماعة فيهم عبد الله بن الزبير ٤٣
اعتذاره عليه السلام بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمره بأمر ٤٤
سؤاله عن الرؤيا وامتناعه عليه السلام عن الحديث بها ٤٤
رواية ابن طاووس بحديث الرؤيا مع أخيه محمد بن الحنفية ٤٥
بعض الشواهد على إصراره عليه السلام على الخروج إلى العراق في رواية الفريقين ٤٦
رواية الفريقين لإخبار الأنبياء عليهم السلام بقتله عليه السلام ٤٧
رواية ابن عساكر في إخبار إمام مسجد بني سليم وأنه وجد في الكنائس بيتاً من
الشعر (هامش) ٤٨
سماع أم سلمة بعد قتله عليه السلام هاتفاً ينشد ٤٩
كتابه عليه السلام إلى بني هاشم بالفتح الذي يحققه ٥٠
إخبار الإمام السجاد عليه السلام بأن أباه عليه السلام هو الغالب ٥١
خلود الفاجعة يناسب أهميتها ٥١
نتيجة لذلك يحسن التنبيه لأمرين:
الأول: عدم مناسبة الخوض في تفاصيل الفاجعة مثل خروجه عليه السلام من مكة وحمل
العائلة وغير ذلك ٥٢
الثاني: عظمة الإمام الحسين عليه السلام وروح التضحية التي كان يحملها ٥٢
تحلي الإمام الحسين عليه السلام بالعاطفة يزيد من آلامه ومعاناته في هذه المدة الطويلة ٥٤
شعره عليه السلام ليلة العاشر وانتباه أخته زينب عليها السلام لذلك ٥٤
الموقف المشرف للعائلة الكريمة ٥٦

قول العقيلة عليها السلام في خطبتها في مجلس يزيد ٥٧
المقصد الأول: في أبعاد فاجعة الطف وعمقها وردود الفعل المباشرة لها ٦١
الكلام في فصلين:
الفصل الأول: في أبعاد فاجعة الطف وعمقها ٦١
تمهيد ٦١
الإمامة حق لأهل البيت عليهم السلام ٦١
استنكار جمهور المسلمين لعهد معاوية ليزيد لأمور:
أولاً: أنه أول من فتح باب الوراثة ٦٢
ثانياً: ابتناء الخلافة على القسر والإرغام ٦٢
ثالثاً: عدم مناسبة واقع يزيد المشين ٦٢
محاولة بعض المتأخرين الدفاع عن يزيد ٦٣
كان الإمام الحسين عليه السلام مسالماً في دعوته للإصلاح ٦٣
اختيار الكوفة لم يكن من أجل أن يخرج أهلها من طاعة يزيد بل كان بدعوة منهم ٦٤
خطبته عليه السلام مع الحر وأصحابه ٦٥
حديث عقبة بن سمعان مولى الرباب ٦٦
استعراض الجرائم التي حصلت بمقتله بإيجاز:
قتل الإمام الحسين عليه السلام هو الجريمة الأولى ٦٧
أولاً: لمقامه الرفيع الذي يستحق التقديس ٦٧
ثانياً: قرابته من النبي صلى الله عليه وآله وإنكار بعض الصحابة على يزيد وعبيد الله بن زياد ٦٨
ثالثاً: مؤهلاته الشخصية من عقل ودين واستقامة وشجاعة وعلم وعمل ٦٩
الإمام الحسين عليه السلام هو الرجل الأول في المسلمين ٧٠
حديث محمد بن الحنفية في فضل الحسين عليه السلام ٧٠
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في فضل الحسين عليه السلام ٧٠
حديث الفرزدق في فضل الحسين عليه السلام ٧١

حديث عبد الله بن مطيع مع الحسين عليه السلام ٧١
كتاب عبد الله بن جعفر في فضل الحسين عليه السلام ٧٢
حديث عبد الله بن الزبير وبغضه لأهل البيت عليهم السلام ٧٤
عدم تمكن ابن الزبير من أخذ البيعة من الناس مع وجود الحسين عليه السلام ٧٥
زيادة جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام بعدة جرائم:
الأول: قتل من كان معه عليه السلام من أولاده وإخوته وبني عمومته وقصة
علي الأكبر عليه السلام ٨٠
حديث العقيلة زينب عليها السلام ٨٠
وصف ابن عباس وحديث الريان بن شبيب والحسن البصري ٨١
حديث المنذر والربيع بن الخيثم ووصف من قتل مع الحسين عليه السلام
وتعلق النبي صلى الله عليه وآله بهم ٨١
بعض ما ورد عمن قتل مع الحسين عليه السلام من المواقف المشرفة ٨٢
موقف علي بن الحسين عليهما السلام في الطريق إلى كربلاء ٨٢
حديث الشمر مع العباس وإخوته يوم التاسع من المحرم ٨٣
الثاني: قتل الثلة الصالحة من أصحاب الحسين عليه السلام ٨٤
حديث الحسين عليه السلام معهم ليلة العاشر من المحرم ٨٤
قول ابن الحجاج في وصفهم يوم العاشر ٨٤
خطبة حبيب بن مظاهر على معسكر ابن سعد ٨٥
حديث غلام عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري ٨٥
قول ابن الحجاج لما قتل مسلم بن عوسجة ٨٦
حديث أبي ثمامة الصائدي مع الحسين عليه السلام ٨٦
الثالث: قتل الأطفال الأبرياء العزل ٨٧
رواية هاني بن ثبيت الحضرمي حينما قتل طفل خرج من خيام الحسين عليه السلام
(هامش) ٨٧

رواية ابن طاووس في قتل عبد الله بن الحسن عليه السلام بعد أن ألقى بنفسه على عمه
الحسين عليه السلام (هامش) ٨٧
قتل ابني عبد الله بن جعفر (هامش) ٨٧
قتل الرضيع. ٨٨
قتل رضيع للحسين عليه السلام ولد الساعة (هامش) ٨٨
قتل امرأة الكلبي بعدما مشت إلى زوجها (هامش). ٨٨
الرابع: التضييق على الإمام الحسين ومنعهم الماء ٨٩
الخامس: انتهاك حرمة العائلة النبوية ٨٩
السادس: انتهاك حرمة الأجساد الشريفة ٩٠
السابع: النيل من الإمام الحسين عليه السلام وأسلافه الطاهرين على المنابر ٩٠
خطبة ابن زياد في مسجد الكوفة وغير ذلك (هامش). ٩٠
في ذكر أمور أخرى زادت في البعد الإجرامي للفاجعة:
الأول: أن الحسين عليه السلام بقية أصحاب الكساء. ٩٢
ذكر رواية الصدوق المتضمنة لمقام الإمام الحسين عليه السلام وأنه البقية الباقية
لأصحاب الكساء. ٩٢
الثاني: تذكر الناس لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله المتضمنة للتنبؤ بالفاجعة. ٩٣
الثالث: التشفي بقتل الحسين عليه السلام على لسان بني أمية ٩٤
استنكار العقيلة زينب عليها السلام على يزيد حينما أنشد أبياته المعروفة ٩٥
حديث إكمال تهذيب الكمال وقصة إرسال رأس الحسين عليه السلام إلى المعيطيين. ٩٦
الجو الديني الذي عاشه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ٩٦
الرابع: انتهاك الأمويين الشهر الحرام ٩٨
حديث الريان بن شبيب مع الإمام الرضا عليه السلام. ٩٨
الخامس: حدوث الأمور الغريبة بسبب مقتل الإمام الحسين عليه السلام. ٩٩
عدم سقوط الدم الذي رماه الإمام الحسين عليه السلام إلى السماء ٩٩

مصرع علي الأكبر وما فيه من الأمر العجيب ٩٩
تكلم رأس الإمام الحسين عليه السلام ١٠٠
تحول التراب الذي دفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى أم سلمة دماً ١٠٠
انكساف الشمس ١٠٠
مطرت السماء دماً ١٠١
لم يرفع حجر في بيت المقدس وغيره إلا وجد تحته دم عبيط ١٠٢
مطر السماء دماً عند خذلان الأمة للإمام الحسن عليه السلام واضطراره للصلح مع
معاوية (هامش) ١٠٢
لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط عند مقتل أمير المؤمنين عليه السلام
(هامش) ١٠٢
نبع الدم من ساق شجرة أم معبد ١٠٣
ظهور الحمرة في السماء ١٠٥
اضطرام النار في وجه ابن زياد ١٠٥
مطر السماء رماداً ١٠٥
الرؤى المؤكدة لعظم الجريمة ١٠٦
نوح الجن على الإمام الحسين عليه السلام ١٠٧
قصة أبي النضر الجرمي الذي رأى بعض من اشترك في المعركة أعمى (هامش) ... ١٠٧
الإمام الحسين عليه السلام ثار الله وابن ثاره ١٠٩
الروايات التي تشهد بهذا المعنى ١٠٩
الفصل الثاني: في ردود الفعل المباشرة لفاجعة الطف ١١١
الكلام في مقامين:
المقام الأول: في رد الفعل من قبل الناس ١١١
أولاً: تعاملت السلطة مع الإمام الحسين عليه السلام على أنه خارجي ١١١
ثانياً: أن السلطة كانت في أوج قوتها وسطوتها ١١٢

إنكارات شخصية من بعض الصحابة ١١٣
إنكار يحيى بن أكثم ١١٤
إنكار ابن عفيف الأزدي ١١٥
إنكار امرأة من آل بكر بن وائل ١١٧
إنكار عامة الناس في الكوفة. ١١٧
إنكار عامة الناس في المدينة. ١٢٠
قصة بنت عقيل وخروجها إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله. ١٢١
موقف أهل المدينة عند رجوع العائلة الثاكلة إليها ١٢٢
موقف الناس في الشام. ١٢٣
وقع الحدث في أمصار المسلمين البعيدة ١٢٤
تأثير مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الذي عقده في مكة على سائر المسلمين في أقطار
الأرض ١٢٤
جهود العائلة الثاكلة في كشف الحقيقة في كربلاء والكوفة وفي مجلس يزيد
وفي الشام. ١٢٥
موقف زينب الكبرى عليها السلام مع النسوة بعد مصرع الحسين عليه السلام (هامش). ١٢٦
موقف زينب الكبرى عليها السلام في مجلس عبيد الله بن زياد وتنكرها (هامش) ١٢٧
خطبة العقيلة زينب بنت علي عليهما السلام وما تضمنتها ١٢٨
خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام. ١٢٩
فاجعة الطف أشد جرائم يزيد وقعاً في نفوس المسلمين ١٢٩
تسمية عام قتل الإمام الحسين عليه السلام بعام الحزن. ١٣٠
ندم جماعة من المشاركين في المعركة ١٣٠
ندم عمر بن سعد وموقف الناس منه ١٣٠
قول رضي بن منقذ العبدي الذي اشتبك مع برير ١٣١
حديث شبث بن ربعي في إمارة مصعب بن الزبير ١٣١

حديث أيوب بن مشرح الخيواني الذي عقر بالحر بن يزيد الجعفي ١٣١
ندم جماعة لعدم نصرتهم الحسين عليه السلام ١٣٢
حديث عبد الله بن الحر الجعفي ١٣٢
استغلال المعارضة للفاجعة ضد الحكم الأموي ١٣٣
محاولة ابن الزبير استغلال الفاجعة لصالحه ١٣٣
المقام الثاني: في موقف السلطة نتيجة رد الفعل وانقلاب موقفها من الحدث
ومن عائلة الإمام الحسين عليه السلام ١٣٥
عدم تفرد ابن زياد بقرار قتل الحسين عليه السلام ١٣٥
شواهد أمر يزيد بقتل الحسين عليه السلام:
الأول: حنق يزيد على الحسين عليه السلام ١٣٦
الثاني: كتاب يزيد لعامله على المدينة بأخذ البيعة من أربعة منهم الحسين عليه السلام ١٣٧
تكرار عملية التهديد بالقتل ممن هو أسبق من يزيد وأعقل منه ١٣٨
تهديد أمير المؤمنين عليه السلام في قضية السقيفة وقتل ابن عبادة وأمر عمر بقتل
من يخالف الشورى ١٣٨
اتهام الجن بقتل بن عبادة (هامش) ١٣٩
قضية عقد معاوية لولاية العهد ليزيد وأمره بقتل من يخالف ١٤٠
طلب مروان قتل الحسين عليه السلام إن لم يبايع ١٤١
الثالث: لما بلغ يزيد دخول الحسين عليه السلام مكة واجتماع الناس حوله كتب لابن عباس
يهدده فيه ١٤٢
الرابع: إرسال يزيد ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية لقتل الحسين عليه السلام في مكة
وحديث الفرزدق مع الحسين عليه السلام ١٤٢
الخامس: بقاء ابن زياد عاملاً ليزيد حتى مات يزيد ١٤٣
السادس: طيش يزيد وعنجهيته ١٤٣
السابع: طلبه من ابن زياد إرسال العائلة الكريمة إلى الشام ١٤٤

الثامن: صلب رأس الإمام الحسين عليه السلام ١٤٥
التاسع: إظهار السرور والشماتة بقتل الحسين عليه السلام ١٤٥
العاشر: زيادة عطاء أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام ١٤٦
الحادي عشر: عدم تنصله عن قتل الحسين عليه السلام حينما جابهته العقيلة زينب عليها السلام ١٤٦
الثاني عشر: كتاب ابن عباس له الذي يؤكد اشتراكه في الجريمة ١٤٦
محاولة يزيد التنصل من الجريمة وتبدل موقفه ١٤٧
إرجاع العائلة الثاكلة للمدينة وتوصيته بالإمام زين العابدين عليه السلام وإعفاءه
من البيعة التي طلبها من أهل المدينة ١٤٧
حديث ابن الأثير المناسب لردة فعل الناس ١٤٩
محاولة ابن زياد التنصل من الجريمة وشعوره بالخطأ ١٤٩
تأني يزيد في محاربة ابن الزبير مخافة التبعة ١٥٠
موقف عموم الحكام إذا أدركوا سوء عاقبة جرائمهم ١٥١
موقف معاوية مما فعله بسر بن أرطاة في غارته على الحرمين وبلاد الحجاز
واليمن ١٥٢
موقف عبد الملك بن مروان من الفاجعة ١٥٣
إدراك الوليد بن عتبة سوء أثر الجريمة على الأمويين ١٥٤
موقف معاوية المسبق من الجريمة ١٥٥
المقصد الثاني: في ثمرات فاجعة الطف وفوائدها ١٦١
وفيه فصلان:
الفصل الأول: فيما جناه الدين من ثمرات فاجعة الطف ١٦١
الهدف الأول للإمام الحسين عليه السلام ١٦١
طبيعة الخدمة التي أسداها الإمام الحسين عليه السلام للدين ١٦٣
سكوت الجمهور عن يزيد وتعاملهم معه كأمر واقع ١٦٤
إشارة خطبة زهير بن القيم إلى الواقع الذي نشير إليه ١٦٥

إشارة بعض الزيارات إلى أن الهدف من النهضة التعريف بالدين.. ١٦٦
إشارة خطبة العقيلة زينب عليها السلام إلى ذلك .. ١٦٨
أهمية بقاء معالم الدين ووضوح حجته.. ١٦٨
تميز الإسلام بأمرين:
الأول: بقاء القرآن المجيد في متناول المسلمين .. ١٦٩
الثاني: جهود جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام .. ١٦٩
ما يتوقف عليه بقاء معالم الدين الحق ووضوح حجته:
أولاً: على وجود مرجعية في الدين .. ١٧٠
ثانياً: على وجود فرقة ظاهرة تدعو إلى الحق .. ١٧٠
المطلب الأول: فيما كسبه الإسلام بكيانه العام.. ١٧٣
تمهيد .. ١٧٣
يجب بقاء الدين الحق واضح المعالم ظاهر الحجة .. ١٧٣
لابد من رعاية المعصوم للدين .. ١٧٤
ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا غلب أهل الباطل أهل الحق وبيان سبب الغلبة . .. ١٧٥
استغلال السلطة للدعوة ومبادئها .. ١٧٧
غلبة الباطل لا توجب ضياع الدين الحق .. ١٧٧
حديث العرباض بن سارية .. ١٧٩
حديث العرباض بن سارية المتضمن لأمر النبي التمسك بالخلفاء الراشدين
(هامش) .. ١٧٩
تحقيق حول تسمية الخلفاء الراشدين وكيف سرق كلقب من الأئمة عليهم السلام إلى الأولين .. ١٧٩
لا محذور من ضياع معالم الدين إذا نسخ بدين جديد.. ١٨٣
كون الإسلام خاتم الأديان يستلزم بقاء معالمه ووضوح حجته.. ١٨٤
المبحث الأول: فيما من شأنه أن يترتب على انحراف مسار السلطة في الإسلام
لو لم يكبح جماحه .. ١٨٧

تأكيد الكتاب والسنة على أمور تخص الإمامة .. ١٨٧
الأول: وجوب معرفة الإمام .. ١٨٨
الثاني: وجوب طاعة الإمام وموالاته .. ١٨٩
الثالث: لزوم جماعة الأمة .. ١٩٠
أهمية هذه الأمور في نظم الدين والمسلمين .. ١٩١
طاعة الإمام مأمونة العاقبة على الدين والمسلمين .. ١٩٢
طاعة الإمام مدعاة للطف الإلهي .. ١٩٣
انحراف مسار السلطة في الإسلام .. ١٩٣
إنكار الإمام أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام لما حصل .. ١٩٤
اضطرار أمير المؤمنين عليه السلام للمسالمة .. ١٩٥
أثر الفتوح في تركز الإسلام واحترام رموز السلطة .. ١٩٥
غياب الإسلام الحق ورموزه عن ذاكرة المسلمين .. ١٩٦
دعم أمير المؤمنين عليه السلام السلطة اهتماماً بكيان الإسلام العام .. ١٩٦
قضية ارتداد العرب وموقف أمير المؤمنين عليه السلام .. ١٩٧
مشاورات أبي بكر وعمر لأمير المؤمنين عليه السلام وتوجيهاته لهم .. ١٩٧
اشتراك جماعة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام في الفتوح .. ١٩٩
تقييم أمير المؤمنين عليه السلام للأوضاع .. ٢٠٠
قيام الولاة في سبيل فرض احترامهم بعدة أمور خطيرة:
الأمر الأول: إضفاء الألقاب المناسبة .. ٢٠٣
تختم عمر وأبو بكر وعثمان بخاتم النبي صلى الله عليه وآله الذي كان نقشه محمد رسول الله .. ٢٠٤
استغلال لقب سلطان الله .. ٢٠٥
عدم شرعية استغلال السلطة لهذه الألقاب .. ٢٠٩
اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي عليه السلام .. ٢٠٩
الأمر الثاني: التحجير على السنة النبوية .. ٢١٢

قسوة السلطة في تنفيذ هذا المشروع ٢١٣
سيرة عمر أيام ولايته ٢١٦
إنكار بعض الصحابة على أبي بكر في استخلاف عمر ٢١٦
شدة عمر في تعامله مع الناس ٢١٨
وضع الأحاديث على النبي صلى الله عليه وآله لصالح السلطة ٢٢٠
كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أسباب اختلاف الحديث ٢٢٠
شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من التحريف ٢٢٣
الأمر الثالث: تأكيد السلطة على أهمية الإمامة والطاعة ولزوم الجماعة ٢٢٥
١ـ رواية من مات ولم يعرف إمام زمانه ينتهي سندها إلى معاوية ٢٢٦
٢ـ ورود معاوية المدينة ولقاؤه عائشة وإنكارها عليه واعتذارها بأنها
بيعة قد تمت ٢٢٦
٣ـ قضية عمر بن الخطاب وهجومه على بيت فاطمة عليها السلام مهدداً إياهم بإحراق
الدار أو يدخلوا فيما دخل الناس فيه ٢٢٧
٤ـ حديث عمر عن أحداث السقيفة وموقفه من سعد بن عبادة ٢٢٧
٥ـ حديث أبي بكر مع العباس ليجعل الخلافة له ولعقبه ليقطعها عن
أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢٧
٦ـ حديث الفضل بن شاذان في التعقيب على محاولة قتل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢٨
٧ـ قصة امتناع كندة من بيعة أبي بكر بحجة مخالفتهم لجماعة المسلمين ٢٢٨
٨ـ خطبة أبي بكر وتأكيده على لزوم الجماعة ٢٢٩
٩ـ حديث علقمة مع عمر بن الخطاب في الليل وظنه خالد بن الوليد ٢٢٩
١١ـ حديث عبد الملك بن عمير عن خطبة يزيد بن أبي سفيان ٢٣٠
١٢ـ حديث الإمام الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «من أدرك هذا يوماً أميراً...» ٢٣٠
١٣ـ قصة عبد الله بن مسعود وصلاته أربعاً في مسجد منى ٢٣٠
١٤ـ إنكار عبد الرحمن بن عوف على عثمان إتمامه الصلاة ٢٣١

١٥ـ قول ابن مسعود للحارث بن قيس: «عليك بالجماعة» ٢٣١
١٦ـ خطبة ابن مسعود. ٢٣٢
١٧ـ حديث ابن مسعود.. .. .. ٢٣٢
١٨ـ مقاطعة عبد الرحمن بن عوف لأمير المؤمنين عليه السلام بعد تلكئه عن بيعة عثمان. .. ٢٣٢
١٩ـ حديث شقيق بن سلمة ٢٣٣
٢٠ـ إنكار المقداد ومقاطعة عبد الرحمن بن عوف له. ٢٣٣
٢١ـ رواية صهبان مولى الأسلميين لقصة أبي ذر مع عثمان ٢٣٣
٢٢ـ عتب عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام لتوديعه أبا ذر ٢٣٤
٢٣ـ وصية عثمان في حصاره بالجماعة ٢٣٤
٢٤ـ طلب زياد من الشهود على حجر بن عدي أنه فارق الجماعة.. .. .. ٢٣٤
٢٥ـ كتاب معاوية للإمام الحسين عليه السلام يحذره من شق عصا الجماعة ٢٣٥
٢٦ـ لما أراد معاوية عقد البيعة ليزيد وحديثه مع الضحاك بن قيس الفهري ٢٣٥
٢٧ـ قول معاوية لعبد الله بن عمر حين أراد البيعة ليزيد.. .. .. ٢٣٧
٢٨ـ كتاب يزيد بن معاوية لابن عباس بعد خروج الحسين عليه السلام إلى مكة ٢٣٧
٢٩ـ كتاب يزيد لابن عباس لما علم امتناعه من البيعة لابن الزبير. ٢٣٧
٣٠ـ لقاء عبد الله بن عمر وابن عباس الإمام الحسين عليه السلام والزبير وحديث
ابن عمر معهما ٢٣٨
٣١ـ حديث عبد الله بن عمر وإنكاره على خروج الحسين عليه السلام وقتله
لمفارقته الجماعة ٢٣٨
٣٢ـ كتاب عمرة بنت عبد الرحمن للحسين عليه السلام تأمره بالطاعة ولزوم الجماعة ٢٣٩
٣٣ـ اعتراض رسل عمرو بن سعيد العاص الحسين عليه السلام وتحذيرهم إياه
بمفارقة الأمة. ٢٣٩
٣٤ـ كتاب عمرو بن سعيد بن العاص للإمام الحسين عليه السلام يحذره من الشقاق ٢٣٩
٣٥ـ خطبة النعمان بن بشير في الكوفة بعد قدوم مسلم بن عقيل عليه السلام يحذر الناس

من الفرقة ٢٤٠
٣٦ـ حديث مسلم بن عمرو الباهلي مع مسلم بن عقيل عليه السلام ٢٤٠
٣٧ـ حديث ابن زياد مع مسلم بن عقيل عليه السلام: «يا شاق ويا عاق...» ٢٤١
٣٨ـ أمر عبيد الله بن زياد حينما عسكر بالنخيلة لحرب الحسين عليه السلام جماعة ليحذروا
الناس من الفرقة ٢٤١
٣٩ـ حديث أبي الشعثاء الكندي مع مالك بن النسير الكندي ٢٤٢
٤٠ـ قول ابن الحجاج في المعركة يوم عاشوراء لأهل الكوفة يأمرهم بلزوم
الطاعة والجماعة ٢٤٢
٤١ـ اعتذار شمر بن ذي الجوشن عن قتله الحسين عليه السلام ٢٤٣
٤٢ـ جمع عبد الله بن عمر بنيه بعد خلع أهل المدينة بيعة يزيد يحذرهم من
خلع البيعة ٢٤٣
٤٣ـ استشارة مسلم بن عقبة عبد الملك وتوجيهه بالاستعانة بالله وجزمه بأن الله
ناصره لأنهم فارقوا الجماعة. ٢٤٣
٤٤ـ مناداة مسلم بن عقبة في أهل الشام ومدحهم لأنهم لزموا الطاعة ٢٤٤
٤٥ـ احتضار مسلم بن عقبة ودعاؤه بأنه لم يفارق الجماعة ولم يخلع بيعة ٢٤٤
٤٦ـ قدوم الحصين بن نمير مكة ومقاتلة ابن الزبير وقول أهل الشام:
«غلبت الطاعة الحرمة» ٢٤٥
٤٧ـ تحذير عروة بن الزبير أخاه بحصار بني هاشم وجمعه الحطب ليحرقهم واعتذار
المعتذر بأنه أراد أن يدخلوا في الطاعة ٢٤٦
٤٨ـ خطبة روح بن زنباع وتشنيعه على ابن الزبير بأنه خلع خليفتين، يزيد وابنه
معاوية بن يزيد ٢٤٧
٤٩ـ خطبة عمرو بن سعيد الأشدق عندما انشق عن عبد الملك بن مروان ٢٤٧
٥٠ـ قول الوليد بن عبد الملك وأمره بالطاعة ولزوم الجماعة ٢٤٨
٥١ـ كتاب عبد الملك بن مروان إلى المهلب بن أبي صفرة وأمره بدخوله فيما

دخل فيه الناس.. ٢٤٨
٥٢ـ حينما رمى الحجاج الكعبة بالمنجنيق رعدت السماء وأبرقت ونزلت صاعقة
من السماء فانكسر أهل الشام فجعل الحجاج يعظم عندهم أمر الخلافة .. ٢٤٨
٥٣ـ قول الحجاج: «طاعتي أوجب من طاعة الله» .. ٢٤٩
٥٤ـ قتل الحجاج الفضيل بن مروان .. ٢٤٩
٥٥ـ قول سمرة بن جندب: «من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام» .. ٢٥٠
٥٦ـ قول الحجاج لقاتل الحسين عليه السلام: «والله لاتجتمعان في الجنة أبدا..» وقصة ذلك ٢٥٠
٥٧ـ كتاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتضمن لتعظيم أمر طاعة الخلفاء.. ٢٥٠
٥٨ـ نسبة طاعة السلطة وتأكيد شرعيتها لأبي ذر رضي الله عنه .. ٢٥١
٥٩ـ ٥٩ـ إغراق السلطة في التأكيد على الطاعة ولزوم الجماعة بنحو يعم
بعض التكاليف الشرعية .. ٢٥١
محاولة المنصور العباسي الاعتراف بشرعية خلافة الأمويين .. ٢٥٢
تأثير هذه الثقافة على العامة .. ٢٥٣
أثر هذه الثقافة في أفريقية .. ٢٥٣
موقف عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص من الإمامة والجماعة .. ٢٥٦
عدم مناسبة هذه المواقف من سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر مع موقفهما من
بيعة أبي بكر (هامش).. ٢٥٧
بقاء هذه الثقافة إلى بعض التابعين وقصة وهب بن منبه .. ٢٥٨
ما رواه الأوزاعي في قصة القاسم بن مخيمرة .. ٢٥٨
مشابهة هذه المواقف للتعاليم المسيحية .. ٢٦٠
مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الموقف بشكل مضاد وخطبته في حقوق الوالي والرعية ٢٦٠
ما تقتضيه القاعدة في البيعة .. ٢٦١
ما آل إليه أمر وجوب البيعة والطاعة ولزوم الجماعة.. ٢٦٢
اختلاف الأمة في الحق خير من اتفاقها على الباطل .. ٢٦٣

الأمر الرابع: استعانة الولاة بالمنافقين وحديثي الإسلام ٢٦٣
تمكين السلطة للأمويين وخصوصاً معاوية ٢٦٥
ظهور الاستهتار من المنافقين وأقوال بعض الصحابة المؤيدة لذلك ٢٦٦
موقف أُبـي بن كعب وموته ٢٧١
حديث ابن أبي الحديد رداً على السيد المرتضى قدس سره حول الغرض من تدبير الشورى ٢٧٢
تبرير السلطة بعض مواقفها بالقضاء والقدر ٢٧٣
قيام كيان الإسلام العام على الطاعة العمياء للسلطة ٢٧٥
تعرض الدين للتحريف ٢٧٦
معاناة الإسلام نتيجة ما تقدم من أمور:
الأمر الأول: جهل المتصدين لبيان الأحكام ٢٧٧
ظهور الاختلاف في الحديث والقضاء والفتوى ٢٧٩
كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول اختلاف القضاء ٢٨٠
تحوير الاجتهاد ٢٨١
ظهور الجرأة على الفتوى والقضاء ٢٨٢
شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من أوضاع الأمة ٢٨٣
الأمر الثاني: ظهور الابتداع في الدين ٢٨٣
الأمر الثالث: تشويه الحقائق في التاريخ والمناقب والمثالب ٢٨٤
ظهور حجم الخطر بملاحظة ثقافة الأمويين ٢٨٤
نماذج من التحريف في العهد الأموي:
١ـ رواية وضع النبي حجراً على قبر عثمان بن مظعون وقضية مروان لما ولي المدينة وأمره برفع الحجر ٢٨٥
٢ـ بيع معاوية الذهب والفضة بأكثر من وزنها ٢٨٥
٣ـ قول معاوية: «الأرض لله وأنا خليفة الله» ٢٨٦
٤ـ دخول هاني بن الخطاب على معاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام

وما جرى بينهما.. ٢٨٦
٥ـ صلاة معاوية الجمعة يوم الأربعاء.. ٢٨٦
٦ـ اتخاذ معاوية لعن أمير المؤمنين عليه السلام سنّة.. ٢٨٦
٧ـ استلحاق معاوية زياد بن سمية المولود على فراش عبد ثقيف.. ٢٨٧
٨ـ محاولة زياد قتل الموالي من العجم.. ٢٨٨
قصة حديث معاوية لزياد وتضمنه لقصة أمر عمر بقتل الموالي وإعطاؤه حبلاً طوله
خمسة أشبار لجعله قياساً لمن يقتل منهم (هامش).. ٢٨٨
٩ـ قصة حديث معاوية أن حديث ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات.. ٢٩٠
١٠ـ أمر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وآله أن يحمل إلى الشام.. ٢٩١
١١ـ همّ عبد الملك بنقل المنبر إلى الشام لما ولي الأمر.. ٢٩١
١٢ـ همّ الوليد بن عبد الملك كما همّ أبوه.. ٢٩١
١٣ـ إعابة معاوية بأنه صلى في مكة قصراً لمخالفته عثمان بن عفان.. ٢٩١
١٤ـ معاوية أول من اتخذ المقصورة في الصلاة.. ٢٩٢
١٥ـ معاوية أول من قعد في خطبة الجمعة.. ٢٩٢
١٦ـ إنشاد يزيد أبيات ابن الزبعرى بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام.. ٢٩٢
١٧ـ قول الوليد بن يزيد: «إني لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر».. ٢٩٣
١٨ـ إباء عمرو بن سعيد الأشدق الامتناع عن القتال في مكة.. ٢٩٣
١٩ـ منع عبد الملك بن مروان أهل الشام الحج واستبداله ببيت المقدس.. ٢٩٣
٢٠ـ صلاة الوليد بن يزيد لغير القبلة.. ٢٩٤
٢١ـ تسمية الحجاج المدينة المنورة أم نتن وقوله خليفة المرء خير من رسوله.. ٢٩٤
٢٢ـ استبدال خالد بن عبد الله القسري ماء زمزم بماء عذب.. ٢٩٥
٢٣ـ إنشاد خالد بن سلمة لبني مروان الأشعار التي كان يهجو بها النبي صلى الله عليه وآله.. ٢٩٧
٢٤ـ حديث جابر الجعفي مع زيد بن علي وقصة من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو حاضر.. ٢٩٧

٢٥ـ أذان الأمويين لصلاة العيد ٢٩٧
٢٦ـ تقديمهم خطبة العيد على الصلاة وأول من فعل ذلك عثمان أو معاوية
أو مروان ٢٩٧
٢٧ـ كان الأمويون يأخذون الجزية ممن أسلم ٢٩٨
٢٨ـ بيع الأمويين الرجل في الدين إذا لزمه ويصير بذلك وثيقاً ٢٩٨
٢٩ـ سبي بني أمية ذراري الخوارج وغيرهم ٢٩٩
ذكر البلاذري سبي بنت قطري (هامش) ٣٠٠
نذر معاوية في حرب صفين سبي النساء ٣٠١
بعث معاوية بسر بن أرطاة بعد التحكيم مغيراً على الحرمين واليمن وسبى النساء ٣٠١
ما فعله يزيد مع عائلة الحسين عليه السلام ٣٠٢
ما حصل من قائد جيشه في المدينة بعد واقعة الحرة ٣٠٣
٣٠ـ كذبهم على أمير المؤمنين عليه السلام في اتهامه بقتل عثمان ٣٠٤
٣١ـ سبّ عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين عليه السلام وعدم علمه بأنه قائد بدر ٣٠٤
شعر أسيد بن أبي إياس الذي كان ممن حضر بدراً في أمير المؤمنين عليه السلام (هامش) ٣٠٥
٣٢ـ إنكار عمرو بن العاص لقب الأنصار على أهل المدينة ٣٠٦
٣٣ـ أمر سليمان بن عبد الملك أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي صلى الله عليه وآله ثم حرق
الكتاب بعدما رأى فيه فضل الأنصار ٣٠٦
٣٤ـ رواية حريز بن عثمان قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:
«أنت مني بمنزلة قارون من موسى» ٣٠٧
٣٥ـ رواية اعتداء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٣٠٧
٣٦ـ موقف رجل بني أمية مع الإمام الحسين عليه السلام ٣٠٨
٣٧ـ وقوف رجل من أهل الشام على قبر الحجاج والدعاء له ٣٠٨
٣٨ـ ما قاله الأوزاعي: «ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علي بالنفاق» ٣٠٨
٣٩ـ تفسير والذي تولى كبره منهم في أمير المؤمنين عليه السلام ٣٠٩

٤٠ـ سؤال رجل أبا المهلب عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: «خناق، كان بالعراق، اجتمعت إليه جميعة...» ٣٠٩
٤١ـ حديث معمر ودخوله مسجد حمص وما رآه من انتقاص الناس من أمير المؤمنين عليه السلام ٣٠٩
٤٢ـ إرسال عبد الله بن علي مشيخة أهل الشام ليحلفوا للسفاح بعدم معرفتهم قرابة النبي صلى الله عليه وآله غير بني أمية ٣١٠
٤٣ـ رفعهم من شأن الخلفاء ٣١٢
المبحث الثاني: في جهود أهل البيت عليهم السلام في كبح جماح الانحراف وما كسبه الإسلام بكيانه العام من ذلك ٣١٥
الكلام في ثلاثة مقامات:
المقام الأول: في جهود أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والخاصة من أتباعه ٣١٧
تخوف عمر بن الخطاب من محاولة قريش التخلص منه ٣١٨
تحجير عمر على كبار الصحابة ٣١٨
منع عمر من خروج الزبير إلى الغزو ٣١٩
منع عمر مجموعة من الصحابة من الخروج إلى الجهاد ٣٢٠
رواية الشعبي أن عمر حصر الصحابة في المدينة ٣٢٠
توقف أهل البيت عليهم السلام عن تنبيه عامة المسلمين لحقهم في الخلافة ٣٢١
إحساس عمر بأن الاستقرار على وشك النهاية ٣٢٢
تنبؤ الصديقة الزهراء عليها السلام باضطراب أوضاع المسلمين ٣٢٢
مجمل الأوضاع في أوائل عهد عثمان ٣٢٣
غفلة العامة عن ابتناء بيعة عثمان على الانحراف ٣٢٣
مدى اندفاع العامة مع السلطة في تلك الفترة ٣٢٦
رواية جندب بن عبدالله الأنصاري عند تعرضه للمشادة بين المقداد وعبد الرحمن بن عوف في إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام ٣٢٦

اختلاف عثمان عن عمر في أمرين:
الأول: ضعف الإدارة وفقد الحزم ٣٢٨
الثاني: التوسع في إنفاق المال ٣٢٨
ظهور الإنكار على عثمان من عامة المسلمين ٣٢٨
تحقق الجو المناسب لإظهار مقام أمير المؤمنين عليه السلام وبيان ظلامته ٣٢٩
جهود الخاصة في التعريف بمقامه عليه السلام وكشف الحقيقة ٣٢٩
توجهات المعارضة لعثمان:
الأول: النفعيون والانتهازيون ٣٣١
الثاني: الناقمون عل سوء الأوضاع ٣٣١
مقتل عثمان بعد فشل مساعي أمير المؤمنين عليه السلام لحل الأزمة ٣٣٢
مطالبة الجماهير ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام ٣٣٣
إباء أمير المؤمنين عليه السلام البيعة وتنبؤه بالمستقبل القاتم ٣٣٣
بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وما استتبعها من تداعيات ٣٣٤
قد يبدو فشل أمير المؤمنين عليه السلام في تسلمه للسلطة ٣٣٥
علمه عليه السلام بفشل مشروع الإصلاح الجذري ٣٣٥
أهداف أمير المؤمنين عليه السلام من تسلمه للسلطة ٣٣٨
أمور يظهر لنا أنها هي التي ألزمته لتسلم السلطة:
الأمر الأول: تجسيد النموذج الصالح لخلافة النبوة ٣٣٨
الأمر الثاني: اصطفاء أهل البيت عليهم السلام وتميزهم عن غيرهم ٣٤٠
الأمر الثالث: سعيه عليه السلام لإيضاح الحقائق الدينية ٣٤٣
إصحاره عليه السلام بالحقيقة وبحقه في الخلافة وبظلامته ٣٤٤
إيضاحه عليه السلام للمراد من الجماعة التي يجب لزومها ٣٤٥
خطبة النبي صلى الله عليه وآله في مسجد الحنيف ٣٤٥
النصوص والخطب التي تتضمن معنى الجماعة والفرقة ٣٤٦

مميزاته الشخصية ساعدت على تأثيره وسماع دعوته.. ..... ٣٤٧
إيمان ثلة من الخاصة بدعوته عليه السلام وتضحيتهم في سبيلها. ٣٤٨
العقبة الكؤود في طريق الدعوة التقديس المفرط للأولين. ٣٤٩
خطبة له عليه السلام يستعرض فيها كثيراً من البدع. ٣٥٠
ما جاء في مقام إبراهيم عليه السلام وموضعه (هامش). ٣٥١
ما جاء في صاع النبي صلى الله عليه وآله (هامش). ٣٥٢
قضية دار جعفر عليه السلام وغصبه وإلحاقه بالمسجد (هامش) ٣٥٥
قضية سبي ذراري بن تغلب (هامش) ٣٥٦
قضية أرض خيبر (هامش) ٣٥٧
تمييز عمر في العطاء خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يساوي فيه (هامش) ٣٥٧
قضية الخراج على الغلة لا على الأرض (هامش). ٣٥٩
منع عمر من تزويج بنات الأحساب إلا من ذوي الحسب (هامش) ٣٥٩
قضية سهم ذوي القربى (هامش) ٣٥٩
زيادة عمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله (هامش) ٣٦١
إحداث عمر أبواب على مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله (هامش) ٣٦٢
قضية المسح على الخفين (هامش). ٣٦٢
قضية تحليل عمر للنبيذ (هامش) ٣٦٣
منع المتعتين (هامش) ٣٦٤
قضية التكبير على الجنائز أقل من خمس تكبيرات (هامش) ٣٦٥
الإخفات بالبسملة (هامش) ٣٦٦
قضية تشريع طلاق الثلاث (هامش) ٣٦٧
فرض الزكاة على الخيل (هامش) ٣٦٧
إجلاء عمر لأهل نجران (هامش) ٣٦٨
تشريع الجماعة في النافلة (هامش) ٣٦٩

اختيار أمير المؤمنين عليه السلام جماعة خاصة يلقي إليهم الحقائق وقصة ميثم التمار.. .. .. ٣٧٢
جهود الشيعة في نشر الحق ٣٧٥
الحديث عن عبد الرزاق الصنعاني وروايته بعض الأحاديث في الفضائل متخفياً ٣٧٦
الأمر الرابع: إيضاحه عليه السلام لأحكام حرب أهل القبلة.. .. .. ٣٧٩
سيرته عليه السلام في حروبه صارت سنّة للمسلمين.. .. .. ٣٨١
إسلام الباغي يعصمه من الرق ويعصم ماله ٣٨٢
سقوط حرمة الباغي وانقطاع العصمة معه.. .. .. ٣٨٣
خلاصة القول في هدفه عليه السلام من تسلم السلطة ٣٨٦
قيامه عليه السلام بالأمر بعد عثمان بعهد من الله تعالى ٣٨٧
كلام للنبي صلى الله عليه وآله في الفتنة ٣٨٨
المقام الثاني: في مواجهة السلطة لجهود أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته.. .. .. .. ٣٨٩
اهتمام معاوية بالقضاء على خط أهل البيت عليهم السلام ٣٨٩
إدراك معاوية قوة خط أهل البيت عليهم السلام عقائدياً ٣٩٠
أبعاد خط أهل البيت العقائدية:
الأول: دعم العقل والدليل لخط أهل البيت عليهم السلام ٣٩٠
الثاني: انشداد الناس عاطفياً لخط أهل البيت عليهم السلام ٣٩٣
الثالث: ظهور فشل نظرية عدم النص في الخلافة ٣٩٤
تنبؤ سيدة النساء فاطمة عليها السلام وغيرها بنتائج الانحراف ٣٩٤
انتشار التشيع إذا لم تزرع الألغام في طريقه ٣٩٥
الألغام التي زرعها معاوية في طريق التشيع:
الأول: التنكيل بالشيعة ٣٩٦
أثر التنكيل بالشيعة على التشيع ٣٩٧
الثاني: عود الحجر على السنة النبوية ٣٩٧
جعل معاوية التحديث في خدمة مخططاته وذلك بأمور:

أولها: المنع من رواية الأحاديث المؤيدة لخط أهل البيت عليهم السلام .. ٣٩٨
محاورة معاوية مع ابن عباس .. ٣٩٨
ثانيها: افتراء الأحاديث القادحة في أهل البيت عليهم السلام .. ٤٠٠
موقف الجمهور من الأحاديث المذكورة .. ٤٠٠
ثالثها: افتراء الأحاديث في فضل الصحابة والخلفاء الأولين .. ٤٠٢
خطورة هذه الخطوة من جهتين:
الجهة الأولى: تقديس الأولين يقف حاجزاً دون تقبل النص .. ٤٠٦
ضعف غلواء تقديس الشيخين في أواخر العهد الأموي .. ٤٠٨
مهاجمة العباسيين للأولين في بدء الدعوة.. ٤٠٩
تراجع المنصور وتقديمه للشيخين .. ٤١١
اعتراف المنصور ومن بعده بشرعية خلافة الأمويين .. ٤١٢
تراجع المأمون عن موقف آبائه.. ٤١٥
تأكد عدالة الصحابة وتقديس الشيخين في عهد المتوكل .. ٤١٦
الجهة الثانية: قوة الخلافة عند الجمهور يفضي إلى تحكيم السلطة في الدين .. ٤٢٠
تفاقم الخطر بتحويل الخلافة إلى قيصرية أموية .. ٤٢٥
حديث المغيرة بن شعبة عن خطر البيعة ليزيد .. ٤٢٦
ما حصل هو النتيجة الطبيعية لخروج السلطة عن موضعها.. ٤٢٧
المقام الثالث: في أثر فاجعة الطف في الإسلام بكيانه العام .. ٤٢٩
أحكم معاوية بناء دولة قوية .. ٤٢٩
امتعاض ذوي الدين من انحراف السلطة عن تعاليمه.. ٤٣٠
انقسام الناس إلى قسمين:
الأول: من يرى إمكان إصلاح السلطة وتعديل مسارها .. ٤٣١
الثاني: من يرى تجنب الاحتكاك بالسلطة حفاظاً على الموجود .. ٤٣١
دعم وجهة نظر هؤلاء بأمرين:

الأول: الحذر من شق كلمة المسلمين ٤٣٤
الثاني: طلب العافية ٤٣٤
موقف أهل البيت عليهم السلام إزاء المشكلة ٤٣٤
بيعة يزيد تعرض جهود أمير المؤمنين عليه السلام للخطر ٤٣٥
عدم تبلور مفهوم التقية ٤٣٥
لم يخرج على حكم الأمويين إلا الخوارج الذين سقط اعتبارهم:
أولاً: لظهور بطلان تأسيس دعوتهم ٤٣٨
ثانياً: لتطرفهم وانتهاكهم للحرمات ٤٣٨
موقف الشيعة من الأولين يحول دون تفاعل الجمهور معهم ٤٣٩
التفاف السلطة على الخاصة لإضعاف تأثيرهم على الجمهور ٤٤٠
شرعية السلطة يسّر لها التدرج في تحريف الدين بأمرين:
الأول: التدرج في المخالفات والتحريف ٤٤١
الثاني: التدرج في إضعاف المعارضة ٤٤١
وهناك محذوران آخران:
الأول: تبعية الدين للسلطة تخفف من وقعه في نفوسهم ٤٤٢
الثاني: انتهاء التحريف بتحويل الدين إلى أساطير ٤٤٢
ضرورة إحراج السلطة بموقف يلجئها لمغامرة سابقة لأوانها ٤٤٣
سنوح الفرصة لاتخاذ الموقف لأسباب:
الأول: التحول في معيار اختيار الخليفة ٤٤٤
الثاني: طيش يزيد ٤٤٤
الثالث: وجود جماعة كبيرة مندفعة مبدئياً ٤٤٤
الرابع: فاجعة الطف كانت هي الأحرى باستفزاز جمهور المسلمين ٤٤٤
اقتحام السلطة للإمام الحسين عليه السلام يزيد في انتهاكها للحرمات ٤٤٦
استهتار السلطة بعد سقوط شرعيتها يخدم بالدين ٤٤٦

أثر الفاجعة في حدّة الخلاف بين الشيعة وخصومهم. ٤٤٧
دفع محاذير الاختلاف. ٤٤٧
مواقف الأنبياء والأوصياء وجميع المصلحين ٤٤٧
المقارنة بين دعوة النبي صلى الله عليه وآله وفاجعة الطف ٤٤٨
لابد من حصول الخلاف بين المسلمين بسبب الانحراف ٤٤٩
محذور إضعاف الدولة الإسلامية بسبب فاجعة الطف ٤٤٩
يندفع هذا المحذور بأمرين:
الأول: أن الدولة بتركيبتها معرضة للضعف والانهيار ٤٥٠
الثاني: لا أهمية للدولة العربية في منظور الإسلام. ٤٥٠
لو شكر العرب النعمة. ٤٥١
إظهار دعوة الإسلام الحق أهم من قوة دولته ٤٥٢
حققت فاجعة الطف هدفها على الوجه الأكمل ٤٥٣
تداعيات فاجعة الطف في المراحل اللاحقة. ٤٥٤
ثورة أهل المدينة وعبد الله بن الزبير ٤٥٥
موت يزيد بن معاوية. ٤٥٥
إعلان معاوية بن يزيد عن جرائم جده وأبيه ٤٥٦
انتقام الأمويين من مؤدب معاوية بن يزيد ٤٥٩
انهيار دولة آل أبي سفيان. ٤٥٩
اختلاف الأمويين وتعدد الاتجاهات في العالم الإسلامي ٤٦٠
تنبؤ الصديقة فاطمة عليها السلام بما آلت إليه الأمور ٤٦٠
أهمية الفترة الانتقالية التي استمرت عشر سنين لجهتين:
الجهة الأولى: وضوح عزل الدين عن السلطة. ٤٦١
اتضاح أن بيعة الخليفة لا تقتضي شرعية خلافته ٤٦٣
اتضاح أن وجوب الطاعة ولزوم الجماعة لا يعني الانصياع للسلطة ٤٦٤

تخبط الجمهور في تحديد وجوب الطاعة ولزوم الجماعة ٤٦٦
تناسق مفهوم الإمامة والطاعة والجماعة عند الإمامية ٤٦٧
وترتب الأثر على ذلك أمران:
الأول: إن الخروج على الحاكم لا يختص بالخوارج ٤٦٨
الثاني: صارت الإمامة عند الجمهور دنيوية ٤٧٠
الجهة الثانية: كسر طوق الضغط الثقافي في الفترة الانتقالية ٤٧٨
مكاسب التشيع نتيجة كسر الطوق:
أولاً: نهضة الإمام الحسين عليه السلام ٤٧٨
ثانياً: لأنه الرجل الأول من المسلمين ونتيجة ذلك نشر الثقافة الشيعية ٤٧٨
ثالثاً: أصالة المفاهيم الشيعية ٤٧٨
رابعاً: كثرة تضمن القرآن الكريم والسنة الشريفة بما يخدم التشيع ٤٧٨
خامساً: وجود القيادة الحكيمة المعصومة الراعية للشيعة ٤٧٩
تأثيرات فاجعة الطف وإفرازاتها:
أولها: الشعور بالتدهور الاجتماعي ٤٧٩
ثانيها: معاناة الناس من السلطة ٤٨٠
ثالثها: قوة التشيع بعد فاجعة الطف ٤٨٠
حاجة المجتمع الإسلامي لمتخصصين في الثقافة الدينية ٤٨١
أهمية دور رجال الشيعة في مجال التخصص الديني ٤٨٢
عموم ذلك لجميع المسلمين وعدم اقتصاره على الشيعة ٤٨٣
ظهور طبقة الفقهاء والمحدثين ٤٨٤
الاتفاق على انحصار مرجعية الدين بالكتاب والسنة ٤٨٤
تعامل السلطة مع الواقع الجديد بأمرين:
الأول: الاهتمام بتدوين السنة ٤٨٥
الثاني: تبني الخلفاء لبعض الفقهاء لكسب الشرعية منهم ٤٨٦

مكسب الدين نتيجة هذين الأمرين ٤٨٦
موقف مالك بن أنس صاحب المذهب. ٤٨٧
قوّة الكيان الشيعي نتيجة ما سبق. ٤٨٩
تحول مسار الثقافة الدينية. ٤٨٩
عقدة احترام سنة الشيخين. ٤٨٩
موقف عمر بن عبد العزيز ٤٩٤
التغلب أخيراً على عقدة سيرة الشيخين ٤٩٦
موقف الجمهور أخيراً من سنة الشيخين. ٤٩٧
الفهرست الإجمالي ٥٠١
الفهرست التفصيلي ٥٠٣